

تاريخ

العصر الدموي

تأليف

مصطفى بك [illegible]

السوري اللبناني

يشتمل هذا المجلد على ما ألمَّ بسورية خاصة وبالامة العربية عامة من الفواجع والويلات في اثناء الحرب العامة وينتهي بدخول جيوش الحلفاء البلاد السورية

مطبعة المفيد — دمشق سنة ١٩١٩م — ١٣٣٨ﻫ

فهرست الكتاب

صحيفة

صحيفة
عدد

صحيفة

عدد

الفصل الحادي والعشرون

عدد صحيفة	

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

صحيفة

عدد

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

صحيفة

عدد

الفصل الثاني عشر

الفصل الثالث عشر

الفصل الرابع عشر

الفصل الخامس عشر

تاريخ
العصر الدموي

تأليف

المحامي
ناصيف بك ابي زيد
السوري اللبناني

طبع في مطبعة المفيد — دمشق
سنة ١٩١٩

تقدمة الكتاب

مظهر الحمية العربية صاحب السعادة سليم باشا الاطرش

قد فكرت كثيرا الى من يجب ان اهدي كتابي هذا (العصر الدموي) الذي تجلت فيه فظائع الاتراك ومظالمهم لاسيما في الامة العربية التي خاضت بحرا من الدماء فلم اجد احرى بذلك من سعادتكم لانكم جعلتم جبلكم المنيع في احرج الاوقات واشدها صلة بين الاقطار العربية الثائرة والمظلومة حتى تسنى للمظلوم ان يجد منفذا فينضم الى اخوانه الثائرين ويضرب على ايدي الظالمين

وفوق ذلك فقد كان جبلكم الرفيع ملجأ لكل مظلوم وموئلا لكل يائس عضه ناب الشقاء ٠

اما اهراؤكم التي منعتموها على الاتراك والالمان فقد كانت نعمة للسوريين عموماً والدمشقيين خصوصاً

مقابلة لهذه الافضال العظيمة اقبل ايها الهمام هذه الهدية الصغيرة التي لايجرئني على تقديمها الا قول الشاعر : (ان الهدايا على مقدار مهديها)

وكأنه ينطق بلسانه في بيته التابع :

لو كان يهدى الى الانسان قيمته　　لكنت اهدي لك الدنيا بما فيها

فاقبل ياسعادة الفريق النبيل هذه الهدية ممن يفتخر بان يكون صديقا مخلصاً لكم ٠

ناصيف
ابي زيد

مقدمة

بعد حمد الله تعالى العالم الخفايا والاسرار الذي جعل التاريخ عبرة للمتأخرين وتذكرة دائمة للغابرين يسطر على صفحاته المستقيمين اجمل تذكار ويلحق باسم الانذال وصمة عار فيخشى الظالم من حكم التاريخ مالا يخشاه من سواه . وبعد فيقول العبد الفاني ناصيف بن جرجس ابي زيد السوري اللبناني : بما ان الكثيرين من ابناء هذه البلاد يجهلون كثيرا من الفظائع التي كان يمثلها طاغية الاتراك احمد جمال باشا وزملاؤه في مسرح منطقة الجيش الرابع . ولم يكن يتسنى لاحد ان يقف على اسبابها ووقائعها ودقائقها لما كان يخشاه من شديد العقاب المعد للمتطرقين الى التنقيب عنها .

اما انا فلم يكن هول العقاب ليثني همتي عن الوقوف بالمرصاد لكل فاجعة ونكبة فأدون تفاصيلها واجمع كل ما له علاقة بموضوعي . هذا ليكون تاريخي مستوفيا شروط الصدق والاتقان . وما لم اتمكن من تحريه بنفسي فقد اعتمدت به على رواة يوثق بصدقهم .

قد وجدت روح هذا التاريخ منذ اربع سنوات ولكنه لم يتجسم الا بعد ان زالت عظمة الاتراك المسجلة بدم الابرياء وتزلزل عرش طغاتهم المشيد على رؤوس الشهداء وهذا ما حملني ان ادعو هذا التاريخ (العصر الدموي) وهو برواياته وحسن تبويبه فضل ما ازفه لابناء هذا العصر الذهبي تهنئة لهم بزوال ذاك ودوام هذا .
وهو يحتوي على ما اتاه زعماء الاتراك وعمالهم من المنكرات والفواحش في البلاد العربية بين تشهير واعدام وتسبيب مجاعات الى غير ذلك . وقد كانت الضحايا الوفا من النفوس البريئة ولا يذهب الوهم بالقراء الاعزاء لدى تقليب هذه الصفحات ان ذلك ضرب من المبالغة فان لي على كل حادث اوردته شواهد عيانية

او كتابية يمكن الاعتماد عليها . وليثق كل مطالع انني اوقفه على حقائق لاغبار عليها نكيد .

ولم اشأ الوقوف بالقراء الاعزاء عند نهاية الحرب وجلاء الاتراك بل رأيت ان اضيف انتصار الحلفاء وسقوط المدن . ثم اقابل بين موقفي الجيشين العربي والتركي وتفوق الاول على الثاني وخوفا من ان يرشقني مواطني بنبال اللوم اتيت على لمعة تاريخية في ذكر منقذ العرب ومخلصهم الملك حسين الاول ايده الله .

ثم اتيت على ذكر بعض مقررات مؤتمر الصلح بشأن بلادنا السوريه وتتميما للفائدة رأيت ان اصدر كتابي بلمحة تاريخية عن منشأ الدول العربية في الجاهلية الاولى والثانية ثم في عهد الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين ازالة لما رسخ في بعض العقول الضعيفه من التعصب الذميم واثباتا لان العرب كانوا امة واحدة قبل الاسلام تربطهم اواصر الجنسية ولا تفرق بينهم التعصبات الدينية . وهذه الكلمات قد فاه بها سمو الامير فيصل ايده الله في مواقف عديدة

ثم الحقت ذلك بنبذة موجزة في تاريخ سلاطين الاتراك وعددهم واحدا بعد آخر مع ذكر الحوادث الهامة في عهد كل منهم الى آن زوال ملكهم واضمحلال سطوتهم في هذه البلاد

ولم اتوخ في كل ذلك سوى افادة القراء الاعزاء بما اخشى ان تتلاعب به ايدي النسيان

واسأل الادباء الالباء ان يسبلوا ستار عفوهم عما يرون من الاخلال والتقصير فان لله وحده العصمة والكمال وهو حسبي ونعم الوكيل



الفصل الاول

تاريخ العرب

ان العرب هم اقدم الامم من بعد الطوفان واشدهم بأساواعزهم نفسا ينقسمون الى بدو وحضر . اما البدو فهم سكان البراري الذين يعيشون من البان الابل والغنم وسائر الحيوانات ولحومها متنقلين من مكان الى آخر . واما اهل الحضر فهم سكان المدن والقرى وكان لهم في ماضيهم دول وقبائل وكان دأبهم شن الغارة على الممالك والغزو حتى انهم أغاروا على فراعنة مصر الوسطى والسفلى وتوالى منهم جملة ملوك في مدة لا تقل عن ثلاثمائة سنة وكانوا يدعون اذ ذاك الملوك الرعاة وهذا دليل على قدميتهم وشدة بأسهم في تلك العصور :

وقد استولى ملوكهم على الشام والعراق واليمن ونجد والحجاز واليمامة كما سيأتي بيانه وهم ينقسمون الى اربع طبقات متتابعة .

الطبقة الاولى : وتعرف بالعرب العاربة ويقال لها البائدة اي الهالكة وهي تؤلف من شعوب وقبائل كثيرة كعاد وطسم وجديس وغيرها وقد انقرضت ولم يبق احد من نسلها .

الطبقة الثانية : وتسمى العرب المستعربة وهي متسلسلة من ولد قحطان الذين منهم التبابعة ملوك اليمن وقحطان المذكور اول من تكلم بالعربية تلقاها عن العرب البائدة . لمعاصرته اياهم وكان ابنه يعرب من اعظم ملوك عرب اليمن وعلى زعم بعضهم ان يعرب هو اول من تكلم بالعربية .

الطبقة الثالثة : اي العرب التابعة للمستعربة من ولد عدنان الذي هو من ذرية سيدنا اسماعيل بن سيدنا ابراهيم ومنه تسلسلت الطبقة المناظرة لملوك الحيرة والعراق .

الطبقة الرابعة : وتسمى العرب المستعجمة وهم الذين فسدت لغتهم على تمادي الايام والسنين لخالطتهم الاجانب وقد انقرض ما كان لهم من الدولة والسطوة وخلفهم الى الآن شعوب كثيرة يسكنون الخيام ويجولون في البراري على اختلاف العشائر .

ممالك العرب قبل الاسلام

كان العرب منقسمين الى دول متفرقة اعظمها التبابعة اي ملوك اليمن واول من ملك منهم قحطان بن عابر بن شالح بن ارفخشاد بن سام ابن نوح قبل المسيح بنحو الفي سنة . ثم خلفه ابنه يعرب الذي غزا بلاد الحجاز وتغلب عليها واسر عدة من ملوكها وهو اول من ضرب عليهم الخراج . وهو الذي شيد مدائن الحجاز وتوفي بعد ثلاث وثلاثين سنة من ملكه وخلفه ابنه يشجب عبد شمس الملقب بسبأ وهو الذي اكثر الغزو وافتتح مدناً حصينة واكثر السبايا ولذلك قيل له سبا وملك نحوا من خمس وثلاثين سنة وتولى بعده عدة ملوك منهم بلقيس ابنة الهدهاد وكانت معاصرة لسليمان الملك وهي التي وفدت عليه بهدايا نفيسة وبقيت في الملك عشرين سنة .

وقام بعدها ناشر النعم وسمي بذلك لانه قلد اعناق الناس اطواق النعم وهو الذي سار غازيا الى المغرب فهلك اصحابه في وادي الرمل فنصب هنالك صنما كتب عليه بالخط المسند : هذا صنم لناشر النعم

الحميري ليس وراءه من مذهب فلا يتكلف احد ذلك فيعطب ثم ملك بعد ناشر النعم هذا شمر مرعش وسمي بذلك لارتعاش كان به. وكان من اعظم ملوك هذه الدولة وقد تبوأ سريرها سنة ثمانمائة قبل المسيح وكان ميالا الى المغازي وقد غزا بلاد الشرق بجيش لا يقل عن ثلاثمائة الف مقاتل فدخل العراق ومنها طلب بلاد الصين وجعل طريقه على بلاد فارس ودخل مدينة سغدفهدمها وهي تعرف بالفارسية شمر قنداي شمر خرب . ثم اعاد بناءها ولم يفارقها الاسم وقد سماها العرب سمرقند ومن آثارها ما اكتشفه المستشرقون عمود حجري مكتوب عليه باللغة الحميرية هذا ما بناه شمر مرعش للسيدة شمس وقد سار هذا الملك الى بلاد الصين وعاد عنها خائبا وهلك في اثناء رجوعه عنها مع كل جيوشه لانهم ضلوا عن الطريق وتوغلوا في طريق مقفرة موعرة وكانت مدة ملك شمر المذكور سبعا وثلاثين سنة .

ثم خلفه ابنه ابو مالك وتوفي بعد مدة يسيرة فانتقل الملك من ذريته الى ولد اخيه كهلان فتولى منهم ملوك عديدة . ثم عاد الملك الى ذرية شمر مرعش وكان آخر ملوكهم سيف بن ذي يزن الذي خلص المملكة من ايدي الحبشة بمساعدة كسرى انوشروان وقد كان هؤلاء استولوا عليها مدة نحو سبعين سنة وذلك سنة ٥٨٠ م .

ومن ملوك العرب الغساسنة ملوك الشام واصلهم من اليمن ثم انتقلوا الى ضواحي الشام ونزلوا على ماء يقال لها غسان فاشتهروا به ونسبوا اليه

ثم تغلبوا على الشام وامتلكوها واول من ملكها منهم جفنة بن

وآخرهم جبلة بن الايهم وهو الذي بنى مدينة جبلة بين طرابلس واللاذقية المعروفة بعصرنا هذا .

ومن ملوك العرب ايضا بنو كندة وهم بنو زيد بن كهلان وقبل ان يملك حجر عليهم كان الكنديون بغير ملك يأكل قويهم ضعيفهم وحجر هذا قد استعمله عليهم تبع حين اقبل الى العراق وقد توفي حجر سنة ٥٠٣ ق ٠ م ٠

ثم تملك بعده ابنه المقصور وسمي بذلك لانه اقتصر على ملك ابيه وملك بعده الحارث وكان له اربعة بنين ولاهم على قبائل كندة وكان حجر اكبرهم متوليا بني اسد فغدروا به وقتلوه فقام ابنه امرؤ القيس يطالب بدمه واتجدته بكر وتغلب ففاز ثم تخاذلتا عنه فاتغلب وطلبه المنذر بن ماء السماء فاستجار امرؤ القيس بالسموأل بن عاديا اليهودي فاكرمه واجاره بقصره المعروف بالابلق . ثم سار امرؤ القيس الى قيصر الروم ومات وهو راجع من عنده بالقرب من جبل عسيب سنة ٥٣٩ م وامرؤ القيس هو الملك الشاعر الذي افتتح معلقته بالمطلع المشهور : قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل : ومن ملوك العرب ايضا ملوك العراق اولهم مالك بن فهم وآخرهم المنذر بن النعمان بن المنذر ابن ماء السماء

وكان المناذرة عمال الاكاسرة على عرب العراق كما كان الغساسنة عمالا للقياصرة على عرب الشام .

واشهر الملوك المناذرة هو جذيمة الابرش الذي رقي الى سرير الملك سنة ثلاثين بعد المسيح وكان يسكن الحيرة وهو اول من نصب

المجانيق للحرب وجبي الاموال و كان ذا صولة وسطوة وقد ادت به
عداوته لعمرو بن الظرب مالك الجزيرة الى حروب متواصلة وكان النصر
في نهايتها حليف جذيمة فقتل عمرو . ثم ملكت بعده ابنته الزباء
واسمها نائلة وقد ابتنت لها على شاطيء الفرات قصرا معروفا باسمها . ثم
ارادت ان تثأر لابيها داباها فارسلت الى جذيمة من يقول له : ان الزباء
لاترى ذاتها كفوءا للملك فطمع واستشار بذلك وزراءه وابن اخته
عمرو بن عدي فوافقه على ذلك ثم استخلفه على المملكة وسار في موكبه
ومعه وزيره قصير بن سعد فقال له هذا : اخاف ان تثأر لابيها منك .
ولما انتهوا الى بلادها قتلت جذيمة المذكور وهرب قصير حتى انتهى
الى عمرو ابن اخت جذيمه واطلعهُ على ذلك المصاب واغراه بان يثأر
لخاله . ثم ان قصيرا جدع انفهُ واذنيه وذهب الى الملكة المذكورة
مدعيا ان عمرا فعل بهِ ذلك لاتهامهِ اياه بقتل خالهِ غيلة وطلب اليها ان
تأذن لهُ بالاقامة في جوارها فسرت بهِ وقدمتهُ على سائر غلمانها وصارت
ترسله في تجاراتها في انحاء الجزيرة وكان قصير يأتي الى عمرو بما تزوده
من المال فيأخذ منه ضعفه ويبتاع بذلك الخز والياقوت والديباج
فنال بعينها حظوة عظيمة وسلمته مفاتيح الخزينة فأخذ عندئذ
جانباً من المال جاء به الى عمرو وقال له قد عملت واجبي فبقي عليك
ان تقوم بواجبك فقال عمرو وكيف قال له ان تحمل الرجال مدججين
بالسلاح في صناديق مقفلة تسير فتوقع بالزباء في قصرها غيلة فانتخب
عمرو من فرسانه الف رجل والبسهم السلاح وحملهم على الجمال وساروا
يؤمون قصر الزباء ثم سبقهم قصير ودخل المدينة قبلهم واخبر الملكة

بانه اتاها بتجارة لم يأتها بمثلها احد قط وان الجمال على ابواب المدينة فصعدت الملكة الى سطح قصرها تراها فانكرت مشي الجمال وقالت

ما للجمال مشيها وئيدا اجندلا يحملن ام حديدا

ثم امرت بادخال الجمال الى القصر حتى اذا كان الصباح تنظر في البضائع ولما انتصف الليل خرج الرجال من صناديقهم ونكلوا بكل سكان القصر من الغلمان والجواري اما الزباء فانها سارت في سرداب خفي كانت اعدته للخروج من المدينة عند مداهمة الخطوب وكان قصير يعرفه فهدى عمرا اليه فسار على آثارها وحين رآته امتصت سماً كان معها فماتت لساعتها فضم عمرو عندئذ المدينة الى ملكه وانتقل الملك اليه والى ذريته من بعد موت خاله

دول العرب بعد الاسلام

بينما كانت العرب كالنعام الجافلة يتسكعون في تلك البوادي والمغاور لا انيس لهم الا السباع الكاسرة والوحوش النافرة ولا عز الا باسنة الرماح وشفار السيوف وصهوات الصافنات ولا فخر الا بشعر يروى ونسب يحفظ وحرب تصلى ولا مأوى الا بيوت الشعر يتقلبون بين جمل يهدر وفرس تصهل وكان بعضهم يعبد الحجر والشجر وفريق منهم يعبد النار واجرام الفلك السيار ويتعرفون بالرقى . وافئدتهم تغلي من الاحقاد على المراجل فلا تكاد ترى في تلك الاغوار والانجاد وبين تلك السهول والادغال الا رأساً يقطع وانفاً يجدع وعكاظ اذ ذاك في موسمها تختال بفصاحة قسها وتزهو ببلاغة اعشى

بكرها ونابغة ذبيانها وام القرى (١) معتزة باصنامهـا في مسجد حرمها وقريش سائدة بمآثرها واذا بكوكب جديد ظهر في افاق شبه جزيرة العرب يبعث بهذا القوم الضال الى نور هدى واصلاح مجيد . ذلك بان قام بشير يقول ان آمنة بنت وهب النجارية اليثربية (٢) ارملة عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي المكي قد ولدت غلاما دعوه محمدا (ص) الا وهو ذلك النبي العربي العظيم وكان ذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلون من شهر ربيع الاول (٥٧١) ١٠ تشرين الثاني .

ترب في حجر عمه ابي طالب معدما يتيما ونشأ امينا حكيما نبيلا رصيناً محبا للوئام كارها للاصنام ماقتا للجاهلية مبغضا لشعائر امته في عقائدها شهد وهو صبي حرب الفجار (٣) في عكاظ (٤) وصحب عمه ابا طالب الى الشام ثم عاودها ثانية وهو شاب بتجارة لخديجة بنت خويلد (ر) وعندها اجتمع ببحيرى الراهب النسطوري في بصرى ولما اتم الاربعين من سنه دعا قومه الى الاسلام صادعا بنبوته مصرحا ببعثته المبينة في التوحيد والتآخي وصدقه النزر الاقل وكذبه الاكثرون عاملين على مناصبته وفي مقدمتهم من سادة قريش ابو سهل وابو لهب وابو سفيان فغادر مكة بعد ان عز البقاء وهاجر الى يثرب

---

(١) لقب مكة المكرمة (٢) قلنا ارملة لان زوجها مات عنها وهي حامل (٣) سميت فجاراً لانها نشبت في الاشهر الحرام التي لا يحل بها القتال (٤) سوق للعرب تقام فيها المواسم وتجتمع فيها العرب بعد انصرافهم من الحج يتفاخرون ويتناظرون

بلد امه وكانت ماتت وهو صبي فناصره اهلها وعاهدوه على الاستماتة في سبيل مايدعوهم اليه من رشد وهداية وسموا من ذلك العهد انصارا ودعي مهاجرا(١) وذلك كان بداية الاسلام ولبث القرشيون يناوئونه متعاقدين على نكايته مع بعض زعماء قبيلتي بني قريظة وبني النضير وغيرهم من يهود يثرب فحارب المكيين في وقعة بدر ثم وقعة الخندق فاظفره الله بهم حتى اذا اشتد ساعد المسلمين وكثر عديدهم قصد بهم مكة وافتتحها بعد قتـال غير عنيف لعشرين من شهر رمضان سنة ثمان للهجرة ثم كسر اصنامهـا وبعدئذ سير رسله الى ملوك المعمور من فرس وقبط وعرب ورومان يدعوهم الى الاسلام وبعد ان آخى المسلمين ورفع من قلوبهم احقاد الجاهلية ادركه الاجل المحتوم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلون من ربيع الاول سنة ١١ للهجرة الموافقة ٨ حزيران سنة ٦٣٢ مسيحية وعمره (٦٣)عاما هـ او ٦١ سنة مسيحية

الخلفاء الراشدون

وبعد وفاته بويع بالخلافة لابي بكر الصديق (ر) سنة ٦٣٢ وهو احد اسياد بني هاشم واشرافهم وفي اول خلافته ارتد بعض القبائل عن الاسلام واظهروا العصيان فكبح جماحهم ولما اذعنت له كل البلاد العربية شرع في الفتوحات فامر كلا من خالد بن الوليد وابي عبيدة ابن الجراح على جيش عظيم وارسلهم للفتوحات والمغازي فدان لخالد

(١) ان التاريخ الهجري المعول عليه الى يومنا هذا ابتدأ من هذه الهجرة واول من ارخ به عمر الفاروق ثاني الخلفاء الراشدين _

ابن الوليد جانب من بلاد العجم وتغلب ابو عبيدة على اطراف سورية بعد ان شتت جيشا عرمرماً للرومان كان ارسلهُ هرقل الملك للمناضلة عن تلك البلاد ووقع بين المؤرخين اختلاف في موت ابي بكر فمنهم من قال : انه مات مسموما وآخر قال انه استحم في يوم شديد البرد واصابته حمى شديدة فمات بعد خمسة عشر يوما وكان ذلك سنة ١٣ للهجرة الموافقة لسنة ٦٣٥ مسيحية وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر وتولى الخلافة يوم وفاته عمر بن الخطاب وهو اول من سمي امير المؤمنين وكان محمود السيرة موصوفا بالدين والعدل وفي ايامه فتحت البلاد الكثيرة على يد القائد العظيم ابي عبيدة بن الجراح ففتح العجم وهزم ملكها وقتئذ كسرى يزدجرد فاستجار هذا بملك الاتراك . ثم فتح خالد وابو عبيدة الشام وبعلبك وحلب وانطاكية والقدس وجميع المدائن في فلسطين وانتهى الفتح الى الديار المصرية على يد عمرو بن العاص بعد جهاد طويل وكان في الاسكندرية مكتبة يونانية عظيمة فيها كتب التاريخ والحكمة وانواع العلوم فكتب ابن العاص الى ابن الخطاب يستشيره في امر هذه المكتبة : فاجاب هذا : اذا كان بها ما في كتاب الله فلا حاجة اليها وان كان بها ما يضاده فتقدم باحراقها ولما وقف ابن العاص على هذا الجواب وزع الكتب على حمامات الاسكندرية فاستوقدت بها .

وقد كان هذا الخليفة بمكان عظيم من العدل فان جبلة بن الايهم الغساني الذي اسلم في ايامه سار في موكب فخم يريد الحج فتلقاه عمر بمنتهى الاجلال واكرم وفادته وفي يوم الطواف وطيء رجل من بني

فزارة طرف ازار جبلة فانحل الازار وغضب هذا ولطم الرجل فهشم انفه فذهب الفزاري وشكا امره الى امير المؤمنين فدعا جبلة وقال له : اختر لنفسك ما يحلو اما ان تفتدي نفسك منه بالمال او يلطمك الرجل كما لطمته فاجاب جبلة ايتساوى عندكم الملك والسوقه ؟؟ فاجابه الخليفة قد ساوى الله بالحق بينكما . فغضب جبلة وهرب بمن معه الى الشام ليلاً ومنها الى قيصر فاقام عنده وكثر نسله في تلك البلاد وهم المعروفــون بالارناؤط . . وفي آخر عام ٦٤٤ بينما كان عمر يصلي في المسجد دخل عليه رجل يقال له ابولؤلؤة فطعنه بخنجر في خاصرته فمات وكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر وثمانية ايام .

وخلفه عثمان بن عفان وفي ايامه امتدت الفتوحات الى بلاد الغرب ومما يؤاخذ به ايثاره لاقربائه وذويه وتسليمه اليهم كل الوظائف وحصرها بهم وهذا ما حمل الشعب على الهياج عليه والخروج عن طاعته فكان يطيب خاطرهم ويعدهم بانه يفعل ما يريدون ولما علموا انه يراوغهم ازداد حنقهم وعظمت الفتنة وتحزب الناس وهجموا على داره فقتلوه سنة ٣٥ هـ وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة الا اثني عشر يوما ومكث ثلاثة ايام لم يدفن .

ثم خلفه الامام علي (رضه) ابن ابي طالب سنة ٦٥٥ م وقد بويع يوم مقتل عثمان ولما سألوه البيعة قال لان اكون لكم وزيراً خير من ان اكون لكم اميراً واي اخترتموه رضيته فاصروا على مبايعته وبايعوه وكان (رضه) من الفرسان المغاوير وهو ابن عم النبي (صلعم) وصهره وقد وقع بسببه بين الاسلام منازعات من حيث ترتيب الخلافة فاهل

السنة يقولون ان الترتيب الذي جرى حتى خلافة الامام علي كان معتبراً واهل الشيعة يقولون ان الاولية للامام علي باعتبار الحق بالتقدم ولكل براهين وحجج تؤيد مدعاه . وكانت مدة خلافة الامام علي خمس سنين الا ثلاثة اشهر وسبب موته انه هجم عليه احد الخوارج فضربه بالسيف في جبهته فمات وتولى بعده ابنه الحسن بن علي فحكم نحو ستة اشهر وظهرت الدولة الاموية .

ذكر بني اميه

كان هؤلاء القوم وبنو هاشم حياً واحد ينتمون لعبد مناف وهم من اشراف قريش وساداتها وكان بنو امية اكثر عددا من بني هاشم واوفر رجالا وكان لهم قبل الاسلام شرف عظيم وفخر قديم ولما مات عثمان بن عفان الخليفة الثالث لبني هاشم اختلف الناس على خلافة الامام علي لانه من آل هاشم الا ان عساكر علي كانت في ذالك الحين اكثر عددا فلم يكن سبيل لبني امية ان يأخذوا منه الخلافة الا ان كثرة حروبه وما حدث في عهده من الانشقاقات والتحزبات اضعفت شوكة بني هاشم فنهض اذ ذاك معاوية بن ابي سفيان الاموي وطلب الرئاسة والاخذ بثار عثمان بن عفان من الامام علي بن ابي طالب مع ان هذا لم يكن له اشتراك في قتله ورفض معاوية حق علي بالخلافة ووافقه على ذلك جماعة من الاشراف ومن جملتهم عمرو بن العاص الذي كان يومئذ عاملا على مصر وبايعوا بالخلافة معاوية وقد جرت بين علي ومعاوية مواقع هائلة قتل بها الوف من الفرسان والقواد والاعيان . وبعد ذلك تهادنا وافترقا واجتمع على الاثر ثلاثة من الخوارج

أغضبهم ما وقع من الخلاف بين المسلمين فاتفقوا على قتل كبار القواد والثلاثة هم عبد الرحمن بن ملجم وعمرو بن بكير والبرك بن عبد الله فتعهد ابن ملجم بقتل علي وقال البرك انا اكفيكم معاوية وقال ابن بكير انا لعمرو بن العاص وتواعدوا للسابع عشر من شهر رمضان فقتل ابن ملجم علياً كما تقدم في تاريخه واما البرك فوثب على معاوية بالسيف وضربه فأخطأه . فامسك وقال لمعاوية اني ابشرك فلا تقتلني . قال : بماذا فاخبره بقتل علي كامر فلم يمتنع معاوية عن قتله واما ابن بكير فلم يظفر بعمرو بن العاص لانه لم يخرج من منزله تلك الليلة .

وبعد موت الامام علي قويت شوكة معاوية وضعفت منزلة الحسن ابن علي فخلع هذا نفسه من الخلافة لخوفه من وخامة العاقبة واتفقت الجماعة بعد ذلك على معاوية فبايعوه في منتصف السنة الحادية والاربعين للهجرة . ولما استقام الامر لمعاوية جعل كرسي مملكته في الشام وامتدت الاحكام الى مصر والحجاز وخراسان ثم حدثت معاوية نفسه ان يغزو بلاد الرومانيين فجهز عسكراً جراراً لافتتاح القسطنطينية وظل يغزوها مدة خمس سنوات متتالية يقصدها صيفاً ويعود عنها شتاء الا انه لم يتمكن من افتتاحها وخسر كل مراكبه وجيوشه . لان احد الرومانيين المدعو كلينيوكس هيليوبولس قد اخترع حراريق نارية من القطران والنفط والكبريت وجاء بها الى القسطنطينية ولم يكن يمكن اطفاء ما تحرقه من الخشب وما اشبه واذا صوبت نحو عسكر اهلكته عن آخره وبعد ذلك عقد معاوية صلحاً مع ملك الروم على ان يدفع معاوية خراجاً عن ثلاثين سنة وكانت مدة خلافته نحواً من عشرين سنة .

وبعد موت معاوية بايع اهل الشام يزيد بن معاوية وامه ميمون بنت الجندل . وكان ضخماً كثير اللحم والشعر . ثم بعث يزيد الى المدينة من يأخذ له البيعة فلم يبايعه الحسن وابن الزبير وخرجا الى مكة فأما ابن الزبير فلم يبايع ولا دعا لنفسه واما الحسين فقد بايعه اهل الكوفة ولم يزل مترددا بين الاقامة والخروج اليهم فاشار عليه ابن عباس بقوله : لا تفعل واشار عليه ابن الزبير بالخروج فاطاعه وصمم على المسير الى العراق فبعث اليه اهله يدعونه اليهم فخرج من مكة يريد العراق ومعه طائفة من آل بيته من الرجال والنساء والصبيان فكتب يزيد الى عامله بالعراق عبيد الله بن زياد بقتله فوجه اليه جيشا لا يقل عدده عن اربعة آلاف نفر يقودهم عمر بن سعد بن ابي وقاص . ثم خذل الكوفيون الحسين كما كان شأنهم مع ابيه من قبله ولما عرف الحسين بوخامة العاقبة سألهم المضي معه الى يزيد لكي يضع يده في يده فابوا الا قتله واحتزوا رأسه ووضعوه في طست واتوا به الى ابن زياد وكان مقتل الحسين في كربلا وقتل معه ستة عشر رجلاً من ذويه وكان ذلك يوم عاشوراء .

ثم بعث ابن زياد برؤوس المقتولين الى يزيد فسر اولاً بذلك . الا انه ندم بعد ذلك لما رأى ان هذه القساوة سببت له مقت الاسلام وبغضهم اياه .

وبلغ يزيد سنة ثلاث وستين ان اهل المدينة خلعوا طاعته وخرجوا عليه فارسل جيشا غرمرماً لقتالهم ثم امره بالمسير الى مكة لقتال ابن الزبير ففعلوا وكانت وقعة الحرة على باب طيبة وقتل جمهور

ذلك من الصحابة خلق كثير ونهبت المدينة

وكان سبب خلع اهل المدينة ليزيد اسرافه في ارتكاب المنكرات والفواحش ولذلك ثار عليه اكثر المسلمين ومقتوه وبعد واقعة المدينة سار الجيش الى مكة لقتال ابن الزبير وفيما كان الجيش في الطريق مات اميره فاستخلف يزيد عليهم غيره واكملوا مسيرهم قاصدين مكة فحاصروا ابن الزبير وقاتلوه ورموه بالمنجنيق وكان ذلك في شهر صفر سنة ٦٤ واحترقت من شرار نيرانهم ستائر الكعبة وسقفها . وقد روى الواقدي عن ابي جعفر الباقر ان يزيد بن معاوية هو اول من كسا الكعبة بالديباج .

وبينما كان عسكره محاصرا مكة بلغهم الخبر بوفاته فصرخ بهم ابن الزبير يا اهل الشام طاغيتكم قد هلك فتراجعوا وذلوا وقطعتهم الناس . ثم ان ابن الزبير دعا الناس الى مبايعته بالخلافة واما اهل الشام فبايعوا معاوية ابن يزيد وهو ابو عبد الرحمن ويقال له ابو ليلى استخلف بعهد من ابيه وكان صالحا ورعاً ولكنه كان مبتلى بالاسقام ولم يزل كذلك الى ان مات ولم يخرج الى الناس ولا اتى امراً يذكر وكانت مدة خلافته كلها اربعين يوماً وقيل شهرين وقيل ثلاثة اشهر وكان عمره حين ادركته الوفاة عشرين سنة . وحين وفاة معاوية بن يزيد قام عبدالله بن الزبير يدعو الناس الى مبايعته بالخلافة فاطاعه اهل العراق والحجاز وخراسان وجند العمارة واما مصر والشام فاذعنتا لمروان بن الحكم واستمر في ذلك الى ان مات سنة ٦٥ هجرية وقد عهد بولاية العهد الى ابنه عبد الملك بن مروان وهنا يقال بالاختلاف في

بين المؤرخين فمنهم من يحسب ابن الزبير الخليفة الحقيقي و يحسب مروان بن الحكم باغياً وان خلافته غير صحيحة وكذلك ولايته بالعهد لابنه عبدالملك فانها لم تصح الا بعد مقتل ابن الزبير وآخرون يؤيدون خلافة مروان وينكرون خلافة عبدالله بن الزبير الذي بقي بمكة الى ان ظفر به عبدالملك على يد الحجاج الذي امره على جيش كثيف ضايق ابن الزبير وحاصره بمكة اشهرا ورماه بالمجانيق حتى خذل ابن الزبير اصحابه وتسللوا الى الحجاج فظفر به وقتله وصلبه وكان ذلك يوم الثلثاء في ١٧ جمادى الاولى سنة ٧٢ ﻫ وصفت الولاية الى عبد الملك بن مروان الذي جلس على سرير الخلافة سنة ٦٩٢ م وهو اول من ضرب السكة الاسلامية سنة ٧٦ ﻫ وكانت مدة خلافته ثلاث عشرة سنة .

ثم خلفه ابنه الوليد ابن عبد الملك وهو الذي بنى الجامع الاموي بالشام وكان بجانبه كنيسة قديمة للنصارى فهدمها وادخلها في الجامع وفي ايام هذا الخليفة امتدت فتوحات الاسلام الى افريقية واتصلت غزواته الى جبل الاطلس فخضع المغاربة الذين على الشطوط البحرية ثم حصلت اختلافات في داخلية اسبانيا افسحت المجال لدخول الاسلام اليها .

ففي اوائل القرن الثامن كان موسى بن نصير عاملاً على بلاد المغرب من قبل الوليد بن عبدالملك وكان اذ ذاك الملك رودريك واليا على اسبانيا فعبر قوم من اشراف الاسبانيين الى افريقية واتوا موسى وطلبوا منه ان يقيم حرباً على الاندلس وينتقم من ملكها

رودريك لانه كان قد اغتصب الملك فاجابهم موسى الى طلبهم بعد ما استأذن الوليد في ذلك فارسل هذا طارقاً بن زياد وهو من مشاهير قواد العرب فاخذ جمهوراً من الابطال وسار بهم في تلك الاطراف ورسا بسفنه تجاه جبل الفتح الذي تسمى به بعد ذلك : اي جبل طارق وكان الكونت جليان احد اشراف اسبانيا من جملة خصوم رودريك وذا سطوة فاتحد سرا مع المسلمين وسهل لهم مساعيهم فاستولى ابن زياد على المدينة التي على حافة الجبل المذكور ثم احرق جميع سفائنه لكي يقنط عسكره من الهزيمة ويقطعوا املهم من الرجوع قبل الانتصار . واذ ذاك اشتبك القتال بينهم وبين الاسبان وحدثت عدة مواقع لا اهمية لها الى ان داهمه ملك اسبانيا ومعه تسعون الف مقاتل واشتد القتال بين الفريقين في سهل كودلة وذلك يوم الاحد قبل دخول شهر رمضان بيومين سنة ٩٢ هـ .

فكانت وقعة هائلة بدأ فيها القتال عند طلوع الفجر وبقي طول النهار وكان الاسبان يضاهون اربعة اضعاف العرب فتجلد هؤلاء وصبروا فوق طاقتهم حتى الجأوا الاعداء اخيرا الى الفرار بعد ان قتلوا منهم خلقاً عظيماً وغرق الملك رودريك في النهر ولما بلغ موسى بن نصير خبر هذا الانتصار تجهز بجيش جرار وذهب بنفسه الى تلك الامصار وجال بجنوده تجاه مدينة طليطلة التي كانت يومئذ عاصمة المملكة فملكها فتحاً وظل المسلمون يكتسحون مدينة بعد اخرى حتى انهم استولوا على كل مدن اسبانيا بنحو خمسين سنة وصارت كل المملكة في ايديهم سوى جبال اشوريا التي التجأ اليها الامير

بيلاجيوس احد اعضاء العائلة المالكة مع جمهور من اتباعه فعصوا واستقلوا بها وكان حكم العرب ممتداً من البحر المتوسط الى جبال البرن الواقعة في شمالي البلاد ومع كل ذلك فلم يكتف العرب بهذه الانتصارات العظيمة بل تقدموا وقطعوا تلك الجبال ودخلوا تخوم فرنسا وراموا امتلاكها ولكانوا استطاعوا ذلك لولم يهبّ ملك فرنسا كارلوس مارتل ويظفر بهم بالقرب من مدينة طور . وكانت مدة خلافة الوليد بن عبد الملك تسع سنين .

وتولى بعده اخوه سليمان بن عبدالملك وكان من خيار الخلفاء حسن السيرة محباً للعدل وكان وزيره عمر بن عبدالعزيز الذي ولي الخلافة من بعده سنة ٩٩ هـ فمكث فيها سنتين وخمسة اشهر وقد اشتهر بالعدل ورد المظالم ويقال انه مات مسموماً .

ثم خلفه يزيد بن عبدالملك سنة ١٠١ هـ وتوفي سنة ١٠٥ هـ وله من العمر اربعون سنة وخلفه هشام بن عبد الملك وتوفي سنة ١٢٥ هـ وقام بالامر بعده الوليد بن يزيد بن عبدالملك وتوفي سنة ١٢٧ هـ وخلفه مروان ابن محمد بن مروان وبقي نحو خمس سنين ومات قتيلاً سنة ١٣٣ هـ وبموته ظهرت الدولة العباسية .

الدولة العباسية

اول خلفاء هذه الدولة هو ابو العباس السفاح الذي تبوأ سرير الخلافة سنة ٧٥٠ م وقد سمي سفاحاً لانه هدر دماء كثيرين من بني امية وكان شجاعاً عالي الهمة ومسكنه بالحيرة واستمر بالملك الى ان توفي بعد اربعة ايام من حكمه فتولى الخلافة من بعده اخوه المنصور

ابو جعفر وكان كريم الاخلاق موصوفاً بالذكاء والفراسة وكان بينه وبين اهل الكوفة مباينة واحقاد فلم يرد ان يقيم بين اعدائه ولذلك بنى مدينة بغداد لانه فضل موقعها على سواه نظراً لخصبها ثم جعلها دار الخلافة وهي اول مدينة عظيمة في مملكة الاسلام وكان عدد سكانها على رأي بعضهم نحو مليوني نسمة ٠

وكانت مدة حكم المنصور عشرين سنة الى ان توفي سنة ٧٧٥ م وخلفه ابنه المهدي وبقي في الملك عشر سنين ٠ ثم ابنه الهادي بن المهدي ودامت خلافته سنة وثلاثة اشهر ٠ ثم تولى الخلافة بعده اخوه هارون الرشيد بن المهدي سنة ٧٨٦ م وكان هذا الخليفة من اشهر وافضل خلفاء هذه الدولة عاقلاً مهيباً عالي الهمة معروفاً بالحلم مفكراً راوياً للاخبار والتواريخ ميالاً للشعر والشعراء وكان شديد الميل الى اهل العلم حتى قيل لم يجتمع على باب ملك او سلطان من الشعراء والندماء ما اجتمع على باب هارون الرشيد وكانت دولته من اعظم الدول العربية واكثرها وقائع واجملها رونقاً امتدت بها التجارة واتسعت دوائر العلوم والاداب في جميع البلاد وسطرت الكتب التاريخية والادبية والفلسفية والعلمية مترجمة عن اللغة اليونانية وكان بينه وبين كارلس الكبير ملك فرنسا صداقة عظيمة وكثيرا ما كان يكاتبه وقد ارسل اليه ساعة شمسية وشطرنجاً وبعض البذور الشرقية التي يعز وجودها في الغرب وارسل اليه ايضاً مفاتيح القبر المقدس واوصى عماله ان يعاملوا زوار الارض المقدسة معاملة جيدة ٠ وكان الرشيد محافظاً على راحة الرعية ورفع المظالم ٠ وكان يتنكر ويطوف

ليلاً ليقف بنفسه على احوال الرعية . وقد استوزر يحيى بن خالد البرمكي وكان هذا كريماً جواداً والرشيد لا يصدر الا عن رأيه وفوق هذه المناقب فقد كان هارون الرشيد ذا شجاعة وبأس وخبرة بالحروب وقد شهد ثماني حروب كان الانتصار بها خليفته . وقد ارسل من قبله رافع بن الليث عاملاً على خراسان فخلع هذا طاعة مولاه وجاهر بالعصيان . ثم سار الى مدينة سمرقند وفتحها وخرَّب بها وقتل عاملها فهاله ذلك الرشيد فجهز عسكرا وسار الى قتاله ولما وصل الى مدينة طوى ثقلت عليه وطأة المرض فمات سنة ٨٠٩م ودفن هنالك

وتولى الخلافة بعده ابنه الأمين وقد كان مدمنا للمسكرات والملاهي وقد جرت بينه وبين اخيه المأمون فتنة فانتصر اكابر القواد والعساكر للمأمون وانتشبت معركة هائلة قتل بها خلق كثير وقتل الامين ايضاً بعد ان حكم اربع سنوات

وولي الامر بعده اخوه المأمون وكان شديداً حازماً ذا اخلاق فاضلة يحب العلم ويكرم العلماء وقد امر بنقل كتب الطب والحكمة وعلم النجوم من اليونانية الى العربية فنالت العلوم في ايامه شوطاً بعيداً من التقدم ومع هذه الصفات فانه كان من ارباب الغزوات والفتوحات فهو الذي غزا صقلية وافتتح جزيرة اكريت التي كانت للرومانيين واستمر بالخلافة نحو عشرين سنة ولما توفي قام بالامر بعده اخوه المعتصم بالله وهو الذي ادخل الاتراك في خدمته واستخدمهم لحماية الثغور وكانوا في بادىء الامر خمسين نفرا وما زالوا يكثرون يوماً عن يوم حتى بلغوا ثمانية عشر الفاً فصاروا يجمعون الاموال ويخ

لهم وازع و يستبدون و يقتلون الخليفة و يولون غيره على ما عنّ لهم ولم يبق للخليفة سوى الاسم والخطبة لانه كان في يدهم كآلة صماء.
اما المعتصم بالله فقد توفي سنة ٢٢٧ هـ وملك بعده ابنه هارون الواثق وكان فطناً لبيباً شاعرا يتحدى سيرة المأمون وقد احسن الى ابناء عمه الطالبيين وبرهم ومات سنة ٨٤٢ م بداء الاستسقاء وكان ابيض مليحاً يعلوه اصفرار.

وقد ولي بعده اخوه المتوكل على الله وبويع بالخلافة في مدينة سر من رأى فعقد البيعة لبنيه الثلاثة بولاية العهد وهم المنتصر والمعتز والمؤيد وفي سنة ٢٣٨ جهز الروم اساطيلهم فخربوا ونهبوا وساروا الى مصر ولم يتعرض احد لهم وسنة ٢٤٧ زاد طغيان المماليك الاتراك حتى سطوا على الخليفة المتوكل وقد كان ابنه المنتصر بالله استعان بهم واغراهم على ذلك لنفور كان بينه وبين والده. فدخل باغر قائدهم ومعه جماعة الى مجلس الخليفة فاهانه ولكمه: فقال له الوزير الفتح بن خاقان: ويلكم هذا سيدكم فضربهما باغر بسيفه فماتا
ثم قام بعده المنتصر بالله ابنه ولم تصف له الايام لاساءته السيرة مع ابيه وقد دس مماليك الاتراك الى طبيبه ليسمه ففعل هذا ومات المنتصر لساعته بعد ستة اشهر من مبايعته.

ولم يرَ الامراء والمماليك مبايعة احد اولاد المتوكل لئلا يأخذوا بثاره فبايعوا المستعين بالله وهو احمد بن محمد بن المعتصم سنة ٨٦٢ م وكان هذا ضعيف الرأي ولذلك اضطرب حبل الامن في ايامه فخلع سنة ٢٥٢ هـ

وملك بعده المعتز بالله وهو ابو عبدالله محمد ابن المتوكل ولم يتمكن من سياسة ملكه رغماً عما كان عليه من رجاحة العقل لان مماليك الاتراك بعد مقتل المتوكل استضعفوا الخلفاء وصار الامر بيدهم وفي سنة ٢٥٥ طلبوا ارزاقهم من المعتز فماطلهم ولما رأوا انه لا يحصل منه شيء دخل جماعة منهم اليه وجروه برجله ثم اخذوا يضربونه بالدبابيس وبعد ذلك ادخلوه سرداباً وجصصوا عليه الى ان مات

وملك بعده المهتدي بالله وهو ابو عبدالله محمد ابن الواثق سنة ٨٦٦ وكان طاهراً ورعاً حسن المذهب جميل السيرة والطريقة يتشبه بعمر ابن عبدالعزيز في حركاته وسكناته فحرم الملاهي والشرب ومنع اصحابه من الظلم والتعدي ثم شغب عليه الاتراك وقتلوه لانه قتل بعض الموالي وذلك سنة ٨٦٩ م .

وخلفه المعتمد على الله وكان مستضعفاً منصرفاً الى الملذات والملاهي وفي ايامه خرج محمد بن طولون فظفر بحلب وانطاكية وبقية العواصم واستقل بمصر واخذ خراجها ثم توفي المعتمد سنة ٨٧٠ وبويع بالخلافة بعده للمعتضد بالله ابن اخيه الموفق وكان شهماً عاقلاً ولي الامر والثغور مهملة والدنيا خراب فقام باعباء الامور احسن قيام فاصلح الخلل ولم الشعث وضبط الثغور ومات سنة ٢٨٩ هـ

وخلفه المكتفي بالله سنة ٩٠٢ وسنة ٢٩٠ هـ وتوفي سنة ٩٠٨ فقام بعده المقتدر بالله الى سنة ٩٣٢ فولي الامر القاهر بالله وتوفي سنة ٩٣٤ فخلفه الراضي بالله وتوفي سنة ٤ * وفي ايامه ضعف امر الخلافة العباسية وآل امرها الى التفرق فكانت فارس في يد ابن بويه

والموصل وديار بكر في يد بني حمدان ومصر والشام في يد الفاطميين والاندلس في يد عبد الرحمن الاموي ولم يبق في يد الخليفة سوى بغداد وما جاورها فبطلت مجالس المملكة ونقص قدر الخلافة وعم الخراب ثم بويع المتقي بالله سنة ٩٤٠ ولم يكن له من السيرة ما يؤثر فقبض عليه توزن التركي وسمل عينيه سنه ٩٤٤ فبويع بالخلافة لابن عمه المستكفي بالله واستمر بالخلافة سنة واحدة وامسكه احد امرائه معز الدولة بن بويه وسمل عينيه وضمه الى المتقى بالله والقاهر بالله فصاروا ثلاثة اثافي العمى .

ثم ولي الخلافه من بعده ابن عمه المطيع لله سنة ٩٤٦ وفي ايامه قويت شوكة آل بويه وتم امرهم على ضعف الخلافة وطالت ايامه الى ان خلع نفسه قانطاً فتولى الامر بعده الطائع لله سنة ٩٧٤ وتوفي سنة ٩٩١ فولي الخلافة القادر بالله وتوفي سنة ١٠٣١ فخلفه القائم بامر الله وتوفي سنة ١٠٧٥ فبويع للمقتدي بالله وتوفي سنة ١٠٩٤ فقام بعده المستظهر بالله الى سنة ١١١٨ وخلفه الراشد بالله سنة ١١٣٥ ولم تطل مدة هذا الخليفة لانه جهز عسكراً لمحاربة السلطان مسعود فدخل هذا بغداد وخلع الخليفة وولى عمه اباعبدالله سنة ١١٣٦ ولقبه المقتفي لامر الله وكان هذا حازماً لايجري امر في خلافته الا بتوقيعه وجرت حروب وفتن بينه وبين ملوك العجم كانت له الغلبة فيها وتوفي سنة ١١٦٠

وبويع بعده المستنجد بالله وكان عادلاً ازال المكوس والمظالم . في ايامه ضعفت دولة الفاطميين في مصر وقتل هـذا الخليفة مخنوقاً في الحمام من اكابر دولته سنة ١١٧٠

وتولى بعده ابنه محمد ولقب المستضيء بالله ولم يكن بسيرته بأس وتوفي سنة ١١٨٠ فخلفه الناصر لدين الله وطالت مدته وصفا له الملك وكان يتجسس احوال الرعية بنفسه وفي ايامه كان ظهور صلاح الدين الايوبي واستيلاؤه على مصر واستخلاصه بيت المقدس من ايدي الافرنج وازالة دولة الفاطميين وتوفي سنة ١٢٢٥

وتولى من بعده ابنه الظاهر بالله ولم تطل مدته ولم يجر في خلافته من الامور ما يؤثر سوى انه اظهر العدل والاحسان فتوفاه الله بعد سنة من ملكه اي سنة ١٢٢٦

فخلفه ابنه ابو جعفر ولقب المنتصر بالله وله آثار عظيمة منها المستنصرية وهي اعظم من ان توصف وقد مات سنة ١٢٤٣

وتولى الخلافة من بعده ابنه المستعصم بالله وكان مستسلماً للملاهي عاكفاً على الملذات لا ينظر في امور رعيته . وكان ابن العلقمي يظهر له الاخلاص ويكاتب هولاكو ملك التتر سراً يطلعه على عورات الملك ويساعده على الاستيلاء على بغداد والمعتصم ومن معه في غفلة عما يحدث الى ان وصل هولاكو بعسكر جرار من التتر فاعملوا السيف في رقاب الاعراب وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ورموا كتب المدارس البغدادية في نهر دجلة فكانت لكثرتها جسراً يعبر عليه الناس راكبين ومشاة . ثم امات هولاكو حريم المستعصم بالله واولاده وابقاه هو الى ان استصفى امواله ثم امر ان يوضع في غرارة ويرفس بالارجل ففعل به ذلك حتى مات سنة ١٢٥٨ وانتهت الخلافة العباسية بموته وكان عدد هؤلاء الخلفاء سبعة وثلاثين اولهم السفاح وآخرهم المستعصم بالله .

ونرى ان نذيل هذا التاريخ بقصيدة للعلامة المشهور جلال الدين السيوطي رحمه الله نظم فيها اسماء الخلفاء وتواريخهم قال :

الحمد لله حمداً لانفاد له ... وانما الحمد حقاً رأس من شكرا
ثم الصلاة على الهادي النبي ومن ... سادت بنسبته الاشراف والكبرا
ان الأمين رسول الله مبعثه ... لاربعين مضت فيما رووا عمرا
وكان هجرته فيها لطيبة ... بعد الثلاثة اعواماً تلي عشرا
ومات في عام احدى بعد عشرتها ... فيامصيبة اهل الارض حين سرى
وقام من بعده الصدّيق مجتهدا ... وفي ثلاثة عشر بعده قبرا
وهو الذي جمع القرآن في صحف ... واول الناس سمى المصحف الزبرا
وقام من بعده الفاروق ثمت في ... عشرين بعد ثلاث غيبوا عمرا
وهو الذي دخل الديوان وافترض العطاء ... قيل وبيت المال والدررا
سن التراويح والتاريخ وافتتح الفتوح ... جماً وزاد الحدّ من سكرا
وهو المسمى امير المؤمنين ولم ... يدعَ به قبله شخص من الامرا
وقام عثمان حتى جاء مقتله ... بعد الثلاثين في ست وقد حصرا
وهو الذي زاد في التأذين اوله ... في جمعة وبه رزق الاذان جرى
واول الناس ولى صحب شرطته ... حمى الحمى اقطع الاقطاع اذ كثرا
وبعد قام عليٌّ ثم مقتله ... لاربعين فمن ارداه قد خسرا
ثم ابنه السبط نصف العام ثم اتى ... بنو امية يبغون الوغى زمرا
فسلم الامر في احدى لرغبته ... عن دار دنيا بلا ضير ولا ضررا
وكان اول ذي ملك معاوية ... في النصف من عام ستين الحمام عرا
وهو الذي اتخذ الخصيان من خدم ... كذا البريد ولم يسبقه من امرا

استخلف الناس لما ان يبايعهم ... والعهد قبل وفاة لابنه ابتكرا
ثم اليزيد ابنه اخبث به ولداً ... في اربع بعدها ستون قد قبرا
وابن الزبير وفي سبعين مقتله ... بعد الثلاث وكم بالبيت قد حصرا
وفي ثمانين مع ست تليه قضى ... عبد المليك له الامر الذي اشتهرا
ضرب الدنانير في الاسلام معلمة ... وكسوة الكعبة الديباج مو تجرا
وهو الذي منع الناس التراجع في ... وجه الخليفة مهما قال او امرا
واول الناس هذا الاسم سميه ... واول الناس في الاسلام قد غدرا
ثم الوليد ابنه في قبل ما رجب ... في الست من بعد تسعين انقضى عمرا
وهو الذي منع الناس النداء له ... باسم وكانت تنادي باسمها الامرا
وقام بعد سليمان الجبار وفي ... تسع وتسعين جاء الموت في صفرا
وبعده عمر ذاك النجيب وفي ... احدى تلي مئة قد الحدوا عمرا
وهو الذي امر الزهري خوف ذها ... ب العلم ان يجمع الاخبار والاثرا
ثم اليزيد وفي خمس قضى وتلا ... هشام في الخمس والعشرين قد سطرا
ثم الوليد وبعد العام مقتله ... من بعد ما جاء بالفسق الذي شهرا
ثم اليزيد وفي ذا العام مات وقد ... اقام ست شهور مثل ما اثرا
وبعده قام ابراهيم ثم مضى ... بالخلع سبعين يوماً قد اقام ترى
وبعده قام مروان الحمار وفي ... ثنتين بعد ثلاثين الدماء جرى
وقام من بعده السفاح ثم قضى ... بعد الثلاثين في ست وقد جدرا
وقام من بعده المنصور ثمت في ... خمسين بعد ثمان محرماً قبرا
وهو الذي خص اعمالا مواليه ... واهمل العرب حتى امرهم دثرا
ثم ابنه وهو المهدي مات لدى ... تسع وستين مسموماً كما ذكرا

ثم ابنه وهو الهادي وموتتـه … في عام سبعين لما هم ان غدرا

ثم الرشيد وفي تسعين تالية … ثلاثة مات في الغزو الرفيع ذرا

ثم الامين وفي تسعين تاليــة … ثمانيا جاءه قتــل كما قدرا

وقام من بعده المأمون ثمت في … ثمان عشرة كان المـوت فاعتبرا

وقام معتصم من بعده وقضي … في عام سبع وعشرين الذي اثرا

وهو الذي ادخل الاتراك منفرداً … ديوانه واقتناهم جالبا وشرا

ثم ابنه الواثق المالي الورى رعباً … وفي ثلاثين مع ثنتين قد غبرا

وذو التوكل ما ازكاه من خلف … ومظهر السنة الغراء اذ نصرا

في عام سبع يليها اربعون قضى … قتلا حباه ابنه المدعو منتصرا

فلم يقم بعـده الا اليسير كما … قد سنه الله فيمن بعضه غـدرا

والمستعين وفي عام اثنتين تلي … خمسين خلع وقتل جاءه زمرا

وهو الذي احدث الاكمام واسعة … وفي القلانس عن طول اتى قصرا

وقـام من بعده المعتز ثمت في … خمس وخمسين قل في قتله اثرا

والمهتدي الصالح الميمون مقتله … من بعد عام وقفي قبله عمرا

وقام من بعده بالامر معتمد … في عام تسع وستين الحمام عرا

وذاك اول ذي امر له حجروا … واول الناس موكولا به قهـرا

وقام من بعـده بالامر معتضد … وفي ثمانين مع تسع مضت قـبرا

ثم ابنه المكتفي بالله احمد في … خمس وتسعين سبحان الذي قدرا

في عام عشرين في شواله مع … ثلاثـة مقتل المدعو مقتدرا

وبـعده القاهر الجبـار مخلعه … في اثنين من بعد عشرين وقد سمرا

وقام من بعده الراضي ومات لدى … تسع وعشرين والنسب عنده اجبرا

والمتقي ومضى بالخلع منسملا ... من بعد اربعة الاعوام في صفرا
وقام بالامر مستكفيهمو وقفا ... من بعد عام لامر المتقي اثرا
ثم المطيع وفي ستين يتبعها ... ثلاثة في اخير العام قد عبرا
ثم ابنه الطائع المقهور مخلعه ... عام الثمانين مع احدى كما اثرا
ثم الامام ابو العباس قادرهم ... ثنتين من بعد عشرين مضت قبرا
ثم ابنه قائم بالله مات لدى ... سبع وستين من شعبان قد سطرا
والمقتدي مات في سبع بأولها ... بعد الثمانين جد الملك واقتدرا
وقام من بعده مستظهر وقضى ... في سادس القرن في ثنتين تلى عشرا
وقام من بعده مسترشد ولدى ... تسع وعشرين فيه القتل حل عرا
ثم ابنه الراشد المقهور مخلعه ... من بعد عام فلا عين ولا اثرا
والمقتفى مات من بعد التمكن في ... خمس وخمسين وانقادت له النضرا
وقام من بعده مستنجد وقضى ... من بعد ستين في ست وقد شعرا
والمستضيء بامر الله مات لدى ... خمس وسبعين بالاحسان قد بهرا
وقام من بعده بالامر ناصرهم ... ومات ثنتين مع عشرين اذ كبرا
وقام من بعده بالامر ظاهرهم ... تسعا شهوراً فاقلل مدة قصرا
وقام من بعده مستنصر وقضى ... لاربعين وكم يرثيه من شعرا
وقام من بعده مستعصم ولدى ... ست وخمسين كان الفتنة الكبرى
مجاء التتار فارديه وبلدته ... فيلمن الله والمخلوقة التترا
مرت ثلاث سنين بعده ويلي ... نصف ودهر الورى من قائم شغرا
وقام من بعد ذا مستنصر ونوى ... في آخر العام قتلا منهمو وسرى
اقسام ست شهور ثم راح لدى ... مهل ستين لم يبلغ بها وطرا

وقام من بعده في مصر حاكمهم | على وهي لا كمن من قبله غبرا
ومات في عام احدى بعد سبع مئ | وقام من بعد مستكفيهمو وجرى
في اربعين قضى اذ قام واثقهم | ففي اثنتين مضى خلعا من الامرا
وقام حاكمهم من بعده وقضى | عام الثلاث مع الخمسين معتبرا
وقام من بعده بالامر معتضد | وفي الثلاثة والستين قد عبرا
وذو التوكل يتلوه اقام الى | بعد الثمانين في خمس وقد حصرا
وبايعوا واثقاً بالله ثمت في | عام الثمان قضى وسمه عمرا
وبايعوا بعده بالله معتصما | لعام احدى وتسعين ازيل ورا
وذو التوكل ردوه اقام الى | ذا القرن عام ثمان منه قد قبرا
في عهده زيد من بعد الاذان على | خير النبيين تسليم كما امرا
واحدث السمة الخضراء للشرفا | يا حسنها من سمات بوركت خضرا
اولاده منهمو خمس مبجلة | جاءوا الخلافة اذ كانت لهم قدرا
فالمستعين وآل الامر ان خلعوا | في شهر شعبان في خمس تلي عشرا
وقام من بعده بالامر معتضد | لاربعين تليها الخمسة احتضرا
وقام بالامر مستكفيهمو وقضى | في عام اربع والخمسين مصطبرا
وقام قائمهم من بعد ثمت في | تسع وخمسين بعد الخلع قد حصرا
وقام من بعده مستنجد ذهراً | خليفة العصر رقاه الاله ذرى
وليس يعرف في الاعصار قبلهمو | خمس ولو اخوة بل اربع امرا
ولا شقيقان الا غير خامسهم | كذا الرشيد مع الهادي كما ذكرا
كذا سليمان من بعد الوليد كذا | نجلا الوليد يزيد والذي اثرا

وما تقرر في بغداد من لقب ولا تلا ابن اخ عم خلا نفرا
اثنان فالمقتفي عن راشد وكذا مستنصر بعد مقتول التتار عرا
اولئك القوم ارباب الخلافة خذ سبعين من غير نقص عدها حصرا
من الصحابة سبع كالنجوم ومن بني امية اثنين تلي عشرا
ولم أعد أبا عبد المليك فذا باغ كما قاله من ارخ السيرا
وعدة من بني العباس شامخة احدى وخمسون لا قلت لهم نصرا
تبقى الخلافة فيهم كي يسلمها المهدي منهم الى عيسى كما اثرا
وبعد نظمي هذا النظم في مدد قضى بخليفتنا المذكور مصطبرا
في عام اربع في شهر المحرم من بعد الثمانين يوم السبت قد قبرا
وبويع ابن اخيه بعده ودعي بذي التوكل كالجد الذي شهرا
ولم يسم امام في الاولى سبقوا عبد العزيز سواه فلسمه ابتكرا
فالله يلقيه ذا عز ويحفظه ويجعل الملك في اعقابه زمرا
ومات عام ثلاث بعد تسع مي سلخ المحرم عن عهد لما سطرا
لنجله البر يعقوب الشريف وقد لقب مستمسكا بالله في صفرا

* * *

وقد استمر الملك في يد التتر الى نحو سنة ١٣٥٠ حين ظهرت دولة الاتراك من بني عثمان فنزعت المملكة من ايدي التتر واستولت عليها شيئاً فشيئاً حتى اخضعت بلاد العراق واستولت على الشام ومصر والحجاز واليمن والمغرب واسيا الصغرى وبعض اطراف اوربا كما سيأتي بيان ذلك .

بنو امية في الاندلس

اطلقنا الكلام في الفصل السابق على بني امية في الشام واستطردنا الى انتقال الملك من ايديهم الى بني العباس واوجزنا في تاريخ الدولة العباسية ما استطعنا . ونعود هنا الى كلمة موجزة لا بد منها عن ملوك بني امية في الاندلس اولئك اصحاب المدنية الخالدة والذكر العظيم فنقول :

لما تتبع العباسيون بني امية بالقتل في سورية وضيقوا عليهم مذاهب الحياة فر عبدالرحمن بن معاوية بن هشام الى الاندلس فدخلها سنة ١٣٩ ه وسمي " عبد الرحمن الداخل " وقصده من بقي من بني امية في المشرق فالتجأوا اليه وكانت دار ملكهم مدينة قرطبة وتوفي سنة ١٧١ ه .

وملك بعده هشام ابنه وتوفي سنة ١٧٨ ه . فاستخلف بعده ابنه الحكم وفي ايامه استعاد الفرنج مدينة برشلونة سنة ١٨٥ وتوفي سنة ٢٠٦

وملك بعده ابنه عبدالرحمن الى ان توفي سنة ٢٣٨ . وتبعه ابنه محمد فحكم الى ان وافته المنية سنة ٢٧٣ . وملك بعده محمد بن عبد الرحمن بن المنذر الى سنة ٢٧٥ التي مات بها . وبويع يوم موته اخوه عبدالله بن محمد وتوفي سنة ٣٠٠ وكان لعبدالله ولد اسمه محمد قتل في ايام ابيه فلما توفي عبدالله ولي بعده حفيده عبدالرحمن بن محمد المقتول ، وعبدالرحمن هذا هو الذي تلقب

بالناصر وخوطب بلقب امير المؤمنين وذلك بعد أن بلغه ما بلغ اليه حال العباسيين في العراق من الضعف وتوفي سنة ٣٥٠ وكان من اعاظم ملوك الامويين في المغرب

ثم ولي بعده ابنه الحكم وتلقب بالمستنصر وتوفي سنة ٣٦٦ وعهد الى ابنه هشام ولقبه المؤيد . فبايعه الناس بعدموت ابيه فاقام الى سنة ٣٩٩ . ثم ثار عليه محمد بن هشام حفيد عبدالرحمن الناصر فغلبه على الملك وتلقب بالمهدي في منتصف السنة المذكورة . وقام على هذا في السنة نفسها سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر فهرب محمد بن هشام المذكور واستولى سليمان بن الحكم على الخلافة بعد ثلاثة اشهر ولم يطل امره اكثر من اسبوعين حتى عاد محمد بن هشام المهدي المذكور آنفاً فاسترجع الملك لنفسه فظل خليفة نحو خمسين يوماً فقط واسترد الملك منه هشام بن الحكم المتقدم ذكره فاقام الى سنة ٤٠٣

وفي هذه السنة عاد سليمان بن الحكم فسلب الملك من اخيه هشام ولقب بالمستعين . ثم غلبه محمد بن هشام المهدي في آخر السنة المذكورة ٤٠٣ فلم يلبث المستعين ان عاد الى الملك واستولى على قرطبة . بعد ان قتل محمد بن هشام المهدي المذكور

ثم جاء علي بن حمود واخوه قاسم وهما من الادارسة ملوك البربر في المغرب ومعهما جيش فملكا قرطبة سنة ٤٠٧ وقتل المستعين وزال ملك بني امية من الاندلس مدة سبع سنين الى ان قام المرتضى بالله عبدالرحمن احد احفاد امير المؤمنين الناصر فغلب علي بن حمود

وبذلك انقطع الامر لبني امية .

ثم ولي المستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام سنة ٤١٤ وغلبه المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن ثم عاد الامر الى يحيي بن علي ابن حمود سنة ٤١٩ .

ولما كانت سنة ٤١٨ بويع للمعتمد بالله هشام بن محمد الاموي فطالت مدة خلافته عشر سنين وتوفي سنة ٤٢٨ ﻫ وانقطعت بعده دولة الامويين من الاندلس .

هذه خلاصة تاريخ ملوك بني امية في المغرب ولو شئنا تفصيل اسباب الانقلابات العديدة التي حصلت في آخر عهدهم لاعوزنا الامر الى مجلدات اما ما كان في زمن هذه الدولة من العمران وانتشار معارف العرب فهو مما فصله المورخون في كتبهم ويضيق بنا المجال هنا عن استيعابه فلنعد الى سلسلة بحثنا التاريخية في المشرق التي انتهينا بها الى آخر ايام العباسيين وابتداء ظهور الدولة التركية والله المستعان .



الفصل الثاني

خلاصة تاريخية للدولة العثمانيه

في القرن الثالث عشر زحف المغول على بلاد تركستان فاخذت قبائل التركمان تهاجر هرباً منهم وهاجر سليمان شاه من امراء التركمان الى حلب سنة ١٢٢٤ م وبعد ان اقام مدة عاد الى بلاده مع اثنين من اولاده . وكان له ولد آخر اسمه ارطغرل فسار باربعمائة فارس الى جهة الاناضول وكان في ذلك الحين علاء الدين السلجوقي مشتبكاً بالقتال مع التتر . وقد تغلبوا عليه فانضم ارطغرل الى السلاجقة فرجحت كفة النصر لعلاء الدين وشتت شملهم . فسر علاء الدين واقطع ارطغرل بلاد فريجيا فاقام مع رجاله في مدينة سكود ورزق بها ولداسنة ١٢٥٨ فسماه عثمان وهو جد سلاطين آل عثمان ومؤسس دولتهم .

ان عثمان الاول ترأس عشيرته بعد وفاة ابيه وما عتم ان اغار على السلاجقة فبدد شملهم . ثم اضمحلت دولتهم وانقسمت الى عشر امارات كانت واحدة منها نصيب عثمان فاستقل بها سنة ١٢٩٩ م وهي السنة التي يبتدىء منها تاريخ بني عثمان ثم اغار عثمان على البزنطيين واستولى على بروسه .

وبعد ممات عثمان خلفه ابنه اورخان سنة ١٣٢٦ فنقل كرسي ملكه الى بروسه واحتل تلك الجهات حتى خليج القسطنطينية وبوغاز غاليبولي سنة ١٣٥٨ فقطع البحر وشرع في محاربة الروم البزنطيين في

اوزبة واستولى على حصون منيعة وبلدان واسعة وعلى مدينة غاليبولي سنة ١٣٥٩

وخلف اورخان ابنه السلطان مراد الاول سنة ١٣٦٠ فاستولى على ولاية انقره في بر الاناضول ثم انه اجتاز الدردنيل وافتتح مدينة ادرنه سنة ١٣٦١ وكانت اعظم مدن الروم بعد القسطنطينية . وما لبث ان دوخ بلاد العرب والمجر والفلاخ و البلغار ونقل عندئذ سرير الملك الى ادرنه وظلت عاصمة الدولة العثمانية الى سنة ١٤٥٣

ثم خلفه ابنه بايزيد الاول سنة ١٣٨٩ فادخل كل بلاد السلاجقة تحت سلطته وحاصر القسطنطينية عشر سنوات وقبل ان يفتتحها بلغه قدوم تيمورلنك المغولي الى اسيا الصغرى يقصد الاستيلاء عليها فرفع الحصار عن القسطنطينية وسار بجيوشه لمقابلة تيمورلنك فغلبه هذا وقبض على السلطان بايزيد وسجنه في قفص قضى به نحبه سنة ١٤٠٣ ووقع الخلاف بين اولاد بايزيد ودام عشر سنوات الى ان انفرد بالسلطنة اصغرهم وهو السلطان محمد الاول سنة ١٤١٣ م وسنة ٨١٦ هـ واغتنم البلغار والصرب والفلاخ فرصة هذا الخلاف فاستقلوا

فاستولى على جميع القلاع والحصون الباقية في يد الروم على شواطىء البحر الاسود وسواحل الروملي ونشبت بينه وبين البولنيين حرب انتصر فيها الفلاخ والمجريون على جنود الاتراك وعقد ملك المجر مع السلطان معاهدة اخذ بموجبها الفلاخ وبقيت البلغار للاتراك وردت الصرب الى ملكها وجعل الدانوب حدا بين تركيا والمجر غير ان المجريين نقضوا تلك المعاهدة فحاربهم السلطان مراد الثاني

وفاز عليهم في واقعة وارنه سنة ١٤٤٤ ثم اغار على بلاد اليونان واخذها عنوة .

ورقي العرش من بعده ابنه السلطان محمد الثاني الفاتح سنة ١٤٥١ م وسنة ٨٥٥ هـ وهو الذي افتتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م وسنة ٨٥٧ هـ ونقل اليها عرش السلطنة العثمانية وجعلها عاصمة البلاد التركية وسميت الاستانة . وقد كانت ذات شهرة قديمة وعرفت باسم بزنتيوم . وورد ذكرها في القرن السادس ق . م . حين محاربة الفرس والروم . وتوالت عليها الدول فكانت تارة تقع في حوزة الروم وتارة في حوزة الفرس حتى اذا توالت دولة الايرانيين الاولى صارت من المدن الرومية وظلت على ذلك الى ان فتحها قياصرة الرومان ولكنها لم تشتهر بشيء حتى قام الامبراطور قسطنطين الاول سنة ٣٠٦ فشاد بها العمائر وجعلها مقر سلطنته . وسماها رومية الجديدة الى ان اطلق عليها الخلق اسم الامبراطور الذي اسس دور عظمتها وسميت قسطنطينية الى هذا اليوم وهي مقسومة الى شطرين احدهما في اوربا والثاني في اسيا وقد زينتها الطبيعة بمحاسن شتى حتى قيل انها زينة البرين ووردة البحرين والصلة الحسناء مابين القارتين وقد زادها بهاء وجمالا انها بنيت على تلال وهي تعرف باسم مدينة التلال السبع فاما موقعها الطبيعي فقد اكسبها مناعة عظيمة وشهرة فائقة حتى اصبحت امنع من عقاب الجو .

واستلم زمام الملك بعد محمد الثاني ابنه بايزيد الثاني سنة ١٤٨٧ م و ٨٨٦ هـ وتوجه الى مصر بجيش كثيف ينزعها من ايدي المماليك فلم

يفلح وبعد ذلك صرف همه الى تعزيز الاسطول ثم حارب اسطول البنادقة وتغلب عليه . ومن صفاته انه كان محباً للسلم فاثار عليه ذلك سخط الانكشارية واضطروه الى ان يتنازل عن الملك لابنه سليم ففعل وكانت وفاته بعد ذلك بايام قلائل .

فخلفه ابنه السلطان سليم الاول سنة ١٥١٢ م سنة ٩١٨ هـ وقد زحف على بلاد العجم واستولى على كردستان ودياربكر سنة ١٥١٤ ثم حارب مماليك مصر واستولى على سوريا ومصر وبلاد العرب سنة ١٥١٧ واليه انتقل مسند الخلافة الاسلامية من المتوكل بالله آخر الخلفاء العباسيين الذي كان مقيما بالقاهرة وبعد السلطان سليم الى خلفائه من بعده . وهو اول سلاطين العثمانيين الذي لقب خليفة الاسلام .

وبعد وفاته انتهت الخلافة الى ابنه السلطان سليمان الاول سنة ١٥٢٠ ويعرف بالقانوني لانه وضع قوانين كثيرة وقد ابلغ الدولة اعظم مبلغ من الاتساع والصولة ففي سنة ١٥٢٣ استولى على جزيرة رودس ثم على المجر التي بقيت نحو قرن ونصف مقاطعة عثمانية . سنة ١٥٢٩ حاصر فينا عاصمة النمسا وضرب عليها الجزيه . وزحف سنة ١٥٣٤ على بلاد العجم واستولى على بغداد وتبريز . واستولت العمارة البحرية العثمانية سنة ١٥٣٨ بقيادة خير الدين باشا المعروف باسم بربروس وطرغود باشا على عدة جزر في بحر الارخبيل كانت لجمهورية البندقيه . ثم اتجهت هذه العمارة الى اسبانيا فطردت الاسبانيين من بلاد البر واستولت على تونس والجزائر وطرابلس

الغرب واصبحت الدولة العثمانية في عهد هذا السلطان ممتدة من
بودابست على نهر الطونة الى اصوان عند شلالات النيل ومن نهر
الفرات الى بوغاز جبل طارق فاصبحت والحالة هذه منقسمة الى
ثلاثة اقسام الاول في قارة اوربا والثاني في اسيا والثالث
في افريقيا وكل من هذه الاقسام يحتوي على ارض خصبة واسعة
واقاليم عامرة شاسعة وبها انهر وبحيرات وجبال واودية وهضاب
وبطاح واكثر اقاليمها جيد الهواء كثير النبات والمعادن والحيوانات
المختلفة واتصل عدد اهلها الى ثلاثة واربعين مليونا منها في اوربا
ثلاثة ملايين وفي اسيا ١٧٥٠٠٠٠٠ وفي افريقية ٢١٠٠٠٠٠٠

ولما توفي السلطان سليمان الاول سنة ١٥٦٠ م سنة ٩٧٤ هـ خلفه
ابنه السلطان سليم الثاني واشهر العثمانيون في ايامه حرباً على جمهورية
البندقية واستولوا على جزيرة قبرص . وفي سنة ١٥٧١ انتصر دون جوان
النمساوي على الاتراك انتصاراً عظيما في الوقعة البحرية التي انتشبت
في خليج ليبانت .

وقد جلس على العرش بعده ابنه السلطان مراد الثالث سنة ١٥٧٤ م
سنة ٩٨٢ هـ وكانت مدة ولايته احدى وعشرين سنة . قد اشهر على
دولة العجم حربا دامت اثنتي عشرة سنة لم تأت بفائدة .

ثم جلس على العرش محمد الثالث سنة ١٥٩٥ م و ١٠٣٠ هـ وفي
عهده شقت الفلاخ عصا الطاعة واستولت على ضفاف الطونة وفي
سنة ١٥٩٩ نشبت حرب بين العثمانيين من جهة وبين المجريين
والنمساويين والفلاخ من جهة اخرى فانتصر المتحالفون في بادىء

الامر ولكنهم دحروا اخيرا وقتل منهم خلق كثير وقد حدث وقتئذ فتن ومشاكل داخلية في بر الاناضول فضعفت قوة الترك واغتنم اعداؤهم الفرصة واستولوا على بعض مقاطعات .

ثم استلم زمام الخلافة بعد محمد هذا ابنه احمد الاول سنة ١٦٠٣ م و١٠٤٢ هـ وفي زمانه نشبت حرب بين العثمانيين والايرانيين وبعدها اشتعلت حرب ثانية ضد الاتراك اضرمتها المانيا فكان النصر حليفا لهذه الاخيرة فاجبرت العثمانيين ان يكفوا عن طلب الغرامة التي كانت تؤديها اليهم النمسا وتعاهد الطرفان ان يرسل كل منهما سفراء الى عاصمة الاخر .

وبناء على وصية السلطان احمد الاول تبوأ عرش الخلافة من بعده اخوه السلطان مصطفى لان ابن السلطان احمد كان فاجرا وهذه هي المرة الاولى التي خلف السلطان فيها اخوه ومنذ ذلك الوقت صار حق الخلافة لاكبر رجال الاسرة المالكة سنا وقد تولى هذا السلطان سنة ٦١٧ ولم يبق في عرش الخلافة سوى ثلاثة اشهر ، خلعه من بعدها ابن اخيه عثمان الثاني سنة ١٦١٨ م و١٠٢٧ هـ وفي عهده احرزت الدولة الانتصار على ايران وحاربت بولونيا فكان الانتصار لهذه الاخيرة ذلك سنة ٦٢١ ، ثم تفاقمت الخطوب وتعاظمت الفتن وافضى الامر الى قتل السلطان عثمان واعادة السلطان مصطفى الاول ثانية سنة ١٦٢٢ م و١٠٣١ هـ فجاهر الايرانيون بمحاربته وقام اذ ذاك عمال بر الاناضول وسورية ومصر بثورة مجاهرين بالعصيان فلم يسع السلطان مصطفى الا الاستقالة .

فتولى العرش بعده مراد الرابع وهو ابن احمد الاول سنة ١٦٤٣م و ١٠٣٢ ﻫ وله من العمر خمس عشرة سنة وكانت الفتن والقلاقل منتشرة في كل مكان واغتنم الايرانيون هذه الفرصة واستولوا على بغداد وتقدموا الى الموصل وتعدى التتر في جهة القريم على حدود الدولة فزحف السلطان سنة ١٦٣٨ بثلاثمائة الف مقاتل على ايران وافتتح مدينة بغداد .

وخلفه سنة ١٦٤٠ ابراهيم الاول وفي ايامه استولى العثمانيون على قسم من جزيرة اكريت . وقد مات هذا السلطان مقتولا

فولي الامر بعده ابنه محمد الرابع سنة ١٦٤٨م و١٠٥٨ﻫ وعمره سبع سنين وكانت الدولة في ارتباك عظيم ومشاغب متواصلة . وفي سنة ١٦٦٤ﻫ نشبت حرب بين الدولة والنمسا كان النصر بجانب العثمانيين . وبين سنة الف وستمائة وثمان وستين وسبعين استولت الدولة العثمانية على جزيرة كريد كلها بعد حرب طاحنة بينها وبين جمهورية البندقية وفي سنه ١٦٧٣ الى ٧٥ انتصر سوبياسكي ملك بولونيا على العثمانيين انتصارا باهرا ولم تنته هذه المعارك حتى تلتها سنة ١٦٧٨ حرب بين الدولة وروسيا كان الفوز فيها للثانية . وفي سنة ١٦٨٣ حاصر العثمانيون مدينة فينا فقهروا وعادوا عنها خائبين وكانت النتيجة انهم خسروا بلاد المجر كلها وزالت سطوتهم عنها بتاتا سنة ١٦٨٠

وقام بالامر بعد محمد الرابع اخوه سليمان الثاني سنة ١٦٨٧ وقد جرت في زمانه حرب بين الدولة العثمانية والنمسا وبين جمهورية

البندقية والعثمانيين فربح هؤلاء

ثم خلفه اخوه احمد الثاني سنة ١٦٩١ م و ١١٠٢ هـ وقد استمرت الحرب بين العثمانيين والنمساويين والبندقيين فانتصر هؤلاء واستولوا على جزيرة ساقس من جزر بحر الارخبيل

وقام من بعده بالامر مصطفى الثاني وهو ابن السلطان محمد الرابع سنة ١٦٦٥ وهو الذي استرجع جزيرة ساقس سنة ١٦٩٥ وقد عادت الحرب بين النمسا والعثمانيين فتكبدت هذه خسائر فادحه .

ثم ولي الخلافة احمد الثالث وهو اخو محمد الرابع وذلك سنة ١٧٠٣ م ١١١٥ هـ وبعد ثماني سنوات من خلافته اشهر الحرب على روسيه واستولى على بحر ازوف ثم اشهر حرباً على البندقية سنه ١٧١٤ م واستولى على المدرة سنة ١٧١٥ م . وبعد ذلك اضرمت الحرب بين الدوله والمانيا فخسرت الاولى بلغراد وغيرها من المدن والبلاد على ضفاف الطونة . وفي اواخر سلطنته حدثت حرب ايران فسببت في العاصمة هياجاً واضطراباً ولذلك دعي الى مقام السلطنة ابن اخيه السلطان محمود الاول سنة ١٧٣٠ م و ١١٤٣ هـ فحارب روسيا والمانيا واسترجع بلغراد مع اقليمي الصرب والفلاخ . ثم خلف عثمان الثالث اخاه محموداً الاول سنة ١٧٥٤ وملك ثلاث سنوات لم يقع في خلالها شيء يذكر فرقي العرش بعده مصطفى الثالث وهو ابن السلطان احمد الثالث آل الملك اليه سنة ١٧٥٧ م و ١١٧١ هـ فاشهر الحرب على روسيا سنة ١٧٦٩ و ١٧٧٠ فكانت النتيجة ان الدوله خسرت شوكزيم والبغدان وقسماً من الفلاخ وعدة جزر من الارخبيل

واحترق الاسطول العثماني تجاه جزيرة ساقس . وقد انتقض اليونان في اثناء هذه الحرب على الدولة بدسيسة روسيا واخذوا يستعدون للمقاومة وخلع الطاعة ونهض ايضاً الشيخ ظاهر العمر بقسم من سوريا فامست بذلك حالة الدولة في احرج المواقف وافضى الملك بعد مصطفى هذا الى اخيه عبد الحميد الاول سنة ١٧٧٣ م و ١١٨٧ هـ وفي ايامه عادت الحرب بين الدولة وروسيا وكان الفوز فيها للاخيرة واستولت على شبه جزيرة القريم وكردستان وجركستان والفلاخ والبغدان .

ثم استولى بعد ذلك السلطان سليم الثالث وهو ابن السلطان مصطفى الثالث سنة ١٧٨٩ و ١٢٠٣ هـ وكانت الحرب السابق ذكرها لم تزل قائمة بين الدولة وروسيا فكان الفوز للاخيرة كما سبق وفي سنة ١٧٩٨ دخل الفرنسويون بلاد مصر واقاموا فيها الى سنة ١٨٠٠ وفي سنة ١٧٩٩ اتحدت العمارتان العثمانية والروسية واستولت على الجزائر اليونانية السبع التي كانت في حوزة جمهورية فرنسة منذ سنة ١٧٩٧

وبعد ذلك رقي العرش مصطفى الرابع سنة ١٨٠٧ بعد انسحاب ابن عمه السلطان سليم الثالث ولم يبق مصطفى في العرش سوى سنة واحدة . فقام من بعده محمود الثاني سنة ١٨٠٨ م و ١٢٢٢ هـ وهو ابن عبد الحميد الاول وفي ايامه استقل اليونان بمساعدة انكلترا وفرنسا وروسيا سنة ١٨٢٨ وعلى اثرها تلظت الحرب بين الدولة وروسيا واجتازت جيوشها جبال البلقان وفي سنة ١٨٢٩ تم الصلح بين الدولتين في مدينة ادرنه فاستولت روسيا على بصرابيا واستقلت الصرب استقلالا اداريا وخسرت الدولة ما كان لها من بلاد الكرج

وفي سنة ١٨٣٠ دخل الفرنسويون بلاد الجزائر وسنة ١٨٣١ زحف ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر الي سوريا بثلاثين الف مقاتل فاستولى عليها وبقيت في حوزته تسع سنين وفي اثناء هذه الحرب اباد السلطان محمود رجال الانكشارية ونظم جيشاً جديدا على الطرز الاورباوي

ثم جلس من بعده على سرير الملك ابنه السلطان عبد المجيد سنة ١٨٣٩ م و ١٢٥٥ هـ وفي عهده صارت مصر ايالة ممتازة . وسنة ١٨٥٤ نشبت حرب القريم المشهورة بين روسيا والعثمانيين . وفي هذه الحرب حالفت انكلترا وفرنسا وسردينيا الدولة العثمانية . وسارت جيوش الحلفاء فحاصرت مدينة سباستوبول واستولت عليها بعد ان اقامت على حصارها مدة سنة . وبعد ذلك عقد موتمر باريز سنة ١٨٥٦ فتقرر فيه ابقاء الاملاك العثمانية سليمة وفي تلك السنة نفسها صدر الخط السلطاني آمراً بالحرية والمساواة امام القانون واعفاء النصارى من اداء الجزية وان يوخذ منهم عسكر ويكون لهم وكلاء في الادارات غير ان النصارى استصعبوا وقتئذٍ الخدمة العسكرية وآثروا تأدية البدل العسكري .

ثم ولي السلطنة عبدالعزيز وهو ابن السلطان محمود الثاني وذلك سنة ١٨٦٠ م و١٢٧٧ هـ فقام باعباء السلطنة احسن قيام وسلك على منهاج ابيه في الاصلاح وترقية شوءون المملكة وتأسيس المدارس والمعامل والمصانع وانشاء الطرق الحديدية في البلاد العثمانية وظلت خطة التقدم مطردة الي سنة ١٨٦٧ التي حدثت بها فتنة جزيرة كريت

واستمرت نحو سنتين . وفي سنة ١٨٧٥ ثارت نيران الفتن في الهرسك والبشناق والجبل الاسود وبلغاريا وذلك بدسائس روسيا ووعدها الاهالين بالحصول على استقلالهم وقد دفعهم الي ذلك ظلم الحكام العثمانيين وما كان يلاقيه المسيحيون اذ ذاك من الجور والاعتساف ثم تظاهرت روسيا بالعدوان وزحف جنودها علي الاراضي العثمانية واشتعلت نار الحرب بين الفريقين وظلت مدة سنتين فاظهر العثمانيون حين ذاك بسالة نادرة خاصة في حصار بلافنا الذي ضحى به الروسيون عدداً غير قليل من اكابر الضباط والجنود . الا ان الكثرة تغلب الشجاعة فانتصر الروس على العثمانيين بعد ان انقطع ورود الذخائر عن قائدهم عثمان باشا فسلموا للروس ومن ذلك الحين تشتت الجيش العثماني وضعفت قوته وظل الروس يتقدمون الي ان صاروا علي مقربة من الاستانة فحينئذ تداخلت انكلترا في الامر وادخلت عمارتها الي ميناء العاصمة وتهددت بالضرب ان لم يكفوا عن التقدم فتوقفوا عند ذلك واحيل الى الدول العظمى النظر في تسوية الخلاف بين الدولتين المتخاصمتين بما يتعلق في تحرير الاقاليم المار ذكرها فعقد موءتمر في مدينة برلين سنة ١٨٧٨ حضره نواب الدول المار ذكرها وتقرر به سلخ الهرسك والبشناق ويني بازار موقتاً عن المملكة العثمانية وجعلها تحت حكم الدولة النمساوية . ثم تقرر ان يكون الجبل الاسود مستقلاً والروملي الشرقية تكون تحت حكومة ادارية محلية مستقلة يتولاها حاكم ينصبه الباب العالي . واما القرص وباطوم في آسيا فيكونان للروس الى غير ذلك من الشروط وهكذا

ثم الخلاف بين الدولتين . وفي اثناء تلك الثورات والحروب نهض فريق من وزراء الدولة وخلعوا السلطان عبدالعزيز وسعوا بقتله في وسط قصره واقاموا مكانه السلطان مراد اخاه وهو ابن السلطان عبدالمجيد وقد تولى الامر بعد خلع اخيه ٣١ آب سنة ١٨٧٦ ولم يستقم امره لانحراف صحته وقد نسبوا اليه الاختلال زورا وبهتاناً ووضعوه في احد قصور الاستانة محجوزاً عليه وولوا مكانه اخاه عبدالحميد وهو ايضاً ابن السلطان عبدالمجيد وقد ارتقى السدة الملوكية في اول ايلول سنة ١٨٧٦ م و١٢٩٣ هـ وفي ٣ ك ١ من السنة المذكورة اعلن الدستور لاول مرة بمساعي مدحت باشا واجتمع مجلس النواب غير ان السلطان لم يلبث ان حله في ٥ شباط سنة ١٨٧٧ والغى الدستور الذي كان وعد به قبل جلوسه على العرش وفي ١٤ نيسان سنة ١٨٧٧ اعلنت روسيا حربها الاخيرة على تركيا ودامت هذه الحرب الى ٣ آذار سنة ١٨٧٨ و كان من نتيجتها ان روسيا اخذت قارص وباطوم واردهان من ارمينية واستقلت الصرب ورومانيا والجبل الاسود واحتلت النمسا البوسنه والهرسك واستقلت بلغاريا استقلالاً ادارياً والحقت بها الروملي الشرقية واستولت اليونان على بتسيليا وبيرا وقد احتلت انكلترا قبرص بموجب معاهدة خصوصية سنة ١٨٧٨ وبلاد مصر سنة ١٨٨٢ واستولت فرنسا على تونس سنة ١٨٨١ وفي هذه السنة استقلت كريت تحت سيادة الدولة . وهكذا فقد العثمانيون بعد تلك الحرب بلاداً كثيرة . وقد شبت الحرب بين اليونان والترك سنة ٨٩٧ كان النصر بها لهؤلاء

لكنهم لم يجنوا منها فائدة تذكر . ومجمل الكلام ان المظالم في عهد عبدالحميد كانت منتشرة في انحاء البلاد فتفاقمت الخطوب وثارت الخواطر وكثرت الجاسوسية في عموم البلاد فادى ذلك الى النفي والابعاد والتغريق بصورة لم يسمع بمثلها . وفي سنة الف وتسعمائة وتسع حدثت في الاستانة ثورة هائلة كانت نتيجتها خلع السلطان عبدالحميد وتولية اخيه محمد رشاد وذلك لان الاحرار ساءهم ما رأوا من ظلم عبدالحميد وجوره فهبوا في مناستر وسلانيك واحدثوا ثورة قلبوا فيها الحكومة الاستبدادية واقاموا على انقاضها حكومة دستورية وفتح مجلس المبعوثان للمرة الثانية في ٢٤ تموز سنة ١٩٠٩ .

وعقيب ذلك حدثت مذابح الاناضول لان الاتراك كانوا يعتدون على المسيحيين فيقتلونهم بغياً وعدواناً واخذت جرائد الارمن اذ ذاك تندد على الاتراك مثل هذا العمل البربري واهم من كتب في هذا الباب السيد سليم البشري شيخ الجامع الازهر في مصر وهانحن نأتي على نتف من كتابه لما له من الاهمية التاريخية ولكون حضرة مرسله حذا به حذو العهود النبوية والمواثيق الرشيدية

وبعد فقد اطلعنا في الصحف المحلية على اخبار محزنة واشاعات سيئة عن مسلمي بعض ولايات الاناضول من المملكة العثمانية وهي ان بعضهم يعتدون على المسيحيين فيقتلونهم بغياً وعدواناً فكدنا لا نصدق هذه الاشاعات ورجونا ان تكون باطلة لان الاسلام ينهى عن كل عدوان ويحرم البغي وسفك الدماء والاضرار بالناس كافة المسلم والمسيحي واليهودي في ذلك سواء .

فيا ايها المسلمون في تلك البقاع وغيرها احذروا ما نهى الله عنه في شريعته الغراء واحقنوا الدماء التي حرم الله اهراقها ولا تعتدوا على احد من الناس فان الله لا يحب المعتدين

ان للذين عاهدوكم والمستأمنين لكم والذين جاوروكم من اهل الذمة بينكم حقاً من الله تعالى في رقابكم ان تستقيموا لهم ما استقاموا لكم وان تمنعوهم ما تمنعون منه انفسكم واهليكم وان تجعلوا لهم من بأسكم قوة لهم ومن قوتكم عزاً ورخاء وان تكفوا عن اديارهم وكنائسهم وبيعهم ما تكفون عن مساجدكم ومعابدكم .

ولا والله ما داس امرؤ حريمهم ووضع السيف فيهم وبغى عليهم الا كان ناقضا لما اخذ الله على المسلمين من عهد.

فيا ايها المسلمون لا تجعلوا للعصبيات والجنسية سلطان عليكم ولا للتشيع الى العناصر سبيلًا الى نفوسكم ولقد كان في رسول الله احسن قدوة وفي اصحابه العارفين خير اسوة .

واعلموا انه ان كان ما بلغنا عنكم حق فقد اغضبتم ربكم وما ارضيتم نبيكم وشريعتكم واحفظتم اخوانكم المسلمين عليكم غيرة على دينكم الذي قد تنكرت بهذا العمل الشنيع (ان صح) معالمه وانتهكت محارمه واطلقتم السنة الجاهلين بدينكم في المسلمين اجمعين .

وفي ١٣ نيسان سنة ١٩٠٩ حدثت فتنة ثانية في الاستانة فشعر الاتحاديون ان للسلطان عبد الحميد يداً بها فخلعوه ونصبوا اخاه محمد رشاد الخامس في ١٧ نيسان من السنة المذكورة ولما كان عصر هذا

السلطان دموياً وعليه يدور محور تاريخنا اقتصرنا الآن على ذكره فقط وسنعود الى البحث فيما جرى بايامه تحت عنوان : عود الى بدء ؛ وقد خلفه بعد وفاته وحيدالدين سنة ١٨١٨ وسنة ١٣٣٦ هـ و ٤ يونيو وعمره اذ ذاك ٥٨ سنة ولم تكن ولاية العهد له بل كانت ليوسف عزالدين افندي الا ان الاتحاديين قتلوه غيلة لانهم رأوا منه انحيازا للائتلافيين وكرهاً للظلم الذي يقوم به زعماء الاتحاد . ووحيدالدين هذا هو الذي ختمت في ايامه فواجع الاتراك بانذحار عساكرهم مع الالمان والنمساويين وانتصار الحلفاء وارتاح العرب من شرهم ونجت سوريا من فجائع طغاتهم وظلامهم .

الفصل الثالث

تمهيد لفظائع العصر الدموي

لما كانت الغاية من وضع كتابنا هذا بيان مساوىء الاتراك نحو الامة العربية وكان للسلطان عبدالحميد يد طويلة في الخلل خصصنا به هذا الفصل وهو يتناول ايضاً عصر السلطان رشاد لان جل المظالم وقعت في عصره والى القراء بيان ذلك .

ظل السلطان عبدالحميد متسنما اريكة عثمان اثنتين وثلاثين سنة وسبعة اشهر وسبعة وعشرين يوماً وستاً وعشرين ساعة وخمساً واربعين دقيقة قضاها بالظلم والاعتساف والنفي والابعاد والتفريق وقدسلخ في مدة حكمه كثير من الولايات والايالات عن جسم المملكة العثمانية كما ورد ذلك في بابه ولذلك قد لقب هذا السلطان على اثر

مذابح الارمن السلطان القاتل وعلى اثر المذابح الاخيرة أطلق عليه اسم السفاح .

وقد اوردت بعض الصحف انه قال للسلطان رشاد على اثر اعلان الدستور التركي : انا اعرف ان الشعب لا يرضى بي الان ولكنني لا اعتزل الاحكام قبل ان انتقم لنفسي شر الانتقام

ومما يدل على طمعه وجشعه ان الباحثين وجدوا في اوراقه بقصر يلدز سبعمائة الف سند بانصيب سكة الروملي الحديدية فاذا قدر ثمن السند الواحد خمس ليرات يكون مجموع السندات ثلاثة ملايين ليرا ووجدوا فوق ذلك من النقود ستمائة وخمسين الف ليرة عثمانية ومجوهرات قيمتها مليونا ليرة .

وقد ظفروا في يلدز بكثير من الاوراق و بينها تلك التي اضرمت بسببها نار الفتنة الاخيرة وعنوانها : الحزب المحمدي ثم بحث عن اعضاء هذا الحزب وسجنوا واعترف باشكاتب المابين ان للسلطان عبد الحميد يدا في مذابح اطنه . ولقد ختمت حياة هذا الرجل بمنتهى الفظائع وهو قد أكد صحة ما نسب اليه بكتابه الي رئيس مجلس النواب احمد رضا وذلك ممهور بامضاء عبد الحميد وختمه . وها نحن ننقل بعض هذا الكتاب كما روته جريدة الطان وجريدة الوطن . . .

انا اليوم اطلب ان الامة الافراج عني فقد كفاني انني من يوم مولدي اسير القصور الملوكية عائش بين المكائد والدسائس .

اضطررت ان اقتل اكثر من نفس حتى احافظ على حياتي .

ليس بالامر السهل الحكم بدون سفك دماء . الاحرار الفتنهم

يضطرون غالباً الى قتل خصومهم ومناوئيهم مع انهم تربوا في ظلال الحرية ولم يكونوا محاطين مثلي بالجواسيس والمنافقين المخادعين .

يلزم ان يصير الانسان سلطاناً ليتأكد بالاختبار الصعوبة في المحافظة على شعور الانسانية والرحمة .

الم يكرروا على مسامعي مراراً انني اعظم الخلائق وشبيه بالالهة ؟ فمن يلوم اذن الله على قسوته ؟؟ لا ينبغي ان تدسوا لي السم ولو قطعوا عنقي .

عرفت الان جمال العدالة ولكن جمال الرحمة اعظم منه .

انني باشد الحاجة الى رأفتكم وعفوكم .

لا يجمل بكم ان تقتلوا رجلاً قبل كثرة التروي والتدقيق وهذا الرجل وان لم يكن بريئاً فله الحق بالشفقة . لقد مضى زمن كانت تطرح فيه الرجال الى قعر البوسفور وكانت فيه القهوة المسمومة تقدم للضيوف .

كل هذه الفظائع قد تقلص ظلها وقام مقامها العدل والرحمة . . .

من النادر ان لا يصادف ذو السيطرة على شعب مقاومة لارادته . وانني اتعجب من ذاتي كيف لم اكن اقسى قلباً واشد بطشاً ، اشد سفكاً للدماء .

وكيف كانت الضحايا التي ضحيتها فهي تعد بالالوف ولا تعد بالملايين .

يلزم ان تعذرني على ذلك ياعزيزي احمد . والخلاصة لا يوجد من البشر اكثر مسئولية عن اعماله من الحكام ولكن لهؤلاء الحكام حق بالدفاع عن انفسهم اكثر من غيرهم

عبد الحميد

لا اظن ان احداً يبرىء من الظلم ساحة هذا السلطان العاتي، هو نفسه قد اقر بذلك « والمرء مأخوذ باقراره » ولو اتيح لهذا الجزار ان يسمع صوت الثكالى اللواتي افقدهن اولادهن لهابه الامر .

واليك المواد التي افتي بموجبها بخلع عبد الحميد

اولاً تبديده ثروة الامة

ثانياً اختراقه احكام الشريعة الغراء

ثالثاً احراقه كتب الاسلام المقدسة

رابعاً امره بذبح الابرياء خلافاً لاحكام الشريعة .

ويخطر لي في هذا الباب ما قاله كسرى انو شروان : لا ملك الا بالجند ولا جند الا بالمال ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل » فمتى انتظمت الحلقة الاولى من هذه السلسلة عمرت البلاد وسعدت الرعية ولسوء الحظ لم يكن اثر لاحدى حلقات هذه السلسلة ايام عبد الحميد . بل كان هو الذي دفع هذه الامة الى مهاوي الشقاء حتى اصبحت بتخاذلها وشقائها عاراً على الانسانية وعبئاً على المدنية والبشرية . ونكتفي الآن بما اوردناه عن سيرة هذا الغشوم لان سيرة ملكه تدمي الافئدة . وجل ما نرمي اليه في تاريخنا هو سرد ما وقع في بلادنا السورية من المجازر وذبح ابناء العرب الكرام تعمداً وعدواناً ولذلك ها نحن نتخطى الى عصر الرشاد الذي مثلت فيه مأساة الفواجع الهائلة ونكبات العرب العظيمة التي كانت نتيجتها حياة هاته البلاد بعد مماتها واستقلالها بعد استعبادها ولم نكن لنحلم

بانها تنال الحرية قط فصدق بذلك قول المتنبي : وربما صحت الاجسام بالعلل .

عصر المجازر في عهد السلطان رشاد

احرِ بهذا العصر ان يدعى عصر المملوك رشاد لا نسبة لمماليك مصر بل لكونه كان عبداً رقاً لرجاله وآلة تديرها اصحاب الاغراض المتنفذون من جمعية الاتحاد والترقي كيفما شاءت مطامعهم .

فاي خير ترتجي البلاد من ملك لم يقف مدة حياته على شيء من مكنونات السياسة ؟؟ واي نفع تتوخى الرعية من سلطان عاقر الخمرة منذ ادرك الرشد فضاع بها رشاده . وقد أمضى ثلث قرن من حياته مسجوناً في قصره منغمساً بالملذات .

لا مشاحة بانه كان مكرهاً على الابتعاد عن مجالس الحكام واساطين الدهاء محجوراً عليه في سجن دائم تبعاً لاوامر اخيه الظالم عبد الحميد . . . . . والى القراء الاعزاء ماجرى بين السلطان رشاد وبين مكاتب جريدة الدايلي كرونكال الانكليزية وذلك على اثر تسنم رشاد اريكة عثمان في شهر نيسان سنة ١٩٠٩ م وها نحن نسرده بالحرف الواحد :

بعد كلام الترحيب قال السلطان لمكاتب جريدة كرونكال : انك اول اوربي اذنت له في مقابلتي منذ ثلاث وثلاثين سنة واول صحافي يقابلني في القصر ثم قال واطنب : ان الانكليز كانوا اصدقائي طول ايامي وهذا الوقت خطير الشأن عند الامة العثمانية باسرها وقد طالما قذف بي اعدائي ورموني بالعته والبله ولكن الله سبحانه وتعالى

قضى برحمته وعنايته ان اقوم بما قدره لي واحكم على المسلمين الى ان قال . قد شاء الله سبحانه وتعالى ان ارتقي سرير آل عثمان وانا شاعر كل الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقي والواجبات المطلوبة مني والعبء الثقيل الذي اتحمله . . . نعم ان صوتي لم يسمع مدة ثلاث وثلاثين سنة ولكن صوت ضميري لم ينم » ونحن نكتفي بهذا الجزء الذي له علاقة بموضوعنا .

ان كل عاقل ينهال بالتعنيف واللوم على هذا الملك الجاهل لانه تجرأ على المجاهرة امام رجل اوربي صحافي متمدن بان الله قدر له ان يحكم المسلمين ، على حين ان الدولة العثمانية تتألف ايضاً من العنصرين المسيحي واليهودي وهما يكادان يوازيان نصف المملكة فكيف يشكو بعد ذلك ممن ينسبون اليه العته والبله وهو يؤيد بكلامه مايحاول ان يتبرأ منه .

وقد كثرت في ايامه الاحزاب السياسية منها جمعية الاتحاد والترقي وجمعية الائتلاف واللامركزية والحزب العربي والالباني والارمني والمعارضون وقسم من الحزب المحمدي وسيرد ذلك مفصلاً ولقد تغلب الاتحاديون على هذه الاحزاب جميعها لانهم قبضوا على زمام المملكة وقتلوا سائر الاحزاب وبددوا شملهم . وقد جعلوا هذا السلطان العوبة بين ايديهم فكانوا يفعلون ما يشاؤون وهو يقضي معظم اوقاته معاقراً الخمرة لا يعي ولا يفهم مؤدى ما يمضيه .

وقد افادني احد اصدقائي العاملين وانا اطلعت في الصحف بانه صدر حكم من ديوان حرب الاستانة على نسيبه صالح باشا بالاعدام

خيرالدين باشا التونسي الشهير بسبب اتفاق مع البرنس صباح الدين على قلب وزارة محمود شوكت باشا الاتحادية اصدر وصدرت ارادة السلطان بتنفيذ الحكم وهو لا يدري على اي شيء ارادته ! ! . . وفي صبيحة يوم التنفيذ نقلت جرائد العاصمة خبر اعدام هؤلاء المنكودي الحظ ؛ قد دخلت على السلطان ابنته زوجة صالح باشا واعلمته بذلك فاستغرب الامر فنددت بـه قائلة : انك انت الآمر فاقسم لها يميناً مغلظة انه لم يأمر بذلك . وقد روي انه دخل يوماً على حرمه معجباً و بيده جريدة فيها صدور ارادته بتوجيه نظارة الحربية الى انور باشا فقال متهللا : ان انور باشا صار ناظر الحربية كما علمت من هذه الجريدة فهو يستحق ذلك «انظروا وتأملوا»

ومن تصفح كتاب البعثة العلمية الى دار الخلافة من قبل السفاح احمد جمال باشا من اليوم التاسع عشر ذي القعدة سنة ١٣٣٣ و ١٨ ايلول سنة ١٩١٥ حتى يوم رجوع الوفد لا يرى ذكر السلطان يمر الا في عرض الحديث يشهد على ذلك خطبة رئيس الوفد الشيخ اسعد الشقيري التي تلاها بحضور اركان الولاية وجمهور من علماء دمشق بينهم احمد جمال باشا وعلى مرأى ومسمع من سيادة الشريف صاحب السمو الامير فيصل نجل مولانا جـلالة الملك وعلي منيف بك متصرف لبنان وعزمي بك والي سورية وعزمي بك والي بيروت ومصطفى عبدالخالق بك والي حلب ومدحت بك متصرف القدس وغيرهم وقد اتى على ملخص ما شاهده وعاينه ولقيه من الاعمال والاستقبال وشرح ماحدث في السياسة مفصلا ولم يـذكر السلطان

باكثر من كلمة : « اننا تشرفنا باعتاب مولانا الخليفة الغازي وعرضنا ما وجب عرضه » واظن انه لم يعرض على السلطان سوى الدعاء ولقب الغازي الذي كان يستحقه باهليته لانه دوخ البلاد وافتتح الاقطار والممالك !!!

نعم انه دوخ بلاده بالمظالم وافتتح لنفسه مقاطعة عظمى !!! هي قاعة المشروب وكفى .

ويؤيد ما ادى اليه اهماله وتراخيه من سوء العاقبة في خطاب السلطان وحيد الدين الذي فاه به يوم خلافته في ٣ تموز سنة ١٩١٨ وهذا بعضه مما يتعلق بموضوعنا .

انقضت بضع سنوات ودم شعبي يهرق سدى في حروب داخلية وفي هذه الحرب التي خضنا غمارها من غير ضرورة عظيمة ولم يتدن الاتفاق وحسن التفاهم بين شعوبي وعظمتنا نحن وعلى غير جدوي نالت ارواح العباد خسارة صيرت بلادي قفراً وستزيد قفارها . وقد وطنت النفس على القضاء على هذه المذابح التي تدور بين الاخوة ... اقول اني لست مرتاحاً الى حالة الجنود المعنوية واخشى ان يثور شعبي ثورة عامة وحقهم ان يثوروا ووزرائي يخشون وقوع نكبة كهذه وقد اراد كبارهم ان يستعفوا تجاه هذا الخطر ... اني ارى مستقبلا حالكا مفعماً باسباب الظلام والقلق العظيم وارى سلامتنا انما تكون بتدبير منفذ للخروج من هذه الحرب ... وختم السلطان خطبته بقوله : قد تلاشت قوة شعبي وخربت بلادي وبلغت اره اخذا الترقي واني جازم بعدم وجود وسطاء يستطيعون ان يمهدوا

امامنا السبيل للمفاوضات النافعة . اعتلى السلطان وحيدالدين الثالث سرير عثمان المتزعزع الاركان : زوابع الشدائد المصائب تعصف حوله والنوائب تنذره بشر مستطير لان الجيش الذي هو ركن البلاد وسياج الدولة كان مقهوراً ومكسوراً وفي جميع الساحات قد هاجم الحلفاء هذه المملكة وتسلطوا على مرافقها وهددوا عاصمتها والجوع والامراض ضاربة اطنابها فيها والمذابح والحروب الاهلية قائمة على قدم وساق والمجاعات تفتك بالاهلين وبوجيز الكلام ان حالة تركيا يوم ارتقاء هذا السلطان كانت محزنة ولم يخف عليه شيء من دقائق اسرارها وادرك انه لا مناص من ابعاد زعماء الاتحاد الذين باعوا السلطنة للالمان ولا بد من توقيف رحى الحرب بعقد صلح منفرد ضناً بما بقي من شعبه واحتفاظاً بعرشه . وهو بخطابه هذا بين كل المصائب التي حلت ببلاده وطلب لها دواء ولكن بعد فوات الفرصة فان سالفه قد ابتلاها بداء عضال لا يشفيها منه سوى الموت .

ثبت اذن ان عهد رشاد كان كما قلنا زمن مجازر وقبل اعلان الحرب العمومية حصلت مذابح عديدة منها حادثة النخل وجبل الدروز والكرك وحمص وانطاكية واليك تفصيلها



الفصل الرابع

حوران

لمحة عن بعض حوادثها

خيل للاتراك ان حوادث حوران كانت توطئة للثورة العربية فارتكبوا في تسكينها من الفظائع ما امكنتهم قسوتهم وتفننوا بقتل النفوس ما شاءت همجيتهم وها نحن نأتي على ذكر شيء عن حوران لانها المرسح الذي مثلت عليه الفظائع .

ان سكان حوران مختلفو الاجناس وهم نحو مائتين وستين الفاً ثلثهم مسلمون وهم بقايا القبائل العربية المتحضرة واشهرهم الحريريون والزعبيون والثلثان عرب ودروز ومسيحيون فالمسيحيون عشرون الفاً والدروز نحو ثمانين الفاً وكلهم غرباء قدموا حوران في ازمنة مختلفة من جهات حلب ووادي التيم ولبنان وخيموا في الجبل ومن شيوخهم القدماء بنو حمدان المشهورون بكرمهم واصلهم من قرية كفرة من غرب الشوف في لبنان وفيهم ايضاً عشائر عريقة في النسب اهمها بنو الاطرش .

والعرب سبعة وثمانون الفاً كلهم رحالة ومنهم عشيرة الرولا وعرب السكار والرباعية وعرب الفضل وامراؤهم آل فاعور وهناك التركمان وعنزه وكثير غيرها من العشائر ومرجع الجميع الى اربع قبائل وهم بنو صخر والعجلية وامراء الردية والعنسية يلقبون باهل الشام وجميعهم منبثون في حوران وجبل عجلون والقنيطرة

واما سلسلة الحوادث التي نحن بصددها فاولها حادثة الخل التي جرت في جمادى الاول سنة ١٣٢٨ وحزيران سنة ١٩١١ وها نحن نسردها على علاتها : ان قرية الخل هي عاصمة الجاروذ في حوران وهي مركز مديرية واكبر البلاد الحورانية وكان رجل اسمه سعدالدين ابو سليمان شيخ عشائر اللجاه وهو مشهور بما ارتكبه من الجرائم واغتصبه من الاموال والمواشي وكانت الحكومة تترقبه لكي تقتص منه .

وكان لهذا الشقي عم له سبعة اولاد تفردوا بين عشائرهم بالشجاعة وسخاء الكف حتى مالت اليهم القلوب . ولما رأى الشقي ذلك اوجس خيفة على زعامته من السقوط واجتمع باثنين يضاهيانه في الشقاء وهما من اهل القرى المجاورة فقر رأيهم ان يموهوا على الحكومة ويخادعوها باظهار الانقياد لاوامرها ليتسنى لسعدالدين بذلك ان يحافظ على رئاسته ويخيف اولاد عمه

فارسل سعدالدين وزملاؤه بتوسط بعض الوجهاء كتاب استرحام الى متصرف حوران وبه يطلبون تعيين سعد المذكور مديراً للجاه وان هذا يتعهد اذا استجيب طلبه بقطع دابر الاشقياء ومنع العرب من اخذ الخوة من القرى وعد جميع الاغنام في اللجاه . فاقتنع المتصرف بهذه المواعيد الفارغة واجتهد باقناع الوالي ناظم باشا حتى عفا هذا عنه واستدعاه فحضر الشقي الى دمشق فاكرمه الوالي ثم عينه مديرا ولما رأى ابناء عمه وعشيرته ذلك طووا كشحاً على ما بانفسهم ولما آن وقت تعداد الاغنام كتب المتصرف الى سعد يتقاضاه وعده فاجابه

هذا : ان ذلك يستلزم قوة من الجند فذهب المتصرف بنفسه الى اللجاه ومعه ثلاثمائةمن فرسان الدرك والمفرزة والمشاة ومدفعان ونزل ضيفاً في بيت سعد المومأ اليه . ثم بدأ بعد اغنام عشائر اللجاه وهي العوران والشرعا والمراشدي نحو من خمسمائة وكلهم دعاة .

وقد اخبرني الراوي ان المتصرف رغماً عما كان عليه من العظمة وعما كان يتعهد به ذلك المحتال سعد الدين لم يتمكن الا من تعداد العشرة في المائة من هذه الطروش وقد اغض عن الباقي اكراماً للمحتال . وقد افادنا كثيرون من اهالي القرى المجاورة للجاه مثل خباب وموتبين وغباغب وغيرها ان عربان اللجاه كانوا ينزلون ليلاً فيأخذون ما تصل اليه يدهم من الارزاق والمواشي ويتقاضون الخوة من الاهالي والمتصرف عند ذلك ضيف عند رئيسهم المشهور .

وقد كان اكثر ما ينهبونه من قرية انخل فهب الاهلون وراجعوا الحكومة فلم تجب طلبهم بل حملها سعدالدين بتشويقه على تجهيزحملة وضرب القرية ففعلوا وبلغت الخسارة من القتلى والجرحى ثلاثين شخصاً منهم سبعة عشر قتيلاً وثمانية عشر جريحاً . اما الخسارة المالية فقد بلغت ما قيمته (١٧٦٠٠) وذلك بحسب المضبطة المقدمةمن اهل الخبرة المنتخبين من طرف الاهالي والحكومة وذلك يشمل مااحترق على البيادر من الحبوب المتنوعة . وقد اختلس من الثياب والامتعة والاموال ما قيمته ١٩٠١٤٤ وقدصرح بذلك في دفترخاص . ونهب من التجار المقيمين في القرية ما يقدر بـ ٢٦٨٨٩٨ والاجدر بالاستغراب ان سعد الدين والقائد الذي امر باطلاق المدافع لم يتناولهما اذى من

الحكومة بل ظلا يمرحان كأن لم يكن شيء مع ان جنايتهما ثابتة مشهورة سواء كانا بادئين او دافعين والحادث فظيع يندر وقوعه في البلاد الهمجية .

الم يكن من الواجب على الحكومة تهدئة للخواطر واحقاقاً للحق ان تسجنهما لاول وهلة وتجري استنطاقهما وهما موقوفان ولكن من اين للحكومة التركية ذلك وقد طبعت على حب الرشوة والاهمال والرغبة في النفاق وظلم العباد .

ثم تكررت تعديات عرب اللجاه ومنها ان الزماح احدى هذه العشائر تعدت على اهالي قرية خبب وغصبت اراضي مزرعة الزبير وذلك ان الزماح هجمت من المشاتي وخيمت في وعر المزرعة واتلفت مزروعات الاهالي فتعددت المراجعات للحكومة فقررت هذه اخيراً ارسال فرقة نظامية لرفع التعدي ثم حضر متصرف حوران جمال بك مصحوباً بسعدالدين المذكور وبضعة من مشائخ عشاير اللجاه ولدى تقرير ما إصاب الاهالي من الضرر بلغ ثمانين الف غرش فارضتهم الحكومة بستين رأس ماعز وهذا ما زاد في طمع سعدالدين فاطرد السير في خطته سلباً ونهباً .

﴿ نبذة تاريخية عن جبل الدروز ﴾

ان جبل الدروز يتألف من اراض واسعة وجبال شامخة وهو يضم بين جناحيه مائة وثلاثين قرية لكل منها شيخان ديني ومدني وكلاهما يرتبط بشيخ عام للجبل كله . وقرى الطرشان في هذا الجبل تمتاز بنظافتها وترتيبها .

اما نفوس الجبل فتقدر بنحو ثمانين الفاً بينهم عشرون الف فارس وكلهم متجهزون عند اللزوم بالسلاح الكامل ويمتاز هؤلاء القوم بالبأس والشجاعة فصغارهم يجيدون الرمي ·

يستقي اهل هذه القرى ماء المطر وبعضها ماء الينابيع واما الهواء فجيد يختلف بحسب الفصول الاربعة الا انه اكثر اعتدالاً بها منه في البلاد المجاورة · والارض هناك مخصبة للغاية ولذلك فالسواد الاعظم من الاهالي يشتغلون في الفلاحة وقليل بينهم من يشتغل بالتجارة او الصناعة والسكان يرجعون بنسبهم الى قحطان وعدنان وعاداتهم واخلاقهم عربية وفطرتهم سليمة قابلة للتمدن والحضارة اكثر من مجاوريهم ومن اخلاقهم المأثورة الحرية وعزة النفس والشجاعة والبسالة والمروءة والكرم والسخاء والوفاء والذكاء الفطري وحسن السياسة وحب الاخذ بالثار والعفو عند المقدرة وعلو الهمة والشهامة · وقد اطلعت على بعض تواريخ محفورة على الواح نحاسية بين مستودعات الآثار في دار الهمام سليم باشا الأطرش تنتهي بتاريخها الى غرة شعبان سنة ٥٣٧ هجرية وتلك دلالة واضحة على نسب الطرشان القديم وشرفهم العريق

ولا يليق بنا ان نضرب صفحاً عما للدروز من الشرف وما هم عليه من المحافظة على العرض والحرص على الكرامة وعدم المبالاة بالموت اذا مسّ جانبهم او امتهنت كرامتهم وها نحن نأتي بشواهد بينة على ما قاسوه من الشقاء واضرموه من الحروب واراقوه من الدماء في ادوار عديدة وايام مختلفة محافظة على كرامتهم

مقاومتهم لابراهيم باشا المصري

استولى ابراهيم باشا على سورية سنة ١٨٣١ بعد ان حاصر عكا ثمانية اشهر وحاصر سواها من المدن فتم له افتتاحها جميعها فاذعنت لامره ولما تم النصر له في سورية ونسق الاحكام وعين الحكام ارسل محمد شريف باشا والي الشام حينئذ يطلب السلاح من الدروز فجمع اليه مشائخ الجبل وزعيمهم اذ ذاك الشيخ يحيي الحمدان فرجوا الوالي ان يرحمهم ويعطف عليهم بابقاء السلاح معهم لان حولهم عربانا يتهددونهم بالمهاجمة كل حين فقام الوالي الى الزعيم وصفعه وقال لا تحاول فلابد من تسليم السلاح فخرج المشائخ من دمشق عائدين الى بلادهم فاجتمعوا بذوي الرأي منهم الشيخ ابو حسين ابرهيم الهجري وهو شيخ الدين فتم الرأي بينهم على وجوب المدافعة والمقاومة لانهم رأوا ان ذلك افضل من خفض الجانب ثم اجتمعوا وتحصنوا في اراضي اللجاه فقصدهم القائد علي البصيلي ومعه اربع مائة فارس فكتب اليهم بوجوب تسليم السلاح فاجابوه باللطف والملاينة حسماً لسفك الدماء فحسب ذلك ضعفاً واغتر وازداد عتواً وخيم بعساكره في قرية الثعلة فقصد الدروز القرية ليلاً وعند الصباح اعملوا السيف باعدائهم ونكلوا بهم ولكن لنكد الطالع وسوء الحظ قتل بذلك النهار المأسوف عليه كثيراً الشيخ ابراهيم الاطرش وثلاثة عشر نفراً من اتباعه واما الاعداء فقتل منهم خلق كثير .

ولما بلغ خبر هذا الانكسار ابراهيم باشا ارسل حملة ثانية تحت امرة القائد محمد باشا مؤلفة من نحو اثني عشر الفاً من الاجناس فضلاً

عن الجنود المصرية .

ثم جاء ابراهيم باشا نفسه على رأس نجدة قوية وخيم قريباً من اللجاه ثم دارت رحى الحرب فقتل من الدروز نحو اربعة عشر نفراً ومن المصريين نحو مائة فاخذ هؤلاء يتشفون من الدروز بسلب ما في قراهم المهجورة من الطروش والمواشي وغيرها .

اما الدروز فاجتمعوا في اربع قرى وهي : داما والحرسا وحميد وعاهرة . ثم هاجر سكان قريتي عاهرة والحرسا ونزلوا بقرب حميد فدخل العدو الى قرية عاهرة ثم الى الحرسا بجحافله .

وعندئذ قرر الدروز ان يجعلوا اللجاه موقعاً حربياً يجمعون فيه كل قواهم فجعلوا ينقلون اليها ما استطاعوا من الذخر والمؤن وعند الصباح هاجمهم العدو وابلوا به بلاءً حسناً الا ان الكثرة تغلب الشجاعة فان عساكره كانت منتشرة في كل الافاق آلافاً يقتلون ويسبون فانهزم الدروز واخذ العسكر المصري يتأثرهم وهو يأتي المنكرات والفظائع و يقتل الشيوخ العاجزين والاطفال القاصرين ثم ما لبث الدروز ان استعادوا قواهم وثبتوا امام المصريين كالآساد وصرعوا قائدهم محمد باشا فولت الاجناد منهزمة على اعقابها والدروز يتبعونهم يعملون بهم السيف وكان عدد الدروز قليلًا بالنظر الى اعدائهم اذ لم يكن عددهم الا اربع مائة مقاتل او دون ذلك وكانت احياناً قبيلة السلوط تمدهم ببعض مئات من افرادها وقد تفرقت العساكر المصرية هاربة وظهر عليهم الضعف فتأثر محمد شريف باشا حاكم الشام وجهز قوة عظيمة وارسل نبأ بذلك الى محمد علي باشا

فابراهيم باشا فاصدر امراً بوجوب تأليف عسكر من نحو ١٢٤ الف مقاتل فتألف هذا الجيش من البرابرة وجاء الجبل تحت قيادة احمد باشا ولما وصل اقتتل الفريقان قتالاً عظيما ثم اجتمع الدروز في بيت الشيخ يحيي الحمدان ومنهم الشيخ ابو حسين ابراهيم الهجري والبطل شبلي آغا العريان وهو رئيس عشائر الدروز في راشيا وقد جاء بعدد وفير من دروز لبنان الشرقي لمساعدة دروز حوران واخذوا يشدون العزائم لاجل الحرب وذارت الدائر على العسكر المصري وتأثره الدروز يعملون به السيف فجعل المصريون عند هربهم يخربون الآبار في طريقهم ويهدمون مجاري المياه وقصدوا قرية حامر ليخربوها فالتقاهم الدروز ودحروهم عنها فجاش الغضب في صدر ابراهيم باشا فالف حملة من عشرين الفاً من الارناؤوط والترك واتى بهم من جهات حلب وجعل يهدم المناهل ومجاري المياه في كل القرى وسمم الماء ووضع به الانتان حتى هلك كثير من الناس عطشا او مرضاً .

ثم وافت النجدات من الشوف وبلغ الدروز نحو الف ومايتين وانقسموا الى فئتين الواحدة يقودها شبلي العريان (١) والثانية يقودها الشيخ ناصر الدين العماد ولما ضاق الحصار على الدروز في اللجاه لان ابراهيم باشا حاصرها من كل الجهات وجعل يتقدم ويشدد الحصار عند ذلك عنَّ للداهية الحربي البطل شبلي آغا العريان ان ينفلت من تلك الحلقة الضيقة مع قسم من الدروز فسار على رأسهم مخترقاً صفوف الاعداء قاصداً لبنان الشرقي ليحرك الدروز في وادي التيم والشوف

(١) هو رئيس عشائر الدروز في راشيا كما تقدم .

وينهض بهم لمساعدة اخوانهم في حوران واخذ هو ومن معه يفتك في اثناء مروزه بكل حامية اقامها ابراهيم باشا في البقاع وغيره ولما وصل الى راشيا ثار ثائر الدروز حيث كانوا وتألبوا لنجدة اصحابهم ثم سار الدروز الى حاصبيا وفتكوا بها بجيش الواردان الذي كان اقامه ابراهيم باشا بها وكان من اعز الجيوش عليه وفي تلك الاثناء كان الشيخ ناصر الدين العماد على رأس حملة من دروز اللبنانيين نحو خمسمائة مقاتل يفتكون بالحاميات المصرية في البقاع وقد حدث في وادي بكة موقعة عظيمة بين الطرفين قاتل بها الخمسمائة نحو عشرين الفاً من عساكر المصريين وقتلوا منهم آلافاً وظل الدروز يقاتلون ويحاربون بحماسة نادرة حتى لم يبق منهم في قيد الحياة سوى اربعة عشر نفراً وهذه الحادثة مذكورة في دائرة المعارف في كلمة دروز .

وفي مجرى هذه الحوادث ما يظهر اتفاق كلمة الدروز ودهاءهم الفطري في الحروب لان حركاتهم هذه اجبرت ابراهيم باشا ان يخفف الحصار عن اخوانهم في اللجاه بارسال قسم من عسكره الى راشيا والبقاع ووادي التيم وهاجموا عساكر المصريين واوردوهم موارد العطب وبعد مضي تسعة اشهر نكالاً وقتالاً وضعت الحرب اوزارها واعطى ابراهيم باشا الامن للدروز وصالحهم واعفاهم من الضرائب ثلاث سنوات ولا مشاحة بان هؤلاء القوم قد ضحوا في سبيل الدفاع عن مواطنهم انفساً غالية ووقفوا على تعزيزها راحتهم وسجلوا شرفهم بدمائهم .

حادثة سنة ١٨٩٦

ان منعة الدروز في جبالهم كانت توغر قلب العثمانيين للايقاع بهم فكانوا يتحينون الفرص للفتك بهذه الطائفة والضرب على ايديها وتشتيت كلمتها ولكنهم لم يبلغوا مرادهم ولا تم مآربهم ففي سنة الف وثمانمائة وست وتسعين هاجم الجبل الفريق ادهم باشا ومعه اثنان وثلاثون طابوراً منها ثمانية طوابير تحت قيادة اللواء ممدوح باشا ومثلها تحت قيادة كل من محمد باشا وعقريت باشا ونعيم باشا واربعة طوابير سواري تحت قيادة الفريق نوري باشا وآلاي جندرمة تحت قيادة اللوا حقرد باشا واشتبك الفريقان بالقتال وحمي وطيس الحرب فاظهر الاتراك عندئذ ما بصدرهم من الحزازات والشحناء والضغائن فاجلوا الدروز عن اوطانهم وابعدوهم عن بلادهم وكان المبعدين المرحوم شبلي بك الاطرش وهلال بك الاطرش وحسين بك الاطرش ونسيب بك وفاتر بك ومصطفى نجم فارس محمود وهزاع بك وسلامة بك الاطرش والمرحومان سليم بك وذوقان بك الاطرش وابعد من مشايخ العقل المرحومان الشيخ حسن طربية والشيخ حسن الهجري وخليل عامر ووهبه عامر والشيخ فندي ابو عساف والشيخ حسن ابو عز الدين الحلبي وشهاب عزام وحمد المنوشي .

وجرى ابعاد ما ينيف على خمسمائة شخص من الدروز الى كريد تحت رئاسة نسيب ونجم وذوقان وفارس الحمود وسلامه الاطرش والشيخ شبلي عامر وسعيد عامر وفندي ابو عساف وابعد قسم آخر الى رودس تحت رئاسة سليم بن منصور الاطرش من قرية القرية

وهزاع الاطرش شيخ الهوية ونحو اربعين شخصاً آخرين من ذوات الدروز .

والقسم الثالث ابعد في رئاسة المرحومين شبلي باشا الاطرش وهلال بك الاطرش ولدي المرحوم اسماعيل الاطرش وحسين بك الاطرش شيخ عرمان وفائز الاطرش شيخ قرية القرية ومشايخ العقل وهيب عامر وحمد المغوش وشهاب عزام واحمد زهرالدين وسواهم وهؤلاء كانوا ابعدوا بادىء بدء الى ازمير فالاستانة ومنها فرقوهم في ولايتي قسطموني وبروسا وقد مكث جميع المبعدين في منفاهم الى سنة ١٩٠١ التي صدر بها العفو العام عنهم ورخص لهم بالعودة الى بلادهم .

وقد اتخذ الاتراك فرصة ابعاد الزعماء وسيلة لمداهمة الدروز والغدر بهم لانهم حسبوهم اذ ذاك اشتاتاً لا رابطة توحدهم ولا زعيم لهم يدينون له ولكن ساء فألهم فان الرابطة القومية في هذه الطائفة لا تفصم ولا تحل مهما توالت عليها الكوارث وعليهم ينطبق قول الشاعر :

اذا مات منا سيد قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول

ولذلك لم يجد الاتراك سبيلا الى ما قصدوه لان اشبال الشيخ اسماعيل بك الاطرش قاموا بثورة وطنية وجهزوا من الدروز جيشاً عرمرماً قاوم الحكومة وصدها عن ادراك مرامها وكان عددهم لا يربو عن الستمائة رجل رغماً عن ان جيش الاتراك كان مؤلفاً من نحو خمسين طابوراً بقيادة المشير طاهر باشا ولم يتمكنوا الا من دخول

سهول صلخد وعرمان وبعد ذلك انزل بهم الدروز الوبال فاضطروا الى الانسحاب ولكن الحكومة لم تلبث ان ارسلت فيما بعد النجدات القوية ولم يستطيعوا ان يبلغوا مأرباً فارتدت العساكر التركية على اعقابها الى عاهره فالسويداء ثم ارسلت الحكومة لجنة تحقيقية قضت بعزل المشير طاهر وابداله بعبدالله باشا . فاتخذ هذا العفو خدعة لالقاء القبض على الزعماء وارسالهم الى ولايات الاناضول بمنتهى الذل والاهانة وكان يوم مرورهم بدمشق مشهوداً خرج به الناس زرافات ووحدانا ليروا ما حل بهؤلاء المنكوبين الاماجد وكان المزدحمون بين شامت وحاسد ومتأثر ومترحم ومتحسر . وصادف مرور مؤلف هذا الكتاب عند جسر المرجة امام لوكندة العابد حين كان موكب الاسرى مسوقاً وهو يتألف من نحو اربعمائة اسير مشدودي الاكتاف بالحبال يتقدمهم جثة درزي ميت على ظهر حمار وقد ترك عرياناً والجنود يصفعونه بالنعال ووراءه نحو من عشرين جملاً يحمل كل منها رجلين مخدشين مهشمين والناس بامر الحكومة يبصقون عليهم ويلعنونهم . كان يتقدم الجميع موسيقى تصدح لتنبه الناس لمشاركة الجنود بالازدحام حول الاسرى وشتمهم واهانتهم

فتنة سنة ١٩١١

طارت الشرارة الاولى من فتنة الدروز هذه المشهورة باسمهم سنة ١٩١١ وذلك ان سليمان الجرمقاني من قرية صلخد خرج يحمل صوفاً على جمال له يوم خربة الغزالة ولما توسط الطريق بين الصورة

الحورانية والحراك وكان ذلك ليلا هاجمه بعض الفرسان فتبادلوا اطلاق الرصاص فقتلت احدى افراس المهاجمين وقتل سليمان المذكور وجماله . ثم مر المهاجمون وتركوا الجمال والقتيلين ولما نمي الخبر الى قرية الحراك اخذ اهلها الجثث ونقلوا جثة الفرس . ولما علم الدروز بذلك ظنوا ان المعتدين من بصرى اسكي شام فهاجموا القرية وقطعوا خط البريد ما بين صلخد وبصرى وعندئذ ابتدأت العداوة وشن الغارات وكثرت التشكيات عن تعدي الدروز فاخذت الحكومة تستعد لضرب الجبل الى تاريخ ٢٢ آب من السنة عينها .

فلما رأى الدروز ان الدولة تناصبهم العداء كتبوا عرائض تشعر بخضوعهم واذعانهم لاوامر الحكومة اذا تركتهم وشأنهم ولم تؤذهم وتتحامل عليهم ولكن الحكومة اظهرت اذ ذاك انحيازا الى اعداء الدروز وهذا ما حمل متعب بك الاطرش ان يتظلم على السنة الجرائد ويسأل الحكومة الانصاف غير ان تلك كانت صرخة في واد لم يعيروها اذناً ولا سمعوها فالدولة مالت الى اعدائهم وعولت على الفتك بالدروز لتجتاح بلادهم وتسلب خيراتهم وقد جهزت حملة وجهتها للشام تحت قيادة سامي باشا الفاروقي فوصلتها في ٢٠ آب سنة ١٩١٠ ولما انتهت الحملة الى الجبل ابتدأت المناجزة بين الطرفين وكانت عساكر الدولة تربو على عشرة اضعاف الدروز ومعدات اولئك مستكملة تامة ورغماً عن ذلك كله فقد دحرهم الدروز في بادئ الامر وكادوا يحرزون النصر النهائي لو لم يعمد الاتراك الى الخيانة والغدر وذلك دأبهم في كل امر .

لما رأى سامي باشا الفاروقي ما يحول من المصاعب دون اكتساح الجبل بالسيف والاغارة على الاساد في عرينهم ارسل رشيد بك طليع الى زعيم الدروز يحيي باشا الاطرش يستقدمه اليه ويوءمنه على حياته وحياة ذريه واموالهم وعرضهم ان هو اذعن للاوامر السلطانية وترك ذووه السلاح الا ان يحيي باشا لم يركن الى هذه التطمينات وعرف ان وراء الاكمة ما وراءه فلم يذعن وعاد رشيد بك طليع بخفي حنين الا ان سامي باشا لم ييأس من نجاح الخديعة وارسل الى يحيي باشا يستقدمه اليه ثانية بواسطة قائممقام السويدا الا ان هذا لم يكن مصحوباً بالتأمينات الكافية فاشار على ذلك الزعيم الهمام ان لا ينخدع بتملقات القائد وتأميناته لانها غير كافية وقال له انه هو نفسه لم يأت ليحمله على ذلك بل جاء مرغماً ليقنعه بما ليس هو نفسه مقتنعاً به ثم عاد من حيث اتى ويحيى باشا مصر على رأيه والدروز يعملون السيف في رقاب الاجناد . ولما رأى سامي باشا انه لم يفلح عمد الى ان يلبس الخديعة ثوباً اخر . ولكي يزيل الشك ارسل من لا يشك بصدقه وهو صديق يحيى باشا سيادة المطران نيقولاوس قاضي رئيس اساقفة حوران على الروم الكاثوليك مستصحباً قائم مقام السويدا لزعمه ان الصداقة المتينة التي تربط المطران بآل الاطرش تحملهم على تصديق مواعيد سامي باشا التي يتكلف المطران بتبليغها . والحق يقال ان نية سيادة المطران كانت سليمة ولم يقصد بذلك سوى خدمة يحيى باشا وحقن دماء العباد ولو عرف بما يمزج من السم في الدسم لما اقدم على شيء وآل الاطرش انفسهم يوءيدون ذلك ويجاهرون به ونظراً لثقة

يحيى باشا بصدق المطران سار معه الى مقابلة سامي باشا واوعز الى الدروز بوجوب ايقاف رحى الحرب فصدعوا بامره ولما وقع هذا الاسد في الشرك ثارت الجنود التركية وحملت على الجبل حملة شعواء مغتنمين فرصة اسر الزعيم ليتكلوا بهؤلاء القوم الذين اغتروا بالتأمينات فتركوا سلاحهم وعادوا الى اعمالهم ففاجأتهم جنود الاتراك واعملوا بهم السيف وقتلوا منهم عدداً كبيراً وعظم هدر الدماء لاعتقاد الاتراك ان الثورة العربية كانت المحرك لهذه الفتن وجهلت ان اهمالها هو السبب الوحيد لزرع بذور الشقاق بين الاهلين . ولما احرز الاتراك النصر النهائي افرغوا الجهد بالسلب وقتل الابرياء حتى عاد كل من الضباط وخدامهم وجيوبهم مثقلة بالاموال والغنائم . فكيف يعقل ان امة يفعل بها ما فعل الاتراك بالدروز تصفوا لهم بعد ذلك سرايرهم ثم اكمل السير بهذا الموكب الى الاناضول ولم يعودوا منه الا بعد اعلان العفو العام سنة ١٩١١ ولقد هال الاتراك بفظائعهم قلوب الدروز واوقعوا الرعب في نفوسهم فان جمال باشا عندما ارسل يطلب الشيخ سليم الصالح في خربة الغزالة اخذت الرهبة من هذا مأخذاً عظيماً واعتراه الشلل ولم يلبث ان مات بعد يومين

ثم اعدمت الحكومة زعماء الدروز فهدأت الثورة ولكن لم تزل تحت الرماد وميض نار وكانوا يتحينون الفرص لاضرامها

سليم باشا الاطرش

هو سليل بيت المجد والشرف والنبل آل الاطرش الكرام الذين عرف القاصي والداني افضالهم واشتهرت في كل الاقطار افعالهم بل هو مقدام جبل الدروز وزعيمهم وكبيرهم وحوله تلتف جموعهم ولامره تنصاع جماهيرهم . هو سموأل هـذا الزمان وعلى منزله الفخيم يصح ان يعلق لقب الابلق الفرد الذي شاع ذكره يعز على من رامه ويطول . اما في ذلك العصر فقد كان امروء القيس واحداً واليوم ما اكثر امراء القيس الذين فروا من جور نعمان هذا العصر اعني بـه جمالاً ال. ـفاح فوجدوا في دار سليم باشا ملجأً حصيناً لايرام وحصناً منيعاً لا يتجرأ الاعداء على النظر اليه فهنـاك كنت ترى مختلفي الحاجات وفوداً تتزاحم وجماهير تلتئم ما بين شاعر مظلوم وكاتب منقوم عليه وحر ضاقت به منطقة الجيش الرابع وكبير جار الزمان عليه وصغير لم يجد في سوى السليم موئلاً وملاذا .

لم يبق في بيوتات المجد بسوريا رفيع الا ذلله الاتراك ونكلوا بار بابه وابعدوا اهله فباتوا ينشدون بلسان حالهم

ان كنت تعلم ياظلّام ان يدي قصيرة عنك فالايام تنقلب

واما آل الاطرش فلم تقدر يد الظلام ان تنالهم باذى بل كانوا يتقربون اليهم بالتزلف طلباً لرضاهم لانهم امنع من عقاب الجو ولا يغضون على القذى ولا ينامون على الاذى

ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرس بانياب ويوطأ بمنسم

ومن لم يذد عن حوضه بدمائه يهدم ومن لايتق الشتم يشتم

اقول ولا اغالي ولا اموه الحقيقة لان المورخ يتحرى الحقائق الراهنة ليس الا وان لم يفعل فقد ثقة العامة وعرض تاريخه للانتقاد . ان دور آل الاطرش عموماً ودار سليم باشا خصوصاً كانت ملاذا لكل عان وكانت الاضياف تعد بالمئات يومياً والخبز المقدم لهم يقدر بالجفوت ومن هولاء من كان يفر متطوعاً في جند العرب ومنهم من يبقى بتلك الدار ناعما مسرورا لايسأل عن دينه ولا عن مذهبه ولا عن شأنه وذلك هو الكرم الحقيقي . لان

من جاد من بعد السوال فانه وهو الكريم يعد في البخال

ولقد كان ايضاً وسيط العقدين من القطرين السوري والمصري وسبباً لنجاة كثيرين من المظلومين ولولاه اضاق الخناق وذهبت كثير من الانفس البريئة ضحية ظلم الترك ولقد احسن بموالاته الظاهرة للاتراك لكي يبقى المجال منفسحاً لمن يومونه ويستجيرون به من المظلومين ولكي يتمكن الدروز ان ياتوا بالقمح الى سكان سوريا ويبيعوهم اياه باثمان معتدلة ولولاه لافضى الامر الي مجاعة عامة اذا بت الشحم وانقت العظم ففضلهم بذلك لاينكر ومعروفهم لايجحد وقد شهد بذلك سيادة المطران نيقولاوس قاضي في الحفلة الادبية التي اقيمت بالمدرسة البطريركية للروم الكاثوليك بالشام في ٢٢ ك سنة ٩١ وقد كان يحيط بسليم باشا الاطرش اثناء الحرب شورى من خيرة الرجال موءلفة من سليل المجد والشرف ذي العقل الناقب والرأي السديد نسيب بك الاطرش الذي نال ثقة الدروز

صغيرهم وكبيرهم وكان معوانا لنسيبه سليم باشا بكل مشاريعه الهامة بل كان المحرك في مايؤول الى الخير العام وكان في ديوان سليم باشا ايضاً عقله افندي ابن سحوم من بلد خربه من عائلة قسطامي المتصلة نسباً بالغساسنه ملوك الشام وهذا الفاضل اظهر جدارة عظيمة وحنكة زائدة في السياسة وساعد السوريين المظلومين وكان يقربهم الى سليم باشا ويسعي بانقاذهم من مخالب المظالم . وقد اتخذ الدروز عموماً اثناء الحرب سياسة ادهشت العالم وبينت انهم ذوو عقول راجحة واراء صائبة وعادت على السوريين بالنفع الجزيل . ورغما عن ان الدروز عرب قلباً وميلاً انقسموا ظاهرا الى فئتين الاولى موءلفة من سليم باشا ونسيب بك وعبد الغفار بك ومتعب بك وسواهم والفئة الثانية موالية للعرب تتوءلف من سلطان باشا وحسين بك وفارس بك الاطرش وفوائد هذه السياسة جمة وقد عادت على العرب بالفوائد العظمى لان الاتراك لم يعودوا يقدرون ان يمنعوا احدا من السفر الى جبل الدروز وهناك يصبح حرا يذهب حيث يشاء ومع ان المواصلات بين الجبل والشريف كانت متواصلة وقد التجأ الى الجبل نحو من خمسين الفاً بين مقيم وراحل وكل البيوت كانت تستقبل الضيوف فنخص منهم بيت سليم باشا ونسيب بك وعبد الغفار بك وفارس بك ابن سعيد بن اسماعيل الاطرش ومتعب بك وسليمان بك وسلطان بك وحسين بك ومصطفى بك النجم الاطرش وقد تحكم في قلوبهم حب القرى وارتاحوا اليه وجددوا العصر الحاتمي وعصر معن بن اوس ولكن اين اولئك من هوءلاء لان

الضيافة في الحرب كانت اعظم قدرا منها ايام السلم وكفي شاهدا ان رطل الخبز بلغ الى خمسين غرشاً وقس عليه. ولسليم باشا يدبيضاء تذكر في نجاة اهالي بصرى اسكي شام سنة ١٩١٨ من غضب الاتراك الذين عزموا على حرق هذه القرية لان اهلها امتنعوا عن التجند وقتلوا اربعة انفار من الدرك فعزمت الحكومة على اباتهم بان ارسلت متصرف حوران هاجم بك ومحمود بك رئيس الحملة المؤلفة من ١٥ الف مقاتل والفي سواري فاخذ سليم باشا من والي سوريا تفويضاً ان لاياتي المتصرف والقائد امرا الا الاتفاق معه وان اهل بصرى استجاروا بالجبل فعول الترك على اللحاق بهم فاوقفهم سليم باشا قائلا ان الدروز يحفظون جارهم ويستميتون في سبيله فاذا عولتم على مطاردة الاشقياء في الجبل اثرهم الدروز ولزمكم لكبح جماحهم نحو مائة طابور تامة التجهيز ولربما ثارت حوران ايضا فتقعون في بلية شر من الاولى فابرقوا بذلك الى جمال باشا فحضر واقنعه سليم باشا بوجوب العفو عن قرية كاملة لان المجرمين ليسوا الا بضعة انفار وعده بتأثرهم مع قائمقام السويدا وتسليمهم الان هؤلاء قتلوا يمرحون في الجبل وبهذا الواسطة نجت القرية من الدمار

لقد كانت العلاقات بين سمو الامير فيصل والدروز امتن ما يمكن ان تكون وقد دارت بين الطرفين رسائل ودية اعرب الدروز فيها عن اخلاصهم للعرب الا انهم لايريدون ان يجعلوا بلادهم ساحة حرب وهذه صورة جواب بعث به سليم باشا الاطرش ونسيب بك وعبد الغفار بك الاطرش الى سمو الامير فيصل .

حضرة الامير فيصل المحترم

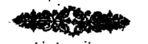
اخذنا كتابيكم عدد ٦٦٧ وعدد ٦٦٩ رقم ٦ ذي الحجة سنة ٣٦ المتضمنين اطلاعنا على نزولكم الازرق بالجيوش والمدافع والطيارات الخ . واننا سنرى باعيننا مايحل بدرعا من انكسار عساكر الاتراك والخذلان . ايها الامير المكرم . ان لكل امرىء حكمة وبصيرة ينظر فيها راحته ومستقبله فنحن اهالي وسكان جبل دروز حوران من دور سيدنا عمر (رضه) ونحن من المجاهدين امام خلفاء الاسلام ولنا في تاريخ صدر الاسلام خدمات مقدسة يسطرها لنا التاريخ منها : مساعدتنا الفعلية في حرب ساكن الجنان السلطان سليم عثمان وحرب ابراهيم باشا المصري وخدمات جلى خلافها . وبقوة الله سبحانه وتعالى والاتكال عليه خلصنا سوريا من يد الاعداء السالفين ورجاؤنا وطيد بالله عز وجل بان مالسكان جبل دروز حوران من الاحسان واغاثة المساكين والايتام والمهاجرين بهذه الحروب الهائلة التي لم يسطر في التاريخ نظيرها . ولم يبق في سوريا لابل في البلاد العربية باسرها من ملجأ سوى جبل الدروز وهذه نعمة من الله سبحانه وتعالى نقابلها بالحمد والشكر . وان الله على الباغين . -

ايها الامير كما ان اجدادنا واسلافنا حفظوا البلاد مع ما وصلت اليه من المشقات والصعوبات وان شاء الله نبقى مع بقية زعماء الجبل وسكانه الذين تربطهم وحدة الجنسية والايمان والشهامة الدرزية المعروفة على كلمة واحدة قولاً وفعلاً في المحافظة على البلاد من كل معتد يريدبنا ضرراً . وبناء عليه انه لاتؤثر بنا التخويفات والتهديدات

اما قولكم ان دولة الاتراك عدوتكم فعلى ذلك نجيب . ان الانسان نشأ بهذه الدنيا على محبة الذات وطلب المعالي وتنازع البقاء واما مقاومتكم الدولة مع حلفائكم فلا شأن لنا بالبحث فيه والنصر بيد الله ما شاء كان ومالم يشألا يكون كما قال في الاية الشريفة (لو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) اما نحن سكان جبل دروز حوران فشأننا المحافظة والذود عن البلاد والله امر بحفظ النفس . نقسم عليكم يميناً بالله العظيم وجدكم رسول الله ان لاتحرجونا فتخرجونا للدفاع عن بلادنا فتجنبوا بلادنا وارض الله واسعة وان كان قد وفد عليكم قوم فاغروكم فهؤلاء اصحاب مطامع لايمونون على البلاد . عدلوا رأيكم للحياد على جبل الدروز فما منهم الا من يقدر ويلات الحرب وان اغضضنا الطرف بان جعلنا الجبل ساحة للحرب نعد انفسنا الخائنين للدروز والكافرين بنعم الله سبحانه وتعالى . والرجل الدرزي لايخاف الا ذنبه ولا يخشى الا ربه وما من دولة قامت الا بالعدالة والطريق القويم وانا جميعاً عليه من المتكلين والسلام عليكم .

سا ١٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٤ سليم الاطرش

نسيب الاطرش عبد الغفار الاطرش



الفصل الخامس

الثورة العربية

ان جمعية الاتحاد التي كانت تابى ان ترى في السلطنة العثمانية جزباً غيرها حاولت كثيراً ان تقضي على كل النوادي والجمعيات ولكن لم يتيسر لها ذلك الا بعد اعلان الحرب . ولقد كانت هذه الجمعية اشبه بحكومة سرية غير مسؤلة ضمن الحكومة الرسمية تفعل كل ماتراه يعود بالنفع عليها غير ناظرة الى ما تورط المملكة فيه من الدمار .

ولكي تبلغ الى غاياتها قبضت على زمام الوظائف وجعلت معظمها واعظمها في ايدي المنتمين اليها ثم اخذت تفصل كل موظف لاترى منه الانقياد لزعمائها وبهذه الوسيلة تمكنت من احراز الشهرة والقوة اللتين تمتعت بهما من سنة ١٩٠٨ الى ١٩١٨

تالفت هذه الجمعية في بادي، امرها من المسلمين وكان موسى كاظم شيخ الاسلام من المنتمين اليها ولكنها كانت تعمل سراً على تقويض اركان الدين الاسلامي كما سنبين ذلك في فصل بغض الاتراك للاسلام . ثم انضم الى هذه الفئة بعض اليهود المتأسلمين وفئة قليلة من الارمن والاروام وانضم اليهم اخيرا الاسبانيون المقيمون في سلانيك وبواسطة اتصال الجمعية بالعبرانيين قويت شوكتها وعظم شأنها لانه لايخفى عن احد ان هؤلاء هم ارباب المال .

واما الاسباب التي دعت لبسط نفوذ الاتحاديين في سائر انحاء

المملكة العثمانية فامها تقليد رئاسة المناصب العظمى والصغرى للمنضوين اليها واحتكار الوظائف في ذويها . ثم جمع رأس مال عظيم ينيف عن اربعين مليونا اودع في البلاد الاجنبية . وبهذه الوسائل وبالاغراء المالي الذي كان يتسرب الى جيوب اصحاب النفوذ وارباب الجرائد الكبرى توصل الاتحاديون الى تاليف الاكثرية الطاحنة في المبعوثان من المنتمين اليهم .

اما المسألة العربية فهي فرع من المسألة الشرقية وهي عبارة عن نزاع شديد بين الاتحاديين الاتراك اصحاب السلطة الذين ارادوا ان يستأثروا بها مع ما هم عليه من الفقر والجهل وقلة العدد من جهة . وبين العرب الذين يطالبون باسم الحق والقانون بالمساواة من جهة اخرى .

وقد تداخلت اوربا بهذا الامر واهتمت به سدا لاطماعها وتحقيقاً لامانيها ولا يسعنا الا القول بان المسألة العربية كانت بعض اسباب هذه الحرب لان مطامع المانيا في بلاد العرب وصلت الى درجة لم تستطع منها فرنسا وانكلترا السكوت والاغضاء اما الاتراك فقد رأوا ان لابد لهم من خوض غمار هذه الحرب مستغنمين فرصة انشغال اوربا ليقضي الطورانيون على العناصر غير التركية ويبددوها وقد رأوا ان المانيا تساعدهم على البلوغ الى هذه الامنية فوضعوا يدهم بيدها وخاضوا معاً غمار الحرب املاً في تحقيق هذه الفكرة ان خرجوا من الحرب ناجحين . لقد باشروا بتنفيذ مآربهم السيئة ونواياهم الخبيثة منذ اعلان الحرب . ولو لم تشغلهم الثورة العربية في الحجاز لقضوا على العنصر العربي او شتتوا العرب تحت كل سماء

ولقد كان العرب منذ القديم يشعرون بما يضمر الترك من سوء النوايا للايقاع بهم الا انهم كانوا يخلدون الى السكينة حرصاً على المملكة ان تمزق اجزاؤها وخوفاً من تداخل اوربا واستيلائها على بلادهم ولانهم كانوا لايزالون يعللون النفس ببلوغ مرادهم بعد اعلان الدستور .

ولسائل ان يقول : ماهي بواعث سوء ظن الاتراك بالعرب وبغضهم اياهم اكثر من سائر عناصر الدولة العثمانية مع مابينهما من وحدة الدين. ان الاتراك الذين جاؤوا مصر ايام مراد بك الداغستاني سنة ١٣١٤ هـ تحيلوا لارهاب عبد الحميد وحمله على اعادة القانون الاساسي ان يخيفوه من خلافة عربية ان هو لم ينقد الى ما يطلبون فلم ينجحوا ولم يكن من نتيجة لهذه الاشاعات سوى بث الاوهام والقاء الوساوس في عقل عبد الحميد والامة التركية وبعد ذلك نهض الاتحاديون بمساعدة ضباط العرب واحرارهم وبعض المخلصين من العناصر الاخرى الى خلع عبدالحميد واعلان الدستور ١٠ تموز فقابله العرب بحماس شديد وانضموا الى الاتراك اي انضمام ليسيروا واياهم جنباً الى جنب في طريق الحرية والاخاء والمساواة . ولكن هذا الاتحاد كان اشبه بغمامة صيف لان سائر العناصر مالبثت ان عرفت نوايا الاتحاديين الانانية فانفصلت عنهم وقنطت من الاصلاح وما زال الاتراك قابضين على زمام الاحكام . ولقد كان في نية الاتحاديين تتريك البلاد العثمانية فاخذوا يعقدون القروض في اوربا وينفقونها في تحسين الجيش التركي ليضربوا به العناصر غير التركية لاسيما وقد

انتقدت الدول الاوروبية سياسة الاتحاديين هذه وبعض عقلاء الترك انفسهم قد انحوا باللائمة على الغلاة بينهم. فقال الفيلسوف الدكتور توفيق رضا : ان الدستور لا يكون الا كلمة لا معنى لها اذا لم نحترم الحرية السياسية والحقوق الاساسية وحرية القول والكتابة والخطابة واذا لم نعامل العناصر كلها معاملة واحدة بمقتضى احكام الدستور .

وقد حمل الدكتور المومــا اليه على امته لمــا رآه من استبداد الاتحاديين الظاهر وذلك ان العناصر غير التركية كالارمن والروم والالبان والشركس والكرد بعــد اعلان الدستور هبت لتأليف الجمعيات والنوادي وقد فعل العرب مثلهم بان الفوا جمعية الاخاء العربي العثماني. فلم يناهض الاتحاديون الا الاخاء العربي الى ان اجبروا اعضاءه اخيرا على اقفال ناديهم .

وقد بلغ الاستبداد بالاتحاديين ان استدعوا ضباط العرب من اوطانهم الى الاستانة ومنعوهم من الالتحاق بالبعثة العلمية الى المانيا وتمييزاً لهم عن الترك كانوا يكتبون ازاء اسم العربي ع .

ولم يؤذن لعربي بدخول اللجنة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي. ويوم دعت عمدة هذه الجمعية زعماء العناصر العثمانية للمفاوضة بشؤون المملكة لم تكترث بزعماء العرب . وهذا وغيره كثير من امثاله حمل العرب على رفع التشكيات التي تختصر فيما ياتي :

اولا اقصاء عدد كبير منهم عن الوظائف التي كانوا يشغلونها في الاستانة ولاسيما في وزارتي الداخلية والخارجية بحكم قانون التنسيق وقد ظهر انه لم يقصد من هذا التشكيل الا ابعاد العرب عن الوظائف

ثانياً عدم دعوة العرب الى اي اجتماع غايته التأليف بين العناصر العثمانيه .

ثالثاً عدم ادخال عربي من الجمعية الاتحادية في اللجنة المركزية في سلانيك .

رابعاً رفض قبول اي عضو عربي من الجمعية المومى اليها في المذاكرات السياسية ذات الشأن .

خامساً عدم قبول عضو عربي في لجان الاتحاديين المركزية وجعلها تركية بحته .

سادساً استبدال وزير الاوقاف العربي بتركي .

سابعاً استبدال الولاة والمتصرفين العرب بامثالهم من الاتراك

ثامناً مناهضة الترك لكل المشاريع العربية العمومية ولو غير سياسيه .

تاسعاً مقاومة الترك للغة العربية مقاومة غريبة وقد نشر سفيرهم في واشنطن سنه ١٩٠٩ بياناً حظر فيه من مخاطبة السفارة بغير اللغة التركية مع انه ليس من الجالية السورية كلها وهي نحو خمسمائة الف واحد يلم بالتركية بعض المام .

اما القضاة والحكام في البلاد العربية فكثيرا ما كانت ترفع لهم الدعاوي بواسطة ترجمان يجهل الحقيقة على مايريدو بالكيفية التي يطلبها هو نفسه ولقد اشفق بعض ضباط العرب وزعماؤهم ان يتسع الخرق بين الامتين فارادوا أن يحسموا الخلاف بينهما ودعوا في اواخر سنة ١٩٠٩ عقلاء الاتحاديين لعقد اجتماع في الإستانة لهذا الشأن الا

ان دخول بعض متعصبي الترك كاحمد آغا يف بك ويوسف اقشوره بك وقذفهم العرب بالشتائم حال دون تلك الامنية

ومما يؤيد خبث الاتراك وسوء نواياهم انهم لما ارادوا الفتك بالعرب ارسلوا على رؤوس الحملات قواداً من العرب انفسهم يقنعونهم انهم لا يريدون الايقاع بهم ولكنهم كانوا يجيئون القائد العربي بعدد غفير من ضباط الاتراك فيغلون يده وينفذون خططهم باسمه ثم يتنصلون مما فعلوا ويقتلون العرب باسم العرب. فيا للدهاء!!

من ذلك تعيين سامي باشا الفاروقي قائداً للحملة الحورانية. وعزة باشا للحملة اليمنية وعزيز علي بك من اركان تلك الحملة وجميعهم من كبار العرب النافذي الكلمة فيهم لا سيما عزيز علي بك فانه قد تمكن بمهارته وحسن سياسته من حقن الدماء وابرام اتفاق مع سيادة الامام يحيى جنى ثماره الفريقان . .

ولما رأى العثمانيون سوء نية الاتحاديين خذلوهم وانفصلوا عنهم وحملت الغيرة بعض عقلاء الترك ككامل باشا والبرنس صباح الدين وصالح باشا ورضا نور ولطفي فكري وغيرهم وقد انضم اليهم معظم مبعوثي العرب والارمن والاروام والالبانيين وفريق كبير من القواد والضباط وكان هؤلاء يرمون الى منح الولايات استقلالاً اداريا ولقد قاموا بمظاهرة اسقطوا بها وزارة الاتحاديين والفوا وزارة ائتلافية برئاسة كامل باشا . ولكن لم يكن اكدر من جو السياسة في ذلك الحين من جراء الحرب الطرابلسية ومسألة مكدونية وتحفز البلقانيين للحرب . فقام الاتحاديون بمظاهرة يطلبون اعلان الحرب

فاضطر الائتلافيون الى اجابتهم رغبة في تلافي الحرب الداخلية مع معرفتهم بسوء حالة الجيش واحتياج الامة الى الاصلاح والسلم ولما خذلت الدولة في الحربين الطرابلسية والبلقانية ورأى العرب ضعفها الزائد ووضعت المسألة الشرقية على بساط البحث اشفق العرب على بلادهم ان تذهب فريسة الاطماع الاجنبية وليس لها محام او مدافع فالفوا حزب اللامركزية ومركزه القاهرة ورئيسه الوطني الهمام رفيق بك العظم . والمنتدى الادبي وقوامه خيرة شبان العرب وجمعية البصرة الاصلاحية ورئيسها الزعيم الكبير السيد طالب بك النقيب والاخاء العربي والجمعية القحطانية وجمعية العهد والثورة العربية والنهضة السورية والنهضة اللبنانية وهذه الاخيرة لم تكن تهتم الا بما هو لبناني . وما حمل اللبنانيين على تاليفها هو ان بعض المتصرفين بعد الدستور اخذوا يعبثون باستقلال لبنان وحقوق الشعب فابتدأت من حادثة الكورة في ١٢ ك٢ سنة ١٩٠٩ ثم حادثة بيت الدين المشهورة حيث هاج الشعب اللبناني في شهر رمضان سنة ١٣٢٦ ت١ سنه ١٣٢٤ وساروا الى منزل المتصرف طالبين منه اعدام القتلة الذين تلطخت ايديهم بدماء الابرياء لكن المتصرف لم ينظر الفاجعة من الوجه السياسي بل احال القضية الى المدعي العمومي ليدقق ويعرف الايدي التي دفعت القاتلين لارتكاب ما ارتكبوه ولم تسفر التحقيقات عن نتيجة مرضية تبين الحقيقة واذ ذاك طلبت جريدة النصير اللبنانية بلسان اهل لبنان ان تنشر نتيجة الابحاث التي اجرتها الحكومة لينكشف الستار عن الخونة فجرى الامر بالعكس لانه بينما كان

الشعب اللبناني يطالب حكومته بمعاقبة المجرمين في تلك الحادثة فر المسجونون وهولت الجرائد في القضية الى ان قالت رأينا ابواب السجن تفتح والمسجونين يفرون على مرأى من الحكومة وجلهم من القتلة الذين اقلقوا الامن وعكروا الراحة العمومية وانتشروا في انحاء لبنان . . كل هذا حرك احزاب اللبنانيين فاستفاقوا من غفلتهم واخذوا يجاهرون باصواتهم طالبين محو الظلم والاستبداد ولكنهم لسوء الحظ لم يحتفظوا بالالفة والاتحاد فسهل على الحكام ان يستبدوا فارضت الحكومة اذ ذاك الشعب بتولية الامير شكيب ارسلان على الشوف وتولية عمون بك رئاسة مجلس الادارة فعقدت اذ ذاك جلسة لمجلس الادارة اللبناني وابيح للقوم حضورها ودار البحث فيها على انتخاب اعضاء هذا المجلس وكان منذ قبل ينتخبهم شيوخ الصلح فطلب عمون بك ان لا يستأثر شيخ الصلح بالرأي ويصوت لمن شاء وانه لا يجوز له ان يصوت لاحد قبل ان يوافق على تعيينه اهل قريته وان كل مائة متكلف يحق لهم ان ينتخبوا واحدا يصوت عنهم وقد ايد عمون دعواه بان الشيوخ لكونهم من مأموري الحكومة يسهل تأثيرها عليهم فضلا عن انهم ليسوا في الغالب من وجهاء القوم الذين الموابشون الادارة وواجبات البلاد فكان اعضاء مجلس الادارة يناقضون هذا المبدأ بكل قوتهم ويتمسكون بحرفية القانون ويدافعون دفاع اليأس لانهم شعروا ان الامة تنادي باسقاطهم فراموا ان يسقطوها معهم ولم ير المجلس اياما احط واشأم من تلك اذ تحكمت في الاعضاء الاغراض وهذا ما انهض بعض اللبنانيين نظير اسكندر بك عمون

ورشيد بك المطران وسواهما للنهضة اللبنانية التي لمح عنها كتاب الايضاحات التركي ولم تكن غايتها الا مقاومة الظلام في لبنان فاخذت الجرائد البيروتية هذا الخبر وجسمته حتى حسب القوم حين ذاك ان سورية قائمة قاعدة .

﴿ الاخاء العربي ﴾

ان جمعية الاخاء العربي لم تؤسس بالحقيقة الا لتأييد حقوق العرب . قد اوجس الاتراك خيفة عند تأسيس الجمعيات لانهم خافوا ان ينتهي نفوذها الى غصب الملك منهم وهم اشد الناس احتفاظاً به لاعتقادهم ان البلاد لهم لانهم فتحوها بسيوفهم ودماءهم فهم يفدون سلامتها بالدماء واما بقية العناصر فكلها كانت راغبة في الاتحاد بينها تائقة الى الانضمام والتكاتف يدفعها الى ذلك الخوف من التشتت اذا تم الاتراك ما ربهم . ولذلك تشكلت بين تلك العناصر الجمعيات العديدة فاساء الاتراك الظن بها وبكل عمل من هذا القبيل .

ولشد ما كان تخوفهم من العنصر العربي لانه اوفر العناصر عدداً واطيبها بقاعاً . وعندما تألفت هذه الجمعية انتقدتها الجرائد التركية وهذا ما زاد الوهم تجسماً في العقول .

الا ان قانون تلك الجمعية لم يكن يرمي الى غاية سوى النهوض بهذا العنصر التعس الذي اناخ عليه الزمان .

وهذه صورة البلاغ :

١ المحافظة على القانون الاساسي ووقايته من كل خلل يتطرق اليه وقد تحالف جميع اعضاء الجمعية على ان يفدوا الاموال والارواح دون ذلك

٢ تفهيم ابناء العرب خاصة وسائر العثمانيين عامة ان الممالك العثمانية كما هو مسطور في القانون الاساسي هي جميعاً جسم الوطنية العثمانية والدفاع عنها واجب واذا اقتضى الامر بذل النفس والنفيس دونها ونبذ كل من يقوم بالتفرقة بين العناصر المختلفة العثمانية

٣ من الواجب على كل عثماني انه كما يعتقد ان كل قطعة من الممالك العثمانية هي وطن له ان يعتقد ايضاً ان كل فرد من العثمانيين على اختلاف اجناسهم ومذاهبهم ولغاتهم اخ له . لذلك رأت الجمعية من فرائضها تذكير ابناء العرب انهم اخوة لسائر الاقوام العثمانية وحثهم على الاتحاد والاتفاق معهم .

٤ بما ان العرش السلطاني العثماني هو اقوى جامعة واوثق رابطة بين العناصر والممالك العثمانية المختلفة فالجمعية تعتبر فرضاً واجباً تمسك ابناء العرب باذيال هذه الجامعة

لا يخفى ان ما تقدم لا يمنع كل عنصر من العناصر العثمانية ان يقوم بالنظر في شؤونه الخاصة لاسيما العنصر العربي ذو اللغة الكريمة القرآنية والتاريخ المجيد الباهر فالجمعية تسعى في اعلاء شأن العربية والعرب ضمن الجامعة العامة العثمانية وانالة ابناء العرب على اختلاف مذاهبهم وامنيتهم المساواة الدستورية من حق احراز الوظائف والمناصب وغير ذلك من الحقوق المشروعه .

٦ بما ان جانباً من الولايات العربية العثمانية لم يزل حتى الان خارجاً عن نفوذ الحكومة السنية فعلى الجمعية ان تهتم بامر هذا القسم وتسعى في ارشاده وادخاله في دائرة الجامعة العثمانيه .

٧ السعي بنشر انوار المعارف وذلك بتأسيس المدارس وطبع كتب وجرائد .

٨ حث ابناء العرب على السعي بالاتفاق مع العثمانيين في تشكيل شركات تقوم بترقي التجارة والصناعة والزراعة في جميع انحاء المملكة العثمانيه .

٩ معاونة ابناء العرب على قدر الوسع في امورهم وشؤونهم واغاثة فقراهم ومرضاهم وايتامهم واراملهم .

وقد قررت الجمعية اصدار ثلاث جرائد عربية وتركية وافرنسية لشد الروابط بين الولايات العربية ودار الخلافة وخدمة الجامعة العمومية ونشر افكار الجمعية واعطاء حوادث الاستانة من المصادر الموثوق بها ودرج حقائق الاحوال بلا محاباة واعلاء صوت كل مظلوم كي لا لايحرم من نعمة العدل والانصاف .

هذه اراء الجمعية وافكارها غير ان الاتراك قد حملوا ذلك محملاً سيئاً ورموا العرب بمثالب هم ابرياء منها وانزلوا بهم نكبات لا تحصى ولا تعد .

المنتدى الادبي في الاستانة

ثم قام عبد الكريم افندي الخليل سنة ٣٢٥ بتأسيس المنتدى الادبي في الاستانة بموازرة سيف الدين افندي الخطيب ورفيق افندي رزق سلوم ومساعدة عبد الحميد افندي الزهراوي وسليم بك الجزائري وامين افندي لطفي لجمع شتات اولاد العرب في الاستانة كي يصونوهم عن الجلوس في المحلات العمومية وتمضية اوقاتهم

بالبطالة لكي يعودوهم على القاء الخطب النافعة ويتداولوا فيما بينهم بما يعود على مستقبلهم بالنجاح خلافاً للشبيبة التركية التي كانت تقضي اوقاتها في الملاهي غير حاسبة للمستقبل حسابا فاوجس اذ ذاك جماعة الاتراك ان يكون هذا الاجتماع لفكرسيا ي او مقصدسي يراد به جمع الكلمة على المطالبة بالخلافة العربيه . وقد كان عبد الحميد في عصر يخشى من اجتماع اثنين من العرب . اما هذا المنتدى فقد كان عثمانياً بحتاً وقد زاره مرارا طلعت باشا وفتحي بك وجمال باشا وانور باشا ومدحت شكري بك واشتركوا مع اعضائه بامور كثيرة ولم يقفل هذا النادي الا بعد اعلان النفير العام فتشتت اعضاؤه وهو اطول الجمعيات العربية عمراً .

الجمعية القحطانيه

اما الجمعية القحطانية فقد تاسست في الاستانة في السنة التالية للدستور وغايتها تحريض العرب على الترقي واصلاح حالهم لا كما وهم الاتراك بالايضاحات عدد ١٦ ومؤسسو هذه الجمعية هم خليل بك حمادي وعبد الحميد افندي الزهراوي وعزيز علي القاهري بكباشي اركان حرب وسليم افندي الجزائري بكباشي اركان حرب ثم انضم اليهم حقي بك العظم وحسن بك حماده وعزت بك الجندي وقد سميت هذه الجمعية ايضاً جمعية العهد وهذا العنوان اعطي لتمكين المقاصد بين افراد الجيش محافظة على حياتهم وحياة مواطنيهم بلا تفريق وقد سمى الاتراك هذ القسم الجمعية الشوروية بقولهم في صفحة ٢١ من الايضاحات ان جمعية العهد ليست جمعية العهد بل جمعية الثورة

العربية لان هـذا الاسم من وضع عزيز علي بك وحقي بك العظم وفوءاد افندي الخطيب والقابضين الفارين ليلوذا بمعتمد مصر . وقد استند الاتراك بتأييد الفكرة على مكتوب بعثه علي بك من القاهرة في ١١ جمادي الاخرى سنة ٣٣٠ وفيه من التشويق والترغيب الخ . وقد عثروا ايضاً على بلاغ العرب بني قحطان هذه صورته :

بلاغ الى بني قحطان .

فاشهدوا يوم التنادي اننا نملأ الكون لهيباً وضراما

يابني قحطان ! ياسلالة عدنان !! انتم نيام ؟ والى متى تنامون ؟ كيف تستغرقون في سباتكم هذا وقد اصمت اصوات الامم من حولكم الاذان ؟

اما تسمعون الضجة القائمة حولكم ؟ اما تعلمون انكم في زمن من نام فيه مات ومن مات فات ؟ متى تفتحون عيونكم وترون لمعان الاسنة المصوبة عليكم ؟ وبروق السيوف المسلولة فوق رءوسكم متى تدركون الحقيقه ؟؟

متى تعلمون ان بلادكم بيعت الى الاجنبي ؟ انظروا الى مرافئكم كيف ذهبت منكم افليست الى فرنسا وانكلترا والمانيا ؟ اليس لكم حق فيها ؟ اليس لكم حق في بلادكم حيث اصبحتم عبيداً اذلاء للظالم الغاشم حيث تسعون وتكدون ليغتصب الغريب منكم ثمرة اتعابكم فيتركم تتضورون جوعاً . الى متى لاتفقهون انكم صرتم العوبة بيد من لادين له الا قتل العرب وسلب اموالهم . البلاد بلادكم ويقولون ان الحكم فيها للامة ولكن المنتمين اليكم باسم الدستور لايعدونكم

من الامة وهم يسومونكم انواع العذاب والظلم والاضطهاد فكيف يعطونكم من حقوق الحكم شيئاً؟ انتم في نظرهم كقطيع من الماشية يجزون صوفها ويشربون لبنها ويأكلون لحمها وبلادكم في نظارهم كمزرعة مستعمرة ورثوها من ابائهم . سكانها عبيد اذلاء لهم . اين نخوتكم العربية؟ اين شهامتكم القحطانية ؟ اين عزة نفسكم العدنانية ؟ نال الارمن استقلالهم الاداري على قلتهم بالنسبة لكثرة عددكم رغم انف الدولة التركية وسيستقلون بادارة شؤونهم عما قريب فيصبح شعبهم شعباً حراً يخدم نفسه بنفسه حراً عاملاً في الهيئة الاجتماعية والانسانية بخلافكم انتم لانكم تظلون مستعبدين ابدا لسلالة جنكيز وهولاكو الذي قضى على وجود حكومتكم العربية الراقية في بغداد دار السلام واعقاب تيمورلنك الذي بنى برجا من رأس ثمانين الف عربي في حلب فالى متى انتم راضون عن هذا الذل الذي ليس بعده ذل . تستباح اعراضكم وتهتك نساؤكم وتيتم اطفالكم وتخرب دوركم للدفاع عن العاصمة البيزنطية وتؤخذ اموالكم فتنفق على قصور الاستانة وما فيها من انواع الخمور والات الطرب وضروب الترف والبذخ ويساق شبانكم الى حيث يقاتلون اخوانكم العرب تارة في اليمن وطورا في الكرك ومرة في حوران ويؤيدون بذلك مظالم الترك وانتم ساكتون صامتون مقيمون على هذا الضيم .

ولا يقيم على ضيم يسام به الا الاذلان عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برقبته وذا يشج فلا يرثي له احد

لم تسمحون بدمائكم اذا امركم الترك بسفكها في قتال اخوانكم

ولا تسمحون بها في سبيل المحافظـة على حقوكم وشرف عنصركم كما فعل ويفعل الارمن انسيتم انه :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى　　حتى يراق على جوانبه الدم

اما رأيتم مصداق ذلك في الارمن الـذين يحترمهم الترك ولا يحترمونكم ويعطونهم من الحقوق مالا يعطونكم . اجمدت دماؤكم العربية في عروقكم ام استحالت الى ماء قذر . صرتم والله مضغة في الافواه واضحوكة للانام وهزءًا وسخريـة للشعوب وكانت تضرب بكم الامثـال بالذلة والمسكنة والرضى بالخسران العظيم . انظروا كيف يحاسن الترك الارمن ويجاملونهم . ثم كيف يجافونكم ايها العرب . انظروا كيف تطأطىء الحكومة التركية الرأس امام الارمن وتتوسل اليهم وهي صاغرة ان يقبلوا اكثر من حقوقهم في الاشتراك بالنيابة عن البلاد اما انتم فيا لهفنا عليكم . فانها تسوق عليكم الجيوش التي خذلت في الحرب الروسيه والبلقان لقتلكم وقتل حريكم ومحو جنسيتكم العربية الشريفة والقضاء على مابقي بكم من الرمق كأنها لم يبق لها قوة الا عليكم اما القوة التي سيقت الى العراق فان مهمتها قتل اخوتكم العرب الابرياء وهدم بيوتهم العامرة وهتك اعراضهم الطاهرة وسلب اموالهم العزيزة . بالاجمال اعادة ماصنعوه في حوران والكرك واليمن (١) لم كل ذلك؟؟ اليس لانكم استكنتم الى الخمول ورضيتم ان يدوس الترك رقابكم . فالى متى تسكتون عن هذه المظالم وانتم تعاونون استئصال شعبكم وكيف يسلط هؤلاء المفسدون

(١) وهذا مايؤيد ماشرنا اليه من الحوادث في تلك الجهات

الإمام علي الادريسي ليخربوا اليمن ويبيدوا من فيها من العرب وكيف يسلطون ابن الرشيد على ابن السعود ليهلكوا عرب نجد وكيف يلقون العداوة بين شريف مكة وجيرانه من اهل عسير واهل نجد وينصرون بعض العرب على بعض بسلاح الدولة واموالها وعسكرها الذي انهزم في كل حرب ولم يبق له قوة الا على العرب .

اسدٌ علي وفي الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر

الى ماشا كل ذلك من الحقائق الراهنة التي لا يجهلها احد الى ان ختم هذا البلاغ بقوله :

ايها العرب عموما اعلموا انه تاسست جمعية فدائية تقتل كل من يقاتل العرب ويقاوم الاصلاح العربي . وما هو الاصلاح على مبدأ اللامركزية الذي يطلبه البعض من التابعية لغلمان الاستانة . بل على مبدأ الاستقلال التام وتاليف دولة عربية لامركزية تعيد سالف مجدنا الغابر وتحكم البلاد بالحكم الذاتي في كل مقاطعة بما يليق بها . وتبدأ عملها بازالة وجود بعض الثعالب المتزلفين الى الترك الذين كانوا ولا يزالون سببا لدوس حقوق العرب تحت اقدام اولئك الغلمان السفاكين وسيرى العالم ذلك عندما يشرعون في تنفيذ ما اعدوه لنا من المهالك .

وكان لهذا البلاغ تاثير عظيم في الاستانة قام له الجميع وقعدوا فاستدرك الامر قسطنطين افندي يني من اعضاء محكمة التمييز ونشر تحت عنوان اعتدال الفكر وحفظ اللسان مقالة هدأ فيها الخواطر ونحن ندرجها بحرفيتها :

علي كل وطني كبيرا كان او صغيرا ان يعلم معنى كلمات الماربة

والمساواة والاخاء المبنية على اساس الدستور والقانون الاساسي ويعلم كيف تطبق شروطها وتنفذ ومن الواجب على كل فرد لا سيما من كان مشتغلاً بالمطبوعات الحادثة للمنافع العمومية ان يوالي السعي لصيانة الحرية العمومية والشخصية من كل تعرض وتجاوز لتأمين جريان المعاملات بين جميع صنوف الاهالي ضمن دائرة المساواة التامة ولتوطيد الاخاء الجدي بين الطوائف والافراد المختلفي العناصر في الممالك العثمانية واستئصال مايؤدي لسير قوى الحكومه و المأمورين والسكان في طريق العدالة على انا نرى بعين التأسف والجزع ان بعض جرائد الاستانة والولايات على اختلاف لغاتها جرت منذ مدة فيما تنشره من المقالات على خطة تمنع من استحكام غرس الالفة والولاء بين العناصر بل جاءت بطرز يوجب انفصامها ويزيد التنافر السابق »

ثم بين انه يجب على رجال الامة على اختلاف عناصرهم ان ينبذوا جميعاً وراءهم مايؤيدها ودعا الجرائد ان تسير على خطة واحدة وتنبذ نشر مامن شأنه ان يلقي الشقاق بين عناصر الامة المختلفة وان اللسان الاجدر استعمالاً بين اخوان الحرية والوطن هو نفس اللسان الذي يستعمل للتأليف بين افراد العائلة ودعوتهم للصمت والمسالمة فانه اذا خولفت هذه القاعدة انقلبت النفرة الموقتة الى عداوة وخصام

وقال ان مايراه البعض من وجوب تكثير الاعضاء المسلمين في مجلس المبعوثين وتقليل غير المسلمين بقدر الامكان وذهاب الاخرين لخلاف ذلك وسعي كل منهم لترويج ما ارتآه وتخطئة زيد لعمرو وتروعهم لتحقير وتهديد بعضهم بعضا هي حالة شائنة لاولاد وطن مشترك كما

انها توقع الدولة والملك في خطر مبين

و ما دامت المنافسات والمناقشات بين المسلمين وغير المسلمين تزداد المخاصمات القومية والدينية بين الترك والعرب والارناؤوط والروم والارمن والكاثوليك والبروتستانت والبلغار والصرب فتأتي باوخم النتائج الى ان بين ان على الدولة ان تأخذ الاختصاصيين وتستفيد من استخدامهم من اي عنصر او قوم كانوا لانهم يكونون دائماً اوفر غيرة من ارباب الاختصاص الذين تجلبهم من البلاد الاجنبية بنفقات باهظة .

وعليه فان كل آمالهم وتمنياتهم هي بقاؤهم تحت شفقة الدولة العثمانية المعظمة ونيلهم نعمة العدالة والسعادة من اصول الدستور وعلى ارباب الصحف نشر هذه الحقائق وتجنب كل ما يوجب خروج احدها من حماية ورئاسة السلطنة السنية ويحمله ان يفزع الى ملجأ آخر ثم بين الكاتب انه يفخر بخدمته للدولة مدة اربعين سنة كان فيها مثال الاخلاص ويتمنى ان يكون الجميع مثله مبيناً ان اتحاد الآراء تتولد منه نتيجة نافعة كما ان اتحاد الاصوات في الموسيقى يجعل لذة في استماعها .

جمعية العهد

ان جمعية العهد مشتركة تمام الاشتراك مع الجمعية القحطانية في شعارها وعلامتها الفارقة ومؤسسها هو عزيز علي الذي رأى من الموافق ان تنتشر هذه الجمعية بين افراد الجيش وذلك بعد عودته الى الاستانة من حرب طرابلس الغرب .

اللامركزية

يظن ان هذه الجمعية التي قضي على كثيرين لاجل الانتساب اليها جمعية تنوي القضاء على الحكومة او مقاومة اعمالها ومضادة اجرائها ان كلمة لامركزية كانت ترتجف عندها فرائص الاتحاديين فيفرقون ويرعدون مع انها والحق يقال لم تكن تطلب سوى الاصلاح مع احترام السلطنة التركية والتعلق بالعرش العثماني والى القارىء بعض بنودها :

جاء في البند الثاني : ان القصد من تاليف هذا الحزب بيان حسنات الادارة اللامركزية في السلطنة العثمانية المؤلفة من عناصر ذات اجناس ولغات واديان وعادات مختلفة والمطالبة بكل الوسائل المشروعة بحكومة تؤسس على قواعد اللامركزية الادارية في جميع الولايات العثمانيه

ثالثاً ليس هذا الحزب خفياً وليس فيه ما يعد من الاسرار فهو ينشر مقصده المبني على المطالبة باللامركزية الواسعة جهرا وعلانية دون الخشية من احد لاعتقاده يقيناً بان الدولة لا تبقى في العالم السياسي الا اذا بنيت حكومتها على اساس اللامركزية الاداريه .

رابعاً ان الدخول بهذا الحزب مباح لكل عثماني بلغ العشرين من العمر . على شرط ان يكون من المتمتعين بجميع الحقوق المدنيه وغير محكوم عليه بحكم مخل بالشرف وغير معروف بسوء السيرة ويقبل القواعد المبينة في برنامج الحزب .

الى آخر ما ورد من البنود وعددها ثلاثة وثلاثون وليس في احدها

مايمس شرف الحكومة او يشعر بالانتقاض عليها او تهيئة اسباب الثورة . وذلك خلافا لما اذاعه جمال باشا في منشوره من انه قدحكم بخيانة الوطن بدرجة قصوى على المنتمين الى حزب اللامركزي بناء على تحقيقات المجالس العرفية . وهذا بعض ماورد في ذلك البيان :

ان الوثائق السياسية التي عثرنا عليها واعتراف عبدالغني العريسي صاحب المفيد الذي القي القبض عليه اخيرا بعد ان ذكرنا في البيان خبر فراره واعتراف سيف الدين الخطيب عضو محكمة بداية حيفا ورفيق رزق سلوم ضابط الاحتياط ورفقائهم الاخرين قد نور المسألة من جميع اطرافها

في ختام التحقيقات والمحاكمات التي اجراها الديوان العرفي في عاليه صدرت الاحكام المقتضاة بحق المظنون فيهم من الموقوفين والفارين كل على حسب اشتراكه في ترتيبات هذه الجمعية التي غايتها ومقصدها سلخ سوريا وفلسطين والعراق عن راية السلطنة العثمانية وجعلها امارة مستقلة وبناء على اوهام الاتحاديين وبراهينهم الفاسدة حكم بشنق مئات من الابرياء كما سيرد ذلك في محله

وقد ورد في آخر منشور جمال ان عدد الخائنين كلهم لايتجاوز المائتين فكيف يمكن ان يقوم هؤلاء بعمل يخشى منه على كيان المملكة حتى تذرع جمال الى التخلص منهم باعدامهم شنقاً ؟ وكان الاولى به اذا خشي منهم ان يكتفي بنفيهم .

وكيف يسوغ له ان يقاص اعضاء جمعية الفت في عهد الدستور وكانت بنودها معروفة واجراآتها مشهورة يدخلها كل عثماني ؟؟ ولماذا لم

يامر باقفال ناديها يوم نشرت آراءها واذاعت بنودها. وخلاصة مايقال ان كل ماجرى في هذا الصدد كان ظلما سيسطره التاريخ ملصقا من اجله وصمة عار على الاتراك ان تزول .

﴿ جمعية البصرة الاصلاحيه ﴾

ان هذه الجمعية ورئيسها السيد طالب بك النقيب كانت تضرب على الوتر الذي تضرب عليه اللامركزية . ولم تكن خطتها عرقلة مساعي الاتراك والدليل على ذلك ان رئيسها قد سعى سعياً حثيثاً الى التوفيق واصلاح ذات البين بين الامير ابن السعود والدولة العثمانيــة وذلك محافظة على مصلحة الطرفين .

﴿ الجمعية الشوريه ﴾

ان هذه الجمعية اتحدت مع اللامركزية على اثر تخلص عزيز علي المصري بسبب توسط اللامركزيين لدى معتمد الانجليز في مصر وغايتها كغاية الجمعية اللامركزيه

﴿ النهضة السوريه ﴾

قام بتأسيسها سنه ١٣٢٤ فريق من شبان دمشق المسلمين ولقبوها الجمعية السورية وتوخت بث العلم بين طبقات الامة وتحرير العقول من ربقة الجهل فهيأوا لها المعدات واسباب الفوز غير انها بقيت شبه سرية وظلت اعمالها في طي الخفاء حتى اعلن الــدستور فاسفرت عن غايتها واظهرت حقيقتها فعرف اعضاؤها واتخذت لها محلا بقرب خان الكمرك في الشام وقد افتتحت بحفلة شائقة انبرى فيها خطيباً الاستاذ محمد افندي كرد علي والشيخ طاهر افندي الجزائري واحمد افندي

كرد علي والسيد لطفي افندي الحفار وذكي افندي الخطيب والدكتور عبد الرحمن شاه بندر الذي اظهر في خطابه ضرورة اتحاد جميع العناصر التي تؤلف الامة وختم الحفلة متري افندي قندلفت بخطاب بليغ . انتشرت هذه الجمعية في انحاء المدينة ونشرت لذاتها بروغراماً اهم ما جاء به الاسراع بفتح غرف القراءة الى غير ذلك مما يؤول الى انارة عقول الشبيبة

﴿ النهضة اللبنانية ﴾

قد تأسست هذه الجمعية في جبل لبنان كما اشرنا بالكلام الى ذلك في انتشار الجمعيات

واما مؤسسوها فهم الشيخ فيليب الخازن ودعيبس افندي المر وخليل افندي زينيه ويوسف افندي الغلبوني وكانت لها شعبات في مصر وباريس واميركا وقد تولى رئاستها شكري غانم في باريس واسكندر بك عمون في مصر ونعوم افندي المكرزل في اميركا وكانت غاية هذه الجمعية الحاق بيروت بلبنان وتوسيع حدود الجبل الى البقاع .

وقد نشرت جريدة العدل التي تصدر في الاستانة في عددها ٦٤٢ ١٨ اغسطس سنة ٣٣٤ تحت عنوان الجمعية السورية نقلاً عن مجلة الكوسبنداتس مقالة تتعلق بوجه الاجمال بالجمعية اللبنانية والجمعية السورية التي تألفت في ابان الحرب العمومية في اميركا واوربا وهذا هو :

نشرت مجلة الكورسبنداتس دوريان المطبوعة بباريس بتاريخ ١٠ ايار المذكرات التي جرت في جمعية السوريين المركزية بباريس في جلستها

العمومية وفي اثنائها القى الدكتور سمنه خطاباً ملخصه ان جمعية سوريا المركزيه كان تاسيسها في ١٦ حزيران سنه ١٩١٧ ومع انه لم يمض زمن طويل على ذلك فالجمعية اظهرت همة غريبة وكانت الغاية من تاسيس هذه الجمعية تشكيل قوة عسكرية من السوريين للاتحاد مع العساكر الائتلافية في الحرب الحاضرة وفي سنه ١٩١٤ تطوع كثير من السوريين ودخلوا في جيش فرنسا المعد للاجانب ولم يكن القصد اظهار العداوة للدولة العثمانية لانها كانت على الحياد بل لخدمة للامة الفرنسوية اعترافاً بما لها من الفضل وبعد ثلاثة اشهر لما اشتركت تركيا في الحرب باتحادها مع الدول المركزية صار السوريون يفكرون في حالة مواطنيهم في سوريا فتوقفوا عن التجنيد خوفاً من تضييق الحكومة على اقاربهم واصحابهم الا ان الحكومة العثمانيه لم تلتفت الى ذلك فوقع في سوريا وبلاد الارمن السلب والنهب والقتل واضمروا الانتقام وفي اميركا هم السوريون بالتطوع في خدمة الاجانب ضد حكومتهم العثمانية وعموا هذا الفكر بين سائر السوريين فتأسست جمعية سورية مركزية غايتها المساعدة على انقاذ سوريا وفي بضعة اسابيع جمع المتطوعون وجرى تعليمهم بسرعة وفي اواخر سنه ١٩١٧ اشتركوا في الحرب مع عساكر الدول الائتلافية في القدس ثم توجهت الجمعية الى اميركا الجنوبيه وشكلت هيئة شعبة لها علاقة مع جماعة من السوريين وبهمتها تطوع كثير من السوريين في جنوبي اميركا للانضمام مع عساكر فرنسا وفي مملكة البرازيل جمعت اعانة بلغت ١٠٠٠٠٠ فرنك . وفي شهر ايلول توجه الدكتور

لكخ ومردم بك الى بلاد اوراغو ثم الارجنتين الا انهما صادفا عوائق بسبب المطبوعات التي تحزبت لالمانيا ثم قصدوا بلاد الشيلي وفي شباط عادوا الى فرنسا وقد اظهرت الجمعية خدمة مهمة لتأليف السوريين واتحادهم في ١٧ نوفمبر ١٩١٧

عقدت الجمعية جلسة عمومية قررت فيها السعي لتأمين استقلال سوريا تحت حماية فرنسا الخ . الى ان قال : كان تطوع السوريين نتيجة المظالم التي لحقت بهم والمذابح التي نكبوا بها ومع هذا فان على الاتحاديين السوريين انتقاداً فمنهم من يطلب الاستقلال التام وعدم الاتحاد مع الدول التي سعت في انتشالهم ومنهم من يريد الالتحاق بالدولة العربية الجديدة وتشكيل ادارة محلية حرة وان الجمعية السورية اصبحت آلة في يد فرنسا التي تريد جعل سوريا بمثابة مستعمرة لها وان جمعية الاتحاد اللبناني المتشكلة في مصر القاهرة تطلب استقلال لبنان تحت حماية الدول وقد ارسلت لائحة بهذا الشأن الا ان الجمعية المركزية اقامت الحجة على ذلك لانها ترى انه لا يمكن تفريق لبنان عن سوريا ولا سيما ان استقلال سوريا متفق عليه بين انكلترا وفرنسا .

﴿ الجمعية الاصلاحية ﴾

ظهرت هذه الجمعية في بيروت سنه ١٣٢٨ وغايتها طلب الاصلاح على ما روته الجرائد العربية البيروتية في ك١ سنة ٣٢ مستنداً على العرض الصادر من قبل ولاية بيروت الى الصدارة التركية بلزوم تعجيل الاصلاحات ومنها توسيع الصلاحية المحلية التي تضمن الرفاهية

والعمران بحيث تتناول جميع الولايات فاجابت الصدارة اذ ذاك انه جرت المذاكرة في المجالس العمومية بالاصلاحات وقد طلب تنفيذ بروغرامها (١) فاجيبت في ١٤ ك ٢ سنه ٣٢٨ تحت امضاء ناظر الداخلية عادل بما يتضمن التسويف والتأخير لان تلك الوعود لم تقترن بالجواب البات بل اسند الجواب الى ان الحكومة سنت قانوناً لادارة الولايات مؤسساً على قاعدة تفريق الوظائف وتوسيع المأذونية وفقاً للمادة ٨ من القانون الاساسي فالمصلحون لم يكتفوا بهذا التسويف لانهم لم ينالوا مطلبهم فسعوا في نشر جمعية الاصلاح وانبث اعضاؤها في جميع الجهات وبينوا انهم مصرون على المطالبة بحقوقهم .

واعظم اعضاء هذه الجمعية سعياً رزق الله ارقش وخليل زينيه وجرجي رزق الله الذين هم من اعضاء النهضة اللبنانية التي ذكرت آنفاً

وقد كان من اعضائها ايضاً شكري غانم رئيس الجمعية اللبنانيه في باريس وخير الله خير الله اللذان توسلا بضم بيروت الى لبنان وتوسيع حدوده الى سهل البقاع .

وقد كتب كل من ميشيل افندي تويني ويوسف افندي الهاني وبترو طراد وابراهيم افندي ايوب ثابت ورزق الله افندي ارقش وخليل افندي زينيه بواسطة قنصل فرنسا في بيروت الى السفارة بما يؤيد هذا المشروع وقد اعلن ذلك قنصل فرنسا بتاريخ ١٨ مارت سنه ٩١٠ بما نصه :

---

(١) كان بروغرامها مؤلفاً من خمس عشرة مادة مآلها الالحاح بطلب الاصلاح وقد رفعت هذه التقارير الى مجلس المبعوثان في ٣١ ك ٢ سنه ٩١٣

على تختيم عرائض نصها الاتحاديون . ولا تسل عن لهجة جرائد الاتراك اذ ذاك فانها كانت تتأجج احقاداً على العرب وقد كانت جريدة طنين تسمي اعضاء المؤتمر آلة الفساد وشرذمة عجيبة في اطوارها .

ولما وصلت تلغرافات بعض المراوغين من السوريين طلاب الوظائف الى الاستانة سرت الجرائد التركية وحسبتها ضربة قاضية على المؤتمر فكتبت طنين بهذا الصدد : ان الانباء الواردة من البلاد العربية تثبت ببرهان ساطع ان الغاية التي نتوخاها في كتاباتنا قد اثرت تاثيرا عظيما في سوريه وقد راينا فضلاء دمشق وعظماءها هبوا من رقدتهم يردون التهم الشنيعة التي الصقها بهم المنافقون فلشد ما يكون جهل اصحاب الالاعيب العربية في باريس ! ؟

ولقد نظمت الجمعية الاتحادية بدمشق تلغرافات عديدة كلها على هذا المنوال وابرقتها الى الاستانه وهي :

ان القائمين بفكرة الاصلاح في سوريا فئة من المتشردين الفارين من وجه الحكومة السنية فجميع السوريين يكذبونهم ويبرأون منهم

ولقد بلغت الحدة من الاتراك مبلغاً عظيماً واستولى عليهم الخوف حتى قالت جريدة تصوير افكار :

يجب علينا ان نفتح البلاد العربية ثانيه : وكأن صدى هذه الجريدة اثر في اذان الاتراك فجهزوا حملة على البلاد العربية لتذلها وتقضي على نهضتها ولكن اختلف الاتراك فيما بينهم هل يجب الشروع بتذليل الحضر قبل البدو ام اولئك قبل هؤلاء . . . .

ثم عزمت الحكومة على اقفال الكلية العثمانية في بيروت ومنع

الجرائد العربيه الحرة المصرية وسواها من الدخول الى البلاد العثمانية وفوق ذلك فقد كانوا يتحينون الفرص للايقاع بزعماء العرب وقادة الافكار فيهم الا ان الاتحاديين كانوا اقصر يداً من ان ينالوا الاصلاحيين باذى فعمدوا بعد الشدة الى اللين والمراوغة واوفدوا سكرتير الاتحاد والترقي مدحت شكري بك الى باريس للاتفاق مع الاصلاحيين العرب فتمكن من الاتفاق معهم على امور شتى ولكن الحكومة لم تنفذ منها سوى النزر اليسير وقد اصدرت الوزارة الاتحادية في اوائل آب سنه ١٩١٣ هذا القرار الذي نشرته الجرائد العثمانيه :

١- انه بالنظر الى الضرورات واختلاف الامزجة في الولايات العثمانية والى وجوب ترقية البلاد واسعاد اهلها وزيادة رفاهيتهم تقرر بعد الاتكال على الله ومفاوضة الولايات ان يعهد في ادارة الاوقاف الموقوفة على عمل الخير بحسب شروط الواقف الى مجالس الجماعات في الولايات وذلك بموجب قانون جديد ينشر قريباً وان تكون الخدمة العسكرية في زمن السلم في دائرة التفتيش الا اذا ارأت الحكومة لسبب ما حشد قسم من الجنود في جهة من الجهات فترسل العسكر على الطريقة النسبية الى الولايات البعيدة كاليمن والحجاز وعسير ونجد .

٢- ان يكون التدريس باللغة العربية في جميع مدارس الولايات التي تتكلم اكثرية سكانها بهذه اللغة وذلك لتوفير اسباب المدنية التي تحتاج اليها في الحال وفي الاستقبال ، هذا ولما كانت هناك فائدة اساسية من التدريس باللغة العربية في جميع المكاتب فيجب مباشرة ذلك الان في المكاتب الرشدية والاعدادية وتوفير اسباب التدريس العالي

عبد الكريم ان قبول رصيفه المشار اليه للوظيفة اكثر ملائمة من رفضها لانه بذلك يقدر ان يكون واقفاً على مجرى السياسة ويساعد العرب على اطراد السير في سبيلهم المحمود وخطتهم الشريفه

ولما رأى الاتراك ماوصل اليه العرب من بعض النفوذ خافوا على مستقبلهم ان ينازعوهم به السلطة فعمدوا الى الايقاع بزعمائهم وضباطهم وعلمائهم ومتنفذيهم فباشروا بابعاد ضباط العرب من الاستانة الى سائر جهات الاناضول وعقيب ذلك اوقف عزيز علي بك في ٩ شباط سنه ١٩١٤ متهما بمروقه عن العثمانية وميله الى الايطاليين او الى انشاء دولة عربية في بنغازي يتولى هو ادارتها وقد ود الاتحاديون اعدامه لو اتيح لهم ذلك ولكن ثارت ثائرة العرب في الاستانة وتداخلت انكلترا في الامر فاكتفي بان اقيل من وظيفته بعد الايعاز اليه بطلب الاستانة

﴿اخلاص العرب للترك﴾

واهتمام هؤلاء بسحق

اولئك

ان العرب رغماً عما رأوه من ميل الترك للضغط عليهم والقضاء على عنصرهم لم يزالوا يخلصون لهم حباً برفع شأن البلاد والمحافظة على كرامتها وقد كان أمراء العرب وكتابهم قبل الحرب وفي اثنائها لا يريدون الا اصلاح الدولة العثمانية وطلب حقوقهم بها ولم يرم احدهم هدم اركانها يؤيد ذلك رسائل الاصلاحيين فيما بينهم قبل ان يعلن الاتحاديون الحرب من ذلك ما كتبه المرحوم الضابط الكبير سليم الجزائري الى احد اصدقائه السياسيين .

لقد اخلصنا للاتحاديين فلا مجال للشك في اخلاصهم لنا .نعم ان الاتفاق الذي ابرموه مع الزهراوي وعبد الكريم لا يسعدنا وليس فيه مانحتاج اليه من الاصلاحات وان زعم فريق من الاصدقاء انه كجراب الكردي يحتوي على كل شيء ولكن ماالعمل ؟؟ ايجوز لنا ان نخطيء الزهراوي وننتقده على هذا الاتفاق ؟ انا لست على هذا الرأي لان الزهراوي لو لم يتفق مع الحكومة لكنا الان في اشد المآزق حراجة فاما ان نقوم بعمل يهدداستقلال الدولة العليةويؤدي الى عكس الغاية التي نرمي اليها وهي نيل حقوقنا من اخوانناالترك ومشاركتهم في كل مايؤول الى تقوية الدولة واسعاد سكانها اونخلد الى السكينة بعد كل هذه القرقعة فيهزأ العالم بنا ويحتقرناالاتحاديون انفسهم ونصير مثلاً بين الناس . . .

ان الحال السياسية حرجة جدا ايها العزيز فبقدرمايسيء الاتحاديون الينا الان يجب ان نحسن اليهم حرصاً على كيان هذه الدولة المنكودة الحظ

سليم الجزائري

وكتب المرحوم عبدالكريم الخليل الى بعض اصدقائه في ٦ اب ٩١٤

ايها العزيز

انا على وشك السفر الى سورية لان التدابير التي اضطرت حكومتنا السنية الى اتخاذها درءاً لخطر الحرب العظمى تقضي على كل عثماني مخلص لدولته وامته ان يبذل جهده في سبيل تنفيذها على احسن مايرام . وستكون مهمتي في سوريا جمع كلمة الامة على شد ازر الحكومة والسعي لمنع كل مايحتمل وقوعه من اسباب النفور

بين العناصر العثمانيه .

وقد وعدتني الحكومة بان تشد ازري في هذه المهمة وتجيبني الى كل المطالب التي اطلبها منها باسم الامة العربية و باسم الافراد من ابنائها فلنكن كلنا يدا واحدة لانقاذ الدولة من عواقب الحرب الاوربية واظهار الوحدة العثمانية باتم مظاهرها لنتمكن من منع اعتداء الدول الغربية علينا والخروج من هذه الازمة لحاجة ارفع شأناً واعلى مقاماً

عبد الكريم الخليل

وقال المرحوم محمد المحمصاني لبعض اصدقائه الذين نصحوه بالبقاء في مصر بعد اعلان التعبئة العامة في الدولة العثمانية : ان الوطن في حاجة الى كل فرد من ابنائه في هذا الاوان العصيب فمن الخيانة ان لانقوم بالواجب نحوه

فهذا وامثاله من الرسائل التي تعد يدل على حسن نية العرب الا ان الترك لما رأوا انهم قد استمالوا اليهم بعض زعماء العرب امثال عبد الكريم الخليل وعبد الحميد افندي الزهراوي وخدعوهم بانهم سيباشرون الاصلاح في بلاد العرب بدأوا بالعكس يفكرون باعداد الضربة القاضية على الامة العربية باجمعها بإبادة الاسلام الذي كانت تعتزبه الامة العربية وطلبوا الوصول الى ذلك بدسائس عديدة فانشاوا جمعية دعوها ترك اوجاغي او العائلة التركية وهي ذات اربعة فروع

ترك يوردي اي المملكة التركيه
ترك بكليشي : العلم التركي
ترك دريكي : شبان الترك

ترك كوجي : قوة الترك

وكانت هذه الجمعية بفروعها ترمي الى تتريك العناصر العثمانية ومحو الاسلام وامتهان شرائعه الشريفة وترجمة القرآن الشريف الى اللغة التركية وتطهير هذه اللغة على زعمهم من الالفاظ العربية والاستعاضة عنها بالفاظ من اللغة التركية القديمة وهذه ترجمة بعض الاناشيد التي كان يترنم بها تلامذة التركية

نحن اتراك وانت ياآسيا امانة بيدنا فلا تخشي ضراً لاننا نفديك بارواحنا . لايجوز ان نسمي اتراكا مالم ننتقم من اعدائنا فيسكت البوم عن نعيقه ويكفينا ماسمعناه من الضجيج والنحيب

هلموا الى الامام فتنبسط امامكم الجبال والآكام ويتفجر الديناميت ولتفتح الارض فمها فتبتلع الاجراس والنواقيس

نحن سعداء فلا نرجع عن سيرنا . الى الامام ,فالجبال مساكننا والبطاح مأوانا نحن ترك وآسيا للاتراك نحن ترك كلنا اتراك

واما خطبهم فقد كانت تصرح باحتقارهم ابناء سائر العناصر واليك شذرة من خطبة استاذ التربية العسكرية في المدرسة الحربيه

نحن ايها السادة اتراك واني لاعجب من تسميتنا عثمانيين فمن هو عثمان الذي ننسب اليه ؟؟

انه تركي جاء من التاي واجتاح هذه البلاد بجيشه التركي فانتسابنا الى اصله اشرف من انتسابنا اليه ولقد خدعنا بجهل اسلافنا في الماضي فبئس الاسلاف الذين انسونا قوميتنا

انكم ايها الاعزاء ستلحقون بالجيش قريباً وستكونون اساتذة

بجنودنا الابطال فعلموهم انهم ترك وانهم اذا حاربوا العدو من اجل الترك وتحت العلم التركي ينتصرون عليه ويحرزون ما احرزته البلجيك من الفخر .

وتأكدوا ان التركية خير من الاسلام لنا وان التعصب للجنسية من اكبر فضائل الهيئة الاجتماعيه .

فاجابه احد ضباط العرب : ايها القائد ان للامم الشرقية تقاليد لايمكن الاغضاء عنها والجنسية العثمانية قد كفلت هذه التقاليد وحافظت عليها فسلمت الدولة بذلك

فتتريك العناصر العثمانية امر محال بل يؤدي الى انفصالها عن الترك واضمحلال الدولة لاقدر الله

وانا اصرح الان امامك ان لارابطة بيننا سوى مالم ترد ان تعرفه حضرتك كرابطة اعني بذلك الاسلامية العثمانية واما الان وقد قمت تعلمني ان هذا العلم تركي واني اجاهد برفع شأن الاتراك فقد اخمدت قوتي وقضيت على حماستي لانني مع كل العناصر غير التركية انما نحارب لاجل وطن مشترك تجمعه العثمانيه

فاجابه القائد بهزء يخالطه التأثر : اعلم ان اصلك العربي لايمنع كونك تركيا لان بلادك ليست سوى مستعمرة فتحها الترك باسيافهم فعليكم جميعاً ان تعرفوا انكم ترك .

قد صممنا منذ الان ان لانعرف بيننا رابطة سوى التركيه

فاكثر الضباط العرب عندئذ من الاحتجاج الى وزارة الحربية وطلبوا عزل الاستاذ .

فكان النظر في شكواهم ان ارسلوهم الى ميادين القتال ليرتاحوا من شكاويهم وعساهم يقتلون هناك .

ولقد عثر بعض ضباط العرب سنه ٩١٢ في بولاير على كتاب من احد زعماء الاتحاديين الى ضابط اتحادي جاء فيه :

عرضوا العرب لرصاص العدو واعملوا على التخلص منهم لان قتلهم يفيدنا .

ولقد قرأت في احدى الجرائد حديثاً لتركي مع صحافي يستدل منه على ما للعربي من الاعتبار في نظر التركي فاخذته تمهيدا لهذا الفصل لما به من الفظائع . دار الحديث بين السائل المسيحي والمجادل التركي عن خروج شبان الاتراك ورجال الدولة في هذه السنين الاخيرة عن النظامات الاسلامية والشريعة المطهرة التي كفلت لتركيا البقاء الى هذا العصر فاجابه التركي وهو من المتسبين الى جمعية ترك اوجاغي ومن زعماء الجامعة الطورانية فقال :

اعلم ياعزيزي اننا نحن معاشر الاتراك في حالتنا الحاضرة نعد الاسلام ديناً غريباً وقد حملتنا الفطرة على ان ننتسب قبل كل شيء الى عنصر وقومية . وان نعد انفسنا اتراكاً قبل ان نعد مسلمين . بهذا حكمت علينا الطبيعة وقد دخل اجدادنا الترك في الاسلام لاغراض سياسية ومن المعلوم ان الديانة الاسلامية هي عربية لان احكامها قائمة على اسس تلائم الامزجة العربية قبل كل شيء والنبي (صلى الله وسلم) وهو من ابناء العرب وقد ارسل الى العرب واظن انه لم يعاشر احدا الا العرب ولم يخرج من البلاد العربية لهذا اقول لك اننا

معاشر الترك نرى التركي الطالب الاسلام كرجل شرقي يريد التخلق بالعادات الغربية او كغربي يتخلق بالاخلاق الشرقية فلا يتأتى لهذين الرجلين ان يقوما بدروسهما بنجاح تام لتباين الفطرة واختلاف التربية ولان الطبيعة جعلت لكل منهما خلقاً خاصا

ونحن معاشر الترك نعد الاسلام نظاماً اجتماعياً بل فلسفة اجتماع اشبه بمبادئ حكومة ومجلة قوانين وانت تعلم ان لكل ملة في منهج الاجتماع مسلكاً خاصا تنتهجه في هذا المعترك لتصل به الى النتيجة او الفائدة التي يسعى اليها كل انسان . فالاميركان مثلاً لهم اصول وقواعد لتسيير امورهم ووسائل معيشتهم ولهم نظام خاص وقوانين دستورية تختلف عن قوانين الحكومات المماثلة لهم في المدنية والعلم والرقي

فاذا فرضنا ان احدى الحكومات المتمدنة قلدت غيرها في وضع القوانين والنظامات تاخرت وسارت الى السقوط لانها بهذا التقليد تخالف مزاج سكانها الذي اوجدته لهم الطبيعة وبه يميزون عن سائر الاقوام

واعلم ايضاً ان في الاسلام سراً غامضاً لا يدركه الا القليلون من المفكرين وهو ان فيه قوة باطنية . فلو اخذنا الديانة المسيحية مثلاً وقابلناها بالديانة الاسلامية لوجدنا بينهما فرقاً اجتماعياً عظيما وهو ان المسيحية غير عنصرية اي انها لا تصبغ اتباعها بصبغة الجنسية اما الديانة الاسلامية فانها بالعكس تصبغ المتدينين بها بالصبغة العربية القومية رغم انوفهم وقد قلت لك ان هذه الحياة ليست سوى دور اجتماعي تمثيلي ولكن من ينجح في هذا الدور ؟

الجواب : ان روح الفرد او الجماعة يجب ان تكون منطبقة على

الوظيفة التي يقوم الممثل بادائها ، ملائمة لاخلاقه ومزاجه فاذا كلفنا مثلاً رجلا مفطورا على الجبن ليقوم بوظيفة البطل الشجاع وجدنا هذا الرجل يظهر تكلفاً في حركاته واشا اته ينفر منه ذوق المشاهد وكذلك لو كلفنا رجلا شجاعاً ان يقوم بوظيفة جبان نرى منه عين التكلف ولكن اذا كلفنا كلا منهما ان يقوم بالوظيفة التي خلق لها رأيناه قديراً على اداء وظيفته كذلك مثل الترك مع العرب فالامة التركية طورانية من آسيا الوسطى لها من حيث العبادة والاجتماع تقاليد وعادات ليست للذين من سكان جزيرة العرب ولهذا يمكن للعربي ان يدين بالديانة الاسلامية ويقوم بوظيفة اجتماعية لايتسنى للتركي ان يقوم بها .

ثم ان روح هذا الدين عربي محض ويصعب على التركي ان يعرف دقائق هذا الدين اذ ليس بين الترك واحد من عشرة الاف يتقن اللغة العربية ولا بصورة بسيطة . لذلك يجيد العربي قيام بهذا الدور الاجادة اللازمة واما التركي فيظهر بمظهر المقلد الغير المجيد .

واقول لك في الختام ان دخولنا نحن معاشر الترك واخواننا الديلم في الديانة الاسلامية كان لغرض سياسي محض وبما ان ذلك الغرض قد تم (يقصد اغتصاب الحكم من يد العرب) فقد قضت السياسة والحكم بنبذ تلك النظامات والشرائع نعود الى تقاليدنا الطورانيه .

ولقد الف جلال الملك نوري بك الكاتب التركي الشهير كتابا عنوانه المستقبل يقول فيه انه يجب تحويل البلاد العربية الى مستعمرة

تركية تكون فيها التركية لغة الدين والاداب والمعارف .

وقد كان يسعى بهذا الفكر رجل افغاني اصلا يدعى عبيد الله وهو غير عبيد الله مبعوث ايدين كلاهما اصنوا ان بعداوة العرب

وقد كان هذا الاول يلقي في جامع آيا صوفيا الخطب التي تحط من شأن الانبياء والاولياء الذين من العناصر الغير التركية فمن ذلك خطبة القاها في شهر رمضان المبارك قال بها :

ان الامة التركية اعظم شرفاً واحتراماً باضعاف مضاعفة ممن تقدسونهم من اشراف الامم الاخرى ورؤسائها واوليائها . ولامرية ان الترك لايقدسون من الامم الاخرى سوى النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين وائمة البيت الطاهرين رضوان الله عليهم

وقال في خطبة اخرى :

كم يتمادى بكم الجهل فتعلقون على جدران جوامعكم اسماء خلفاء العرب ولاتذكرون بالاحترام اسماء خلفاء الاتراك واذا اراد الخطيب ذكر اسم احدهم نزل عن المنبر درجة اشعاراً بحطة مقامهم فيا للجهل .

الا تدرون بانكم تقدسون العرب بذلك وتبجلونهم

لقد سعى الاتحاديون الى هدم اركان الاسلام وتقويض الديانة الاسلامية بتأليفهم ديانة اخرى تكون تركية وتروق لمشربهم وهي على زعمهم افضل واكثر ملاءمة وهذا ما حملهم على تاليف كتابهم القومي المعروف بقوم جديد وبه يقولون :

لاتنكر الشبيبة التركية احكام الدين والصوم والصلاة والحج

والزكاة وكلمة الشهادة . ولكنها لا تراها من اركان الدين الجديد الذي استخرجته الناشئة الجديدة من احكام القرآن والاحاديث النبوية الشريفة وهي :

اولاً العقل

ثانياً كلمة الشهادة

ثالثاً الاخلاق الحسنة

رابعاً الجهاد والحرث مالاً وبدناً

خامساً السعي لتهيئة معدات الحرب تحت راية الخلافة العثمانية المعظمة

وجاء في الكتاب نفسه ما تعريبه :-

ان النبي كان يمنع المساجد القريبة وكان يرى ان مسجداً واحداً يكفي لقرى عديدة وذلك لبقاء الاتحاد بالاسلام

فهم يقصدون بذلك الاستيلاء على معظم التكايا والجوامع والمساجد والاستفادة من تحويلها الى اماكن يعود نفعها عليهم ...

الى آخر ما جاء بهذا الكتاب من الزندقة .. وخلاصة القول ان الاتحاديين لم يرق لهم الدين الاسلامي لانه عربي يأمر باحترام وحب العرب فرأوا ان يولفوا ديناً تركياً جديداً يوافق اذواقهم ومشاربهم .

ولو استطاعوا ان يبيدوا الامة كلها ولا يبقوا على احد الا اذا كان اتحادياً لما تأخروا . وقد افتى بذلك شيخهم الشهير عبيد الله بقوله :

ان من لايشترك من رعايا الدولة الاسلامية العثمانية الثابتة خلافتها بالنص القاطع من عرب او التتار او الالبان او ابناء مكة واليمن وجميع الاقوام المختلفة اذا لم يشتركوا مالاً وبدناً ونقداً بالجهاد الذي هو اعظم العبادات في صفوف حضرات عبد الرحيم وجمال ورضا وشكري وبكر وجاويد ورءوف وانور وعزت وطلعت وامثالهم من ابناء الترك الذين هم اولياء الله صلى الله عليهم و على آلهم واصحابهم وقدس الله اسرارهم يكونون في صف المرتدين عن الاسلام اما الاستعمالهم السلاح ضد الجنود التركية مشتركين مع الكفار او الاضعاف قوة الجيش التركي بفرارهم من ساحات القتال فسببوا بذلك انهزام الترك واصبحوا من الكفرة . ومن هذا القبيل ايضاً المصريون والهنود والبخاريون والتتار والروسيون وسكان فاس وتونس والجزائر واهل الحجاز واليمن

وجاء في الكتاب نفسه ما تعريبه :

يجب ان تقرأ الخطب ايام الجمعة والاعياد باللغة التركية ثم تكون الخطبة سياسية بحسب قرار الحكومة . ويجب ان تتقدم السياسة على الشريعة احياناً ولا بأس اذا كانت غير منطبقة عليها .

الاتحاديون في بدء الحرب

قد تظاهر الاتحاديون في بدء الحرب بصداقة العرب وبذلك استمالوا كثيرين من عظمائهم وكبرائهم باسنادهم اليهم الوظائف العالية في الاناضول والعراق وسورية .

وقد عينوا عند اعلان الحرب الفريق ذكي باشا الحلبي وهو

ضابط عربي كبير قائداً على الجيوش التي في سورية .

وكان اكثر اعوانه ومساعديه من جنود العرب وضباطهم من امثالهم . ولقد خدع الاصلاحيون بهذه الظواهر وتناسوا احقادهم ولاشوا احزابهم في سبيل اعلاء الوطن وجمع الكلمة للذب عن حياضه

وقد ظهرت للقاريء نواياهم الطيبة من بعض المراسلات التي كتبوها سراً قبل ان تعلن تركيا الحرب . وقد اتينا على نتف منها في الفصل السابق الا ان حسن طويتهم قد جلب عليهم الويل وكان سبب شنقهم وهلاكهم ولقد صدق الطغرائي بقوله :

وحسن ظنك بالايام معجزة فظن شراً وكن منها على وجل

ولما رأى الاتحاديون الذين يحلو لهم الصيد في الماء العكر ان اوربا قد خاضت حرباً تطول نهايتها عمدوا الى تنفيذ خططهم الوحشية فلم يروا اقدر من جمال المشهور مدير فرع الجواسيس والفدائيين في جمعية الاتحاد والترقي فانفذوه الى سورية بعد اعلان الحرب الاوربية بنحو ستة اشهر فاتخذ اللين في بادىء الامر واخذ يقرب العرب اليه ويتفاهم واياهم في ما يجب اجراؤه الى ان امنوا له وعرف شوارد افكارهم .

ثم اخذ يقنع ضباط العرب وقادة افكارهم بواسطة العرب المقربين اليه والذين كانوا واسطة التفاهم بينه وبين ابناء جنسهم امثال المرحوم عبد الكريم الخليل ويغريهم بقبول وظائف عالية في الاناضول وغيرها من بلاد الترك او في جبهات الحرب

ولما تم له ما اراد ابتدأ باستعمال بعض الشدة وعدم الاصغاء

للناصحين . قام باقفال مدرسة صف الضباط التي فتحت في دمشق بعد الحرب الاوربية وكان فيها ما ينيف عن خمسمائة من ابناء العرب .
ثم اخذ يستعمل الشدة و يباشر الخطه التي ارسل ن اجلها وهي تذليل العرب والتنكيل بهم .

اما الشبان الذين شتت الاتراك شملهم باعلان النفير العام فبقي لهم أن اجتمعوا بكثيرين من الزعماء منهم المرحوم عطا باشا البكري وهذا خابر الشريف حسيناً بان يطلب من انور باشا ان يأذن الى فوزي بك نجل عطا باشا بمرافقة الشريف الى مكة فاجيب طلبه هذا ووقع موقع القبول .

ولما سافر فوزي بك البكرى نجل المرحوم عطا باشا اطلع الشريف على نوايا السوريين ببغضهم للاتراك .

ثم ارسل حضرة الشريف ولده الامير فيصلاً لكي يقف على هذه الحركة ويتحرى هذه النهضة بصورة سرية . ثم تظاهر بطلب مهمات حربية للبدو كانه يريدان يؤلف منهم عصابات تساعد الجيش العثماني الرابع على فتح الترعة .

ولما وصل الامير فيصل الى دمشق جمعه البكري بكثيرين من الوجهاء سراً وجرت المباحثات التي ترمي الى دفع نير الترك والسعي لاستقلال العرب .

فاطلع سمو الامير حضرة والده المعظم على اكثر ما سمعه ورآه وقد حمله على التفاؤل بالنجاح اذا وفق الله هذه الخطة .

وقد اجتمع الامير حين كان بالشام بعدد غير قليل من طلاب

المدارس التركيه والمنتهين منها الذين كانوا اكثر بغضاً للاتراك ممن لم يعرفوهم لانهم عرفوا بغضهم للعرب الا انـه لم يتم لمتخرجي مدارس الاتراك ان يسمعوا من الامير كلمات تطمئنهم عن ارتياحه الى هذه الفكرة الا بعد ان اختلوا به في غرفة لم يكن فيها يوسف شتوان ذلك الخائن الذى كان يتجسس اعمال الامير على ما سمعت ٠

ولقد كان سمو الامير في تلك الاثنـاء مثال النشاط والحزم والتدبير فاوصى الشبان بالتؤدة والثبات ٠

ولما احس بضرورة المباشرة بالثورة العربية طلب المهمات الحربيه من جمال باشا ليرسلها مع وفد تحت رئاستـه ٠ مظهراً انه ذاهب لكي يستقبل البدو الذين ارسلهم والده الى قرب المدينة كأنهم يذهبون الى الترعة ٠ وكان وقتئذ حصل اتفاق بين الجمعيات العربية على القيام بالثورة العربية في وقت واحد ٠

وقد كانت جمعية العهد القحطانية في مقدمة هذه الجمعيات وتتلوها جمعية الثورة العربية وغيرها ٠

وكان الامير قد علم بهذا الاتفاق فتوفق للذهاب مع الوفد بالرغم عما كان يقدمه بصري باشا محافظ المدينـة من التقارير التي تدعو الحكومة الى التيقظ والاحتراز من الشريف حسين وانجاله ٠

ولقد سلك الامير فيصل بهذه الامور احسن سياسة تدل على دهائه الا ان تسرعه بضرب الاتراك حين وصوله الى الحنا لشدة بغضه لهم اخر سقوط المدينة الى ما بعد نهاية الحرب الاوربية

الفصل الخامس

سبب دخول تركيا في الحرب

ورد من اللورد جراي وزير خارجية انكلترا الى سفيره في الاستانة السير لويس مالت البرقية الآتية وهي آخر برقية من لندن الى الاستانة:

قبل مغادرتكم الاستانة سعوا لمقابلة الصدر الاعظم البرنس سعيد حليم للمرة الاخيرة وذكروه بالصداقة القديمة التي كانت تجمع بين حكومة جلالة الملك وحكومة جلالة السلطان وقولوا له ان الوقت لم يفت بعد وان هذه الصداقة ستبقى على ما كانت عليه اذا اسرع الى طرد الاميرال والبحارة الالمان ولكن حكومة بني طوران في ذلك الوقت كانت عمياء صماء فلم تر ولم تسمع بل تركت الانكليز منقذيها من الروس ولم تحفل بنصائحهم وتعلقت باهداب رسل غليوم لانهم عاهدوها بالمساعدة على قتل العرب وهذه غايتها من الحرب.

فاجتمع وزراء الاتراك في بيت طلعت باشا بعد مضي نحو شهرين على اعلان الحرب العامة وتذاكروا في الامر وشاركهم السفير الالماني وبعض اركان الالمانيين وقرر جميعهم تحين هذه الفرصة لاتمام مآربهم وقد وعدتهم المانيا انهم اذا حالفوها ساعدتهم على الغاء الامتيازات الاجنبيــة التي تأيدت سنة ١٨٦٠ عقيب حوادث لبنــان في سورية المشهورة وعلى تتريك البــلاد العثمانية . ولكي يستر الاتراك هذه المؤامرة بشكل سياسي اخرجوا بعض قطع الاسطول للاستعراض في شواطئ البحر الاسود فتعرضت للاسطول الروسي وتحككت

به وكان ذلك في ت ١ سنة ١٣٣٠ فقابلتها هذه بالمثل فاتخذت حكومة تركيا وحليفتها المانيا هذه المناوشة البحرية سبباً للدخول في غمار هذه الحرب .

ثم عكست الآية وموهت على عقول الامة باذاعتها ان انكلترا وفرنسا وايطاليا قد عقدن النية سنة ١٩١٤ على حل عرى الامة الاسلامية وتمزيق شملها واتلاف الملايين من المسلمين ولما علم الحلفاء بهذه الدسيسة ارسلوا بعض دوارعهم الى مضيق جناق قلعة واحتلوا بعض الجزر تهويلاً لتركيا عساها ترتدع عن غيها ثم قرر الاترك والالمان اتحادهم على اهلاك العرب وسطروا قراراتهم هذه ودفعوها الى السلطان محمد رشاد فصدق عليها دون ان يعرف فحواها ولا بدع فقد سبق له ان صادق على اعدام نسيبه وهو لا يدري

قبيل دخول تركيا في الحرب

قبل ان تدخل تركيا الحرب الاوربية كانت الحرب بين تركيا واليونان على قاب قوسين لثلاثة اسباب :

١ً اضطهاد الاروام في الاناضول

٢ً الاختلاف على ملكية جزر دوريكانس

٣ً تنازع الدولتين على السيادة في بحورها

وكانت تركيا اوصت المصانع الانكليزية ببناء دارعتين عظيمتين تستلمهما في خريف ١٩١٤ فاشترت اليونان درءاً لهذا الخطر طرادين من الولايات المتحدة الاميركية وكان الضباط الانكليز يمرنون كلا البحريتين .

ولقد كانت تركيا تريد ان تفسح في اجل اشهار الحرب الى ان تصل مدرعتاها . اما اليونان فكانوا يرغبون في اشهارها لان موعد وصول طراديها في آخر تموز .

ولم يكد ينصرم شهر تموز حتى كانت اوربا كلها على وشك دخول حرب طاحنة عظمى باتت ازاءها حرب الدولتين الصغيرتين نسياً منسياً

ولكن لا يجهل اخذ ميل تركيا الى المانيا لاسيما بعد ان استلم الاتحاديون زمام الامر فيها سنة ١٩٠٨

ولا ينكر ان ضم البوسنة والهرسك وحرب طرابلس الغرب قلقل موقف الالمان في الاستانة ولكنه لم يزعزعه فاستعاد هؤلاء نفوذهم وثقة الاتراك بهم بعد حرب البلقان التي اظهروا بها عطفاً وميلاً زائدين الى تركيا

وجاءت اخيراً هذه الحرب فاكدت ميل تركيا الى المانيا عندما التجأت غوبن وبرسلو الى الدردنيل وما بذلته تركيا من المخادعات في سبيل وقايتها

شعر الحلفاء بكذب تركيا ومداهنتها ولكنهم اكدوا لها انهم يحافظون على سلامتها ان بقيت على حياد .

وفي ٢٠ آب قابل جمال باشا وزير البحرية العثمانية السفير الانكليزي فاقترح عليه عدة امور :

اولها : الغاء الامتيازات الاجنبية

ثانياً : ان تسلم انكلترا الى تركيا البارجتين اللتين اوصتها عليها

ثالثاً : ان تكف اوربا عن التعرض لشؤون تركيا الداخلية

رابعاً : ان يرد غربي تراقية الى تركيا اذا انضمت البلغار الى المانيا والنمسا

خامساً ان ترد الجزر التي في قبضة اليونان

فاجابتها دول الاتفاق انهن يكفلن الغاء الامتيازات الاجنبية حالما يقام مقامها نظام قضائي يطابق المقتضيات العصرية وانهن يتعهدن كتابة بسلامة املاكها والمحافظة عليها

ولكن امر الاتراك بالغاء تلك الامتيازات عنوة . ففي ٩ ايلول ارسل السلطان مذكرة للدول يعلن فيها عزمه الاكيد على الغاء الامتيازات الاجنبية منذ اول تشرين الاول وصاعداً

فاستنكر السفراء هذا الامر حتى سفيرا المانيا والنمسا وقالوا جميعاً ان هذه الامتيازات اشبه بعقد سياسي لا يمكن حله الا برضى المتعاقدين ورفضوا الاعتراف بالغاء الامتيازات

وقد كانت الاستانة وقلاع الدردنيل تتحول رويداً رويداً الى معاقل المانية وشرع منذ ذلك الحين بتهيئة الافكار للحرب وكان يقوم بهذا العمل فئة من مستشرقي الالمان يساعدهم عظماء الاتحاديين خلا جاويد بك وزير المالية فكان من اعداء الحرب يشد ازره في ذلك السلطان وولي العهد والصدر الاعظم والامر الذي ثبت الاتحاديين وقوى مدعاهم هو استلامهم زمام الجندية وتهويلهم على انصار السلام بالقاء الفتن والقلاقل في عرض البلاد وضرب الاستانة نفسها بمدافع غوبن وبرسلو

ولقد بلغ عدد جنود الالمان في الاستانة وحدها في شهر ايلول اربعة آلاف وارسل من المانيا الى سفيرها في الاستانة مبلغ خمسة ملايين

ونصف جنيه تنفق في سبيل الحرب

وفي شهر تشرين بوشر باظهار الاعمال العدائية كما تقدم ذلك في الفصل السابق

حرب القوقاس

عندما استعدت تركيا لغزو القوقاس كان عندها نصف مليون من العسكر المدرب ونصف مليون آخر نصف مدرب او في مدارس التعليم العسكري وقد كانت الفيالق العثمانية موجهة على الوجه الاتي :

في الاستانة وحولها الفيلقان الاول والخامس وقسم من السادس واربعة الوية فرسان ويبلغ مجموع عددهم ٣٥٠ الفاً

وفي تراقية الفيلق الثاني ومعظم السادس واربعة الوية من الفرسان وحرس الحدود .

وقد كان قسم من الفيلق الرابع في ازمير . وفي فلسطين الفيلق الرابع بكامله اي ٥٠ الفاً ونحو ٢٠ الفاً من البدو

ولم تكن هذه الجيوش كلها محشودة لغزو القوقاس وحدها بل كان يقصد بجنود فلسطين افتتاح مصر

ان الترك غزوا القوقاس في اشد اوقات الشتاء . لم يهابوا من اجتياز تلك البلاد رغماً عن شدة بردها وزيادة زمهريرها .

وقد كانوا مسوقين بتحريضات الالمان الذين يرغبون بالتهويل على روسيا عساها تخفف قواها في بولندا فترتاح النمسا قليلاً ولكن لم يحتج الروس الى نقل رجل واحد لمحاربة الترك . وبعد اشهار الحرب بايام قليلة اجتاز الروس الحدود العثمانية ولكن في ٣ تشرين الثاني رجع الروس

الى ما وراءمدينة كوبري . وبعد اسبوع عادوا فاحتلوها ثانية بعد مناوشات دامية .

وقد كان محشدعساكر الترك في ارضروم ومحشد الروس في قارص وبين البلدين جبال مرتفعة وهضبات عالية صبغت بدماء المتحاربين .

وقد رسم الالمان للترك خطة التفافية يقومون بها حول اعدائهم الا ان ذلك يستلزم من العسكر ما يوازن ضعفي الروس ولاجل هذه الغاية ارسل انور يطلب من بغداد قوات عربية فبدأ الفيلقان التاسع والعاشر باختراق الجبال تحت تراكم الثلوج الى ان وصلوا الى صارى قامش يوم عيد الميلاد ولم يدخلوها وكان الفيلق الاول قد احتل مدينة اردهان

ولقد كادت هذه الاعمال تكلل بالنجاح لولا مقاومة العناصر الشديدة ففي ٢٩ كانون اول بدأ الجيش العاشر يتضعضع وفي ٣ كانون الثاني انهزم الفيلق الاول من اردهان وانكسر الفيلق التاسع في صارى قامش واسر قائده احسان باشا مع ستة آلاف من الجنود والضباط

ويجدر بالذكر ان العثمانيين اظهروا بسالة غريبة واستماتة مدهشة حول صارى قامش اذ كانوا يهجمون على صفوف الاعداء وهم جياع عراة حفاة فتحصدهم المدافع ولكن كلما زال صف جاء غيره اكثر عدداً منه .

ولم ينته شهر شباط سنة ١٩١٥ الا وقد عاد العثمانيون مقهورين عن اراضي الروس وتقدم هؤلاء في جهات ارضروم بالرغم عما كان يرد الى الترك من الامدادات العربية من جهات بغداد بطريق بتليس وارضروم . وقد قامت هذه الامدادات بهجوم شديد لم ينجح تحت قيادة حسن الدين باشا

ولما نفدت قوة الترك يئسوا من مقاومة روسيا ودخول مصر وندموا على دخولهم الحرب وخوض غمارها.

غزو الانكليز العراق العربي

من نتائج دخول تركيا الحرب توسيع نطاقها حتى خليج العجم فهناك عند اعلان العثمانيين للحرب نشبت معركة بين الجنود الانكليز والعثمانيين فانهزم هؤلاء واستولى البريطانيون على البصرة وعلى مثلث نهري دجله والفرات . وانهزم العثمانيون الى جهات بغداد فكان ذلك ضربة قاضية على احلام المانيا بمد خط حديد بغداد حتى البصرة ولا يخفى ان خليج فارس هو مفتاح الشرق المتوسط ولذلك استأجرت انكلترا ثغراً في جزيرة قشم اسمه باسيدو وميلاً واحداً مربعاً في انجام وفيه محطة تلغرافية .

اما غليوم فقد وضع نصب عينيه خط حديد بغداد وامل به اطراد نفوذ المانيا في الشرق ومهد السبيل لذلك بان سمى نفسه حين زيارته سورية حامي حمى الاسلام وفي السنة التالية منح السلطان امتيازاً بمد سكة حديد بغداد وخليج فارس لشركة المانية سميت (شركة سكة حديد بغداد السلطانية العثمانية) فعلمت انكلترا انه تحت هذا الزي الاقتصادي تنطوي مقاصد سياسية ولذلك كانت تضاد هذا المشروع جهدها اذ عقدت سنة ١٨٩٩ اتفاقاً سرياً مع شيخ الكويت تعهد فيه ان لا يؤجر شيئاً من املاكه ولا يتنازل عنه لدولة اجنبية او لرعاياها الا بموافقة انكلترا وتعهدت له هذه ببعض الامور مقابل ذلك. وفي كل مرة كان الترك يحاولون العبث بسلطته وتقويض دعائم امارته وكان رجاله يتصدون لهم ويمنعونهم من نوال اربهم .

وهكذا فعل الشيخ عيسى صاحب البحرين فانه احتمى ببريطانيا وجعلها وصية عليه في كل اموره الخارجية . وكانت انكلترا تحمي مغاوص اللؤلؤ في البحرين؛ تحافظا على بقائها في يد العرب . وقد طلبت شركة المانية من السلطان امتيازا باحتكار صيد اللؤلؤ في الخليج فاذعن السلطان ولكن انكلترا حالت دون اتمام المشروع مدعية ان ذلك ليس من حقوق السلطان .

ولم يأل الالمان جهداً مع ذلك كله من وضع ارجلهم في تلك البلاد وبسط نفوذهم عليها براً وبحراً ففي سنة ١٩٠٦ انشأت شركة الملاحة الالمانية الكبيرة المعروفة باسم خط همبرغ ـ اميركا خطاً تبحر فيه بين همبورغ وعدن ومسقط وجميع مدائن الخليج الفارسي .

لما ضربت غوبن وبرسلو اسطول روسيا عرف الانكليز المقيمون في البصرة ان الحرب واقعة لا محالة فهاجروها الى المحمرة في بلاد ايران وفي ١٣ تشرين الثاني وصل الجنرال باريت القائد الاكبر لحملة العراق ومعه جنود هندية انكليزية ومدافع ومعدات وكان العثمانيون يحتلون قرية السحابين على شط العرب فهاجمهم الانكليز واحتلوا القرية وبعد قتال شديد دام نصف نهار اخلوها وعادوا الى معسكراتهم

وفي ١١ تشرين الثاني عاود االكرة فوجدوا السحابين خالية من العثمانيين الذين تحصنوا على مسافة تسعة اميال منها شمالاً بغرب وهناك دارت رحى الحرب بين طرفين وقد فتكت رشاشات العثمانيين بالانكليز فتكاً هائلاً ولكنهم لم يبالوا بل ظلوا يطردون في السير تحت تلك النيران الهائلة الى ان اركن العثمانيون الى الفرار وكانت خسارة الانكليز من

القتلى ثلاثة ضباط وتسعين جندياً ومن الجرحى ٥ ضابطاً ونحو خمسين جندياً .

اما خسارة العثمانيين فلا تعرف بالحقيقة ولكنها لاتقل عن بضع مئات من القتلى اما الاسرى فهم مائة وخمسون بينهم ثلاثة ضباط .وقد غنموا ثمانين خيمة وكثيراً من الزاد وعشرين جملاً واربعين بغلاً ومدفعين

وفي ٢١ تشرين الثاني احتل العثمانيون البصرة فشرع العرب عندئذ يسلبون وينهبون على ماشاءت مطامعهم فقرر الجنرال باريت حينئذ الزحف عليها براً وبحرا فوصلتها الحملة البحرية في ٢٣ ووصلت الحملة البرية في ظهر ذاك اليوم وعندئذ انزلت الراية عن منزل القنصل الالماني واستبدلت بالراية الانكليزية ولم يلق الانكليز في احتلالهم البصرة مقاومة قط ولما تم الاحتلال دعي اهل المدينة وقرئ عليهم منشور بالعربية ذكرت فيه اسباب الاحتلال وهدئت خواطر القوم .

وبعد ايام قليلة اصدرت الحملة جريدة بالعربية والانكليزية سمتها تيمس البصرة(١)

وفي اوائل ك ٢ اقيم معسكر لقسم من الحملة في مجايل وهي على بعد اربعة اميال نحو شمال البصرة

اما العثمانيون فعسكروا في القرنة وهي على مسافة ٤٩ ميلاً نحو الشمال من البصرة عندها تلتقي دجلة بالفرات، لذلك اصبحت السقاية

---

(١) ان مركز البصرة التجاري هو من اهم المراكز في العالم لا سيما اذا تم اصلاح الزراعة في العراق وتقدر صادراتها الان بثلاثة ملايين ونصف ووارداتها بمليونين ونصف ولقد حفلت البصرة قديماً بالعلماء واللغويين والمورخين لا سيما في ايام العباسيين على عهد الرشيد والمأمون

فيها من اسهل الامور ومع ذلك فلم تزل متأخرة جداً في ايام الترك الا انها ستكون في المستقبل من اجمل المحلات الزراعية

وفي ٢ كانون الثاني من السنة نفسها اي ١٩١٥ سارت حملة انكليزية الى القرنة وعسكرت في محل يبعد عنها اربعة اميال نحو الجنوب وفي اليوم الثاني شرعت السفن الانكليزية تطلق النار على مواقف العثمانيين المختبئة بين النخيل فبادلتها هذه بالمثل ولم يتمكن الانكليز من الاهتداء الى مواضعها . ولما اصيب الزورقان لورنس ومايتر كل منهما بقنبلة اضطر الانكليز الى التقهقر

وفي ٦ كانون الاول وصل الجنرال فراي من البصرة بعدد كبير من الجنود والمدافع والذخائر وكان العثمانيون يحاولون الزحف فاعيدوا على اعقابهم واصيبت الطرادات والزوارق الانكليزية بقنابل عديدة احدثت فيها اضرارا جمة واستمر القتال يومي ٧ و٨ كانون الاول .

وفي مساء هذا اليوم رأى الانكليز باخرة لامعة الانوار تحمل ثلاثة ضباط من الترك يحملون كتاباً من صبحي بك والي البصرة قبل الاحتلال وقائد الفرقة اذ ذاك وفيه يعد الانكليز بان يسلمهم الفرقة بشرط ان يفسح للترك مجال للخروج منها بسلاحهم . اما القائد الانكليزي فاصر على التسليم بدون شرط

ولما دنا موعد التسليم اصطف الضباط العثمانيون واحاطت بهم الفرق الانكليزية والهندية واخذ كل الضباط يسلمون سيوفهم . اما صبحي بك فرد اليه سيفه اعترافاً ببسالته . واخذ الاسرى بعد ذلك الى الهند .

وفي كانون الثاني نزلت قوات عثمانية في ترعة رطه ومعها مدافع فاقتتلت مع الجنود الانكليزية برهة لم يفز بها احد الخصمين بطائل

ولا بد لنا من ذكر مقتل الكبتن شكسبير معتمد انكلترا في الكويت فانه قصد بلاد ابن السعود لمهمة سياسية فاغتيل في الطريق

الفصل السادس

مظالم الاتراك اثناء الحرب

اعلن النفير العام والدولة العثمانية لا تزال تود انها البقاء على الحياد لكنها كانت تظهر بضعف سياستها انها حالفة للالمان وتنشر اخبار انتصاراتهم حتى ان باعة الجرائد والنشرات التلغرافية كانوا ينادون فرحين على مسمع من رجال الحكومة في الشام بان الجيش الالماني يتناول غداء الغداء في باريس وسيكون بعد ايام قلائل في بطرسبرج ولما اعترض على ذلك قناصل دول الائتلاف بواسطة احد تراجمتهم امتعض الوالي خلوصي بك واستاء من ذلك واضمر الشر لهؤلاء القناصل وتراجمتهم جميعاً لان الاتفاق بين المانيا وتركيا كان قد تم منذ اشهر الحرب على روسيا كما ثبت ذلك من خطاب خليل بك ناظر الخارجية في المأدبة التي اقيمت لبعض النواب الالمانيين الذين زاروا الاستانه في اوائل سنه ١٩١٦ ولم يكن ادعاء العثمانيين الحياد الا تمويهاً ريثما يتهيأ لهم الاستعداد فقد انفذت الاوامر للولاة لمراقبة

قناصل دول الائتلاف في شهر اغسطس وذلك قبل اعلان العثمانيين الحرب بشهرين وقد حرضوهم ان يمنعوا اولئك القناصل من الانتقال والسفر ما امكن . فاتفق ان ترجمان قونسلاتو روسيا يوسف بك السبع كان يودع احد انسبائه في محطة البرامكة وذلك في اوائل ايلول من السنة نفسها فشاهده بوليس المحطة وظنه مسافرا فاضطرب وسأله اذا كان استحصل على موافقة مدير البوليس بالسفر مع انه لم يسبق مثل هذا السؤال فيما مضى ولما اعلن دخول تركيا في الحرب طلب قناصل الدول الى الوالي المومأ اليه ان يأذن لهم بالسفر فأجابهم راجياً منهم الانتظار ريثما يرد الاذن من الباب العالي لان عنده امراً سابقاً بهذا الشأن ففي صبيحة يوم الخميس الواقع في ١٢ ت٢ سنة ١٩١٤ ارسل مدير البوليس توفيق بك لكل ترجمان نفراً من البولس يكلفه ان يشرف الدائرة لمقابلة المدير بأمر هام ولم تبلغ الساعة الحادية عشرة حتى اجتمعوا كلهم في الدائرة وهم بحسب وصولهم اليها : يوسف افندي السبع سمعان افندي مرقده من تراجمة قونسلاتو روسيا الدكتور شاكر بك قيم ترجمان انكلترا حبيب افندي دوناتو خليل غناجه . توفيق افندي اواديس وتوفيق افندي بدري من تراجمة قونسلاتو فرنسا . فطلبوا ان يعرفوا سبب استدعائهم فقيل لهم ان ينتظروا قليلا وعند الظهر طلبوا الانصراف لتناول الطعام والرجوع من بعده فقيل لهم ان نفراً من من البوليس يكون تحت امرهم لاحضار الغداء الذي يريدونه واذ ذاك ابتدأت افكارهم تتشوش قليلا الا انهم لم يخطر لهم قط ببال ان وراء الاكمة ما وراءها وانهم دعوا لكي يبلغوا امر النفي ولما

ضاق نطاق تصبرهم طلبوا بالحاح ان يصير تبليغهم ما عند المدير من التعليمات فاستدعاهم المدير نحو الساعه الثانية ونصف بعد الظهر وبلغهم وجهه يطفح سرورا ابتساماً : ان الحكومتين الملكية والعسكرية في الولاية بناء على اوامر الباب العالي اتفقتا على ابعاد التراجمين الى مدينة قيصرية في بر الاناضول كل مدة الحرب وان سفرهم يكون هذا المساء في القطار المسافر في منتصف الليل الى حلب فاضطربوا عندئذ ولم يتأخر احدهم ولم يقتصر يوسف افندي السبع عن توجيه الخطاب للمدير قائلا : اتجد ام تهزل ؟؟ لانه لو كان ثمت جد لما كان من اللائق ان تبلغنا هذا الامر الهائل وانت باسم فالانسانية تقضي عليك بالتأثر لاننا منبارح بلادنا وعيالنا من غير سبب فاجاب المدير انه متأثر جدا وانه بحسب الامر الذي لديه لايسمح لهم البتة ان يبارحوا الدائرة وأن عليهم ان يبقوا هنالك الى ساعة سفر القطار وأردف كلامه بقوله انه يمكنهم ان يخابروا بالتلفون عيالهم ليحضروا اليهم ما يحتاجون من الملابس والمآكل وعند ذلك اخذوا بالمخابرة وشاع الخبر في المدينة فتوافد الناس الى دائرة الشرطة رغما عن مراقبة البوليس وقيداسماء المتوافدين . وقدراجع البعض من المبعوثين الاكارم واخصهم فارس افندي الخوري جناب الوالي للافراج عنهم فقال انه وردته اوامر شديدة بهذا الخصوص من الباب العالي وأنه راجع كثيراً بشأنها فلم يتمكن من ابقائهم حتي طلب بنوع مخصوص ابقاء احدهم يوسف افندى نظرا لحسن مسلكه فلم يرق ذلك للباب العالي وعند الساعة الثانية

بعـد الغروب حضرت عائلاتهم الى الدائرة لوداعهم وتسليم الحوائج اللازمة لهم في اسفارهم الطويلة

وكان بين هؤلاء المودعين الافندية ميشل مرقدة وميشل واديس ترجمانا قونسلاتو البلجيك وهما اخوا الافندية توفيق اواديس وسمعان مرقـده المومأ اليهما . ولما اتما مهمة التوديع ارادا الانصراف واذا بالبوليس يمنعهما ويكلفهما البقاء في الدائرة لاجل السفر ايضاً في الغـد لانهما تراجمة دولة بلجيكا المعتبرة كمحاربة وعـدوة فازداد اذذاك اضطراب الحاضرين.

وعند الساعة العاشرة سارت عربات تخفر كل واحدة منها افراد الدرك الى محطة البرامكة التي كان بها البعض من الرؤساء الروحيين و شهم خليل افندي عبسي الذي لم يخش قط يومئذ سطوة الحكومة الظالمة واظهر كل حماسة لايقاف سفر التراجمة .

وسار بهم القطار الى حلب فوصلوها في الغد بعد غروب الشمس واذا المحطة مملوءة من انفار الشرطة والدرك مدججين بالسلاح وقد وقفوا صفين متلاحمين من سلم القطار حتى مدخل المحطة كأنهم يراقبون جناة خشية ان يهربوا .

وقد كان الهرب ممكناً في رياق لو ارادوا ذلك وبعد ان ترجلوا في المحطة امام فكري بك مدير البوليس أُخذوا الى نزل الشهباء الذي كان اشبه بقلعة محصنه حشدت بها العساكر لكي يخفروهم ثم وضعوا التراجمة اربعة اربعة في غرف النوم يخفرهم نفران واحد من

الخارج والاخر من الداخل وفي القدا لحقوا بهم تراجمة حلب وهم الافندية اسكندر بليط ترجمان قونسلاتو فرنسا والدكتور كامل هلال واسكندر بك اخرس ترجمانا انكلترا وحبيب خياط ترجمان روسيا ومحمد حماميش وفتح الله ارسان وفتح الله بليط تراجمة ومتولي بعض الاديرة في حلب وجرى تسفير الجميع تحت سيول الامطار ضمن عربات جركسية لجهة الاسكندرونة فساروا في اليوم الاول ست عشرة ساعة حتى وصلوا الى قرية تدعى جندريس فلم يجدوا محلاً يأوون اليه سوى فرن على جانب القرية باتوا ليلتهم به وفي صباح يوم الخامس عشر من شهر تشرين الثاني سافروا من هناك تحت الغيوث المنهمرة حتى امسوا قرب خان قضوا ليلتهم به ثم تابعوا السير الى بيلان وبقوا بها منتظرين امراً ثانياً . فلم يرد الامر اليهم الا عند المساء فاركبوهم عندئذ العربات وساروا بهم الى الاسكندرونة ومن عرف صعوبة الطريق بين هاتين البلدتين يمكنه ان يتصور ما قاساه هؤلاء المبعدون من الاهانات والعذاب حتى وصلوا نحو الساعة العاشرة الى الاسكندرونة

وقيل ان الحكومة قصدت وصولهم الى هذه المدينة بمثل تلك الساعة كي لاتشاهدهم المدرعات الروسية في ميناها . فناموا في محل لا اثاث به بالقرب من المحطة وعند صباح ركبوا القطار الى اطنه وهناك استقبلهم الوالي اسماعيل حقي بك بدائرته ولاطفهم وامهلهم اسبوعاً يقضونه احراراً كيما يتمكنوا من مراجعة المحلات الايجابية بالاستانة وفي الشام عساهم يعودون الى دمشق لان الوالي احتج على تسفير التراجمة لانهم من العثمانيين وهم من الطبقة العليا ولم تعترف

بهم الحكومة الا بعد البحث عن حسن مسلكهم . وشفع بهم الوالي المذكور بالبقاء في اطنه اذا لم يمكن ارجاعهم فشكر التراجمة عنايته واخذوا برفع التلغرافات للباب العالي والي ولايتي سورية وحلب حتى مضت المهلة المعطاة لهم ولم يفوزوا بطائل .

ويوم استعدادهم لاكمال المسير صادف مجيء جمال باشا الى اطنه فراجعه بعضهم بالامر فقال له ان الامر منوط بواليكم لو اراد ابقاءكم لفعل وهو كذاب بما يدعيه من التشفع بكم لان ابقاءكم في ولايته منوط به والامر المعطى بابعاد التراجمة ينفذ في من كان سيء السيرة منهم او تخشى دسائسه .

ثم وعدهم بانه سيجري التحقيقات بذاته عن احوال كل منهم وينظر في الامر وقال لوالي اطنه ان يبقيهم عنده ضيوفا الى ما بعد وصوله الى الشام .فاخذ عندئذ التراجمة الدمشقيون والحلبيون بمراجعة ولاتهم ورؤسائهم الروحيين ووجهاء قومهم عساهم يتوفقون الى البقاء في اطنه . فاسترضى جلال بك والي حلب بعض المقربين اليه فاعاد الحلبيين بعد شهرين وبقي خلوصي بك والى الشام مصراً على عناده حتى انه قدم تلغرافاً الى الباب العالي يعدان ورده التخيير بامكان اعادتهم وذلك بسعي بعض المبعوثين الافاضل : انـه لايأمن على حياتهم من هجوم الجماهير عليهم اذا حضروا الى الشام وان حدة الاهالي تحملهم ان يقطعوهم باسنانهم وهكذا بقي هوءلاء التراجمة في اطنه الى شهر اياذ سنة ١٩١٦ اذ صدر امر جمال باشا بابعادهم مع عائلاتهم واطفالهم الى الاناضول فكان حظ الاكثرين منهم ولاية انقره وواحد اسكيشهر وبقي

اثنان في اطنه بمساعدة حكومتها ولم يرجع التراجمة الى اوطانهم الى بعد ان صدر امر جان بولاد بك باعادة جميع المبعدين من ابناء العرب وذلك في ١٢ اغستوس سنة ١٩١٨ يوم جلوس السلطان وحيد الدين

ولسوء الحظ توفي منهم ثلاثة وهم المرحوم دوناتو في قلعه جك من اعمال انقره والمرحوم توفيق بدوى قضى نحبه بفاجعة مؤثرة وهي سقوط حجر كبير على القطار الذي كان يقله وسط انفاق طوروس الطويلة ويروي البعض ان اللصوص قتلوه غيلة بين حلب واطنه

وتوفي المرحوم جرجي ماشطه قواص قونسلاتو روسيا بدمشق في بلدة اسكاهيب من ولاية انقرة.

وللابعاد فروع اخرى بوشرت بعد وصول جمال باشا وهي ابعاد من دأبهم السلب ويخشي انتشار الفتن بسببهم ثم المعروفين بالبسالة والشجاعة وكان فريق منهم ينتمي الى بعض العائلات الممتازة يستخدمونهم عند الحاجة لمقاومة مناوئيهم . ومن ثم بوشر نفي بعض العائلات المتنفذة من كل المذاهب ومن كل جهات سورية الى اماكن بعيدة نظير سيواس، وانقره وغيرها

ولقد جرى الابعاد بنوع تقشعر منه الابدان اذ سلم المبعدون الى فريق من رجال الشرطة يفوقون البرابرة توحشاً ولا يفقهون للانسانية معنى .

ثم انتهى الابعاد الى الذين اعدت لهم المشانق كعائلات الشمعة والمؤيد والعسلي والانكليزي وسلوم وسواها ممن تنتمي الى واحد من المحكوم عليهم بالاعدام .

وبعد ذلك تشكلت في ولاية سورية وبيروت ومتصرفيتي لبنان والقدس وسائر القائمقاميات والمديريات بان تبحث عمن يجب ابعادهم وافسح المجال للواشين ليفرغوا جعبهم ولا تسل كم ظلم من العائلات في كل بلد اذ ذاك . ولم يكتف اولئك القساة بما انزلوه بالمبعدين من انواع العذاب في وقت سفرهم كأن ترك اوطانهم وارزاقهم وبيوتهم غير كاف حتى سلبوهم امتعتهم البيتية وبدلوا دراهمهم الذهبية والفضية بالاوراق النقدية وحولوا منازلهم الجميلة الى دوائر وموءسسات كأن اربابها يعملون عمداً على خراب تلك البيوت ومنها ما جعل مساكن للامراء والضباط ومجتمعات للحفلات العمومية . فان بيت الامير عمر الجزائري في دمر قد حول الى مستشفى وقطع ما حوله من الاشجار التي كانت مطمح انظار الاوربيين ونزهة للابصار وقد اعطيت بيوت الامير في محلة العمارة بدمشق التي يخرقها نهر بردى المشهور وفيها مافيها من المفروشات والزين الى بعض مهاجري الارمن من الطبقة السفلى وكذا بيت احمد باشا الشمعة الذي يعد من اعظم قصور الشام واما بيوت المرحوم عطا الله باشا البكري فقد تحولت الى دوائر عسكرية وسجن للفراريين ومحاكم مراقبة وغير ذلك من الموءسسات

واما في بيروت ولبنان والقدس فقد فعلت الحكومة في املاك المبعدين وبيوتهم نحو ما فعلته في الشام او اكثر .

اما تسفير المبعدين فقد كان عنواناً للهمجية اذ ان المأمورين كانوا يحملون اكابر الناس واشرافهم في عربات العفش والحيوانات بمنتهى الذل والمهانة وما لبثت الحكومة التركية ان عرفت خطأها وادركت

جورها وعسفها بحق هؤلاء الابرياء فبادرت الى تبريرنفسها بما لم ينفعها ونشرت في صفحة ١٤٦ من كتاب الايضاحات المواد التي استندت عليها لابعاد امثال هؤلاء تحت عنوان :

(قانون من خالف اجراءآت الحكومة وقت الحرب) مع انه وايم الحق لم تظهر ادنى مخالفة مما زعمته : ثم قالت انها جعلت ارسال الاطفال والنساء مع الرجال لكي يتسنى لهم ان يعيشوا في منفاهم بشكل عائلي وانها شكلت مجلساً يهتم بأمر المبعدين وعينت لكل منهم و كيلا تحت مراقبتها واجلت سفر الحاملات والمريضات من النساء ومن لهن اولاد دون السنتين ولم تبخل باعطاء مصاريف السفر وعينت كل منفي بأمورية تعادل مأموريته في بلاده وان جمال باشا قد اوعز الى الولاة بان كلاً من هؤلاء يعد وطنياً ولم يحرم من حقه لان ابعادهم ليس قصاصاً بل احتياطاً وقد ختمت هذه التعليمات بما نذكره بالحرف وهو :

كل ما يخالف هذه الاساسات من انواع لاشاعات والتلفيقات فهو كذب وخيانة فان قائد الجيش صنع هذه الاجراءآت باسم الامن العمومي • ليعلم من لم يكن له ذنب من النساء والاطفال والشبان انهم ذهبوا ضحية لخيانة بعض الاشخاص المنتسبين اليهم •

وعبثاً كانت الحكومة التركية تجهد نفسها بان تلبس هذا العمل الفظيع غير لباسه وتجعله في عيون الناس عادلا فان من رأى نساء الارمن المنفيات الى سوريا يلدن في الطريق يتضح لديه كذبهم وتمويههم في كل ما اوردوه في البند الثاني من مراعاة احوال الحبالى او من رأى العجز يلقون بأنفسهم في المياه تخلصاً من الجور يعرف مقدار ما لاقاه

المبعدون من توفير اسباب الراحة !!

ومن نظر الى بيوت المبعدين وما آلت اليه من الخراب والسلب يتحقق لديه ان وكلاء المبعدين والمجالس التي الفت للمحافظة على اموالهم كانت بلة في الطين وثالثة الاثافي

لما قدم جمال الى سورية شكل لجاناً لمراقبة البريد في سائر انحائها وبث الجواسيس الخفية في كل الجهات مشخصاً دور عبد الحميد في الاستانة .

وكانت البوسطات حتى ذلك العهد ترد من البلاد الاميركية لانها كانت لم تزل على الحياد وقد كانت العلاقة عظيمة بين البلادين لكثرة المهاجرين السوريين الى تلك الاقطار وعند اعلان الحرب كانت التحارير والحوالات المالية ترد بكثرة الى اهل المهاجرين . واما المراقبة فقد بلغت من الشدة اقصاها ومن الاحتراز غايتـه القصوى وكانت الرسائل تفتح والحوالات تكتم وما لا يستطاع كتمانه منها فكان يصرف ورقاً عثمانيا تعادل الليرة منه ريالين اوريالا ونصفاً عوضاً عن الاوراق الاميركية المكفولة . واما عند تمحيص الرسائل فويل للمرسل اليه اذا وجد في المكتوب بعض عبارات استفسار من المرسل عن كيفية معاملة الحكومة التركية لاهله وتخطئتها لدخولها في غمار الحرب وحين ذلك ينهال البلاء الاعظم على المرسل اليه . فتحال دعواه اولاً الى لجنة تحقيق ديوان حرب في الشام فيحضر الغريم اولا مكبل اليدين مهاناً ذليلا ،عند تسليمه الى دائرة الدرك تجرده من ثيابه وتسلبه دراهمه وتجلده ليلا ومن ثم تسلمه لهيئة الشرطة التي تباشر

استنطاقه في الليل ثم يكلف ذلك التعس بقبول كل ما يكتب عن لسانه ثم يتلى على مسمع منه كتاب مراسله سواء كان ابنه او شقيقه او نسيبه الى غير ذلك ويجبر على الاقرار بسابق معرفة ومخابرة بينهما وبعد ذلك تودع تلك التحقيقات لى ديوان الحرب المنقسم الى دائرتين تحقيقية وقضائية فتبدأ الا لى تحقيقاتها ليلا بعد ان تسوم ذلك المظلوم انواع العذاب كالضرب على الرجلين المدعو فلقاً او على الجسم وذلك بحضرة مأمور التحقيق ومشاهدة المدعي العام وكتاب الدائرة ثم يرسلونه الى السجن وهناك حدث ولا حرج عن حالة ذلك البائس وبعد القرار الثاني ترفع الاوراق الى الهيئة القضائية المشكلة من قائمقامين واركان حرب واميرالاي وسواهم ولهذه الهيئة طرق عديدة للاستبداد والرشوة ولا ينجو من مخالبهم الا من توفرت عنده الدراهم او شفعت به بعض السيدات اللواتي كن يقدمن اعراضهن لانقاذ ذويهن ·

وبما ان على المؤرخ ان يذكر الحسنات والسيئات حرمة لقداسة حقوق التاريخ فها نحن نبين ما كان من الرحمة والعدل في الهيئة القضائية مدة رياسة قريش بك احد القائمقامين · فهذا الرجل كان مثالا للنزاهة يستنكف الحاق الضرر باي كان وقديراً ساحة اكثر المتهمين ومما رأيته عيانا من مضحك ومبك انه اتي برجل من اهالي بلاد بعلبك وله ولد في البرازيل انقطعت عنه اخباره من مدة طويلة واسم الولد ضاهر كتب لابيه رسالة يطعن بها بالاتراك ويقول ان دولتهم آذنت بالزوال فاستدار ذلك غضب المراقبين واحضر المرسل اليه الى دمشق

مكبلا بالحديد وبعد اتهامه احضر الى ديوان الحرب فسأله الرئيس على مشهد مني . — هل لك ولد في برازيل وما اسمه ؟ ؟ فاجابه ذاك المتهم بمنتهى البساطة الطبيعية . — نعم لي صبي اسمه ضاهر هل تعرفونه وهل كتب لي واين هو . —

فاجابه الرئيس ان ابنك في اميركا في البرازيل وقد كتب لك — . فقال اعطوني مكتوب ضاهر لاعطيه لامه . — ان ابنك كتب ضد الدولة . — لا يهمني كيف كتب اعطوني المكتوب لاطمن والدته عنه .

فلم يتاخر الرئيس عند ما راى بلاهة هذا الرجل وبساطته عن تبرئة ساحته وتركه وشأنه

وها نحن نذكر حادثة توءيد عدل قريش بك وان كانت خارجة عن موضوعنا وهي محاكمة ميشل اسطمبولية من الشام الذي تلفظ عند تنزيل علم دار العازريين بهذه الجملة :

ان هذه الحوادث لها ذنب : فاحضر ميشل المذكور للمحاكمة امام قريش بك وبعد ان كان القصد من تجريمه في جناية حول الجرم الى جنحة وعد ذلك من الامور البسيطة واكتفى بسجنه ثلاثة اشهر وبالاجمال ان لقريش بك حسنات عديدة اجتزأنا ببعضها الان . على ان اعماله هذه لم ترض احمد جمال فاقاله من مأموريته ونصب عوضا عنه من يروج الظلم ويثير الفساد .

اقفال المدارس

قصد جمال باقفال المدارس اضمحلال القوة المعنوية التي يوجدها

العلم كي يتمكن من السيادة ويخلو له الجو فيعض ويصفر ولذلك عمد الى اقفال المدارس المسيحية لانه ادرك انها بتعاليمها تقف سدا منيعا امام مآربه الذميمه . فلم يبق في حاضرة الشام سوى مدرسة الروم الكاثوليك ومدرسة الروم الارثوذكس ولما كانت الاولى على جانب عظيم من الاهتمام بتربية الناشئة على اقوم المبادىء وتدريس اللغات الاجنبية والعلوم العالية وجه نحوها سهام سخطه واجبرها على تدريس اللغة التركية وكان يود لو تكون لسان المدرسة الرسمي ولما رأى بعد حين عدم اقبال التلامذة على اقتباس هذه اللغة ارسل يطلب اخلاء هذا المعهد العلمي وان يتحول الى مستشفى وهو يعلم يقينا ان لا مدرسة سوى هاته وبعد التي واللتيا والاستدعاآت والمداخلات والرجاء غض الطرف املا ان يعيد الكرة . ولقد لاقت هذه المدرسة من ضروب الانتقاد والانتقام ما كاد يثبط عزم اربابها لولا ان عناية خاصة كانت ترافقها مدة سيرها في مضمار هذا المعارك

واما مدارس بيروت فقد اقفل معظمها ولسبب وهمي اقفلت مدرستا الموارنة والروم الكاثوليك وسجن رئيساهما ازورا لاتهامهما باعطاء شهادة الدروس لمن لا يستحقونها .

رب معترض يقول انه سمح لكثيرين من اهل العلم ببيروت ان يفتحوا المدارس . . نعم لا انكر ذلك . لكن هل كانت تلك المدارس سوى حظيرة للاولاد . ورب آخر يقول . ان جمالا لم يتعرض يوماً للكلية الاميركية فاجيبه لو قدر له ل . ولو لم يخش بطش الاميركان وصولتهم لساقها الى ما ساق اليه غيرها وانما الدهر مواقف والحق للقوي

ولا ننسى ايضاً كيف اقفل عزمي بك والي بيروت بايعاز من جمال الكلية العثمانية وكيف اقصى صاحبها الاستاذ النحرير الشيخ احمد عباس الى الاستانة محتجاً بان الخائنين للوطن معظمهم ممن تخرجوا من هذا الصرح .

اما مدارس الحكومة فلم يكن دأبها الا الاستعراض في الازقة وحمل الاعلام والشارات التركية وانشاد الالحان التركية واستقبال هذا القائد وتوديع ذاك .

واما اللغة العربية في هذه المدارس فقد كانت مائتة ولقد اثرت كثيرا مبادئ هذه المدارس على عقول الشبيبة حتى سرى الفساد الى جميع طبقات الشعب فكنت ترى المالئين يزرعون زوان الشقاق ويعيثون في البلاد فسادا . فان كان من ويلات الحرب قتل الاجسام فان قتل النفوس هو من اعظم ويلاتها

﴿ سلسلة الخراب في المدن والبلدان ﴾

وقد اتخذ جمال القسوة والشدة واسطة لالهاء الناس عن السياسة فاوعز الى دائرة البلدية في منطقة الجيش الرابع بتوسيع الطرق وهدم المنعطفات مدعيا اصلاح البلدان وهو لايتوخى الا اشغال الناس عن السياسة ولما كانت دمشق وبيروت مطمح ابصاره بدأ بالتخريب في دمشق قبل سواها فامر بهدم جامع السنجقدار فالمحكمة السونية في محلة العمارة فالزاوية في صدر طالع سوق ساروجا حيث هدم ايضا مقاماً وضريحا لاحد الصالحين . ثم هدم شارع باب توما الى طالع القبة وكثيرا غيرها فجاء هذا الهدم مفيدا خلافا لافكاره . وربما صحت

الاجسام بالملل . و بعد ذلك عمد الى انشاء شارع باسمه مبتدئاً به من منطقة الحميدية الى مستشفى الغرباء واتسع الهدم حتى اصبحت ساحة الطريق تزيد عن الاربعين مترا واراد ان يجعل في الشارع ممرين يجري بينهما نهر فاظهر بعض المفكرين ان في الامر خرابا لان تحويل النهر الى هذا الشارع يضر بكثير من الاهلين المنتفعين من مائه فتحول جمال عن عزمه وقسم الشارع الى جنائن متقطعة كما هو الان واستخدم لهذه الغاية طابورا من الجنود المدربين

لا ينكر عارف بان توسيع الطرقات امر لا بد منه لتحسين المدائن ولكن في البلاد المتمدنه يدفع لاصحاب الاملاك الذين تصير بيوتهم او املاكهم طرقات اثمان اراضيهم تماماً دون ان يبخسوهم شيئا من حقوقهم .

اما جمال فلم يبال باستغاثة انفقراء اصحاب الاملاك ولم يعوض عليهم بشيء .

وفي وسط هذا الشارع في مقدم العطفة التي تؤدي الى عمارة العابد ضريح لاحد رجال الاتراك لطفي باشا لم يشأ هدمه بل جدد بنايته على شكل هندسي حديث لانه مدفن تركي . وقد بقيت هذه البناية قائمة الى ان مضى على دخول الدولة العربية ثلاثة اشهر فأمرت بهدمها في ٣١ ك ١ سنة ١٩١٨

ولولا تلك الشائبة اعني بها قبر التركي وقد زالت والحمد لله لكان الشارع ينطبق تمام الانطباق على الخطة الهندسية .

لقد كان لجمال عناية خاصة بهذا الشارع حتى اقام على خفطه فريقا

من الجند وكلف البلدية في سبيل انشائه مبلغا لا يقل عن تسعين الف ليرة .

‹ المضحك المبكي ›

وهذا الشارع ينتهي عند محطة الحجاز حيث توجد قناطر تمر من تحتها المياه فيما كان احد جمال عائدا مع رفقائه من تشييع جنازة ناظر الحربية وقف هناك وسرح الطرف نحو المياه فوقع نظره على بعض وريقات رماها احد مستخدمي السكة الحجازيه فاستشاط غضبا وامر باحضار مدير السكة التركي وبما انه كان متغيبا احضر وكيله نسيم بك عدس العربي احد وجهاء الطائفة الاسرائيلية فارتعد هذا لما يعلمه من استبداد ذاك الطاغية غير انه سكن روعه نظرا لما اتصف به من ثبات الجأش واستنكافه مما يتعلق بالسياسة ثم مثل بين يدي القائد فاشار هذا الى تلك الوريقات مستفهما عن سبب رميها فاستغرب الوكيل اهتمام القائد بامثال هذه السفاسف واجاب معتذرا عن جهل بعض المستخدمين الذين لم يراعوا نظام التنظيفات المختص بشارع جمال باشا فلم يرض جمال بهذا التخلص بل قال لنسيم بك ينبغي تغريمك بخمسماية ليرة عثمانية ذهبا عينا جزاء نقديا فارتاع نسيم بك لهذا الحكم المجحف الذي لا سبيل لرده الا ان والي الولاية استدرك الامر واجاب القائد ان شركة السكه الحديدية تدفعها ولاي الخمسماية ليرة جزاء نقديا لعدم مراعاتها قانون التنظيفات وامر نسيم بك باحضار الذي القى تلك الوريقات ولما وصل دنا احد الحجاب واسر باذن القائد ان مرتكب هذه الجريمة هو تركي فرجع القائد عن متابعة تلك الدعوى

والصرف . فتأمل !!

وقد نظم جمال خريطة لتوسيع الشارع وتمديده الى باب توما فاقتضى مروره في الصف الشمالي من سوق الحميدية ومنه الى الجامع الاموي المشهور فالاميريه فباب توما . وبعد تنظيم الخارطة امر بهدم البيوت المجاورة للجامع فهدم قسمامنها وكان يريدمتابعة العمل ولكن!!

وبينما كانت تهدم الاماكن المجاورة للجامع الاموي انتبه الى ضريح الطيار بن فتحي وصادق اللذين بجوار ضريح ساكن الجنان السلطان صلاح الدين الايوبي فامر بهدم جميع البيوت المجاوره وتحويلها الى حدائق احتراما لهؤلاء الشهداء الاتراك وقد تم ذلك فعلا وتركت تلك القصور والمنازل قاعا صفصفا حتى يوما هذا

الا ان الاشغال الحربيه والثورة العربيه حالت دون اتمام امانيه كلها فوقف بعد ان هدم كثيرا من الاماكن المقدسه وضريح ساكن الجنان الامير عبد القادر الجزائري في جادة الشيخ الاكبر في الصالحيه

اما بيروت وحيفا ويافا فقد حولها الى خرائب ولم يهتم باعادة بناء احد تلك الاسواق المهدومه

وكذا كان دأبه في البلاد العربيه التي امتدت اليها سطوته ليفهم القاريء اننا لا نريد التعزير بجمال لكونه يوسع الطرقات فذلك اعظم ما يتمناه كل محب للاصلاح غير اننا نعنفه ونلومه لكونه لم يدفع درهما واحدا لارباب البيوت التي اصبحت طرقات وشوارع والـه لم يهتم باعادة بناء مايخربه .

ان مصلحة انكلترا في مصر تبتدىء من فتح ترعة السويس سنة ١٨٧٥ وقد كانت بريطانيا العظمى تعارض اشد المعارضة بفتحها لانها تجعل طريقاً مختصراً تسير به دول البحر المتوسط الى الهند ويكون بمثابة مفتاح لتلك البلاد

وفي سنة ١٨٨٢ اى على اثر الحركة العربية بسطت انكلترا حمايتها على القطر ولكن لم تعترف لها احدى الدول اعترافاً واضحاً بمركزها الخاص ومصالحها . الا ان ذلك لم يقلل من نفوذها ولا وقف عثرة في سبيل مآربها .

وفي سنه ١٩٠٤ تبادلت فرنسا وانكلترا اعتراف الاولى للثانية بمصالحها في مصر فقابلتها هذه بان اعترفت بالامتيازات الافرنسية في المغرب الاقصى ثم اخذت سائر الدول تعترف بالاحتلال تدريجيا ماخلا تركيا وفي سنة ١٩٠٦ احتل الترك في شبه جزيرة سينا بعض النقط فاعترض الانكليز عليهم بذلك ومن ثمَّ رسمت الحدود بين مصر وتركيا ولكن ابى الترك ان يوقعوا على تلك الخريطه

إن علاقات الوداد ابتدأت تتوطد بين النظار والمستشارين منذ ١٨٩٥ ولكن الخديوي كان يعمل سرّاً على منع هذا الاتفاق وهو الذي ايد الحزب الوطني الذي كان يجاهر بعداء الانكليز ومقاومة الاحتلال وكان لهذا الحزب علاقات متينة بالنادي الاتراك

وسنة ١٩٠٧ استقال اللورد كرومر معتمد بريطانيا السامي من منصبه فخلفه السير الدون غورست وبعد وفاة هذا خلفه اللورد كتشنر وكانت

الخواطر مضطربة جداً في عهد سالفه لمقتل بطرس باشا غالي الذي كان اغتياله في اغلب الظن من قبل الاتحاديين . ولقد تمكن اللورد كتشنر بدهائه المعروف من تسكين الخواطر والضرب على ايدي المتطرفين .

نشأ في مصر حزب يسمى (حزب الاعيان) وهو شديد الكره للانكليز وحزب آخر اشد منه كرهاً لهم وهو (حزب خدمة الكعبة) يتألف من متعصبي الهند والافغان والترك

ولقد كان البنك الالماني الشرقي الذي اسس في مصر قبل الحرب بعشر سنوات يوزع امواله بفائدة قليلة متغاضياً عوضاً عنها فائدة سياسية وهي اظهار انكلترا للشعب المصري بمظهر القسوة لان مصارفها كانت تتقاضى فائدة تفوق فائدة البنك الالماني

وكانت الوكالة الالمانية لاتالو جهداً في زرع بذور بغض الانكليز في قلوب الاهلين . الا ان ذلك لم يكن شيئاً مذكورا بالنظر لما كان يتذرع به الاتراك منذ ايام عبد الحميد وهو اتخاذ الاسلام ذريعة لبسط النفوذ التركي ولقد كانت هذه الحركات وامثالها تهيج عواطف فئة غير قليلة من الشعب الساذج .

اما المصريون فقد اشتهروا في كل الاجيال بعدائهم الشديد للترك لان السلطان سليماً الاول لما دخل مصر غازيا سنه ١٥١٧ شنق سلطانها عند باب الزويله ثم اغتصب السلطة العامة على الاسلام من الخليفة العباسي الذي كان وقتئذ يقيم في مصر بكنف سلطانها

وباتت مصر في ذلك الحين ولاية تركية اسماً غير انها كانت فعلاً في حكم المماليك ولم يكن للسلطان ان يولي احداً الا بعد موافقتهم

وبقيت الحالة كذلك الى ان قام علي بك (١٧٦٣) وصار محافظاً للقاهرة وسمي شيخ البلد . ومع ذلك الاتراك يزالون مظالمهم والمصريون يصرون على بغضهم ومقاومتهم الى ان استقر الحكم المصري في عائلة محمدعلي باشا الذي نجى البلاد من مظالم الاتراك

ولم يكتف ابنه ابراهيم باشا ان يحمي المصريين من ظلم التورانيين بل احتل سوريا بجيش جرار ووقف مهدداً الاستانة من ١٨٠١ الى ١٨٠٤ فاستغاث الترك بالروس وعندئذ اوروبا عقدت على اجلاء المصريين وجعلهم ، وهم المنتصرون ، رعية للاتراك ، واجبرت محمد على ان يتخلى عن سوريا وبلاد العرب ويدفع للمغلوبين خراجاً سنوياً وعقد الصلح بهذه الشروط

ولما احتل الانكليز القطر ١٨٨٢ ظل الخراج يدفع للسلطان وبقيت سيادته على مصر في تعيين الخديوي والقاضي الاكبر وفي منع مصر من عقد المعاهدات السياسية وتعيين سفراء في الخارج او زيادة الجيش المصري وتغيير نظامه

وفي الخامس من آب ١٩١٤ عندما اعلنت بريطانيا العظمى الحرب على المانيا ثم على النمسا قرر مجلس النظار المصري ان يكون القطر تحت جانب انكلترا لانه عرضة لهجوم اعدائها عليها لكونها تحتله عسكريا

ولقد خفضت الحامية الانكليزية في مصر في اواسط شهر آب بسبب نقل الجنود الى ميدان القتال واستعيض عنهم بجنود من المستعمرات . وعندئذ صار يخشى من دسائس الترك والالمان لان ممثلي المانيا والنمسا كانوا لايزالون في مصر حتى ذلك الحين وكانت

المواصلة بين الوكالة الالمانية في مصر والسفارة في الاستانة لم تنقطع بعد فخوفاً من ان يحدث مايكدر الامن ارتأى الجنرال ينج ان يبعد الوكيلان الموما اليهما فرفعا احتجاجهما الى الحكومة المصرية فلم ترد اليهما جواباً

اما الحكومة التركية فقد كانت في كل المدة التي تخللت اعلان الحرب الاوروبية تعلن حيادها وهي تحشد الجيوش وتتأهب لخوض غمار الحرب مع المانيا والنمسا وتؤكد لانكلترا ان ذلك هو حياد مسلح

واخذ غلاة الاتحاديين وعصابات الفدائيين يتواردون على سوريا ويتجولون بين قبائل العرب ليحرضوهم على مهاجمة مصر وكان رائدهم الاصفر الرنان وظاهرهم الغيرة على الاسلام

ولما تحرشت النسافات العثمانية في اودسا ببعض قطع الاسطول الروسي في آخر تشرين الاول قبض الانكليز في مصر على فئة لايستهان بها من عصابات الاتراك التي امت مصر لتثير القلاقل

وفي ٥ تشرين الثاني اعلنت الحرب بين انكلترا وتركيا

وفي ٧ تشرين الثاني وزع الجنرال مكسويل اعلانات بين فيها ان الحرب قد اعلنت بين تركيا وانكلترا وهاك بعض ماجاء فيه :

ان الحكومة العثمانية منذ ابتداء الحرب بين جلالة الملك وامبراطوري المانيا والنمسا اعتدت مراراً باغراء اعداء جلالته على ما لجلالته من الحقوق بموجب القانون الدولي والمعاهدات ومع ذلك امتنعت حكومة جلالته كل الامتناع عن معاملتها بالمثل حتى اضطرت

الى ذلك اضطرارا بالاعمال الحربية التي قامت بها الحكومة العثمانية في سوريا اذ لا يمكن ان يكون المقصود بها الا مصر . وباعتداء العصابات المسلحة على الحدود وبمهاجمة القوات البحرية العثمانية جهارا وبلا سبب لاملاك احد حلفاء جلالته بقيادة ضباط من الالمان

فانكلترا كانت تحارب لصيانة ما لمصر من الحقوق والحرية والاستقلال التي اكسبها اياها محمد علي في ميدان القتال وتضمن لها دوام السلم والرخاء اللذين تمتعت بهما مدة ثلاثين سنة من الاحتلال الانكليزي .

اما الرعايا العثمانيون فلم ينفوا من القطر المصري لان جلهم من السوريين والارمن والاروام وهم اصدقاء الانكليز . وان فئة غير قليلة من الاتراك انفسهم اعداء الداء للاتحاديين

وقد اشير على البرنس محمد علي شقيق الخديوي مع اثنين آخرين من العائلة الخديوية بالسفر الى ايطاليا ففعلوا ونفيت فئة غير قليلة من النزلاء الترك المتمصرين والمصريين الذين يخشى ان يحركوا الثورة وشددت المراقبة علي البريد والجرائد

ولما كان عباس حلمي الثاني الخديوي السابق متغيباً في الاستانة ولم يكن الانكليز يثقون باخلاصه وصدق وداده لانه طالما حاول ان يعرقل مساعيهم بتشجيعه الحزب الوطني المتصرف وانضمامه الى اتحاديي الترك رأوا ان يخلعوه عن سرير الخديوية المنيف وينصبوا على هذا السرير سمو الامير حسين كامل عم الخديوي السابق واكبر اعضاء العائلة الخديوية المالكه

وجعل لمصر راية خاصة وهي ديباجة حمراء اليها ثلاثة اهلة بيضاء ومحدبها متجهة نحو العصا وفي كل منها نجم ابيض ذو خمسة اشعة موضوع بين قرني الهلال

وعينت حكومة جلالة الملك معتمدا ساميا في مصر واستعاضت عن اسم دار الوكالة بدار الحماية وعينت لهذه الوظيفة السر هنري ماكماهون وهو من كبار موظفي الهند

اما السلطان حسين كامل فقد ولد سنه ١٨٥٣ وارسل سنه ١٨٦٧ لاتمام دروسه في باريس فنزل ضيفاً على نابليون الثالث وكان عشير ولي العهد وقد عين تشريفاتياً في قصر الامبراطوره

وبعد ان عاد الى مصر بقي الى سنه ١٩٠٩ لايشتغل بالسياسة ولا يعتني بها الا انه في هذه السنة عين رئيساً لمجلس الشورى ولكنه لم يلبث ان قدم استقالته من هذه الوظيفة لما ابى المجلس المذكور بايعاز الخديوي السابق ومشايعيه والجمعية الوطنيـة ان يصادقوا على اطالة امتياز ترعة السويس

والسلطان حسين همام مفضال ابي النفس ذكي الفؤاد لين العريكة رحب الصدر ذو ادب جم وورع وافر حر الطباع صادق في وعوده متواضع مع جليسه لايخاف الحوادث مهما عظمت وهو بكلمة واحدة محب لمصر ميال الى الانكليز

ولما تسنم اريكة مصر ارسل الى حسين رشدي باشا رئيس النظار منشورا يقره به في وظيفته السابقة لان المذكور وسائر الوزراء استعفوا لانه شاع اسقاط عباس حلمي اما رئيس الوزراء فاقر الجميع في وظائفهم سوى محب باشا وزير الاوقاف .

العثمانيون
الى
مصر

حرض الالمان الاتراك في الكرة على مصر والهجوم عليها لطرد الانكليز منها وقد وعدوهم بانهم يساعدونهم جهد طاقتهم

اما الترك فكانوا يعتقدون ان النصر يكون بجانب الالمان وقد اقدمت هاتان الحليفتان على هذه الحرب بكل ماعندها من المقدرة والقوه

اما الالمان فقد كانوا يرمون الى اشغال الانكليز بالحرب المصرية التي ربما تجر وراءها ثورة هائلة في داخل القطر تشل يد بريطانيا في الساحة الغربية العظيمه. واما الترك فقد كانوا مسوقين بتشويقات الالمان الى حيث لايعلمون .

وحدث ولا حرج عن الخطب والتحريضات الحماسية و قصائد الحربية التي القيت حين ذاك في عرض البلاد العثمانية وطولها في اثناء الاستعداد للهجوم على مصر فانك كنت ترى مكتوباً على سواعد الجنود (الى مصر) وعلى الجدران والسيارات والعربات (الحملة المصرية) حتى كان يخيل لمن رأى هذه الاستعدادات او قرأ الجرائد وسمع الخطب ان الامة لم تعد تطيق الصبر على الاحتلال الانكليزي لمصر دقيقة واحده .

وقد اقتنع بعض الجهلة والرعاع ان الحملة انما هي جهاد ديني

وان السنجق النبوي يسير في طليعة الجنود لانقاذ ارض مغتصبة لان الترك اتوا ببعض الستائر الحريرية من المدينة واوهموا القوم انه السنجق النبوي وكان المصدقون كثيرين لاسيما في الطبقة الساذجه

ولذلك كانت الحماسة شديدة في بادئ الامر فتألفت طليعة الحملة من البدء وهذه فرت كلها قبل ان تجتاز الصحراء واما الجيش الاكبر فكان مؤلفا من نحو ستين الفاً جلهم من الترك وقد ضم اليه عشرة الاف من الرديف . وكان لهذه الحملة عشرة الاف جمل اربعة الاف منها لجر الاحمال والمركبات الرماية الزحافة وستة الاف لنقل الذخيرة والاعتاد الحربيه .

وقد عمل الالمان زوارق يتألف من مجموعها جسر يجتاز عليه العسكر الترعه فاتحاً مصر . وبدأ الزحف العام في اواخر كانون الاول سنة ٩١٤ . وكان الطقس ملائماً جدا لسير الجنود لان الامطار الغزيرة التي هطلت في كانون الاول والثاني وشهر شباط لم تهطل في تلك الصحراء منذ سنوات عديده . وقد لحق بالحملة التركية من هذه الامطار افادتان اذ امتلات الابار فاستراح الجنود من الاهتمام بنقل المياه وهو امر لابد منه للجيش وتمكنوا من جهة ثانية ان يسيروا في الصحراء بعناء اقل وتعب اخف نظرا لاعتدال الطقس

اما الجيش الانكليزي فقد كان مرابطاً وراء الترعة على اتم اهبة واحسن استعداد ينتظر قدوم عدوه ليورده حتفه بما يعهد بالبريطانيين من الحنكة والدربة وقد كانت جيوشهم موءلفة من الجنود الهندية والنيوزلندية والاسترالية يضاف اليهم خمسون الف رجل يحفرون

الخنادق وراء الترعة وقد كانوا سبقوا فاعدوها منذ اشهر ووراء هؤلاء كان يرابط اربعون الفاً من الاحتياطي

ومما لابد من ذكره ان كثيرين من جنود الترك وصلوا حفاة منهوكي القوى بينما كان الانكليز على اتم راحة واحسن استعداد ناهيك بتفوق التدريب العسكري وعظم المعدات الحربية عند هؤلاء وقلتها عند اولئك .

هاجم جمال في ٣ شباط سنة ١٩١٥ برجاله المنهوكين المضنوكين هذا الجيش المستريح في مكامنه لكن لقلة معداته ولا نظنه كان يجهل قوة البريطانيين وتفوقهم ولكنه قدر مع الالمان الهجوم كيفما كانت الاحوال . لكن هذه الخطة كانت موافقة لمصلحة الالمان مغايرة لمصلحة الترك لان الاولين لم يكونوا يقصدون من الحملة المصرية سوى الهاء الانكليز وتخفيف قوتهم في الساحة الغربية اما الاتراك المساكين فقد كانوا مساقين لارادة الالمان كأنهم اولياؤهم ولا يعقل انه خيل للمهاجمين ان يأخذوا الاعداء على حين غرة وقد رأى طيارتهم ترافقهم في الصحراء اما الانكليز فقد تركوا العثمانيين يدنون منهم حتى ان بعضاً منهم عبروا الترعة بزوارقهم وعندئذ اصلوهم ناراً حامية شتتت شملهم ومزقت عساكرهم كل ممزق . ولقد وصف لي هذه المعركة بعض من اثق بهم ممن حضروها على هذا الوجه : انه عندما دنا العثمانيون من الترعة وجه القواد نظاراتهم الكبيرة الى الضفة المقابلة فلم يروا شيئاً الا انهم سمعوا كلاباً تنبح عليهم فانتظروا مدة ثم اهتدوا الى مكامن العدو فلم يفلحوا وعندئذ باشروا مد الجسر والعبور عليه وكان قليلون يعبرون سباحة

لان الترك كانوا قد نشروا في جرائدهم ان اول جندي عثماني يركز العلم في ارض مصر له جائزة سنيه . ولما كاد البحر يتصل بالضفة الثانية شاهد الترك قطرات مصفحة تتوجه نحوهم وما هي الا لحظة حتى بات العابرون اسرى ورأى الباقون على الضفة الثانية جبالا من الرمل ارتفعت حولهم وفرقت صفوفهم واذا بالاجساد ترتفع الى الجو وشرعت المدافع تحصد صفوفهم ولم يعد احدهم يعرف كيف يهرب ولا الى اين ومما يجدر بالذكر ان العثمانيين ظهروا شجاعة نادرة لكنها في غير محلها وفي ذلك اليوم ضربوا السفينة هاردنج فجرح قائدها الكابتن كارور لكن لم تلبث مدافع البحرية ان اسكتت المدفع العثماني وتقهقر العثمانيون الا ان نحوا من ٣٠٠ من الترك الذين اختبأوا عند الضفة الشرقية شرعوا يصبون نيران بنادقهم على اعدائهم وكان الليل اذ ذاك قد ارخى ستوره فتمكنوا من قتل بعض الافراد ولم يلبثوا ان قبض عليهم بعد ان قتل منهم خمسون رجلا . اما خسائر العثمانيين اذ ذاك فلم تعلم حقيقة ولكنها على كل حال لاتقل عن اثني عشر الفا بين قتيل وجريح واسير فمن هذه الحملة التي ضاق عنها السهل والجبل حينما كانت غازية رجعت الى القدس بحال يرثى لها ولا يتجاوز عدد رجالها العشرين الفا . ومما لابد من ذكره ان كثيرين ممن بقوا في قيد الحياة لما راوا مصير الجندي العثماني فروا هاربين ناهيك عن ان عددا ليس بقليل مات في تلك الصحراء عطشاً بعد ان ضل الطريق وكان كثيرون يشربون بول الحمير والبغال والجمال وكان جمال عند ماشرع بتركيب الجسر ولم يلق معارضة اسرع فابرق الى الاقطار العثمانية :

أن قد غزونا مصر فبادرت الحكومة بكل محل باقامة الزينات الباهرة ولم يشرعوا باعدادها حتى وردتلغراف آخر يقول : قد خدعنا ويا للاسف وعندما وصل جمال الى القدس مع بقية جيشه خطب في القوم انه لم يرجع مقهورا ولكنه اختبر قوة عدوه فهو عاد ليؤلف حملة تتفوق بعددها وعدتها على الانكليز ولم تزل هذه الحملة تتألف حتى داهمها العسكر الانكليزي في الشام وحمل قسما وافرا من جنودها الاتراك اسرى الى مالطه .

﴿ نية السوء ﴾

بادرت حكومة الاتراك تحشد العساكر واعلنت النفير العام في كل انحاء تركيا وقد اوهمت الامة العربية ان الحرب جهاد ديني وليست حربا اقتصادية .

فأتت باحدى الستائر الحريرية الموضوعة على ضريح الرسول « صلعم » من المدينة المنورة فزعمت انها السنجق النبوي وانه حان زمان الجهاد وقد اتى بهذه القطعة جماعة من اشراف المدينة الى دمشق فتهافت الاكرم فتحمس القوم وتقاطروا افواجا من الجهات للجهاد تحت ظل ذلك العلم وعند ما تم حشد الجيوش اخذت الحكومة ترسلهم زرافات الى ساحة الحرب في جناق قلعة حيث العراك الدامي الذي اومضت فيه بروق المرهفات تفترس الشبيبة العربية ولم يكن هنالك الا عدد نزر من الاتراك لان الحكومة التركية قد ارسلت ابناء جنسها الى داخل البلاد السورية باسم الحملة المصرية وعلى هذا النوع تمكنت الحكومة من اعدام الكثيرين من الشبيبة العربية

الا ان الناس اخذوا يتساءلون عن سبب سوق العساكر العربية الى الساحات التركية واستبدالهم بالاتراك في البلاد العربية مع ان الفن يقضي بارسال العساكر الى النقط التي تعرفها والشعب السوري اكثر معرفة بصحراء التيه وطريق مصر من الاناضولي وقد اهتم المفكرون بكشف المعمى من هذه الفكرة الخبيثة حتى اصبحت هذه الفكرة منبثة بين ابناء العرب على اختلاف طبقاتهم وادركوا ان الاتراك يسيئون بهم الظن ولا يأتمنونهم . وتيقنوا ان تلك العبارات التي كانت تنشر على السنه الجرائد من مواخاة العنصرين العربي والتركي انما هي محض تدليس ومداهنة ورياء

ناهيك عن انه لم يكن من العرب في سلك الضباط سوى عدد يسير وقد كان الجنود العرب يلاقون من ظلم ضباط التورانيين ما يفضلون من اجله الموت على الخدمة العسكرية لان الضابط كان يحسب نفسه مسلطاً على انفس واجسام اولئك المساكين فيسومهم انواع المذلة يحبس عليهم اقواتهم والبستهم واذا بدرت منهم هفوة صغيرة او اهمال لبعض واجبات طفيفة انهالوا عليهم بالشتائم وأوسعوهم ضرباً ولقد يعذر الاجناد عن بعض تقصيرات تبدر منهم ولا يتسنى للجائع والعريان ان يتم واجباته بادمان وترتيب .

وخلاصة القول ان العرب رأوا ان الترك يريدون بهم النخاسة فابوا ان يذعنوا لهم

ولا يقيم على ضيم يراد به الا الاذلان عير الحي والوتد

فكثر الهرب والتكتم فعمدت الحكومة الى استعمال الشدة وقد

انتهكت بعملها هذا حرمة الحق اذ فاجأت البيوت وهتكت العرض وقبضت علي كل من صادفته وساقته الى الاعدام. فاعتقد القوم ان في الامر دسيسة وشق البعض عصا الطاعة فعمدت الحكومة الى سن قانون خولت به السلطة لكل من افراد المحافظين ان يعدم واحداً من عشرة يقبض عليهم وقد خطر لي حادث رايته بام العين وهو انه منذ خمس وعشرين سنة عرضت قضية على قاضي عجلون وكان من المشهورين في الارتشاء فتناول الرشوة من الفريقين ولما لم يزد احدهما على الاخر ارتبك بالامر ولم يدر لايهما يحكم فاستشار كاتب الضبط في حل هذه المعضلة فاجابه هذا ان يستند في الامر الى لعبة « الحكرة بكره قال لي ربي عد العشره » فحكم بمقتضى هذه اللعبة الصبيانية وسطر الكاتب الحكم على الوجه الاتي :

لدى التأمل بالايجاب والاستناد على المادة العاشرة من قانون (الحكرة بكرة) قد حكم على فلان) الخ وهذه الحادثة يتناولها الخلف عن السلف وقد اتخذها جمال دستورا وامر بتنفيذ موادها . وبناء على ما ذكر كنت ترى في كل ناحية مشنقة وشخصاً معلقاً ولا يتجاسر احد ان ينبس ببنت شفة وعم هذا الامر اطراف الولاية جمعاء . وكنت ترى كل يوم افواجاً مكتفة بالمرسة يقودهم نفر تركي بينهم كبراء القوم ووجهاؤهم ويسوق الجميع مغلولي اليدين بالمرسة فان كان سفاً كما جرى قانون العشرة وان كان طاعاً استوفى رسم التخلية المشهور وقد روى لي احدهم ان احد المسيحيين الفارين من العسكرية طلب ان ينضم الى جماعة من عظام التجار كان يسوقهم احد الانفار على الطريقة

الآنف ذكرها .

ولما استوفى الرسم منهم لم يبق الا المسيحي الفقير الذي اجابه انه لايملك شيئاً فخلوا سبيله فابى قائلاً : اني اذهب معكم واطلع القومندان على ما فعلتم فشاطروه قسما من المال وخلوا سبيله . هذا ولم يكن المولجون بهذه الاعمال ممن يعرفون القراءة والكتابة وقد روي لي احد الاصدقاء انه بينما كان مارا في ساحة الاتحاد امام زهرة دمشق مع تاجرين حيفاويين الخواجا سلامه وحنا صايغ واذا بقانون مع فرقة من الشرطة القوا القبض عليهم وسألوهم « زهده وثيقه » وبما انه لم يكن مع احدهم وثيقة اخرج كل منهما ورقة شحن مختومة واراها القانون فتناولها هذا جاعلا اسفلها اعلاها وبعد النظر واعمال الفكرة اعاد لي كل ورقته وتركه وشأنه كأنه اطلع تمام الاطلاع على الوثيقه

وقد كان من المرتب على كل من مخافر دمشق عشرون مجيديا يوميا يتقاضاها الانفار من المارين بكلمة « زهده وثيقه » واما ما يجمعونه فوق المرتب فيتسرب الى جيوبهم كل على قدره

ولقد احرز مخفر باب شرقي تحت رئاسة الشاويش اسماعيل آغا الاسبقية على سواه ولكن حفظ له في القلوب حزازات لاتزول وقد نظر بعضهم هذا الشاويش اثناء الاحتلال فاطلق عليه عيارا ناريا فاخطأه وفر الشاويش ولم يزل متكتما

سلسلة النهب

ضاهى الاتراك بالسلب العصابات الاميركية فابتدأوا يجمع الدواب بكل اصنافها وكانوا يشترونها بابخس الاثمان حتى ان الفقير الذي لا

يملك سوى حمار اشتروه منه جبراً بثمن بخس لم ينقدوه اياه الا بعد التعب الجزيل وهكذا فعلوا بالغنم والبقر والماعز والدجاج وعند الشروع بالحملة المصرية جمعت الحكومة كثيرا من الجمال والجواميس وكلها هلكت في ساحة فلسطين

ثم امر جمال بجمع صحاحير الخشب وتنك الكاز ليجعلها ممرا في الترعة تعبر عليه الجنود العثمانية فاتحة مصر . او ليجعل منها حصونا يتقي به ضربات المدافع والقنابل المتفجره .

فمات القوم في البلاد واخذوا بجمع هذه الاشياء حتى بلغ سعر التنكة حدا لم يتصوره العقل ولا بدع فكل نادر عزيز .

ثم عمد جمال الى جمع الحديد حيث كان وقد صرح مرارا انه يهدم البيوت ويخرب الكنائس والجوامع متى راى ذلك لازما

وكأنه لم يكتف بذلك حتى اصدر امره ايضا بجمع اكياس الجنفيص فهب الاعوان لتنفيذ ما امر مرات عديدة . وصدر هذا الامر في بادىء الحرب فلبث الاعوان يباشرون تنفيذه مدة الحرب اعتمادا على الامر الاول وبلغ سعر الكيس مالم يبلغه ثوب حرير في الاعوام الماضية لان اعوان الحكومة كانوا يبيعون تلك الاكياس بعد جمعها ولم يكتف جمال بهذا بل فتح لاعوانه اللصوص بابا اخر لاستنزاف اموال الاهالي بطلبه الاقمشة كالديما والحرير والكتان الخ . فاخذوا بجمع هذه الاقمشة ليلبسوا العساكر التي ظلت عارية وقد استمر تنفيذ هذا الامر مدة الحرب كلها حتى سئم الاهالي ورفعوا شكاويهم ولكن الى من يشكون ؟

ومما يؤيد طمع جمال جمعه محارم الحرير وقناني الكرلونيا وسائر المعطرات وجمعه من اشاط السيدات شيئاً كثيراً وما شاكل ذلك من الحاجيات التي لا يحتاج اليها العسكر بل كان يصرفها كبار الضباط فيذ ما نسكت عنه ادبا وجميعهم كزعمهم الاكبر القائل :

عني خذوا وبي اقتدوا ولي اسمعوا وتشبهوا برذائلي بين الورى

التصدي لنزع الاجراس عن الكنائس

لم يكتف جمال الطاغية بما سبق بل تعدى الى المعاهد الدينية وتصدى لنزع اجراسها فانفذ امره بذلك سنة ١٩١٦ فلبي الامر في مدينة زحلة وزوق مكايل الا ان ذلك الفعل صادف استياء عظيماً فرفع التشكي الى متصرفية لبنان فاسرع المتصرف بارسال العرائض الى احمد جمال يرجوه الرجوع عن هذا الامر المجحف بحقوق الدين والانسانية فارسل هذا العاتي امرا مؤداه تاخير التنفيذ الى اشعار اخر وعلى اثر ذلك زار دمشق سيادة المطران بولس عواد والمطران عبدالله الخوري الموفدين من قبل غبطة بطريرك الطائفة المارونية فشكر جمال باشا اثناء المقابلة على الغائه الامر بتنزيل الاجراس فاجابهما بالافرنسية ما تعريبه . لم الغ الامر بل اوقفته واذا اقتضى للدفاع عن الوطن ليس انزل الاجراس فقط بل وهدم الاديار وقطع رؤوس الرهبان لم احجم عن ذلك فتأمل .

المؤامرة على قتل المسيحيين

حضر الى سوريا مندوب الحكومة الالمانية البارون مكس في بهنة

١٩١٤ الذي يدعي الفلسفة موفداً الى دمشق عاصمة البلاد العربية وكان قد سكن في مصر وتعلم اللغة العربية وقد كانت مهمته في سوريا زرع الشقاق بين المسلمين والمسيحيين وحمل الاولين على حب المانيا وكان سبق اتفاق جمعية الاتحاد الترقي مع المانيا على معاونتها في تنفيذ خطتها بابادة جميع العناصر غير التركية . ولما استولت المانيا على زمام الامور في تركيا سهلت للعنصر التركي في سبيل تنفيذ مآربه الغاء الامتيازات الاجنبية . وهذا الرجل الالماني قد انشأ في دمشق صالوناً للاستخبارات في محلة المرجة في الطابق الاسفل من زهرة دمشق واستحضر رسوماً عديدة فوتوغرافية وبدوية تمثل انتصارات المانيا على اعدائها ويصور بها مقتل الانكليز والفرنسيس والطليان وسواهم بافظع الصور وكان يستحضر اخباراً تلغرافية يلصقها في الردهة بجميع اللغات مشيرة الى انتصار المانيا وحلفائها وقرب اجل الحرب وخاتمته بانتصار المانيا النهائي . ونظراً لسذاجة العامة في دمشق ولعدم ورود اخبار اجنبية كانت تلك الاباطيل والاوهام تصادف التصديق . ولم يكتف بذلك بل انشأ مرسح جناق قلعة على طريق الصالحية حيث تمثل الرسوم السينماتوغرافيه . وخصص يوماً للنساء وآخر للرجال وكان مكس يحرض الحكومة التركية على قتل المسيحيين في الشرق مدعياً ان هذا العنصر هو العامل الدائم على استمالة اعداء الامة كالفرنسيس والانكليز وغيرهم .

وقد شعر مسيحيو سورية بسوء نوايا مكس والى اين ترمي اغراضه الخبيثة وميل الحكومة التركية اليه فسعى رؤساء الدين

الى زيارة الشيخ العلامة بدر الدين الحسني وهذا الخديعارض هذه المبادي، تارة بالنصيحة لجمال واتباعه وطوراً بالاحاديث والعظات الدينيه التي كان يلقيها في الجامع الاموي الكبير في دمشق ايام الجمعه . وكان صدى هذه العظات يرن في آذان العموم وينبه القوم الى مواخاة المسيحيين والذب عن حقوقهم

ونشرت الحكومة بياناً تؤمن به المسيحين على حياتهم وقد وزعته على البيوت ولصقته في الشوارع فتنبهت الافكار الى سوء الظن لاعتقاد القوم بانه لم يات عفوا . وفي اثناء ذلك سافر هذا المفسد الالماني الى الاستانة وسكنت الافكار بعض السكون بعد سفره .

الفصل السابع

﴿ الديوان العرفي في عاليه والشام ﴾

وفي السنة نفسها اي سنة ١٩١٤ شكلت الحكومة بامر ذلك العاتي احمد جمال باشا مجالس حربيـة في سوريا سمتها (ديوان الحرب العسكري او ديوان الحرب الدائم) واهم هذه المجالس ديوان عاليه في لبنان ومجلس آخر عرفي في دمشق ترأسه القائمقام قريش بك وهذا

كان من نخبة الرجال عادلاً حر المبدألم يقدم على ضرر احد الامكرهاً وقد سبق ذكره وعقبه في الرئاسة الاميرالاي ابراهيم بك وكان من اعدل الحكام يقاوم جمال باشا في كل مظلمة يريد ارتكابها . ومماروي عنه : ان الحكومة ارسلت ثلاثة اشخاص الى ارمينيا لاجل مقابلة المهاجرين من الارمن وبث روح الفساد وقتل ونهب اولئك المنكودي الحظ فتناقلت جرائد اميركا اخبار هذه الحركة فكتبت حكومة اميركا الى عاصمة الاتراك معترضة على هذا العمل فاطلعت العاصمة احمد جمال على الامر ولماعزم على تلافيه امر بالقاء القبض على الاشخاص المذكورين وكان الطاغية عندئذ في حلب فارسلهم مخفورين الى دمشق واوعز الى رئيس الديوان ابراهيم بك باعدامهم وشنقهم في اليوم التالي الساعة السادسة فعظم الامر على هذا الرجل العادل واستغرب صدور حكم كهذا فاحضر المتهمين المذكورين ولدى استجوابهم افاد احدهم خليل بان مافعلوه كان بامر الحكومة التي اوفدتهم لهذه الغاية وطلب امهاله ليحضر اوراقاً تثبت مدعاه وتنفي الشبهة عنه فامهله الرئيس وفي الغد ورد تلغراف من احمد جمال موبخاً على عدم تنفيذ الاعدام وقال انني واقف على ماكنة التلغراف انتظر الجواب فاجابه الرئيس : رحماك يامولاي ان العدل يقضي باجراء المحاكمة وعدم التضييق على الجاني الى ان نستوفي كل مالديه من البراهين فاماان تقبلوا استعفائي واماان تخولوني الحق القانوني فورد عليه جواب بالانسحاب والايعاز الى الهيئة الحاكمة بانفاذ الاعدام على الثلاثة المذكورين خشية من

اكتشاف السر ١) فعلقوا في السهل الاخضر المعروف بالمرجة وقد قال احدهم عند صعوده الى المشنقة لو امهلوني بضع دقائق لكشفت اسرار ظلم جمال باشا واعوانه ولوسمت جبينه بوسمة عار لا تمحى

وفي رئاسة ابراهيم بك قدمت دعوى على اولاد حبشي من قرية قلو الاحمر التابعة قضاء بعلبك لنزاع جرى بينهم وبين احد اعيان بشري من اعيان لبنان فاحضر منهم عشرة اشخاص ورغماً عن تلقي الاوامر من احمد جمال باعدام هذه العائلة قرر الرئيس المذكور ارسال دعواهم الى العدلية باعتبارها خارجة عن وظيفة المجلس الحربي ، هناك توفي منهم ستة في السجن لما لقوا من المضايقة واذ كان جمال باشا ذاهباً الى حلب بلغه خبر القاء القبض على اربعة اشخاص آخرين من هذه العائلة في مدينة بعلبك فامر باعدامهم شنقاً على الفور ونفذ الامر في الساعة السادسة نهارا في ساحة بعلبك فنشرت الجرائد المحلية اعدام المذكورين استنادا على حكم عرفي فنفى ابراهيم بك ما نشر بهذا المعنى فاضطرت الحكومة اذ ذاك ان تجري محاكمتهم بعد الموت وهذا من اغرب ما سطر في التاريخ . ولهذا الرجل عدة مآثر ولما لم يرق عمله جمال باشا ابدله بفخر الدين بك الذي لم يسبق له نظير في الظلم وكان آلة بيد ذاك

---

(١) تلك خطة القها الاتراك وقد جروا عليها عقيب حوادث سنة الستين المشهورة اذ حكم بالاعدام على والي سورية علي باشا مثير تلك الفتنة بايعاز الحكومة اخفاء لجريمتها وبعد ان سافر هذا وفي صدره مكنونات الاحرار حذرت الحكومة من افشائها فطلبه العامل فواديا : او اعدمه غيلة مع فريق من المامورين

الطاغية عقبه ثاقب بك وكان من المشهورين بارتكاب الجرائم مفرطاً في المسكر وقد خلفه القائمقام سعيد بك وكان مكرها على مجاراة جمال باشا وعقبه القائمقام نظيف بك الذي كان على غاية من البلاهة يجري كل مايتلقاه من الاوامر منقاداً لليوزباشي توفيق سيدي خليل الذي يبيع الارواح بيع السلع اما اعضاء المجلس فكانوا في كل دور يسيرون على حسب خطة روءسائهم عادلة كانت او ظالمة

ولقد بالغ الاتراك في التضييق على المنكودي الحظ الذين اوصلهم سوء الطالع الى احد الديوانين العرفيين في عاليه والشام حتى كانوا يتململون متأففين من تلك الحالة المشوءومة بيعض مقاطيع شعرية تفيض من جوانب قلوبهم المترعة بالبوءس والشقاء.

ورغماً عما كان اولياء الامر يبذلونه من التحفظ في منع كل محكوم عليه من مخالطة الناس فقد كان يصل الى صاحبة العروس من اصحابها السجناء كثير من الرسائل والابيات الشعرية نقتطف منها ما ياتي ملخصاً عن العروس. قال شفيق بك الموءيد :

ذل من يغبط الذليل بعيش

رب عيش اخف منه الحمام

وقال عبد الحميد الزهراوي :

تعد ذنوبي عند قوم كثيرة

ولا ذنب لي الا العلى والفضائل

وعنت ليالي الانس لخاطر الامير عمر في قصره الفخم فقال :

ان الليالي لم تحسن الى احد الا اساءت اليه بعد احسان

﴿ وقال شكري بك العسلي مضمراً مقته للاتراك : ﴾

باضطراب الزمان يرتفع النذ ـ ل مقاماً حتى يعم البلاء

وكذا الماء ساجيا واذا حرك ثارت من قعره الاقذاء

﴿ وقال الامير عارف الشهابي في نجواه ﴾

اعندك ماعندي وقد حكم القضا

بهذا النوى صدر تلظى واوقدا

﴿ وقال سعيد عقل ﴾

كل المصائب قد تمر على الفتى

وتهون غير شماتة الاعداء

﴿ وقال جرجي الحداد يتنبأ عن مصير تركيا بين ايدي جمال وزملائه ﴾

اذا كان الغراب دليل قوم

يمر بهم على جيف الكلاب

﴿ وقال حافظ بك السعيد وفيه تورية ﴾

فدع عنك المحال ولا تحاول

اموراً دون مطلبها المحال

فلا تطلب نتاجاً من عقيم

فمطلبه لذي عقل ضلال

ولا تطمع بان يغدو جميلاً

قبيح لايكون له جمال

ومهما لم يكن في السيف اصل

لجوهره فما يجدي الصقال

﴿ وقال فيليب الخازن وقد قبض على كف اخيه ﴾

كلانا غني عن اخيه حياته   ونحن اذا متنا اشد تغانيا

﴿ وقال يوسف الماني وقد وثق من اعدامه ﴾

ياصاح داعي المنون وافى   وحل في حينا نزوله
وها انا راحل قريباً   فودعوا من دنا رحيله

﴿ وقال عبد الغني العريسي يخاطب جمال ﴾

والامر امرك والقلوب خوافق
في موقف بين المنية والمنى

(وقال سيف الدين الخصيب)

زعم العواذل ان موعدنا غداً
وبذاك تنعاب الغراب الاسود
لامرحباً بغدٍ ولا اهلاً بـه
ان كان تفريق الاحبة في غد

(وقال عمر حمد وقد رأى في شعره بعض الشيب وهو غلام)

من لم يقم بالمجد قبل مشيبه   وخمود جمرته فليس بقائم

(وقال سليم بك الجزائري وقد قيل انه اهان جمال عند مقابلته له)

ولي عزم كحد السيف ماض
ولكن الليالي من خصومي

(وقال رفيق سلوم يوقظ رفيقاً له مال عنقه من الكرى)

لاتنم واغتنم سحابة عيش
ان تحت التراب نوماً طويلا (١)

(وقال باترو باولي)

تقضى زمان لعبنا به وهذا زمان بنا يلعب

---

(١) وهذه صورة الرسالة التي كتبها لوالدته واخوته بخط يده وهي لاتزال محفوظة : سيدتي الوالدة الفاضلة اخوي العزيزين قبلان وشاكر . . . وبعد فهذه وصيتي اليكم احببت ان اذكر لكم فيها تاريخ سجني باختصار واوصيكم ببعض امور لابد منها لاني متيقن من زمن غير بعيد ان وقت الموت قد قرب، وانه لابد ان تشيع بعض اشاعات لاصحة لها ، لذلك احببت ان اذكر لكم كل شيء كما وقع تماماً القت الحكومة علي القبض في ١٤ ايلول شرقي اخذوني قبل الظهر ساعة واوقفوني بسجن الضباط وبقيت هناك خمسة ايام لا اعرف سبب سجني ويوم الجمعة صباحا اخذوني الى عاليه للاستنطاق فسألوني عن تاريخ حياتي في الاستانة ودمشق وعن علاقتي مع المرحوم عبد الكريم لانهم ادعوا انني كاتم اسراره وانني كاتب عبد الحميد افندي الزهراوي الخاص وان لي قصائد واناشيد وطنية احض فيها الناشئة على طلب الاستقلال . . . وقد دفعت هذه التهم بالحجة القاطعة وقد عرفت الذين وشوا بي هم . . ثم زد على ذلك بلة احد رفاقي المسجونين معي وهو . . . فكان يتظاهر امامنا بالصداقة ويذهب الى الديوان العرفي فيفترى علي بعض امور لكي يظهر صداقته للحكومة ويخلص من الاعدام لانه اعترف من نفسه صراحة ولم يبق له وسيلة ينقذ حياته بها الا التجسس ثم بعد ذلك اتى الى اخي العزيز شاكر الى عالية وارسلني ديوان الحرب الى القدس لانهم لم يجدوا علي دليلا يثبت دعواهم وقالوا ان الذى امر بتوقيفي جمال باشا وان مسألتي تتعلق به رأساً فحبسوني بالقدس خمسة ايام عند « قومندان المركز » ثم استدعاني الباشا والقى علي نفس الاسئلة التي القيت علي في الديوان وتهددني بالضرب وانواع العذابات فاجبته نفس الاجوبة التي اجبتها في الديوان

وقال ايضاً :

يفرح هذا الورى بعيدهم ونحن اعيادنا مأتمنـا

وقال امين بك لطفي :

ولي امل قطعت به الليالي اراني قد فنيت به وداما

« وقال محمد الشنطي وقد اشتهر امر اتجاز جمال بالبلاد »

ومن حكم المولى التي تبهر النهى

طبيب يداوي الناس وهو عليل

وقال جلال بك البخاري

اما في اهلها رجل لبيب يحس ويشتكي الم الجراح

وقال عبد الوهاب الانكليزي :

تحدثنا الظنون بما يكون كان الظن علام الغيوب

وقال الشيخ احمد طباره :

وحسبك من حادث بامرىء ترى حاسديه لنا راحمينا

وقال توفيق افندي البساط :

اذا ما سماني جاد بالذل عيشها

ابيت عليها ان تكون سمائيا

وقال رشدي بك الشمعه وكان تنبأ عن التقائه بعائلته الكريمة في رياق ففيما هم اتون بهم من عاليه الى الشام صادفوا قطار مقلا للمنفيين فتكالموا بالالحاظ وودعوا بالبنان

لست انسى ساعة البين وما

هي الا حين روح من جسد

دمت فيها الصبر لكن لم اطق
وحبست الدمع لكن لم يكد
ليتني فارقت عيني والحشا
قبل مافارقت اهلا وولد
اودعوني عند ماودعتهم
حسرة كانت من الموت اشد

حفلة العيد في تشهيد

لنخله باشا المطران

قد عاد والناس في هم وتنكيد
عيد حميد بوقت غير محمود
فالعز قد مات والاقدام منعدم
والشمل مابين تمزيق وتشريد
فلم يكن فيه عين غير باكية
ولم يكن فيه قلب غير مفؤود
والظلم منتصر والخوف منتشر
تجل عن مثل هذا حالة العيد
نجود بالدمع لابخلا بهمتنا
وانما الجود في الدنيا بموجود

دعوناها حفلة العيد لاتفاؤلا بلطفها ورونقها بل من باب تسمية الشيء باسم ضده ولانها حولت العيد الذي وقعت به مأتما وهو عيد

الميلاد (شرقي)والغطاس (غربي) سنه ٩١ . اجل انه كان يوم عيد للطاغية جمال باشا ويوماً دونه المأتم هولا لنخله باشاالمطران الذي نسب اليه التداخل في السياسة المضرةبمصلحة العثمانيين . فحوكم وكان يوم تشهيره ذلك اليوم المشوءوم وكان احمد جمال في نزل دامسكوس بلاس .

في الساعة الرابعة عربية من ذلك اليوم المتلبدة سماوءه بالغيوم المنهمرة فيه الامطار العاصفة به الرياح مثل امام باب سرايا الحكومة مشهد لم ير له نظير حتي ولا في القرون الوسطى قساوة وفظاعة وقد كان هذا الموءلف في من حضر

وفي تلك الساعة جيء بنخله باشا الي سرايا الحكومة وبعد ان تمثل بحضرة والي ولاية سوريا خلوصي بك تلي على مسمعه خلاصة الحكم القاضي بتجريمه بخيانة الوطن والحكم عليه بالسجن الموءبد(١) وقد سطر هذا الحكم على قطعة كبيرة من القماش وضعت على صدر ذلك المسكين بعد ان البسوه فروته مقلوبة و كبلوا يديه بالحديدوراء ظهره ووضعوا على رأسه قبعة من الشعر فبصق الوالي في وجهه وامر بتسليمه الى رجل ظالم يدعى طاهر بك يوزباشي فصفعه هذاواصعده الي عربة واجلسه على الكبوت وامامه لصان بايديهما سطلان من الماء

(١) لانه حاول الحاق بعلبك بلبنان وجعلها تحت الحماية الفرنسية وقد كان متفقاً في ذلك مع حضرة الهمام اسعد بك حيدر الذي نفي به مع نخله باشا وبقي مسجوناً ٢٩ يوما تبدات ساحته في اخرها اطلق سراحه ولم يلبث ان نفي مع عائلته الكريمة الي الاناضول

القذر فيها قطع من النعل وكانت العربة محاطة بالجنود وكان طاهر بك ورفاقة في عربة ثانية تسير من الوراء . وكان منادجهوري الصوت ينادي ويشهر ذالك الرجل وينعته بالخيانة وكانت تتبع هذا الموكب الوف مؤلفة وبينهم غلمان اوعز اليهم بالقذف والشتم بلهجة تجرح عواطف العناصر .

وقد كانوا يوقفون العربة كلما ساروا عشرة إمتار فيغمس اولئك اللصوص النعل في الماء القذر ويصفعون ذلك المسكين على وجهه ويامرونه بان يقف ويدور ثلاثاً ليشاهد العامة ولما انتهوا الى مدخل الحميدية اخذوا يصفعونه بالنعال كماتهم ويتفلون في وجهه ويلعنونه ويقذفون في دينه وكان الجنود يطعنونه بالاسلحة ويحرضون المتفرجين على الاشتراك معهم وكان الجو يساعدهم بامطاره الغزيرة على عذاب ذلك المنكود الحظ .

ثم مر الموكب المشؤوم امام باب الجابية ومأذنة الشحم وفي كل محل كانوا يخترعون من انواع التعذيب ماتقشعر له الابدان .

وبينما كان الناس يخرجون من بطركخانة الروم الارثوذكس بعد حضور صلاة العيد يتبادلون التهاني اذا بهذا الموكب وقف بهم يقدم لهم بلسان اللصوص وبعبارات القذف اماني المعايدة ولما وصل الموكب الى طالع القبة وقف امام بيت السيوفي احد وجهاء طائفة الكاثوليك واهاب باهل البيت ان يخرجوا ويشاركوهم في هذا العمل الفظيع وذلك لكي يزيدوا في كآبة المسيحيين ثم اكملوا سيرهم الى حارة الزيتون مركز بطريركية الكاثوليك طائفة نخله الموما اليه يقدمون

لهم تهاني في عيد الغطاس بافظع مما سبق وبينما كانوا مجتازين امام باب شرقي وجدوا كاهناً فقالوا له العن مطرانك حتى زعم الناس ان المشهور مطران سياحة . ثم ذهبوا نحو مقام الشيخ رسلان يطلعون الاولياء على العدل . ولكي تكون تهانئهم عامة للمسيحيين عرجوا على بابه توما وهي حارة النصارى وهناك افرغوا جعبة الشتائم واتوا مايوسعهم من الاهانات وساروا في القصاع الى سوق ساروجا مقر اعيان المسلمين وعادوا بطريق نزل دامسكوس يطلعون جمالا انهم قد نفذوا اوامره طبقاً لمرغوبه فخرج مطلا وفي يده لفافة تبغ يصعد دخانها متبعثرا في الجو وعلى وجهه امارات السرور كانه في حفلة راقصة (وقد عرف بميله الى ذلك) .

ثم ارعز اليهم بمواصلة السير الى السرايا وكان ذلك عند الساعة الحادية عشرة مساء ثم اعطوه ماء فاغتسل وناولوه لفافة تبغ وسقوه قهوة الحنظل واخذوه الى القلعة حيث اودع في قيوواشيه بالقبر يدعى حبس الدم وكان خالياً لاانيس فيه سوى البق والخنافس والماء يجري من تحته وهناك تركوه يقاسي امر العذاب مكبلا بالحديد واعطوه كرسياً صغيرا يجلس عليه وخرقة بيضاء يلتف بها واحاطوه بالجنود ومنعوا عنه كل مخابرة وكانوا يعطونه بعض قطع من الخبز وقليلاً من الماء فوا اسفاه على الباستيل ما كان ارحمه بالنظر الى هذا السجن ولم يكن مسلمو الشام اقل استياء من مسيحييها لانه لم يبق بينهم نفور يحملهم على التشفي .

ولقد ارادت الحكومة ان تضرم الفتنة على المسيحيين ولكن

عقلاء المسلمين اوقفوا الجهلاء وذكروهم بسنة ١٨٦٠ لان الاوغاد كانوا يصوبون اعمال الحكومة طمعاً بالسلب والنهب.

وبعد مرور يومين القت الحكومة القبض على احد وجهاء الدمشقيين الشيخ درويش افندي مرتضي وحكمت عليه عرفياً بالسجن ثلاثه اشهر لكونه اخفى قسماً من مذروعاته وارسل هذا العلامة الذي يناهز السبعين من العمر قضاها بين المحابر والاقلام في نيابات المحاكم الشرعية الى غرفة علوية من محبس ابن المطران في القلعة فزال ما كان من اعتقاد هذا ان الحكومة التركية تريد عذاب المسيحيين وايقن ان تلك المعاملة شاملة العنصر العربي كله

وفي اليوم الثالث احضر الى ذلك السجن يوسف افندي العيسي الذي اتي به من فلسطين وحكم عليه بديوان الحرب ولم يزل عدد المسجونين يزداد يومياً الى ان مضى على نخله المطران خمسة وعشرون يوماً سمحت الحكومة في نهايتها لاقربائه ان يشاهدوه عن بعد ثم راق للحكومة ابعاده فاركبوه القطار الى محطة رياق ومنها الى حلب وعند وصوله الي محطة تل الابيض بعد حلب انزلوه من القطار واكمل سياحته الى عالم الابدية لان شرذمة من الجند، كانت ترافقه الى الاناضول طلبوا اليه ان يرشيهم فيخلوا سبيله ولما ابى اطلق عليه احمد بك الرزي التركي عيارا ناريا فارداه قتيلا وشوه الجنود وجهه وسلبوه دراهمه وملبوساته وعادوا فاخبروا الحكومة الحلبية بما فعلوه وهذه ابلغت ذلك لولاية سوريا والقائد العام احمد جمال فامر بمكافأة الجنود وترقيتهم وذلك هو جزاء الاحسان الذي فعله نخله باشا مع زعماء الاتحاديين

واما عائلته فقد نفيت الى جهات الاناضول (١)

نهار وليلة في دائرة الشرطة

جمعني انا مؤلف هذا الكتاب ونخبة من اصدقائي داوود افندي النبكي وصبحي افندي المهايني وسواهما بهو قهوة زهرة دمشق وذلك مساء الحادي والعشرين من ك٢ سنة ١٩١٥ فدار بيننا الحديث على قضية ابن المطران لانها حديث القوم اذ ذاك فانتقدت تشهير الحكومة لذلك الرجل من الوجهة القانونية لان الشرائع تحظر انفاذ الحكم على المجرم ايام اعياده الدينية فضلاً عن ان امورا كهذه يحجم عن اتيانها برابرة افريقيا وزنوجها فقال صديقي داوود افندي ان الحكومة مهدت السبيل الى الرعاع للقذف وشتم الديانة ومن اراد ان يكفرني قابلته بالمثل فاجبته دعنا من هذه القضية وقم بنا الى ضيعتك لاعود الى مزبلتي فسألوني عن مغزى هذا المثل فسردت لهم رواية الشيخ بهاء الدين العاملي وهي :

خرج هذا الرحالة يوماً الى البلاد الفارسية فعثر على رأس انسان يتكلم في مزبلة فاستغرب الامر ودنا من الرأس مستفسرا عن شانه فاجابه هذا بفصاحة اني انسان نظيرك غير اني اثرت هذه السكنى لما رايت الجهل مستفحلاً في الحكومة فاجابه بهاء الدين "لم نخلق نحن

(١) وان لنخله باشا فضلا عظيما على طلعت و جمال وجاويد لانه لما اشتعلت نار الفتنه والثورة على الاتحاديين بالاستانه كان هو مع شقيقته فكتوزيا هناك اذ ذاك فالتجأ هؤلاء الفارون الى داره فاجارهم بشهامة عربية معرضا نفسه لاشد الاخطار فهكذا تكون المكافاة

العلماء لنقتل انفسنا بل لنعمل في معترك هذا العالم وننفيه وما اعطى الله عالماً علما الا اخذ عليه العهود والمواثيق الا يكتمه فاقتنع الشيخ وخرج من مكمنه وتمنطق بالجبة وسار كلاهما حتى وصلا عاصمة العجم فشاهدا بناية فخمة فسأل بهاء الدين من يكون صاحب هذا القصر فاجابه الايراني هي مقر الحكومة ومركز الشاه فدخلاها فوجدا رجال المحافظة والوزارة والشورى ورئاسة المأموريات مؤلفة من الفتيان فسأل بهاء الدين رفيقه عن ذلك فاجابه تلك مشيئة الشاه ثم دخلا على الشاه متربعاً في عرشه وعفروا بجباههما رعاية لعوائد تلك الازمنة واذا بغلام استأذن بالدخول وقدم للملك علبة مرصعة بالجواهر فيها خاتم تناوله الملك ووضعه في اصبعه جاعلا الفص من جهة الكف ثم نظر الى الغلام مغتاظاً وقال : لماذا اسأت وضع الفص ؟؟ فتناوله هذا معتذرا ومسحه بمنديل من حرير ثم احكم وضعه بذاته في يد الملك اي انه جعل الفص لجهة اليد فاستحسن الملك الخاتم واجاز الفتى فلما رأى بهاء الدين ذلك قال لرفيقه انا راجع الى ضيعتي فارجع الى مزبلتك . . . . وهكذا ختمت هذه الرواية وقمت مع رفيقي داود واتيت الى داري مساء ولم يمض بضع دقائق كنت اسامر بها جلاسي حتى طرق الباب ودخل شرطيان يدعواني ورفيقي داود الى الدائرة لمقابلة المدير فامتثلنا وحال وصولنا وقع نظري على انسان كان معنا في القهوة فتوهمت اولا انه مدعى عليه نظيرنا وسألت من هو ؟؟ فقيل لي : هو عبد المجيد الصواف من الشام . ثم سألته عن سبب وجوده في دائرة البوليس فاجابني

انه طلب بسبب ما كنا تكلمنا به في قهوة الزهرة من الانتقاد ولبثنا على هذه الحال الى منتصف الليل حتى ان اكثر اقربائنا تقاطروا افواجا في تلك الليلة الباردة الى جوار دائرة البوليس يتساءلون عما حل بنا لان صدى حفلة ابن المطران كان لا يزال يرن في الاذان وفي اعتقاد القوم انه سيذلنا ما قال ذلك التميس وبعد الساعة السادسة لا لا حضر المدير توديو بيك مع المكتوبجي والدفتردار فصعدنا الى مقره في الطابق العلوي واستدعوا عبد المجيد العواف الذي لم يكن مدعي عليه كما توهمنا بل كان الواشي في الحادثة قياماً بالخدمة الصادقة وقد اشار د ما سمع وروى رواية بهاء الدين وهول في الامر ونقلت وترجمت الى اللغة التركية و بعد ان مرت ساعتان ذهب وشأنه ثم استدعاني ودار في مستجوابي سائلين عن اسمي وسني وتبعتي وعن كيفية اجتماعنا في زهرة دمشق وما دار بيننا من الحديث فاجبتهم مصرحاً ان محور البحث دار عن حادثة نجله المطران وانني كمحام انتقدت كيفية التشهير لمخالفته القانون فاجابني المدير الذي تولى استنطاقي انه مثلت رواية للشيخ بهاء الدين العاملي لما تراها مسطورة امامك فيا ما قصدت بها فاجبته ان تلك مسالة تاريخية جرت في صدر الاسلام ومفادها التنبيه على رفيقي لرجوعه الى قريته ورجوعي الى بيتي فقال انك تريد نسبة رجال الحكومة الى الجهل واعتبارهم بمنزلة صبيان فاجبته يا سيدي ان رجال حكومتنا الحاضرة كلهم بالفنون راشدون وهذه صفاتهم تؤيد ذلك

ولكني انتقدت التشهير وبعد اخذ وردختم الاستجواب وامضيت على الافادة بصورة مستعجلة في طوقت اوراق لافادة بدائرة من اسمي لئلا يخرجوا من تلك الدائرة بتعبئها الفاظاً لم تصدر مني كما هي عوائدهم باخذ الافادات السياسية التي طالما رأيتها ومن ثم احضروا رفيقي داود افندي فاستجوبوه فاقتصر على الجواب عن الانتقاد واظهر الجهالة من حيث قصة بهاء الدين وبما انه قرب انشقاق الفجر تركونا ضيفين في غرفة المدير وتركوا اولادي واصحابي واقاربي واهل رفيقي على الطريق امام تلك الليلة الباردة التي لم يكف مطرها.

وفي اليوم الثاني ظهرت الجرائد المحلية كالشرق والمقتبس معلنة الخبر ومهولة في الامر وفي اليوم التالي اخذوا يستجوبون بعض من جمعتنا بهم القهوة كابن المهايني الذي انكر كل شيء مساعدة لنا فاوقفوه حتى الساعة الحادية عشرة مساء وهو الوقت الذي دعيت به مع رفيقي داود للمثول امام الوالي خلوصي بك في قاعة الولايه فوجدت اوراق التحقيقات امامه على الطاولة وبجانبه مدير البوليس والدفتردار والمكتوبجي نوري بك وكلهم من زعماء الاتراك فوجه الوالي سؤاله الي مستفهماً عن جلية الامر فابديت له مدافعتي غير مرتاب فاجابني انت معلمي وانا معلمك وقد استفدت مما علمتني اياه ولكنك لم تستفد من علمي لاني سألتك ان تفيدني عن كل شخص تصدر منه حركة ضد الحكومة فاجبته ان اوراقي على طاولتك فارسلها حيث شئت لالقى جزائي اذا كان ثم مجال للحكم ولكن ارجوك ان لا تستخدمني في الجاسوسية لاني لم اعتد هذه المهنة الشريفة ونفسي تاباها

فاجابني : لم اقصد ذلك بل اذكرك بان حكومة ايطاليا عند اغتصابها عاصمة طرابلس الغرب اخرجت اشيابين منها وجرت معهم على ما عاملنا به ابن انطون فتغاظى هذا التخصص وقلت له ان شريعتنا الغراء علمتنا العدل وارشدتنا الى الهداية ونهتنا عن اقتباس المظالم عن سوانا فاحتراما لتلك الشريعة المقدسة اكلفك ان تعود عما قلته فخجل اذ ذاك ومزق اوراق التحقيقات والقاها في سلة تش كانت تحت الطاولة وامر بتخلية سبيلنا .

الاجل المحتوم

قد اتخذ جمال الطاغية طرقا للاعدام لم يسبقه اليها احد فقد كان يرسل للمحاكم بطاقة يكتب عليها لاجل المحتوم او الجزاء المعهود فينفذ استنادا على الاولى الاعدام وعلى الثانية النفي والسجن .

واليك حادثة لم يسبق لها نظير جرت لموني بك رئيس المهندسين في السكة الحجازية ايام ولاية خلوصي بك على سوريه سنة ١٩١٥ اوعز جمال الى هذا المهندس ان يضع خريطة طريق القنطرة وينهي ذلك العمل خلال عشرة ايام فاعترض هذا الرجل بان المدة غير كافيه فاستشاط القائد غيظا وهدده بالاعدام ان لم ينجز العمل في المدة المعينة فانتصر خلوصي بك والي الولاية لذلك الرجل وبرهن على ان عملا كهذا يستلزم مدة اطول بكثير من التي اعطاها القائد فاسر هذا على رأيه وباشر المهندس العمل مرغماً ولكنه لم يتمكن من انجازه في المدة المعينة .

وقد جمعت ليلة طرب في دار نافذ بك مدير السكة كلامن عوني

بك رئيس المهندسين ورئيس ديوان الحرب العرفي ابراهيم حلمي بك وبعض المأمورين وكان ذلك الرئيس طيب النفس نظار القوم يمزح ويضحك وكانت تبدو على جميع ... و بتهيج الا رئيس الديوان العرفي فانه كان منقبضاً مضطرباً فسأله احد المدعوين عما يكدره في تلك الليلة الزاهية فاجابه همساً ان هذا الرجل الذي هو مطمح انظارنا قد حكم عليه بالاعدام غيرة ... القائد العام بذلك مكتوباً عليها الاجل المحتوم وكأني وانا اتناول كاس الخمر من يد هذا المسكين اشرب كاس دمه وقد تغلبت عوامل الشفقة على الرئيس فاستقال قبل اصدار الحكم

ثم قضت العناية الالهية بدعوة احمد جمال الى جبهة فلسطين بغتة فنجا ذلك الرجل من الموت بتوسط المولى وبعناية الهية

﴿ المطران اغابيوس معلوف ﴾

رئيس اساقفة بعلبك للروم الكاثوليك

هذا الحبر يناهز الثمانين من سنيه قضاها في التقى والعبادة ولما شاع مقتل نخله باشا المطران قام اخوه الياس بك يطالب بما يصيبه من الارث فعارضه المطران لزعمه ان نخله باشا لم يزل حياً يرزق وقد حمله على ذلك حسن ظنه بالحكومة ولم يخطر له انها تتخذ وسائل غير مشروعة للاعدام واوعز الى الياس بك بوجوب التاني الا ان هذا لم يرق له ذلك فاخبر حكومة الشام واحمد جمال بالامر فاساء الظالم الظن بالاسقف وارسل بطاقة كتب عليها الجزاء المعهود الى قائمقام بعلبك يقضي بابعاد المطران ظناً منه بان سموما اعتراه من الاسقام يقضيان

على حياته وابعد هذا الشيخ الى اورفه حيث قاسى اشد الآلام غير انه لم يحرم من الانصار في هذا المهجر ولقد ساعده في معيشته بعض وجهاء المسلمين بمدينته وفيه بمر لهم علاقات تجاريه مع اهلي مدينة زحلة موطني المطران اتوما اليه قد قضى في منفاه ثلاث سنوات وعند اعلان العفو عن المنفيين عاد الى حلب فلم يرق ذلك لاحمد جمال بل قرر ارساله للاناضول في ايام الشتاء ولكن ابت العناية الالهية الا بقاءه في قيد الحياة يشاهد عاقبة بغي الاتراك وسوء مصيرهم ويردد ما قال سمعان الشيخ اطلق يارب عبدك بسلام فان عيني قد ابصرتا خلاصك .

مقتل الخوري يوسف الحائك

هذا الكاهن الفاضل من قرية سن الفيل من اعمال جبل لبنان وهو من الطائفة المارونيه يناهز الستين من عمره وردت اليه رسالة من رئيس الوزارة الفرنساويه يطمئنه بها على ولده فاوجس الاتراك من تلك الرسالة واولوها بمعني شتى واحضروه بسبب ذلك الى الديوان العرفي بعاليه فحوكم به واقام ثلاثة أشهر في السجن يقاسي امر العذاب مكبلا بالحديد ولكن بعد التحري لم يظهر سبب يقضي عليه بالتجريم فاراد رئيس المجلس ان يخفف عذاب هذا التاعس فرفع الامر الى احمد جمال خطأ فاعيدت اليه التحقيقات وطيها بطاقة كتب عليها (الاجل المحتوم) فالتزم المجلس اذ ذاك ان يقرر تجريم هذا الكاهن الورع وحكم عليه بالاعدام وارسل الى دمشق في اوائل اذار سنة ١٩١٥ وفي الساعة السابعة ليلا من يوم ٢٢ اذار سنة ١٩١٥ نفذ

الاجل المحتوم في ساحة المرجه امام حديقة الامة ودامت جثته معلقة حتى الساعة الثالثة صباحا تتراوح في الهواء وعلى وجهه علامات التظلم كانه يناجي العظمة الالهية ويطالب بحقه والا نتقام من هذه الدولة الباغية وفي الساعة السادسة امرت الحكومة بتسليمه الى كهنة الموارنة في الشام فحضر المونسنيور بشاره الشمالي النائب الاسقفي ومعه القس شمعان سلامه واستلما تلك الجثة الهامدة ووضعت في عربة واتي بها الى دار النيابة البطريركيه المارونية ولكن حكومة دمشق بايعاز من صاحب الامر (بالاجل المحتوم) الذي لم يكتف باعدام الرجل احضرت بعض المومسات من المحلات العمومية وجمعت اولاد الازقة وعلمتهم انشودة هذا مطلعها

قتلنا الخوري والمطران . عاقبال البطرك والحاخام

الى آخر ما جاء بها من الشتائم التي يندى لها الجبين وهي تمس شعائر الدين وكان المومسات يصفقن بالمال حملا على ضرب الصنوج في الاحتفالات الدينية وكان الاوغاد يملأون الجو قذفا وعلى عربة الكهنة وعربة الميت ينهال التفل واناء القذر ولا ابالغ ان قلت كان تشهير نخله باشا المطران ومقتل الخوري صنوين وثانيهما اكبر فظاعة لان تحقير جسم الميت افظع من تشهير الحي ولم يكف الغلمان عن شتائمهم حتى بعد وصول الجثة الى الكنيسة فطلب الكهنه منع الغلمان عن باب المعابد حرمة للدين فتجل احد الشرطة وامرهم بالانصراف وكان الليل قد ابتدا يرخي سدوله فتفرق اولئك الغلمان بحكم الطبيعه وانفض الاجتماع وقد دفنت الجثه وسط الكنيسه لئلا تعاد حفلة التشهير

عند السير بالجثة الى المدفن العمومي .

كان الموت ظلم غير كاف فزادوا الموت باللعنات ظلما

المحكومون في عاليه
وسبب الحكم عليهم

سنأتي بهذا الفصل على ذكر المحكوم عليهم بالاعدام ملخصاً عن الايضاحات التركيه مع الملاحظات اللازمة التي اخذناها من المصادر الموثوق بها اوعرفناها بنفسنا :

عبد الحميد افندي الزهراوي

هو احد اعضاء مجلس الاعيان التركي من اهالي حمص حكم بالاعدام بتهمة موسس للمنتدى الادبي ورئيس الجمعية المركزية ومشترك في موتمر باريس والحقيقه انه قد تولى ادارة املاك عزت باشا العابد .

شفيق بك المؤيد العظم

من اكبر الاسر بدمشق ومن كبار المامورين وقد حاز رتبة بالا . نسب اليه انه اسس جمعية الاخاء العربية وكان له بعض مذاكرات مع السفراء في مصر والاستانة وسورية بشأن ادارة سوريا . الا ان سبب اعدامه هو مشاجرته مع طلعت بك في الاستانة حين كان شفيق بك هذا عضوا في مجلس المبعوثين وقد صنع خصمه صنعة ابقت في نفسه حزازات قوية ولذلك كتب على اوراقه الاجل المحتوم

شكري بك العسلي

من وجهاء الدمشقيين ومن الشبيبة المتنورة واحد اعضاء مجلس

المبعوثان نسب اليه انه من اعضاء اللامركزية وانه القى في مصر خطابا امام تمثال ابراهيم باشا المصري والداخل مع معتمد فرنسا في الشام بواسطة الامير عمر الجزائري . والثابت انه جاهر بطلب حقوق العرب في البرلمان التركي

عبد الغني افندي العريسي

بيروتي الاصل والمنشأ هو صاحب جريدة المفيد حكم عليه بالاعدام غيابا ثم القي القبض عليه اخيرا اثناء فراره الى الاراضي الحجازية وتجددت محاكمته فاخذ يطاول في الاستدعاآت والمدافعات املا بان تتغير الاحوال او يتسنى له الفرار وقد اضر بكثيرين في تصريحه وقد نسب اليه انه من اعضاء الجمعية اللامركزية . وكان يشوق للقيام بها في سوريا وكان يبث الافكار المضرة بين العربان والحقيقة في ذلك ان الرجل صحافي لم يتوخ سوى الاصلاح

سيف الدين افندي الخطيب

من اكابر بيوت العلم في دمشق وطلاب علم الحقوق في الاستانة نسب اليه التوقيع على بعض تحارير نشرت في امر تفريق العرب وذهب الى مصر للمذاكرة مع اعضاء الجنة اللامركزية

ولكن الحقيقة هي انضمامه الى المنتدى الادبي في الاستانة لانه كان من طلاب الحقوق بها

محمود المحمصاني

نسب اليه الانتماء الى اللامركزية وترويج مقاصدها السرية في بيروت واغراء العرب على الانفصال عن الترك

وقال حين قيد للمشنق : كنت اعرب في اليمن كتاب شقيقين قتلا لاجل تحرير ايطاليا ثم التفت الى اخيه وقال عسى ان اكون واياك يا اخي من محرري بلاد العرب كلها .

وداعاً يا اخي ! !

محمد المحمصاني

نسب اليه تاسيس فرع للامركزية في بيروت والتشويق للانفصال عن الدولة العثمانية والتظلم من الاتراك فحكم عليه بالاعدام مثل شقيقه .

صالح بك حيدر

من وجهاء بعلبك ورئيس بلديتها نسب اليه انه معتمد اللامركزية في بعلبك وانه من الاعضاء الداخلين في التشكيلات السرية اللامركزية . وسيرى القراء كلمة عن اسرته بعد هذا الفصل

عبد الوهاب افندي الانكليزي

من وجهاء قرية المليحة من ولاية سورية ومن الكتاب النابغين نسب اليه انه مخاصم للحكومة وانه من الذين دخلوا في التشكيلات اللامركزية مع رفيق رزق سلوم وسيف الدين افندي الخطيب ولم يحكم عليه بالاعدام الا لكونه من الشبيبة العربية الراقية

رفيق رزق سلوم

حمصي شاعر خطيب نسب اليه نظم الاشعار تشويقا للاستقلال العربي وانه ممن ينتسبون الى اللامركزية . الا ان جودة شعره جلبت الاتراك على اعدامه .

عمر حمد

اعدم لانه عضو في اللامركزية ولانه انشد في احد المراسح التمثيلية بعض قصائد اوقعت النفرة بين العرب والترك ولانه رافق عبد الغني افندي العريسي في البادية اثناء فراره

الامير عارف الشهابي

احد فروع بيوت المجد نشأ في حاصبيا وهو من الشبيبة الراقية نسب اليه انه من اعضاء اللامركزية وان له مخابرات مع فرع بيروت وهو ممن رافقوا العريسي في البادية .

ولم يسبب الحكم عليه الا أنه كاتب مجيد قل امثاله بين منشئي العربية .

عبد الكريم افندي الخليل

من خيرة الشبيبة العربية اللبنانية ومن المتخرجين في مكتب الحقوق والملكية نسب اليه الاتفاق مع رضا بك الصلح في احداث ما يقلق الراحة العامة في اثناء الحرب وانه ممن ينتمون الى الجمعية اللامركزية وسافر الى مصر لهذا الغرض . والسبب في اعدامه انه من الشبيبة العربية الراقية وكان من اعضاء المنتدى الادبي في الاستانة .

الشيخ احمد طباره

احد علماء بيروت ووجهائها وصاحب جريدة الاتحاد العثماني نسبت اليه مساعدة سعيد عقل احد محرري جريدته على العمل في الجمعية الإصلاحية وقيل انه احد اعضاء اللامركزية ومن المشتركين في

موءتمر باريس والموقعين على تاسيس الامارة المستقلة والحقيقة ان صداقته للامير عمر الجزائري سببت له الاعدام .

الامير عمر الجزائري

نجل المرحوم الامير عبد القادر من اعيان اهل الجزائر وهو يقيم في دمشق . نسب اليه انه كان يتقاضى الاموال من المعتمد الفرنساوي لكي يسعى لتمهيد مجيء الفرنساويين الى سوريا وانه قدم شكري العسلي وشواه الى المعتمد الفرنساوي

وهنا يستغرب العاقل حكم الدولة التركية بالاعدام على رجل فرنساوي لكونه احب فرنسا . لان الامير عمر لم يغير تبعته الا بعد اعلان الحرب

علي افندي الارمنازي

من اهالي حماه وصاحب جريدة نهر العاصي نسب اليه الانضمام الى اللامركزية والحقيقة في ذلك ان بغض الاتراك للادباء حملهم على قتله في جملة من قتلوا من الادباء .

حافظ بك السعيد

من اهالي يافا نسب اليه انه كان معتمدا للامركزية في موطنه وان المخابرات كانت تأتيه بهذا الصدد من مصر (اعني برسم التجارة)

البرحمصي

من حاب وجد عند محمد المحمصاني بعض مكاتبات مطبوع عليها عنوان البرحمصي فحكم عليه بالسجن خمس سنوات

محمود العجم

من اهالي بيروت عزي اليه الانضمام الى فرع اللامركزية في بيروت وانه قرأ بعض منشورات اللامركزية وسعى في اذاعتها

نايف افندي تللو

حكم عليه بالاعدام لانه نسب اليه انه من الجمعيات العربية وانه معتمدها في البقاع . وهو دمشقي الاصل

محمود مسلم افندي عابدين

من اهالي دمشق وابن شقيق مفتيها اخذ عليه انه كان يكاتب حقي بك العظم وانه انضوى الى الجمعية اثناء وجوده في اللاذقية مأمور اوقاف

سعيد افندي الكرمي

من اهالي طول كرم في قضاء بني صعب نسب اليه الانتماء لاحدى الجمعيات وانه ارسل باسمه تحريرا عمومياً الى اعضاء الجمعية ولكن ذلك لم يثبت عليه الاعدام ومع هذا حكم عليه وتحول الحكم بالنظر لشيخوخته الى السجن المؤبد

سليم الاحمد عبد الهادي

من وجهاء اهالي نابلس اتهم بأنه كان معتمد اللامركزية في قضاء جنين فحكم عليه بالاعدام .

سليم بك الجزائري

من كبار بيوت الدمشقيين جزائري الاصل نسب اليه انه من الزعماء الذين ولدوا فكرة الاستقلال العربي وانه موءسس لجمعية

الضباط وناظم الاناشيد الحماسية ولكنه كان من الشبان الراقين الساعين الى الاصلاح الحقيقي .

امين بك لطفي

من اهالي حلب نسبت اليه رئاسة فرع جمعية العهد في حلب وانه كان يلقي الفساد بين ضباط العرب والاتراك

عبد القادر افندي الخرسا

حكم عليه بالاعدام لتدخله في اللامركزية في بيروت موطنه .

رشدي بك الشمعه

من كبار الدمشقيين وخيرة الكتاب واحد اعضاء مجلس المبعوثان حكم عليه بالاعدام لكونه نسب اليه القاء محاضرة تشف عن انفراد العرب واستقلالهم واشتراكه في الجمعية اللامركزية

والحق يقال ان هذا الرجل الموصوف بالتأني كان ابعد من ان يتداخل في السياسة

محمد الشنطي

وهو من المهاجرين الى سوريا وقد نسب اليه الانضمام الى حزب اللامركزية وقد شاع ان جمال باشا كان قد تأثر من هذا الرجل فبعد ان مكث في الاستانة بصفة جاسوس ونال مكافاة ٣٠٠ ليرة ذهب الى مصر وهناك عاهد بعض اولياء الامر ان يأتيهم باخبار سوريا فقبض عليه وارسل الى الديوان العرفي في عاليه لانه وجد في اعترافاته عن الاشخاص المتهمين ما يدل على اشتراكه معهم في الوقت الذي

كان يسعى اما م جمال باشا ضد هم ويقال انه وشي به الى جمال عن المبالغ التي نالها في مصر جزاء افشائه اسرار سورية فغضب عليه غضباً شديدا وقتله .

جرجي افندي الحداد

من اهالي لبنان و كان يقيم بدمشق نسب اليه الانضمام الى الجمعية اللبنانية وانه كان من المتشبثين في استقلال لبنان وبما انني من ادرى الناس باخلاقه اذ كان محررا في جريدتي العصر الجديد اقول انه كان شاباً في مقتبل العمر خرج من المدرسة وجعل يحرر في جريدتي ولم تكن له علاقة في الجمعيات السياسية .بل ان الاتراك الذين يسوءهم ان يروا في العرب كتاباً عظاماً اعدموه بغياً وعدوانا فاد به الغزير هو الذي جنى عليه

سعيد افندي عقل

لبناني نسب اليه السعي في تشكيل مملكة عربية والصواب انه اعدم لكونه من كتاب جريدة الاتحاد العثماني المشهورة بعدائها للاتراك

بترو افندي باولي

من كبار الكتاب البيروتيين وله اليد الطولى في الصحافة نسب اليه التشبث باستقلال العرب فحكم عليه بالاعدام

بيطار افندي علي

حكم عليه بالاعدام لانه نسب اليه الانضواء الى الجمعية القحطانية التي تحولت الى الجمعية الثورورية وانه ممن يشوقون

الي الاستقلال العربي

محمد افندي سالم

نجل مصطفى افندي مظلوم نسبت اليه خدمة عبد الكريم افندي الخليل وعبد الحميد افندي الزهراوي فحكم عليه بالسجن في القلعة خمس سنوات .

الامير طاهر الجزائري

هو حفيد عبد القادر الجزائري وهو من اعظم رجال سوريا نسبت اليه المخابرة مع المعتمد الفرنساوي بما يتعلق بالسرقات العسكرية وانه هو الذي سهل فرار عبد الغني العريسي فحكم عليه بالاشغال الشاقة الموقتة

نور القاضي

حكم عليه بالاعدام لانه نسب اليه التداخل في الجمعيات وانه يأخذ اختام الفروع الى الجمعيات العامة ويشتغل بحركات فسادية مضرة

توفيق افندي البساط

فر من الخدمة العسكريه وقبل ذلك كان من اهم اعضاء المنتدى الادبي فحكم عليه بالاعدام وهو من خيرة الشبيبة العربية في المبادىء والاخلاق ومن متخرجي المدرسة الملكية بالاستانة من الدرجة الاولى

محمود جلال الدين بك البخاري

من دمشق نسب اليه الفرار مع توفيق افندي البساط والاشتراك معه في جميع اعماله فناله ما نال رفيقه

هؤلاء هم الابرياء الذين نفذ في اكثرهم حكم الاعدام ولقد شاركهم بالشقاء قوم آخرون حكم عليهم بعقوبات مختلفة

اما المحكومون غيابا بالاعدام فهم حضرات الافاضل

رفيق بك العظم . حقي بك العظم . السيد رشيد رضا . داود افندي بركات فارس افندي نمر . الدكتور شبلي شميل . خليل افندي المطران . ابراهيم افندي النجار . جرجي افندي عبد المسيح . جبرائيل افندي آصاف . نجيب بك غرغوري . الفرد بك غرغوري جرجي افندي بحري الامير خليل ابي اللمع . خليل افندي بولاد . هنري حبيب بولاد . نجيب بك البستاني . امين بك البستاني . يوسف افندي البستاني . فيليب افندي شيا . نجيب افندي قطان . نجيب افندي قريصاتي . جرجي افندي روماني . جرجي افندي قريصاتي كامل افندي آوه . جان افندي عيسه . نجيب افندي غناجه . الدكتور غرزوزي . نعمة الله غانم . روفايل افندي عزه . ميشل بك لطف الله . الدكتور يوسف افندي الكحيل . الشيخ يوسف الخازن جرجي افندي خير . رشيد بك خياط . ادمون ملحمة . الدكتور خليل مشاقه . يوسف افندي سمعان صيدناوي . الياس افندي حنين سليم بك شميل . ماريوس بك شميل يوسف افندي حبيب الرميزي الياس افندي زهار . الفونس افندي زينيه . فواد افندي الخطيب . قسطنطين افندي يني . حسن بك حماده . عبد الحفيظ افندي ابن محمود افندي الحسن رزق الله افندي ارقش . سليم بك ثابت . عزت باشا العابد . شكري افندي غانم . عزيز بك علي . جميل بك المعلوف

ان هؤلاء الاشخاص قد نسبت الى بعضهم تهيئة الاسباب للقيام بالاختلال سعياً وراء تخليص بلاد العرب من السلطة التركية لاجل تاسيس خلافة عربية ونسب الى البعض الاخر الاشتراك بذلك رأيا لا فعلا وقد حكم على المرحوم السيد كيرللس جحا بطريرك طائفة الروم الكاثوليك بالاعدام غيابا لانه كان في مصر عند اعلان الحرب ولم يرجع الى تركيا ولانه هنأ سلطان مصر بتبوئه عرش السلطنة وحكم بالاعدام ايضا على سيادة المطران يوسف دريان الوكيل البطريركي الماروني لوجوده في القطر نفسه وتشويقه الى تحرير لبنان وقد حكم ايضا غيابا بالاعدام على سيادة المطران غريغوريوس حجار مطران عكا للروم الكاثوليك لوجوده في اوربا اثناء الحرب وتجوله بين اهاليها

وقد حكم بسجن القلعة على محمد افندي الحلبي لان اسمه كان محررا في التذاكر اللامركزية

وحكم على رضا بك الصلح بالنفي المؤبد لانه نسب اليه بعض تلقينات تؤخر قرة الجيش المعنوية منها انه كان يشيع ان سورية على وشك السقوط

وحكم بالابعاد ثلاث سنوات على رياض بك الصلح لملازمته اباه ومساعدته اياه في كل حركاته

ووضع مصطفى افندي السميسمي تحت مراقبة الانضباط سنتين لدخوله في تشكيلات اللامركزية السرية

وحكم على اسعد بك حيدر بالنفي سنتين لكونه ادعى مع ابنيه بانهما لم ينضما الى الجمعيات وقد زعم الديوان العرفي خلاف ذلك

وحكم بالنفي سنتين على الدكتور حسين بك حيدر لادعائه انه كان مهاجرا سوريا قبل اعلان الحرب بسنتين فحوكم ثانية وظهر للهيئة الحاكمة العرفية ما يؤيد اشتراكه في جمعيات الاستقلال فشددوا عقوباته بالنفي المؤبد . حتى مات في منفاه

وحكم بالاشغال الشاقة الموقتة على يوسف افندى سليمان مخيبر وتوفيق افندي الناطور لما نسب اليهما من بث الفساد بين شبان العرب

لقد جرى في ديوان عاليه ابان الاستنطاق ما لا يتمالك المرء معه من الضحك والهزء فان الاتراك كانوا يسجنون كل متهم قبل استنطاقه منفردا في غرفة ولا يدعون له سبيلا لمكالمة احد حتى ولا بالاشارة وقد كانوا ينزلون بمن يحدق باحد اصحابه اشد العقوبات ولما قبض على سامي بك العظم في ك ٢ سنة ١٣٣١ حظر عليه كمن سبقه بان يكلم احدا فراى ان يتخذ لمكالمة اصحابه حيلة لطيفة وهي انه بعد الوضوء تقدم من النفر التركي المحافظ وسأله اذا كان ثمة محظور من تلاوة القران عسى يشفق الله عليه ويظهر براءته فاجابه هذا انه لا جناح عليه وقد كان سامي بك صحب معه كتاب دلائل الخيرات فاخذ يجود به بشكل الايات القرآنية ما يريد ان يفهمه او يفهمه من اصحابه وهو يخلط تلك الاسئلة بعبارات قرآنية ليموه الحقيقة على النفر التركي وبهذا قدر على التفاهم مع اصحابه امثال نجيب بك شقير وسليم بك الجزائري وتوفيق افندى البساط وعمر افندى حمدة ويوسف افندى الهاني والامير عمر الجزائرى وسالم مظلوم والشيخ جمال الخطيب وعبد الحفيظ العريسي وجلال بك البخاري اما الفرقة ...

واخذ يعنف الباقين قائلا كأن لا دين لكم فما بالكم لا تصلون فاجابوه ان ليس معنا كتاب فاخذ الـفر ذلك الكتاب من واحد الى اخر بمنتهى الورع وهو لا يعلم انه يعطي كلا منهم تالفونا يتفاهم به مع رفقائه اما الذين امهلوا ولم يطيعوا القانون العسكرى فهم جلالة الشريف حسين ملك الحجاز ونجله الشريف فيصل وحسين كامل سلطان مصر والسودان وقد امهلوا من قبل ديوان الحرب العرفي في عاليه في لبنان وهذه صورة الحكم

من ديوان الحرب العرفي في عاليه : نعلن ان الشريف حسيناً وولده فيصلا وحسين كامل المدعو بسلطان مصر الفارين المتهمين بالجناية بمادة فسادية الاول والثاني للتحريكات والتشويقات في تحرير البلاد الحجازية والثالث لاستقلاله في البلاد المصرية وتعديه على الحقوق العثمانية وذلك بالكتابات والتشويقات فقد أعطيت لهم مهلة عشرة ايام فاذا لم يحضروا طائعين بظرف المدة المذكورة الى ديوان الحرب العرفي المتشكل في عاليه ينظر اليهم بعدم رعايتهم الى القانون فيسقطون من الحقوق المدنية وفي اثناء محاكمتهم الغيابيــة تحجز اموالهم ولا يبقى لهم الحق باقامة الدعوى بهذه الاثناء كما ان كل انسان يعرف محل وجودهم عليه الاخبار عنهم اه

آل حيدر

لا يعلم المعروف من تاريخ آل حيدر الى قبل القرن العاشر للهجرة و[illegible] هذه العائلة اتت من العراق المعتقد بها الاتراك لمقاومة آل

حرفوش الذين كانوا حكام بعلبك في ذلك العهد فان ثار العداء بين العائلتين ظلت مشبوبة مدة قرنين كاملين ارتفع بها الحرافشة بالحيادرة اولا لكن الحيادرة عادوا فلموا شعثهم وضموا اطرافهم وتغلبوا على الحرافشة عند ما اكتسح ابراهيم باشا المصري القطر السوري وقد مال ابراهيم باشا المصري الى ابراهيم حيدر كثيرا وخوله سلطة واسعة الامر الذي ادى الى القضاء على نفوذ الحرافشة وعند جلاء المصريين ورجوع الاتراك الى البلاد كان لم يبق من الحرافشة الا بقايا لا شأن لها .

ان الاتراك لم يناصبوا الحيادرة العداء كما ناصبوا الحرافشة اياه غير انهم اخذوا يعملون على تقليص نفوذهم وبسط حكمهم على البلاد شيئاً فشيئاً وصاروا يرسلون قائمقامين الى بعلبك وساعدت حركة الستين التي ابتدأت في لبنان على تقوية النفوذ التركي فزال جانب عظيم من نفوذ العائلات ومنها عائلة حيدر

ومنذ ذلك الحين اخذ كره الاتراك ينمو في قلوب آل حيدر وحب العرب يتمكن من نفوسهم وكانوا يلقبون حكومة ابراهيم باشا بالحكومة العربية .

هذا ولم يكن في بلاد بعلبك كلها غير كاره للاتراك بسبب الدماء التي اريقت في الحروب التي دارت بين الاتراك والحرافشة وكانت الامهات يروين لابنائهن اخبار الحروب التي حصلت بين ابائهم وبين الحكومة فيزرعن بذلك بذور النقمة على الاتراك في صدور اولئك الابناء .

وتبدلت الاحوال الاجتماعية في الازمنة المتأخرة فصار المرء لا يمكنه ان يحافظ على منزلته بين الناس الا بالعلم فكان آل حيدر السابقين الى طلبه واجتناء ثمراته وارسلوا ابناءهم الى المدارس العالية في الاستانة وفي اوربا فنبغ منهم كثيرون ولذلك فان الانسان لا يستغرب الامر اذا لم ير في آل حيدر غير متعصب لقومه اواذا لم يسمع بحزب تاسس لخدمة الامة العربية الا وكان لآل حيدر يد فيه ومن هذا ترى ان محاولة الاتراك التنكيل بافراد هذه العائلة ليس بالامر المستغرب ايضا

غير ان التنكيل بابناء حيدر لم يكن بالامر السهل لما جبل هؤلاء عليه من الاباء وما من الله به عليهم من القوة والمنعة ولذلك كانت الحكومة التركية تضطر الى ملاينتهم رغم كرهها لهم الى ان اعلن النفير العام وظن جمال انه قد اخذ بمخنق اهل سوريا فلا يستطيع ان يفلت من يديه احد فصرف عند ئذ همه الى التنكيل بهذه العائلة فنصب لها المكايد واول ما ابتدأ به استدعاؤه لاسعد بك حيدر ونجليه صالح بك وابراهيم بك فتمرد الاخيران والتجآ الى الجبال اما الوالد فسلم نفسه وقيد الى السجن في عاليه ولم يكن احد يعلم ما ينويه جمال من الاعدام والتعذيب

وبعد ان سلم اسعد بك نفسه لجمال جعل هذا يشدد الطلب على نجليه المومأ اليه فلم يتيسر له القبض عليهما فاشاع انه لا يريد الضرر باحد وانه لا يريد ان يتمرد احد وانه اذا اقدم انسان على التمرد فستقع العقوبة على اهله وذويه وانه ينوي اعدام اسعد بك حيدر

اذا لم يسلم نجلاه نفسهما فخدع بعض افراد العائلة بهذا القول واوصلوه الى صالح بك فدفعته الحمية الى المجيء الى عاليه وتسليم نفسه للمجلس الحربي الذي كان قد حكم عليه بالاعدام غيابيا وهكذا ساقوه الى المشنقه

وفي تلك الاثناء كانت الحكومة قد اتت من الاستانة بالدكتور حسين بك حيدر المعروف بعلمه وكرمه واقدامه وطلبت يوسف بك حيدر احد صاحبي جريدة المفيد الان ففرهذا الى الجبال حيث وجد ابراهيم ابن عمه وزمرة من الاشقياء بانتظاره ولحق بهم بعد برهة الدكتور محمد بك حيدر فصبروا حتى انتهت مسائل عاليه من اعدام ونفي وكان فيمن اعدم صالح بك حيدر وفيمن نفي اسعد بك حيدر واخوه حسين بك

عندئذ أخذ الثلاثة المذكورون مع من انضم اليهم يناصبون الاتراك العداء فتقع بينهم وبين الجند مناوشات يسقط فيها بعض القتلى . وقد كانت الجنود تخرج في كل مرة مكسورة مما نبه أفكار الحكومة وحملها على مضاعفة قوتها المجردة لتتعقب من سمتهم اشقياء .

وكانت الحكومة اثناء ذلك قد نفت يوسف بك سليمان حيدر الى الاناضول وامرت بنقل آل حيدر رجالا ونساء الى الاناضول ايضا فاطاع الامر منهم العاجزون من الرجال والنساء فقط وتجرد سائرهم وبينهم بعض السيدات وبعض الصغار كقرينة صالح بك الذي اعدم وكولده الصغير رياض البالغ من العمر ثلاث سنوات

فقط فذهبوا الى الجبال حيث اجتمعوا باقربائهم ثم انضم اليهم سائر من كان فارا من وجه الحكومة

وكان فيمن كان فارا رجال عشيرة الدنادشة الحماديين وعشيرة اخرى من بريتال يرأس الدنادشة رشيد دندش ويرئس البريتاليين ملحم قاسم ولما اجتمع هؤلاء مع اشياعهم في الجبال عقدوا عزائمهم على ايقاد نار الثورة ومناضلة الاتراك حتى النفس الاخير وانصبوا على الاتراك من كل جهة وكان الله معهم في كل حركة بالرغم من كثرة الاتراك في بعلبك لانها كانت دارا التعليم العسكري لا تخلو من العشرين الفاً والثلاثين الفا . ولما اعيى الحكومة التركية الأمر اعلنت الاحكام العرفية في نفس قصبة بعلبك واستدعت علي رضا باشا قائد الجيش في جبل لبنان وامرته بتعقب الاشقياء مع فرقة خاصة فصار ديوان الحرب يشنق في كل يوم بضعة اشخاص من الاهالي المساكين انتقاما للعشرات من قتلى الجند الذين كانوا يحملونهم من ساحات القتال ولقد نصر الله الثوار على الجند حتى اصبح في بعلبك من الامور العادية ان يقاتل ثلاثة او اربعة من الثوار بضع مئين من الجند ولقد بلغ من توفيق الثوار انه لم يقبض منهم على احد حتى ولا على امراة او طفل مع انه كان بينهم سيدات من آل حيدر لم يعتدن المشقة

ولما اعيت جمالا الحيل وراى تقتيل الجند واسرهم بالمئات خاف العاقبة وسعى الى مصالحة الثوار فلم يلتفت الى قوله احد حتى اتى تحسين بك ففاوض الثوار بامر التسليم فقبلوا على ان ترد الحكومة منهوبات ال حيدر واراضيهم وبيوتهم وترجع المبعدين من الاناضول وتعيد لهم زراعتهم

كما كانت وان لا يروا اجمالا ولا يراهم في موقف رسمي

وحاول الاتراك ان يغدروا فلم يفلحوا. ذلك انهم ساقوا قوة على اهالي بريتال في ليلة كان ملحم قاسم يحتفل فيها بعرس انجاله فاحتاط اربعة الاف جندي القرية قبل الفجر وارادوا الفتك باهلها فعلم اهل القرية بالامر فهبوا الى سلاحهم وفاجأوا العسكر فاجلوه عن القرية وخرجوا هم سالمين لم يقتل منهم لابضعة اشخاص بينهم احد ابطالهم المشهور بن محمد مفلح . وبينما كان اهل القرية وفي طليعتهم ملحم قاسم ذاهبين في الجبال صادفوا قائد درك الز بداني الذى كان قادما بمن تحت امرته لانجاد العسكر فقتلوهم عن اخرهم وانتهى الامر

ولم تمض مدة حتى عادت الحكومة الى مفاوضة ملحم قاسم بالتسليم ثانية وقد خدع البكباشي كمال بك ملحما فاستقدمه اليه بواسطة مختار قرية خور تعلا فضل الله الموطة وبعد ان حضر هذا قبض البكباشي المذكور على الاثنين ودبر لهما كمينا من العسكر ليقوم بمهمة قتلهما في الطريق وقد اخرجهما بعد الغروب مكتوفين وامر الجند ان يقتلوهما خارج القرية لكن لما خرجا من القرية اسرعا الى الفرار قبل ان يتأهب الجنود لرميهما بالرصاص ولم تكد الجنود تتأهب لذلك وتطلق الرصاص حتى كانا قد ابعدا مسافة اخفتهما عن الانظار فاصيب فضل الله ومات اما ملحم فنجا . ثم لم يطل الامر بعد ذلك وابتدا الاتراك بالانسحاب

وعلم الاتراك بعد ان اصبح موقفهم قلقاً في جبهة فلسطين ان آل حيدر يكيدون لهم فخافوا الاسيما ان قضاء بعلبك هو طريقهم الوحيد

للانسحاب وكان البريتاليون لايزالون اذذاك فارين وهم قوة لا يستهان بها فجعل الاتراك يفاوضونهم بامر التسليم فابى هؤلاء الى ان توسط بالامر الامير سعيد الجزائري فقابل وجهاء البريتاليين واقسم لهم ان الحكومة التركية لاتزال شديدة الساعد وان مايقوله لهم ابناء حيدر من قرب انهيال ملك الاتراك ليس من الصحة في شيء فانخدع البريتاليون باقواله وسلموا ولم يكادوا يصلون الى دمشق حتى ابتدأ الاتراك بالانسحاب الكبير.

اما ابناء حيدر فقد هيأوا قوة في احدى قراهم المعروفة باللبوة وضربوا الاتراك والالمان فقتلوا من الالمان نحو المئة ومن الاتراك ما يزيد عن المئتين وغنموا اسلحة ومعدات وارزاقاً وعربات للنقل اما من قتل من اهل القرية فلا يتجاوز عددهم العشرين من رجال ونساء واطفال وكان فيمن قتل حسين علي حيدر فلما نمي الى ابناء حيدر في بعلبك كبر عليهم الامر وارادوا الانتقام فخرج مصطفى بك ملحم حيدر الى جبل الشيخ عبد الله فوق المدينة ليرى اذا كان ثمت من جيش تركي قادم فرأى طابوراً من الجند قادماً فاطلق عليه بضع طلقات من بندقيته فرفعوا راية التسليم بعد ان قتل منهم اربعة فنزل اليهم ثم وافاه بعض الشبان من اخوته وانسبائه فاسروا الجند وقادوهم الى المدينة حيث جردوهم من اسلحتهم وابقوهم في الثكنة الى ان اتى الجنرال ماكندرو الانكليزي الى بعلبك واستلم الاسرى وساقهم الى مصر

وفي هذه الاثناء كان المبعدون من آل حيدر الى الاناضول قد عادوا الى وطنهم في جملة من عاد وانتهى الامر.

تدشين الظلم والاستبداد

ارسل الينا الشاب المهذب الامير نسيب بن محمود شهاب اللبناني تحت هذا العنوان ماملخصه :

ارسلت الى والدتي في لبنان في ابتداء الحرب بطاقة قلت لها فيها ان حمصاً في أمان وان الدولة العثمانية الغت الامتيازات الاجنبية فان لم يصادف الغاؤها وقعاً حسناً في اندية الحلفاء السياسية ووقعت الحرب رجعت الى لبنان ولا خدمة عسكرية اجبارية تضطرني للبقاء في حمص

وفي ١٩ ايلول سنة ١٩١٤ بينما كنت القي الدروس في الكلية الإسلامية دخل مدير البوليس فاقتادني الى الديوان العرفي لاعطي جوابا عما كتبته في تلك البطاقة التي اوقعتها الصدف في يد كاتب الديوان العرفي آنئذ وهو رجل كان زميلي في التعليم في ذلك المعهد العلمي من قبل ثم اصبح مديرا لاحد المكاتب الرشدية وقد خلصته من عار العزل مرة فسولت له نفسه ان يدعم منصبه الجديد بخدمة مقدمها لابناء تيمورلنك .

دار الاستنطاق حول الجملة الاولى من البطاقة (حمص في امان) واولها اعضاء الديوان العرفي حسب رغائبهم ولما قصر باعهم عن الاتهام احضروا لي رزمة من الجرائد اكثرها من لسان الحال وزحلة الفتاة والبشير من اعداد سبقت الحرب العمومية بسنة وستين خلاصة مقالاتي فيها فرنسا ولبنان فحكم علي الديوان العرفي بالموت وارسل الاوراق لذكي باشا سلف جمال السفاح لتصديقها فابي وادركت ان

عدله وهو تركي من قبيل (لولا الشاذ لم تؤيد القاعدة)

لجأت الى الاصفر الرنان وتذكرت رواية الارنب التي كانت تقود الاسد بقود من فيه فقرر الديوان العرفي الحمصي التبرئة وهو نفس الديوان الذى حكم بالاعدام . فقلت ربي ! لقد فاقت سطوة الذهب عدل شرائعك والخوف من بطشك !

جلس الاعضاء في ٢٧ ايلول من نهار السبت لاعطاء قرار التبرئة واذا تلغراف ورد من الاستانة بالغاء الديوان العرفي وتحويل اوراقه الى دمشق وقد قبض اعضاؤه الدراهم فلم يزعجوا ضمائرهم بكتابة بعض الاسطر ...

ان حادثتي اتت ملأى بالعبر وبالعراك الذي قام بين الانسانية والهمجية وهذه هي احدى مواقعها الشهيرة حضرت ثلاث جلسات متقطعة كانت تبتدئ دائماً الساعة الثانية بعد الظهر وتنتهي في الثامنة مساء اشتبكت فيها اسلحة الحق والعلم مع نصال البطل والجهل في السياسة والمسألة سياسية محضة فوقع الاعضاء في ارتباك حتى دعاني احدهم بمحام مع اني لم اتشرف بان اكون من هذه الفئة

ووقعت مجادلة لغوية على كلمة (رَفرفَ) الواردة في احدى المقالات وابى الديوان العرفي التسليم معي بمعناها الاصلي وعلى ذلك المعنى يتوقف سجني اربع سنوات ولما اعيتني الحيلة وآنست من القوم جهلاً للغة العربية ومفرداتها عمدت الى الخزعبلات فاوردت لهم معنى رفرف الذي اقصده وقلت لهم انه ورد في قاموس (الاپشيهي والاسيوطي وسيبويه ونفطويه وابن عبدربه وغيرهم من فطاحل

اللغة) وذكرت لهم الصفحة والسطر واذ كان اعضاء الديوان العرفي قد سمعوا بهذه الاسماء ولكنهم يجهلون تاليفهم انبهرت ابصارهم بذكرهم وتحديد كل صفحة وسطر وتوهموا انني ضليع الى الغاية القصوى من اللغة العربية فانتهت المسالة على ماا حب وقد حدا بي ذلك الي القهقهة غير ان روءية السجن ومظالمه وقذارته منعتني عنها

رجعت الي السجن حيث وضعني طاهر بك الشهير في غرفة سجن القلعة فاضطررت ان انزل سبع درجات تحت الارض لاصل اليها ولكن ابت الفضة ان تكون اقل نفوذا من الذهب فتغلبت على صلابة طاهر بك ورفعتني الى (العلالي) حيث التقيت بالمرحومين نخله باشا المطران وباترو باولي .

جلسنا بعد التعارف يقص الواحد منا حادثته على اخيه والحزن ملء الفواد لانعلم ماذا يخبئه لنا الدهر الغدار من الحوادث ولايمكنني ذكر تلك الليالي والايام دون ذرف الدموع على تلك الانفس الشريفه !

ولم اخف عن نخله باشا ان حالتي اسوأ من حالته اذ اكتفى احد اعضاء الديوان العرفي بجوابي له انني ماروني لبناني درست في مدرسة (عينطوره الافرنسية لاكون افرنسياً محضاً عاملا على سحق الدولة التركية ولكن هو الحظ الذي اسعدني بالخروج من بين ايديهم بعد ان حكم علي ستة اشهر بالسجن وبدفع خمسين ليرة عثمانية ذهباً جزاء نقدياً وابقى نخله باشا ليطاف بشخصه الكريم في الاسواق هزءًا وسخريه .

حديث أديب منفي

طلبنا من حضرة الشاعر اللغوي سليم بك عنحوري ان يكتب لنا خلاصة عما رآه في منفاه فكتب ما ياتي :

دعيت يوم السبت الواقع في اول نيسان سنة ١٩١٦ الى دائرة الشرطة في دمشق وكان احد ولدي وجيه اسير فراشه متألماً من اذنه فاجبروه على الذهاب معي ولما ابلغنا اننا سننفى مع اسرتنا الى الاناضول اخذ ولدي الآخر منير وعمره دون الثامنة عشرة ووضع في السجن رهينة الى ان نسافر ولما برحنا دمشق وكنا اول المسافرين لم يدر في خلدي ان نصل الى منفانا سالمين فلما بلغنا حلب قابلت في نزل البارون السيد عبد الحميد الزهراوي قادماً من العاصمة مرفوقاً ببعض الضباط فاستعلمته عن حاله فقال انني ذاهب لاصلب وكان الامر كما قال

قطعنا ثلاثة اسابيع في الطريق هي بلاء مستمر حشوها الترويع والارهاق حتى بلغنا كوتاهيه فالفينا هنالك اسرة سعيد بك حماده شيخ ناحية الهرمل ومديرها وشكري افندي الجندي المحامي المعروف فصرفنا فيها ثلاثة اشهر ونيفاً كنا فيها مظهراً للعطف والاشفاق من لدن المتصرف — وهو مفيد بك احد رجال ولي العهد عز الدين افندي — ولما قرس البرد — وهو يتجاوز احيانا الثلاثين تحت الصفر — صدر الامر بنقلنا الى المعسكر وهي بلدة بين مرمره وازمير اعدل هواء واقل برداً من كوتاهية فذهبنا اليها جميعاً وقد تبعنا اليها اسرات آل حيدر من اشراف بعلبك فصرفنا عامين ونيفاً يحتاج تفصيلها الى

مجلدات ضخمة لان بالبكسري كانت مجمع جالية اروام الدردنيل ويوالق وقد كابدوا هنالك من بلايا الجوع والاعتداء على الاعراض والظلم والعسف مالا يحتمل المقام الاتيان عليه هنا بيد ان الجالية السورية كانت مكرمة الجانب من لدن المامورين معززة المقام لم يطرأ على احدمنها مايستحق الذكر اما الغلاء فقد بلغ غايته هنالك حتى بيع السمن الاقة بثلاث ليرات والقهوة باثنتي عشرة وزيت البترول بخمس واللحم بليرتين وقد مر على المدينة جملة اشهر بدون انارة يضطر اهلها الى الانزواء في مضاجعهم منذ الغروب وهي حالة اشد ما مر بنا في ذلك النفي المريع وقد بلغت نفقات هذه الرحلة التي دامت زهاء ثلاثة اعوام نحو عشرة الاف ليرة سيما ان الاتعاب والامراض وسوء التغذية بعض الاحيان قد أنهكت قوى اكثر الجالية حتي ان قاسم آغا حيدر فقد هنالك زوجته وهو ابتلي بداء القلب فما عاد الى وطنه حتى ثقلت عليه وطاة المرض فتوفاه الله بعد اشهر كما توفي اخوه الدكتور حسين بك حيدر في مدينة شورم .

مات فعاش

حادثة الكفالير عبد الله افندي رعيا

لما اشتعلت الحرب العمومية في آخر تموز سنة ١٩١٤ ظن الناس انها لن تدوم اكثر من ثلاثة اشهر وكانت قد وقفت الحركة التجارية واقفل كثير من الناس محلاتهم فاقفل ايضاً الكفالير صيدليته في بيروت وذهب الى جبل لبنان لقضاء تلك المدة المذمومة . ولكن

لم يمض على ذلك شهر حتى اخذ الترك ينهجون نهجاً غريباً في سلبهم مال الرعية باسم تكاليف حربية . واذ جاءت لجنة التكاليف الى صيدلية المذكور بضع مرات ووجدتها مقفلة اضمرت له السوء وبلغته بواسطة ابيه الشيخ انها مزمعة بامر الوالي ان تكسر الابواب وتصادر جميع مافي الصيدلية ان لم يحضر فحضر للحال وسلم اليهاماشاءت وبعد مضي عشرة ايام قبض عليه بحيلةاذجاءه جندي من الشرطة وابلغه ان يذهب الى دار الحكومة ليستلم سند البضاعة التي اخذت من عنده فلبى الطلب وعند حضوره اودع سجن التوقيف بامر الوالي . وكان يومئذ بكر سامي من الاتحاديين . فاهتم لـلامر وكيل اسقف الكاثوليك ورجا بذاته وبواسطة بعض الوجوه بكراهذا ان يطلق سراح السجين فاجابه ان المسألة سياسية لايجب ان يتداخل بها ثم ارسل اليه سمسارا يقول له ان اطلاق سراح عبد الله رعد لا يمكن الا بدفع مئتي دينار للوالي ووفاء اجرة داره عن سنتين لم يدفعها وكانت اجرتها ماية دينار عثمانية في السنة فاستكثر الوكيل المذكور المبلغ وابى ان يدفعه مجيباً ان عدل المحاكم سيظهر براءة المسجون . حينئذ سيق الموقوف مكبلاً بالحديد الى ديوان الحرب العرفي في بيروت واتهم انه سم الادوية التي اخذت من عنده ليقتل الجند العثماني بدافع ميله للعدو وقد خدم ذوو الغايات السافلة بكرا فلفقوا له تقريرا اعلنوا فيه انهم حللوا تلك الادوية ووجدوا حامض البكيرك والكبريت في اليودوفورم ليسبب التهاباً في الجراح والكشلة في مسحوق السوس وهي سم زعاف وسوى ذلك

في مواد اخرى يطول شرحها . فلم يعد بد امام هذا الاسناد للقضاء العسكري من اصدار حكمه بالاعدام على المتهم وقد فتش ايضاً بيته وصيدليته تفتيشاً دقيقاً واخذت انابيب فيها بقايا من تحاليل كيماوية قديمة ظنها المفتشون مستنبتات مكروبية معدة لنشر الاوبئة فزيد عليه التضييق والتعذيب وبات ينتظر المشنقة في كل صباح ليخلص من آلام الليل والنهار المتواصلة . الا ان مفعول الرسول الاصفرالر ن الذي كان يبعث به غير هيئة الدعوى حتى ارسل اخيرا الى دمشق ومعه الادوية المدعى انه قد دس فيها السم وكان قد ختم عليها مدير الصحة حسن بك الاسير المعروف بنزاهته . ولدى التحليل الكيماوي الذي اظهر بهتان ادعاء الوالي بكر سامي برئت ساحته من قضية التسميم وحكم عليه بحبس ثلاثة اشهر بدعوى انه فر من وجه الحكومة لدى اخذها التكاليف الحربية . وقد اغتنم مستخدم له يدعى جرجي المالطي كان قد طرده من صيدليته بداعي خيانة وشاع امره بين الصيادلة فرصة وجود رعد في ديوان الحرب العرفي بالشام فاقام عليه دعوى في ديوان الحرب في بيروت مسنداً اليه الفعل الشنيع بامرأته مع ان هذه كانت مقيمة في دير القمر ولم تساكن زوجها منذ ثلاث سنين فحكم عليه غيابا بدفع ثلاثين ليرة عثمانية لذلك الرجل السافل الذي مات بعد ذلك جوعاً على قارعة الطريق قرب بيروت ولم يكد ينفض الكافالير رعد غبار الموت حتى اوقف ثانية تحت دعوى صحافية اصدرت عليه من الوالي بكر سامي على بعض كتابات له قبل الحرب نشرها في جرائد بيروت منددا فيها بالحكام الاتحاديين

وناسباً اعوجاجهم الى روح الجمعية المنتسبين اليها . الا ان عدل قريش بك الـذي كان اذ ذاك رئيساً لديوان الحرب بدمشق لم يطاوعـه على مجاراة الطغـاة في دعوى الوالي فلم يشأ ان يسهل لاعداء المتهم سبيل الانتقام وابى على المدعي العام رؤية القضية مستنداً بذلك الى قانون الصحافة الذي يقضي باسقاط مثل هذه القضايا متى مضى على نشر المقالة ستة اشهر واخلى سبيله . ثم اعتقلته الحكومة اداريا في دمشق لكونه تحت حماية دولة فرنسا وكانت قد اعلنت هذه الدولة الحرب على الاتراك ففر الى بيروت بمساعدة مؤلف هذا التاريخ وانتحل المرض هنالك فغضت الحكومة عنه الطرف بعد قبولها ارسله الصفراء زمنا . ثم طلبته لتنفيه الى سيواس ففر من وجهها وتاه في قرى لبنان واديرتها ستة شهور متخفياً مغيراً اسمه وزيه فصادرت الحكومة صيدليته واثاث بيته والقت الحجز على القليل الباقي من ثروته الضعيفة وبثت عليه الارصاد حتى قبضت عليه يوماً في ارض قضاء الكورة على مقربة من طرابلس الشام وساقته الى ديوان الحرب العرفي في عاليه حيث امر بابعاده فنفي الى مكان في الصحراء يدعى الابن يبعـد مسافة يومين عن الحفير فوق بئر السبع فقضى مـدة خمسة عشر شهرا باسوأ حال وتوفي والده الشيخ حسرة في غيابه واذ اشتد عليه المرض في تلك الارض اذن لـه بالعودة الى بيروت فاقام فيها عشرة شهور تحت مراقبة الحكومة ودعي بعدها الى المنفى داخل ولايـة انقره فتوسط له بعض المحبين ان يقبل في الجندية وكان الجيش التركي يومئذ بحاجة الى الاطباء والصيادلة فقبل فيه بصفة صيدلي ملازم اول

وارسل الى معان في صحراء العرب وكانت يوم ذاك الثورة العربية قد اخذت بالامتداد ففر ملتجئاً الى جيشها الهاشمي بعد ان قضى ستة اشهر في حصار معان تحت وابل المدافع وقنابل الطيارات فاكرمه الامير فيصل وامر بتعيينه صيدلياً اول لجيش الثورة . اما قائد معان التركي فاذ شعر بفراره حكم عليه بالاعدام وبلغ الحكم لقائد الجيش العربي الفريق جعفر باشا البغدادي بواسطة البدو فجاوبه القائد المذكور بالتهديد ولطف المحكوم عليه بترفيع رتبته العسكرية وكان ختام الرواية ان الاتراك لم يشاؤا ان يشيع خبر فراره فاذاعوا خبر موته وبلغوا ذلك وكيله الخوري نقولا المعلوف في بيروت فاضطر هذا ان يصفي ماتبقى لموكله من حطام الدنيا مما سلم من غائلة الاتراك وصنع له بقيمتها جنازا ووزع عن روحه الصدقات وشيد له برصيد الباقي قبرا وعندما دخل الجيش العربي سوريا ظهر صاحب الترجمة حياً يرزق وشاهد ضريحه فسبحان محيي العظام وهي رميم .

نقولا افندي شاهين

سر قوميسير ولاية سوريه

لما اعلنت الحرب اخذ الاتراك يترقبون الفرص للايقاع بابناء العرب وكان نقولا افندي شاهين سر قوميسير ولاية سوريا يسعى جهده لمساعدة مواطنيه من غائلة الترك . وكان من مقتضيات وظيفته الاطلاع على حركات الحكومة واسرارها ولا سيما على نوايا ذلك الطاغية (توفيق بك) مدير الشرطة الذي كان يعارضه دائماً . فاضمر الترك الشر لنقولا افندي وشرعوا يتوقعون فرصة ملائمة للايقاع به .

ولما عزمت الحكومة على ابعاد تراجمي قناصل الدول المعادية لها وقف نقولا افندي عثرة في سبيل مظالم توفيق بك مدير الشرطة المرقوم ولم يدع له مجالاً ليطلق يده في الاستبداد فكان عمله هذا من اعظم الاسباب التي اثارت غضب الاتراك عليه ثم ساق القدر الى ايديهم رسالة قديمة من نقولا افندي الى قنصل فرنسا يذكره بها بوعده اياه في ادخال ولديه الى مدرسة العازريين بالشام فاتخذوها حجة ضده ونسبوا اليه الخيانة والجاسوسية واسرعوا فابرقوا الى الاستانة بطلب عزله فاجيبوا الى طلبهم . وفي صباح ٣٠ تشرين الاول سنة ٩١٤ بينما كان قادماً الى الدائرة حسب عادته لقيه المدير وبلغه امر العزل وانه لايزال موقوفاً الى ان تجري محاكمته في ديوان الحرب العرفي . وقد اسمعوه عدا ذلك تهديدات قاسية وكلاماً بذيئاً تشمئز منه الآذان .

اما قرينته الفاضلة فقد ازدادت بهذه الكارثة شجاعة وما فتئت تقرع ابواب الرحمة وترجع خائبة الى ان قيض لها سعد الطالع ان عرضت

امرها على (الفريق زكي باشا) الذي كان يشغل محل جمال الطاغية
فطمنها زكي باشا قائلًا : لاتخشي فانا عربي مثلك وقد علمت بظلامة
زوجك وسأبذل مابوسعي لاجل تبرئته . وفي الحال اشار الى الديوان
العرفي للاسراع بمحاكمة نقولا افندي وتبرئته فصدر قرار الديوان
المذكور بانه لايرى موجباً للمحاكمة لان الرسالة المذكورة بعيدة
عن السياسة ومورخة يوم كان الترك والفرنسيس على امتن صداقة .
غير ان (خلوصي بك) والي سورية (ونوري بك) مدير
مخابراتها ومدير الشرطة لم يرتضوا بحكم الديوان ولكنهم اصروا على
وجوب التخلص من نقولا فدعاه الوالى اليه يوم ٧ تشرين ثاني سنه ٩١٤
وقال له : ان خدماتك السابقة وثبوت براءتك واجماع الشعب كله على
حبك يشفع بك وانما يجب ادارة ان ترتاح في بيتك مدة الحرب وكن
واثقاً ان الحكومة لاتنسى خدماتك . وكانت الحكومة ترسل من
آن الى آخر شرطة وجنوداً فتفتش في بيته عن اوراق وهمية فتبعث
الذعر في نفوس اولاده وامرأته . وفي السنة الثالثة لاعلان الحرب مضى
الى زحلة مع عائلته لقضاء فصل الصيف . وافاق ذات يوم والجنود
محيطون ببيته (وبطرس كرامه) قائمقام زحلة في مقدمتهم فدخل البيت
ساخطاً متهدداً ولما سئل عن السبب اجاب بفظاظة كلية : ان حكومة
المعلقة طلبت ان يوافيها الى بيت نقولا افندى لالقاء بعض الاسئلة
على المومأ اليه وتفتيش بيته ثم وصلت هيئة حكومة المعلقة
واجرى البحث ولما لم يجدوا شيئاً انصرف الجميع معتذرين . ولقد حمل
الحكومة على ذلك العمل ان بعض سكان زحلة اتهموا بالميل

والأشتراك في الثورة العربيـة وكان يظن ان نقولا افنـدي أخذ المشتركين بهذه الاعمال .

اما نقولا افندي فهو رجل يعرف بالاستقامة واصـالة الرأي والابتعاد عن السياسة والانصراف بكل مافيـه من القوى لاتمام وظيفته وهو الان يخدم وطنه بنصح واخلاص .

﴿ جميل بك المعلوف ﴾

حكم بالاعدام غياباً مع انه كان قد برح باريس قبل اعلان الحرب العامة ببضعة اشهر وسكن المريجات فبينما هو ذات يوم في اثناء نشوب الحرب ودخول تركيا في بيته دخل عليه ضابطان تركيان واخذا خادمته الصبيه . يغازلانها ويراودانها بالتركية ففهم سوء نيتهما فبادرهما بالطرد من بيته لسوء قصدهما وضربهما فخرجا يتهددانه بالعرفي فلذلك عرف وجوده فطلبته الحكومة لتعدمه فادعى والده جنونه ووضعه في مستشفى العصفورية ولا تسأل حينئذ عن المصادرة والتهديد والاهانة التي لحقت البيت ولا سيما والده الشيخ ابراهيم باشا المعلوف فاخذته حكومة بعلبك الى السجن فبقي مدة ثم نقل الى سجن دمشق .

ثم انزل جميل من العصفورية الى المجلس العرفي في بـيروت مخفوراً ولا تسأل عما لحقه من الاهانات والضغط الشديد عليه . فكان يؤخذ ليلاً بقميص النوم الى دائرة الشرطة والجنود تحدق به بحرابها فقدم استدعاء يطلب به معاملته برفق نظراً لحالته الصحية ومرضه فكان الرفق عندهم انهم كانوا يسوقونه الي الاستنطاق وفي اثناء الطريق يضعون

اللفائف (الخراطيش) في البنادق ففطن جميل انهم سيعدمونه وهكذا كانت معاملاتهم وحشية مدة الحرب حتى كانت اسرته المعلوفية قدذاقت الامرين وقضت هذه المرائر على حياة عميه ووالده ابراهيم باشا الواحد بعد الاخر . اما والده فقد مات بعد الاحتلال بقليل في اول كانون الاول سنه ١٩١٨ ونكبت هذه الاسره نكبات كثيره .

﴿ ابراهيم افندي الراعي وولده راجي ﴾

صاحبا جريدة (زحلة الفتاة) فرا من وجه الحكومة الى دير سيدة السنياح في كسروان (لبنان) وهناك بقياشريدين طريدين كل مدة الحرب وكانت الحكومة تتعقبهما من مدة الى اخرى فيفران في الجبال ويختبآن الى ان انتهت الحرب فعادا الى موطنهما زحلة .

الدكتور ابرهيم فرح معلوف

كان طبيباً في المستشفى الفرنسي في القصاع من دمشق فضغطت عليه الحكومة التركيه ففر الى موطنه زبوغا (لبنان) وهناك عاش متخفياً عن الابصار كل مدة الحرب حتى كان الاحتلال فعاد الى عمله في الشام .

﴿ تنفيذ الاحكام في دمشق وبيروت وخلافهما ﴾

في ٥ ايار سنه ٩١٦ اقل القطار من بيروت الى الشام كلا من المأسوف عليهم شفيق بك المؤيد مبعوث وعبدالحميد الزهراوي من الاعيان وشكري العسلي مفتش المالية وعبد الوهاب الانكليزي مفتش الماليه والامير عمر نجل الامير عبد القادر الجزائري ورشدي بك

الشمعة مبعوث ورفيق سلوم احد الكتبة المشهورين .

حمل القطار افاضل العرب هؤلاء يحف بهم فرقة من الجند الغليظي الرقاب لما انتهوا الى رياق التي تربط طريقي حلب والشام صادفوا القطار الذي ينقل عائلاتهم الى الابعاد فخاطبوهم بزفرات الدموع وحسرات القلب فتضاعفت كآبة هذه العائلات واربابها من هذا المشهد المؤلم . ومن اغرب الفظائع ان كريمة رشدي بك حاولت ان تنزل لوداع ابيها فمنعت ولما وصلت الى حلب مرضت فطلبت ان يسمح لها بالعودة الى الشام فكان الجواب انه يلزم ان تتابع سيرها ولو ماتت ، وقد ماتت في تلك الاثناء متأثرة من ذلك الظلم

ثم سار كل قطار في طريقه ولما انتهى قطار المذكورين مساء الى البرامكة اخلى الجند ساحة المحطة ولم يدعوا فيها حياً ثم انزلوهم واحضروهم ليلا الى دائرة الشرطة وبعثوا فاحضروا الشيخ . ح . ن ليؤهبهم للموت ويشجعهم ويحيي في افئدتهم آمال الاخرة نصائح المحتضرين ففهم عبد الوهاب افندي غاية الشيخ فاستدناه وقال له :

بعث بك الاتراك لتؤهبنا للموت ؟؟ اذهب لاام لك فلا حاجة لنا بك ورفسه برجله فاوقعه على بعد مترين .

وفي الساعة السابعة ليلاً من صبيحة ٦ ايار انيرت في ساحة الاتحاد اوساحة الاعدام الكرات الكهربائية واوعز الى الخواجا شماس صاحب زهرة دمشق ان ينير كل كرات القهوة التي تعطي نورها على الساحة حتى اصبحت كانها شعلة نور ثم احضر المحكومون بثياب الاعدام البيضاء وعلى صدورهم خلاصة الحكم الذي صدر عليهم فابتدأوا

بشفيق بك المؤيد فطلب ان يمهلوه ريثما يتلو الفاتحة فتلا قسماً منها ولم يمكنوه من اتمام واجباته نحو الله وانتقلوا الى عبد الحميد الزهراوي فقال :

الله ينتقم من الظالمين ووافوا الامير عمر فقال ان مقتل ابن الامير يعود على الدولة بالوبال وعادوا الى شكري العسلي فقال :

ان الله في المرصاد سينتقم من الظالمين ووصلوا الى عبد الوهاب الانكليزي فقذف بحق الاتراك وقال :

ان الله في موقف العدل واقتربوا من رفيق سلوم فقال :

ياالكم من قوم ظلام وانتهوا الى رشدي الشمعة فقال :

الله ينتقم لنا . وهكذا قضي على السبعة وعلقوا بين الارض والسماء فلبست الشام ثوب الحداد فكنت ترى اينما توجهت قلوباً خاشعة وعيوناً دامعه . وقد بث الاتراك الارصاد حين ذاك فهال الامر القوم .

وقد تغيب جمال ذلك النهار الى الخياره في غوطة دمشق واوعز الى الحكومة ان تحمل اليه بطاقة من الزهور بعد تنفيذ امر القتل فاجرت الحكومة كما امر وفي ذاك النهار نفسه شاهد الناس ثلاث عربات تنقل بعضاً من نسوة الاتراك وغيرهن الى قرية الخيارة حيث قضين النهار مع جمال واطربت القوم مدام نشأت بك بغنائها ورنة عودها ثم عاد الجميع مساء يجولون في الاسواق والشوارع حاملين باقات الزهور علامة للانتصار .

ولم تكن بيروت في مثل ذاك النهار المشؤوم اقل تعاسة من

دمشق فقد تعلق في ساحة اتحادها نخبة من شبان العرب وافاضل القوم وهم :

عبد الغني العريسي. سيف الدين الخطيب . محمود المحمصاني . ومحمد المحمصاني . وصالح بك حيدر. الامير عارف الشهابي وسليم بك الجزائري وعبد القادر الخرسا وجرجي الحداد وبتروبولي .

وقد قال الشهابي عندما راى المشانق : السلام عليك يامراجح الرجال ونظم جرجي الحداد قصيدة فلم يمكنوه من تلاوتها وقال عبد الغني العريسي ستبني العرب مجدها على جماجمنا فصحت نبوءته وبلغ صداها بعد اربع سنوات الآنسة فاطمة المحمصاني شقيقة الشهيدين محمد ومحمود ولما اعلن الاستقلال وقفت عربة تقل مختار بيهم والفرد سرسق وسليم علي سلام فطلبوا من الانسة باسم الحكومة العربية ان ترفع العلم العربي في فضاء درة تاج بني عثمان سابقا فبينما كانت والدتها الثكلى المسكينة تقصد الرمل لتهنيء تلك المثاوي الصامتة ومعها العلم كانت كريمتها مطلة من شرفة دار الحكومة رافعة العلم بيديها الضعيفتين هاتفة بصوت اجش :

سلام ايتها الامه !! سلام برامين يظلله في (سواد) الليل و(بياض) الضمير (وخضرة) الامل اليقين ويستفزه للعلاء (الدم الثمين.)

هذا هو سلام اخوي الفقيدين اليك ايتها الامة فاتخذيه شعاراً لك ورمزاً الاستقلالك وحافظي عليه بالجسد والدم والروح ولتحي العرب

﴿ مقتل بشاره الجوقي ﴾

كان بشاره الجوقي هذا مستخدماً في دائرة الجمرك في يافا سنة

١٩١٥ وهو شاب في مقتبل العمر فاتهمه قومندان موقع يافا حسن بك الجابي بالجاسوسية فارسل الى دمشق مخفوراً وجرت محاكمته في الديوان العرفي وكان عند استنطاقه غير هياب لكونه بريئاً مما عزي اليه فكانت تلك الجرأة حجة للحكم عليه بالاعدام فاعيد الى يافا حاملا حكمه بيده ولما دنا الاجل المهود علقوه بين الارض والسماء فانقطع حبل المشنقة فصاح بصوت جهوري يشهد الله سبحانه وتعالى على براءتي ولا يرضى بموتي فاوسعوه ضرباً وانهالوا عليه شتما ثم علقوه ثانية فانقطع الحبل ايضاً فقال ارأيتم صحة مقالي ؟؟

انا بريء مما تعزونه الي وهو سبحانه يشهد بذلك خلوا سبيلي وارحموا اهلي فرفسه القومندان برجله بعنف وقال :

شدوا الحبل ومكنوه واريحونا من هذا الشقي فعلقت ثالثة وقضي عليه.

﴿ نبوءة الموت ﴾

ننشر تحت هذا العنوان اعدام الشماس الافرنسي اناتول بن فيكتور ميزره من مقاطعة الهافر من اعمال فرنسا ونفي رئيسه سيادة الحبر المفضال المطران يوسف الدوماني رئيس اساقفة طرابلس الشام والى القراء تفصيل الحادثه :

بينما كان احد الشبان الدمشقيين ماراً بمدينة طرابلس عرج على داراسقفية الروم الكاثوليك فاجتمع بالاسقف والشماس المذكورين ودار بينهم الحديث الى ان قال الاسقف للشماس على سبيل المزح ما بالك تفضل المكوث في هذه الدار الحقيرة والبلدة المسكينة ؟؟ الا

ترغب في الذهاب الى دمشق بلدة العز والخير ومحط رحال العلم وفيها كل ما يلذ ويطيب فاجاب الشماس على الفور لا شك عندي فيما تقول لكني اوثر الاقامة في كوخ على الذهاب الى دمشق حيث ارى الاتراك متربعين في دست الاحكام يعيثون في البلاد فسادا ويوردون الانفس البريئة موارد الحتف فاخشى ان اكون احد هؤلاء الابرياء فيرفعوني الى المشنقة وقد تمت هذه النبوءة فعلا اذ ان الشماس لم يلبث ان سيق الى دمشق بعد مدة ونفذ فيه الاعدام شنقا وذلك في شهر آب سنة ١٩١٥

حين اصدرت الحكومة العثمانية اوامرها الى الرعايا الفرنسويين وغيرهم من رعايا الدول المعادية بالمهاجرة ارسل متصرف طرابلس رشيد بك طليع الى كل الرعايا والرهبان المنتمين الى احدى الدول المعادية رسائل تقضي عليهم بتعجيل هجرتهم وقد كان ورد الى المتصرف المذكور ثلاث رسائل من القيادة العامة توجب عليه الاسراع بهجرة الراهبات العازريات وهو لا يزال يخفيها مراعاة لخاطرهن وفي تلك الاثناء حضر اليه سيادة المطران يوسف الدوماني فقال له المتصرف : لا ادري ما اعمل مع الراهبات العازريات فاني اكرمهن واعتبرهن فقال له سيادته اني اطلع الراهبات على الحقيقة وازيل عنهن تبعة اللوم في ذلك وعلى هذا جرى المطران وفي تلك الجلسة قال للمتصرف ان عندي شماسا ولم تكتبوا الي بشأنه وها قد مضى على ذلك اسبوع فلا احسبك الا ناسيا ولهذا اتيت اذكرك به فقال له المتصرف لا باس من ابقائه عندك فبقي هذا الشماس عند سيادة المطران ثمانية اشهر خيل في آخرها لاحد مهاجري (اسكربك) الروم ان يشي بهذا الشماس

الى قومندان الجيش في طرا بلس عساه يخليه من الخدمة العسكرية ولكن ساء فاله فتلك الخدعة لم تنجه مما خافه وفي ساعة غير منتظرة فاجأ الجند مع قومندان الدرك دار المطرانية واخذوا يفتشون كل غرفها وسلبوا كل ما كان في حجرة الشماس اناتول المرقوم وساقوه مع الكهنة الخوري اغناطيوس نخله وكيل سيادة المطران والخوري حنا شنياره كاتم الاسرار الى السجن فطير الخبر الى سيادة المطران الذي كان متغيبا في بيروت لبعض شؤون خاصة فحضر بسرعة ووقع في الورطة التي جاء ليخلص كهنته منها اى انه اوقف وحبس وفيما كان المطران مسجونا ارسل اليه المتصرف ياوره يقول له لا تقل اثناء التحقيقات انك انبأت المتصرف بوجود الشماس عندك وهو يتكلف تخليصك فابى سيادته الكذب لكونه عرف بصدقه وقد اتخذ لنفسه شعارا

الصدق في اقوالنا اقوى لنا والكذب في افعالنا افعى لنا

ولذلك عندما سئل المطران عن سبب احتفاظه بالشماس المذكور اجاب : اني رغما عن تقصير المتصرف بالايعاز الى الشماس المذكور بوجوب السفر قد قصدته وسألته عما يجب عمله بشأن الشماس فأجابني لابأس ببقائه ولم يذكر سيادته شيئاً عن الياور حفظاً لكرامة المتصرف بل انه اثنى عليه ثناءً طيباً فسيق المطران مع كهنته وشماسه الى دمشق وقد كان ينوي تسفيره ماشياً كما فعل بحاشيته الا ان مجاوزته الستين قد شفعت به فسافر في القطار رجال وصولهم الى دمشق سلموا الى الديوان العرفي فبرئت

ساحة الكهنة اما الاسقف فبقيت قضيته تحت البحث وقد سئل في الديوان العرفي لماذا أبقيت الشماس عندك وهو جاسوس افرنسي فأجابه المطران لا اعهد الجاسوسية بشماسي ولا هو من ارباب السياسة وحياتي الماضية تشهد بصدق تابعيتي ولو داخلني الريب بامر شماسي لما أبقيته عندي دقيقة ورغماً عن ذلك فقد انبأت المتصرف بذلك وهو اشار عليَّ بابقائه ولي على ذلك ثمانية شهود ولما ثبت للهيئة التحقيقية العرفية صدق المطران قال له الرئيس قد ثبت لنا انك انبأت المتصرف بوجود الشماس عندك فلم يبق لنا بذلك ريب ثم بعثوا يطلبون المتصرف للمحاكمة لكن اوعز هذا الى الديوان العرفي ان يكتفي بمحاكمة المتصرف ونظراً الى حب جمال له فلم يحكم عليه بشيء اما المطران فقد ابعد الى سيواس وحرم من التوظف في السواحل مدة الحرب كلها وغرم مئة ليرة دفعها بالحال

قد ثبت اذن ان المتصرف مخطئ من وجوه عديدة منها عدم اعلامه الشماس ولا رئيسه كما فعل مع سائر رعايا الاعداء

٢ ايعازه الى المطران بان لا مانع من ابقاء الشماس

٣ انكاره تنبيه المطران اياه عن وجود الشماس عنده فسبب لسيادته اتعاباً ومصائب جمة قضاها في منفاه بسيواس تلك البلاد القارص بردها رغماً عما قاساه من مشاق السفر فانه كان يعامل في حله وترحاله كاسير او خائن وهو والحق يقال ابعد الناس عن الكذب والخيانة تثبت ذلك حياته التي قضاها في منصب الاسقفية وسواه ، والمتصرف المذكور كان يكتب له بخط يده انه راع صالح والكتب محفوظة عند سيادته فكيف يدعو بالامس

صالحاً من يسميه اليوم كاذباً او خائناً فلله ما هذا التناقض !!!

أما ما اوجب الحكم بالاعدام علَى الشماس المذكور فهو ورقة عثروا عليها بين الاوراق المرمية في حجرته وقد كتبت بالرموز « شيفرو » ولكن الجنود لم يفقهوا لها معنى الا انها استجلبت انظارهم فأخذوا يسألونه عن حل رموزها ومغازيها وزعموا انها رسالة من الاعداء وأخذوا يجلدونه بصورة مريعة فقال لهم انها ليست برسالة بل مقالة كتبها هو نفسه فلم يقتنعوا بذلك بل ازدادوا في جلده حتى حمله الجزع ان يقول لهم انها رسالة قد وردته من احد الكهنة في الالزاس . فقالوا له وانى لك ان تقرأها وتفهم مغزاها وهي رموز ؟ ؟ — فأجابهم ان كاتبها قد ارسل لي مفتاح قراءتها اي معرفة مركباتها وها انا ذا اقرأها عليكم ثم تلا عليهم ما ملخصه :

قد خيل لالمانيا الغاشمة ان كل السنوات تكون اشبه بسنة السبعين وقد جهلت هذه اننا في سنة ١٩١٥ وسيزول بها مجد الالمان وتفنى سلطتهم ويضمحل بأسهم . هذه الطماعة تدعي نصرة الانسانية ولكنها عدوتها ولم تستطع بدهائها وخداعها ان تطني سوى المسكينة تركيا ولو عقلت هذه لعرفت ان لا صديقة مخلصة لها سوى فرنسا أليست هذه هي التي ارجعت الروس عنها في حرب القرم واسترجعت سافيستبول وضحت لأجل هذه الغاية الوفا من ابنائها ؟؟

ألم تكن في كل معضلة ومشكلة اعظم المساعدين لها . وحسب ساسة الاتراك شاهداً انه لم تشأ احدى الممالك ان تقرض العثمانيين فلساً واحداً وفرنسا اقرضتها الملايين قبل اعلان الحرب بشهرين ولكن بما ان تركيا قد

قطعت ثدي مرضعتها وفتكت بالمنتسب اليها فسينزل الله بها عقاباً شديداً وقد ظهرت بوادره بموت اجنادها دون ان تحصل عَلَى نتيجة وها انا من الآن احيي الاستقلال واسلم عَلَى الطهارة والمحبة والاخلاص في العلم المثلث الالوان شعار فرنسا أُم المدنية ·

وهذا الكتاب قدم لسيادة المطران حين كان في الديوان العرفي فلم يقدر ان يأتي عَلَى آخره فاستحثه رئيس الديوان عَلَى اكماله ثم سأله ماترى؟؟ فأجاب لا اظن انها رسالة قد اتته بل اني اعتقدانه هو الذي كتبها ولكنه لم يجرأ عَلَى اثبات ذلك خشية ما يترتب عليه من العقاب الا انه لا يخطر في بال احد ان تلك رسالة والا فكيف مرت عَلَى المراقب ولم ينتبه لها وان فعل كان هو المسؤول وعليه التبعة في ذلك · وهب ان المراقب العثماني لم يأبه لها فكيف مرت عَلَى المراقب الالماني رسالة رمزيه ولم يكن من حظها الاحراق ؟؟ ···

فالحكم بالجاسوسية عَلَى الشماس باطل عقلاً لانه لا يمكن لمثله ان ترد اليه امثال هذه الرسائل ولو ثبت ذلك لكان من الواجب عَلَى الديوان العرفي ان ينحى باللائمة عَلَى مأمور البريد وموزعه وكل مشترك به الا ان سبب الحكم بالاعدام هو شغف المانيا والنبوءة بخراب تركيا فاستنشاط الديوان فحكم بالاعدام تشفياً ·

احضر الشماس في صبيحة ٢٣ ت ٢ سنة ١٩١٥ الى ساحة المرجة بعربة المجرمين محاطاً بالجنود لابساً ثوب الجناية الابيض وعلى صدره لوح مسطر عليه الحكم بالشنق لارتكابه جريمة الجاسوسية لفرنسا وهو بريء من ذلك

و بعد ان اتم فروضه الدينية على يد الخوري اغناطيوس جباره نزع عنه ساعته ودفعها الى الخوري المذكور ورجاه ارسالها الى اسقفه قائلاً : قل لسيدنا اني احبه حتى الموت ثم رفعوه على كرسي الاعدام فصرخ هاتفاً بصوت جهوري ثلاث مرات فلتحي فرنسا ، فوثب عندئذٍ رجال الشرطـة ورفسوا منصة الشنق من تحته فبقي معلقاً في الهواء تختلج روحه في صدره نحو خمس دقائق وكانت العادة المتبعة ان يشنق المحكوم عليهم قبل بزوغ الفجر اما الشماس فانه اعدم الساعة التاسعة افرنجية على مشهد من كل الملاء و بقي معلقاً في الفضـاء ساعتين ثم انزلت جثتـه وارسلت في عربة دون تابوت كأنها جثة حيوان ·

وفي اليوم التالي ذهب الاسقف الجليل المطران يوسف الدوماني لدفع الجزاء النقدي المترتب عليه الى دائرة البوليس و بعد تأدية المبلغ قال له مدير البوليس ليحضر غداً كاهنك لأخذ الوصل ولا يمكنك السفر من هنا بدون اشعارنا ثم خرج سيادته وعند وصوله الى ساحة المرجه وقف ينتظر بها الترام الذاهب الى الصالحيه فزعم الجواسيس انه انمـا وقف يصلي عن نفس شماسه فنظموا تقريراً بما شاءت مبادئهم الفاسدة ونياتهم الشريرة ·

وفي ٢٥ تشرين الثاني في ليلة حالكة السواد كثيرة الامطار اتى عدد من رجال الشرطة يطلبون الاسقف للسفر الى محل يجهلونـه فظن ان في الامر خدعة وانه حكم عليه بالاعدام وما استدعاؤهم اياه الا لينفـذوا الحكم · فقام من مرقده وامر كاهنه ان يتلو عليه صلاة التأهب للموت وجثا رافعاً يديه الى السماء وقال : ارحمني يالله واجعلني ضحيـة على

مذبح حبك واغفر لهم لان الظلم قد اعمى ابصارهم فاهدهم الى السراط المستقيم لكي لا يقع غيري فريسة جورهم .

ثم ذهب فريق من الكهنة الى دائرة الشرطة يرجون المدير بانه اذا لم يكن بد من سفر سيادته الى المنفى فليترك الى الصباح في البطركية فاجابهم المدير الى طلبهم . وعند انشقاق الفجر غادر المطران دمشق وبمعيته الخوري حنا شنياره تخفره رجال الشرطة وبقي في حلب ٢٤ ساعة تحت المحافظة رغماً عن توسط سيادة المطران ديتريوس قاضي ولقد لاقى هذا الحبر في سفره من العذاب الوانا اذ كان يودع السجن كرعاع القوم وناهيك عن ذلك فقد تكبد مصاريف باهظة اذ كلفته الرحلة ١٥٠ ليرة عثمانية ذهباً كانت في جيبه فوصل الى منفاه صفر اليدين فالتزم ان يرهن سلسلته الذهبية وصليبه الرعائي لقاء عشر ليرات يستعين بها الى ان تصله الدراهم الكافية ولم يقدر على استرجاعهما هنالك رغماً عن الاتفاق الابعد ان دفع للدائن ١٥ ليرة ولقد اثرت مشقات السفر بصحته واورثته اسقاماً كثيرة فويل للظالمين يوم الحساب .

مقتل اخوين

الشيخين فيليب وفريد الخازن

هما من الاسرة الخازنية العريقة في الحسب والنسب ومن خيرة الادباء واذكاهم واصحاب المقررات السياسية المطبوعة في لبنان عن حوادث سنة ١٨٦٠ فابعد اولا الاكبر الشيخ فيليب في ابتداء الحرب مع تراجمى قناصل الدول المعادية لانه كان ترجمانا لقنصلية فرنسا في بيروت وسمح له في البقاء في الشام فبقي مدة وسكن بيتاً في القصاع

وكانت امرأته حاملا وقد قربت ايامها لتلد فطلب الى السيدة عقيلة اضفر ان تتوسط لدى جمال ليسمح له بالذهاب الى بلده للغاية التي ذكرناها فسعت السيدة المذكورة ونجحت فذهب فيليب الى مسكنه جونيه واقام شهرا ثم ارسل يطلب تمديد الاذن للضرورة العائلية وما عتم ان ارسل الديوان العرفي يطلبه اليه مع اخيه فريد لانه وجد منهما كتابات في القنصلية اثر التحقيق عن قضية يوسف افندي الهاني يطلبان فيها توسيع نطاق لبنان وانضمام بيروت اليه والا صح انه حكم عليهما بالاعدام لكونهما صاحبي المقررات السياسيه لسنة الستين وقبل تنفيذ الحكم كان ولاة الامور كمتصرف لبنان وغيره يسكنون جاش اهلها ويؤكدون لهم براءتهما وانه ليس في اتهامهما شيء يستحق الاعدام ولقد نفذ الحكم في بيروت في ساحة الاتحاد ٦ حزيران سنة ١٩١٦ فكان لمقتلهما صدى حزن عظيم اخترق قلوب السوريين عموما واللبنانيين خصوصا وقد اتصف الفقيدان بالكرم وعزة النفس وحب الخير وممارسة الصلاح قد اديا للوطن خدمات عزيزة تخلد لهما اطيب الذكر والثناء . وقد روى لي احد الحاضرين وقت اعدامهما بان الشيخ فريد حين راى اخاه فيليب معلقا و كان لا يزال هو يصعد على درج المشنقة اغمي عليه فحمله الجند ورفعوه الى المشنقه وهم لا يعلمون احيا يشنقون ام ميتاً فياللفظاعة

مقتل يوسف الهاني ترجمان قونصلاتو فرنسا في بيروت وصديق جمال باشا

حكم الاتراك بابعاد تراجمه الدول المعاديــة وكان فيليب زلزل

ترجمان قونصلاتو فرنسا في بيروت فتوسط في امره القنصل الالماني لدى الاتراك ووعدهم بانهم اذا عفوا عن فيليب المرقوم يطلعهم على اشياء هامة ويوقفهم على حقائق لاتخطر لهم بال فرفع الامر الى جمال باشا فاستدعى فيليب المذكور فأظهر له هذا ان في قنصلية فرنسا اوراقا مدفونة في حائط الغرفة فصدر الامر على الفور الى والي بيروت لاجل التحري عن تلك الاوراق فعثروا عليها ومن جملتها مخابرات بين القنصل الفرنساوي الى السفارة والى نظارة الخارجية في ١٨ مارت سنة ٩١٣ خلاصتها ان المنشور المتقدم من موسيو زينيه صاحب الجريدة العربية الثبات بالنيابة عن اصحاب الامضاآت له من الاهمية السياسية ما يجعلني مجبورا على تقديمه طي هذا

اني طالما عرضت الى النظارة ان هذا المنشور قد نظمته لجنة اصلاحات سورية بموافقة اعضائها المسيحيين وهذا اهم ما ورد في تلك العريضة.

ان الاعضاء الواضعين الامضاء بذيله ادناه من النصارى المنسوبين لفرقة الاجراآت من الهيئة العمومية المنتخبة من قبل جميع الطوائف لتنظيم لائحة الاصلاح لولاية بيروت يعدون فرنسا حامية للنصارى العثمانيين ولذا كان لهم الشرف بعرض المطالعات الاتية على نظر عاطفة قنصل فرنسا في سوريا وهي :

١ً موقف النصارى العثمانيين

٢ً اللائحة الاصلاحية التي نظمت من قبل الفرقة

٣ً آمال نصارى سوريا ومطالبهم

فيرجون من القنصل العام تبليغ هذه المطالبات الى حكومة فرنسا —

ان موقف النصارى العثمانيين في جميع الازمان كان موقف التألم والاحزان

تؤيد الويركو — ان الحكومة التركية ستضم التكاليف المرتبة على ولاياتها في اوربا على ولايات اسيا وقد باشرت بذلك من الان ....

ولا شك بان هذا العبء الجديد سيوضع على اعناق النصارى خاصة ....

يدعي بعضهم ان حرب البلقان دينية عند المسلمين ومحاربة من اهل الصليب لاصحاب الهلال ولهذا يظن المسلمون ان وجود النصارى في الممالك العثمانية هو السبب الوحيد لانحطاطهم وانهزامهم

تشويق نصارى سوريه على الهجرة = ان قدرا وافيا من مسلمي مكدونيا وجهات ادرنة قد شرعوا منذ ابتداء حرب البلقان بالهجرة الى سوريا وبيروت ...

فالكثير من نصارى سورية قد هاجروا الى اميركا متألمين من هذا الموقف وهذه الاحوال كانت سبباً لوقوع هجرتين الاولى هجرة المسلمين الى سوريا والثانية هجرة النصارى الى اميركا وهذه الاحوال وان لم تدم الا مدة يسيرة فانها تسبب انقراض نصارى سوريا بمدة قليلة ...

وقد طلب الاهالي الى الحكومة التركية اجراء اصلاحات ونظرا لمماطلة هذه فقد اتفق النصارى مع المسلمين على تنظيم لائحة

اصلاحيه منها

١ً استيلا فرنسا على سوريا

٢ً اعطاء مختارية كاملة لولاية بيروت تحت مراقبة فرنسا وحمايتها بالفعل

٣ً الحاق بيروت بلبنان على ان يكون كلاهما تحت مراقبة فرنسا وحمايتها بالفعل

الامضاآت :

ميشل تويني . يوسف الهاني . بترو طراد . ايوب ثابت . رزق الله ارقش . خليل زينيه .

ووجد سواها من الاوراق التي لم تعلنها الحكومة لاسباب سياسية وقد اودعت هذه الاوراق الى الديوان العرفي بعاليه وصار القاء القبض على يوسف فندي الهاني وحده لان رفاقه كانوا متغيبين ثم ارسل الي عاليه وهناك اقر معترفا بامضائه فحكم عليه بالاعدام فارسلت السيدة املى سرسق تطلب الى القائد جمال وترجوه بتشريفه الى منزلها لتناول العشاء فلبى القائد طلبها وبعد ان انتظم عقد الاجتماع دخل القائد والمدعوون الى المائدة فاذا على السقوط مسطر باحرف كهربائيه (السماح عن المظلوم . والمائدة مزينة بابهى الزينة وعلي كل انحائها آية من آيات العفو وبعد العشاء عاد القائد الى قاعة الاستقبال فدخلت اليه زوجة يوسف المذكور ومعها ولداها الصغيران وتراموا على اقدام القائد يستميحون عفوه فوعدهم بالعفو والكف عن شنقه ولكنهم لم يدروا ما خبأ المستقبل .

والمستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وبعد ايام اتي بيوسف المذكور مخفورا في عربة من عاليه الى مدينة بيروت حيث سلم الى دائرة الشرطة وهناك حضرت زوجته فقابلها وافادها بان الحكومة تنوي ابعاده وكلفها بتهيئة لوازم السفر فاطمأنت وذهبت تعد له ما يلزم وعند نصف الليل دخل عليه كاهن من الطائفة المارونية وسأله اذا كان يريد ان يعترف ففطن يوسف المذكور ان ساعته قد دنت فاخذ يرتجف ولم تعد قوته تمكنه من الكتابة فكلف الكاهن بكتابة وصيته وبعد ذلك تمم فروضه الدينية وعند الصباح سيق الى ساحة الاعدام المعروفة بساحة البرج او ساحة الاتحاد وهناك رفع الى آلة الاعدام وذهبت الروح تشكو الى خالقها جور الظالمين وقد كانت زوجته هيأت لوازم السفر واتته بها فرأته قد سافر الى الابدية فاغمي عليها لشدة الاسف وقد عمت الكآبة ذلك اليوم كل البيروتيين لما عرفوا بفقيدهم من الخلال الحميدة والصفات الطيبة والاستماتة في سبيل المشاريع الوطنية التي قضى شهيدها

﴿مقتل الاخوين انطون وتوفيق زريق﴾

هما انطون وتوفيق ولدا انسطاس زريق من طرابلس الشام نشآ منذ نعومة اظفارهما على حسن التربية وتلقنا العلوم في الكلية الاميركانية ولما بلغا اشدهما هاجر احدهما انطون الى الولايات المتحدة وهناك انشأ جريدة عربية مبدوءة بحث السوريين على النهوض من خمولهم والمطالبة بحقوقهم وكان انطون المذكور لسوء طالعه قد يمم هذه البلاد قبل اعلان الحرب فصدر امر القائد ابان الحرب بسوق الاخوين من طرابلس الى

الشام واعتبارهما فارين من العسكر فـاتي بهما مخفورين وسلما الى الديوان العرفي وحكما وفي صبيحة ١٤ ايلول سنة ١٩١٦ سيق الاخوان مكبلين بالحديد تحفظهما فرقة من الجند الى جوار الشام في المزة حيث صلبا على خشبتين الواحد ازاء الاخر وانتصب امامهما الجند فرقتين ستة راكعين الى الامام وستة منتصبين خلفهم فاطلقوا ١٢ رصاصة على اليدين و٢ على الفخذين وظلا حيين يستنجدان بالاب اغناطيوس(١) الذي تجاسر على مخاطبـة القائد الالماني بالانكليزية وقال له : اية شريعة مدنية او بربرية تجيز لك مثل هذا التعذيب والقانون يقضي بان يموت المجرم بأقل من ثانية فاجابه بقوله *All right* اي حسناً لك ما تشاء والتفت الى الجند قائـلا صوبوا الطلق الى القلب ففعلوا ومات المسكينـان وكن الخوري اغناطيوس المذكور الذي ذهب ليزودهما الاسرار بحضر من ذلك المشهد فاشتـد جزعه وعظم تأثره فرجع من موقع الحادثة ولزم الفراش متأثرا من هذا الرعب حتى توفي في الرابع والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩١٦ وبموتـه ختمت هذه المأساة .

—﴿ هنا وهناك ﴾—

مقتل مسعود بشاره الهيكل من وادي شحرور

ضاقت موارد الارتزاق في لبنان على مسعود المذكور فسعى لدى قنصلاتو فرنسا بالسفر الى مصر حيث يقيم اخوته فسافر مع المهاجرين الفرنسيين ولما لم يتيسر له ان يشتغل في مصر بما يكفيـه ويقوم باوده

(١) كاهن من طائفة الروم الارثوذكس وقد رافق المحكوم عليهما لاعطائهما المدة الاخيرة

ومل من الاقامة في وادي النيل لا شغل ولا عمل تيسر لـه العود الى جزيرة ارادو ومنها الى جبيل في جبل لبنان ومنها الى الجديدة مركز قضاء المتن فنزل عند احد اصدقائه ابن الامير قبلان ابي اللمع الـذي اوجس خيفة من التهم والمسؤولية فسلم جاره الى القائمقام وهذا ارسله مخفورا الى بعبدا ومنها سلم الى الديوان العرفي في عاليـه بسعي من قومندان الجندرمة فؤاد بك شقير لخلاف كان بين القومندان ومسعود بشاره المرقومين

و لما انتهى المجرم الى عاليه ومثل امام المجلس العرفي حكم عليه بالاعدام ولم تتجاوز مدة محاكمته واعدامـه اربعاً وعشرين ساعة

فدم هذا البريء يطلب انتقام العدل من مواطنه كما يطلبـه من الاتراك الظالمين

اعدام احمد عارف افندي مفتي غزه

في اوائل تشرين الاول سنة ١٩٠٨ اصدر جمال باشا امره بنفي احمد عارف مفتي غزة محتجاً بان وجوده مضر بمصالح البلاد وخطر على الحكومة فاستأذن عارف المذكور بعـد ان تبلغ الامر ان يسمح له بقضاء حاجاته الضرورية وترتيب شؤونه العائلية فمنح ذلك فقضى ما قضى ثم ذهب لوداع اولاد عمه رؤساء قبيلة الوحيدات فعرف جمال باشا بذلك فقام وقعد وامر بجلبه محفوظا مكبلا الى القدس فلبي الامر للحال وجرت محاكمة المفتي المذكور للحال في الديوان العرفي وحكم عليه وعلى عبده بالاعدام مدعين انه عزم على الالتحاق بعرب الشريف وقرب وقت تنفيذ الحكم . فحكم على ولده ايضا الذي كان ضابطا مكلفا

محتجين بانه قد فر من الخدمة العسكرية وذلك محض افتراء ولما كان الاب على المشنقة مر الابن مخفورا من هنالك وقد سيق ليلقى حتفه بالرصاص فحيا والده تحية الوداع ووعده بقرب الملتقى في عالم الابدية فاعدم الاب والابن والعبد ضحية الجور والعدوان

﴿تعمد الاتراك قتل الاطباء العرب﴾

قسم الاطباء العرب في الجيش العثماني الى فئتين الاولى في ساحة الحرب معرضة لعوامل الطبيعة وقنابل الاعداء والثانية في المستشفيات العمومية عرضة للاوبئة اما الاطباء الاتراك فقد كانوا بعكس ذلك يستلمون الوظائف السهلة كالرئاسة والمراقبة واذا فرض وجود الاتراك الاطباء في الشول فما اعظم الفرق بين نوع معيشتهم ومعيشة العرب فهنا المعيشة متيسرة للاولين والمصاعب والمخاطر متوفرة للاخرين اما في المستشفيات فلم يكن الاطباء الاتراك يخالطون المرضى او يشرفون عليهم بل كانوا يلقون تبعة هذه الامور على من يكون معهم من الاطباء العرب فقضي على عدد غير قليل من هؤلاء المنكودي الحظ وقد سمعت كثيرا من الاطباء يقولون ليتنا فعلة او حمالون وقد حاول عدد ليس باليسير منهم تجاهل هذا الفن عساهم يخلصون من المنية التي تنشب اظفارها برصفائهم ولقد اربى عدد المتوفين من الاطباء العرب في السنة الاولى على خمسين طبيباً وقد رايت حادثاً راعني وها انا ابسطه للقراء .

في اليوم الثامن عشر من شهر اذار سنة ١٩١٦ رايت عربة جمعية دفن الموتى تقل تابوتين الواحد بجانب الاخر وامامها

ثلاثة من الجند منكسي السلاح ووراءها عدد غفير من الناس لايدرك الطرف آخره وكان في التابوت الاول جثة المأسوف عليه الدكتور عبد الله صوايا الذي قضى في التاسعة والعشرين من عمره وفي الثانية جثة المرحوم نجيب بدوره (١) وله من العمر ثلاثة واربعون سنة وهما لبنانيان وقد سرت اليهما عدوى الاوبئة العسكرية لانهما كانا يطببان العسكر ولما بلغت العربة كنيسة الروم الكاثوليك استأنف الموكب السير مشيعاً الفقيدين العزيزين الى المقبرة حيث توارت الجثتان جنباً الى جنب في لحد واحد فقد جمعتهما المهنة والخدمة والتربة

حادثة القطار

يليق بنا ان نلحق حادثة القطار هذه بحوادث القتل لانه انما قصد بها السلب والنهب واتلاف الانفس البريئة واليك تفصيل الحادث

ظهر الاثنين الواقع في ١ ك ٢ سنة ٩١٧ غربي و١٩ ك١ سنة ٣٣٢ رومية و٧ ربيع الاول سنة ٣٣٥ هجرية خرج قطار نمرو ١ من محطة المعلقة مركز قضاء البقاع التابعة لولاية سوريا وحال وصوله الى اراضي قرية سرغايا التابعة لقضاء الزبداني في الكيلو متر ٩٤ حيث منتهى الانحدار وكان هذا القطار يقل سبعماية من الركاب فشعر هؤلاء بسرعة سير القطار بصورة غير معتادة واخذ البعض منهم يستغيث

(١) قد اطلعنا على بيتين كتبهما تحت رسمه وهو في حالة الاحتضار وهما الى احبائي :

مضيت وقد جاهدت في حومة الوغى فقتلت ادواء ومتت جنودا
ولكنما الحمى التي قد هزمتها رمتني بنيران فرحت شهيدا

وبعد عشر دقائق هوى منه عشر من عربات الركاب الى جهة الوادي وعربتان الى جهة الجبل ثم اصطكت العربات ببعضها وتحطمت فمات معظم الركاب وكان عدد الوفيات بحسب الاحصاء الرسمي ثلاثمائة وخمسين نفرا واما من سلم فلم يخل كثير منهم من عاهات بل باتوا بين اقطع ومشوه وسوى ذلك واما من سلموا من كل شيء فاندر من بيضة الديك .

وقد نمى الخبر الى قائمقامية الزبداني والى الشام ورياق ولم تهتم الحكومة بالامر الا صبيحة اليوم الثاني فبقي الاحياء معرضين لعوامل الطبيعة وكانت الثلوج تغطي الارض والامطار تنهال كالقرب والرياح تعصف واليد العاملة تسلب ما في جيوب الركاب من البضائع والحوائج فكان المنظر مؤثرا جدا

وجه المسؤوليه

جريمة فظيعة اقترفتها حكومة تركيا لغاية بالنفس وهي قتل الانفس العربية وسلب اموالها تحت برقع القضاء والقدر . . .

فوجه المسؤولية هو ان الاتراك يسندون الوظائف الى غير اهلها وذلك ان شابا يسمى احمد شومان من اهالي بيروت كان فارا فالقي القبض عليه ثم كانت له الرشوة نعم المجير وبعد ذلك ادعى انه من الذين يحسنون العمل في الخطوط الحديدية فارسل الى خط بئر السبع ولما اظهر العجز في ماموريته ارسله الى الخط الحجازي لكي يستفيد من التمرينات ولكنه لم يحسن الصنيع ففر ثانية والتجأ الى خط (د.ح.ت) بناء على امر القيادة العسكرية فسافر للمرة الاولى من التاريخ

المذكور على قطار شحن من الشام الى المعلقة وذلك في بدء السنة الغربية سنة ١٩١٠ وعاد من المعلقة يقود قطار الركاب الذي حلت به تلك الكارثة وحال وصوله الى اراضي سرغايا مساء ترك مركزه واتى يتفقد بعض المسافرين من ابناء وطنه البيروتيين وامر الوقاد بتقوية البخار غير مراع الاصول . فانجز الوقاد اوامر رئيسه فاندفع القطار اندفاعاً هائلا لان الخط كثير الانحدار هناك ولسوء الحظ كان وراء القاطرة عربة تخالف هندستها ونوعها سائر عربات القطار وحال وصول القطار الى آخر المنحدر شعر الوقاد بسرعة الانحدار فنبه السواق المذكور الى الخطر العاجل فامره هذا بمداومة العمل وتغافل عن الاشارة الى المستخدمين لاحكام ربط الفرام آخذاً المسوءولية على عاتقه الا انه عند ما شعر بنفسه بالخطر الكلي ربط القاطرة وارجعها الى الوراء بعنف فارتجت العربة التي وراءها لانها في غير محلها وقفزت عن الخط فاصطك ما وراءها من العربات واندفع متراكما الى الوادي واصبح الركاب فوق بعضهم احياء واموات تعلوهم الاخشاب والاثقال والدواليب وكان الظلام مدلهما ولم يكن لاحدهم ان يرفع يده فيشعل كبريتة فيروا اين هم وكيف هم ولم يكن يسمع في ذلك الوادي الا انين المحتضرين وصراخ الجرحى

ولو لم يكن هناك بعض النمساويين والالمان لقضى الجميع نحبهم تحت الاثقال والعربات

فتسليم قطار الركاب الى جاهل كهذا غير واقف على خريطة الخط ولم يتمرن على هذه المهنة اذ في هذه السفرة المشوءومة وهو يجهل

مواقع الارتفاع والانحدار والاعوجاج في الخط انما هو تقصير لا لاتعذر عليه الحكومة

ولقائل ان يزعم ان الحكومة انما قصدت ذلك اهلاكا للنفوس وطمعاً بالسلب لانها جمعت اموال الركاب ومحمول القطار وادخلتها الى خزانتها ولم تعط احداً شيئاً بل كلفت كل وريث ان يستدعي ويثبت ماله فتراكمت الاستدعاآت في مركز الزبداني ولا تزال محفوظة الى يوم الحشر

التظاهر بالعدل

رفع الامر الى احمد جمال باشا فتظاهر بالاهتمام وكتب الى الاستانة يطلب مد يد الاسعاف للمصابين وتكليف الادارة ضمان المتلف وما زال طلبه على بساط البحث الى الان وقد تعامى عن القاء المسوءولية على حكومة الزبداني بشان احتجانها اموال المنكوبين والقتلى . وقد بلغني انه جرت مصادرة ما تيسر من النقود ووضع في الجيب الخاص

وقد وصف هذه النكبة غير واحد من الشعراء وظفرنا بقصيدة الشاعر الاديب قبلان افندي الرياشي اللبناني بهذا الموضوع اقتطفنا منها ما ياتي .

تهشموا كعوالي الدوح قد عصفت ... بها الرياح فمالت وهي تنكسر

فلا ترى غير اعضاء مبعثرة

وبعضها بتن لا عين ولا اثر

والبعض منهن اشلاء ممزقة

يبكي الجماد لها حزنا وينفطر

وماؤه وهو يجري في جوانبه

دمع على ابرياء الخلق ينحدر

وافجع الخطب مرأى الام حاملة

طفلا يموتان لا غوث ولا وزر

بكي فادنته من صدر لترضعه

فارضع البين ورداً ما له صدر

وكل غانية لا ثوب يسترها

تصيح من لي بثوب فيه استتر

ومنها: ومترف اهيف كالغصن قامته

والغصن من نسمات الصبح ينهصر

من شدة البرد غالته منيه

كانه وهو جاث جامد حجر

وموسر لم يرد الموت عنه غنى

تناهبت شطره من آدم زمر

لولا حلاه وما يرجون من ذهب

لما اهابت لاسعاف بهم فكر

فقوتل المرء هذا جالب خطرا

وذاك سالبه ما نابه الخطر

وذي عفاء يوم الشام عن كثب

وآمل ليس بالامال يفتكر

قضى مئات من الركاب عاجلهم
ريب الزمان فلم يدرك لهم وطر
كانما جثث القتلى مطرحة
جند مقتلة والحرب تستعر
ومنها: لله من حادث يدمي الفؤاد له
وتدمع العين حتى ينشف المطر
ريعت له الشام واهتزت له هلعاً
اطواد لبنان لما ان سرى الخبر
ورزء بيروت قد عز الزمان به
فما لثاكلة في الثغر مصطبر
الى ان قال:
ياويل سورية من حادث جلل
عم البلاء به واستفحل الضرر
سطرته بالدم المسفوح منتحباً
لا بالمداد وفي تسطيره عبر
ولم تزل صورة الوادي ومشهده
امام عيني اذا امسي وابتكر
ادعو على تربه لولا النزول به
وانت تستقين عفو الله ياحف

الفصل الثامن

﴿ المجاعة ﴾

لم يكتف الاتراك لابادة العرب بالطرائق التي ذكرناها الا انها كانت مقصورة على البعض من المحكوم عليهم ولم يستطيعوا تعميم الموت الا بالمجاعة التي فتكت بمئات من النفوس البريئة وقد حسب الاتراك انهم يخفون مقاصدهم بقتل العرب تحت ستار المجاعة وهذه الكلمة ترتجف لها القلوب رعبا وهولا وكاني بالطبيعة قد شاءت ان تساعد الانسان على الانسان فظهر في سنة الحرب اوائل شهر نيسان جراد كالغمام حجب نور الشمس ولم يذكر له التاريخ نظيرا بالكثرة وطول الاقامة لانه لم يبارح ارض سوريا ولا سيما لبنان حيث طابت له الاقامة الا في اواخر شهر شباط فاكل الاخضر واليابس وقد سلم موسم الحنطة في سوريا جميعها من ضربة الجراد في ما سوى لبنان ولا سيما في الصرود منه لتاخر موسم القمح هناك فقد حرم اللبنانيون من كل المواسم تلك السنة والتي بعدها اما في سائر انحاء سوريا فقد تمكن الناس بعد ذهاب الجراد من زراعة الخضراوات تلك السنة

ولما رات الحكومة التركية التي يطيب لها الايقاع بالعرب والفتك بهم ان الجراد وحده لم يكف لرفع اسعار الحاجات الى درجة تصعب معها الحياة على معظم السكان القت على الفلاحين ضرائب باهظة وصارت تتقاضاهم فوق العشر ثلاثين بالماية مبايعة بثمن تقدره ورقا نقدا اما العشر فكان يقدر على الفلاحين ثلاثة اضعافه واحيانا كان

يزيد على مجموع الغلة فيلتزم من اغلالهم اصحاب الاراضي لشراء البذار للسنة القادمة وقد كان المقدرون يزيدون العشر لسببين الاول حمل الفلاحين على ان يرشوهم بمقدار معين من المال عن كل جفت ينقصونه والثاني ارضاء الحكومة بزيادة التعشير فوقع الفلاحو . بازمة شديدة ولذلك ارتفعت اسعار الحنطة والحبوب في السنة الثانية للحرب من ثلاثة غروش الى ثمانيه في الرطل واما في السنة الثالثة فقد وافى سوريه جنود الالمان والنمسويين فزاد الاولون في الغلاء اضعافاً لانهم لم يكتفوا بشراء ما يحتاجون اليه بل كانوا يرسلون في السيارات النقلية كل يوم مئات من القناطير الى المانيا المتضورة جوعاً فارتفع سعر الحنطة بعد مجيئهم من ثمانية غروش الى خمسة عشر ولم يزل يتصاعد حتى بلغ في السنة الرابعة خمسة وخمسين غرشاً واما في لبنان وبيروت فبلغت خمسة وثمانين و كذ كانت اسعار سائر الحبوب تتصاعد بتصاعد القمح وتظل اسعارها زائدة عشرة في المئه عن سعره او ناقصة عشرة في المئة عنه

وهكذا كانت خيرات سوريا ترسل رزماً في البريد بوزن كيلو غرام ونصف كيلو غرام واما السمن والزيت واللحم فقد كانت توضع في علب صغيرة بحجم عشر المتر او اصغر يصفونها في محل الخواجات نعسان وسواها وكانت هذه الحاجات وامثالها تنقل مرتين كل اسبوع وهي الوف الوف من العلب

اما العسكر الالماني فقد كان يعيش على غاية من التأنق والترف والمتوسطون والفقراء يبيتون ليالي على الطوى لا يذوقون طعاماً حتى

كان يرى السائر الفقراء مطروحين على الطرقات يلاصق بعضهم بعضا من اول البلدة الى اخرها .هم يئنون ولكن ما لهم من مجير وقد وصف الاديب رزق الله صفير اللبناني بعض هذه الحوادث ولم يجرأ على كتابتها اذ ذاك ولم يعلق في ذاكرته الى بعد الحرب سوى هذه الابيات:

زمن به يعلو القوي ... على الضعيف المستجير
ويكفن الحق الصريح ... ببدرة المال الدرير
زمن به يقضى بان ... يقضى على الرجل الفقير
والى رعاء العشب يسبق ... او يسابقه الحمير
واذا تمثل جيفة ... سبق البواشق والنسور
ويثير حربا كالكلاب ... على المزابل والقشور

***

ولرب ذات تأدب ... هيفاء خالية طهور
عرضت لزان عرضها ... طمعاً بكسرات الشعير
فذوت فتاة مثلما ... تذوي على الغصن الزهور
ولرب اصيد فاضل ... اشقى بذا الزمن العسير
فغدا الحقير ولم يكن ... ياصاح قبلًا بالحقير
وابى التسول جائعاً ... فقضى ولم ير من مجير

ولقد نكب من الادباء عدد ليس بالقليل وُبلي اكثرهم بالتهاب الجيب وقد قال الشاعر المطبوع طانيوس افندي عبده اربعة ابيات ضمنها خلاصة ما نحن بصدده من البوءس!

اموت كي اكسبها ليرة ... عزت وهانت عند قوم وقوم

اموت كي اصرفها فضة
رائجة من بعد خسر وسوم
اموت كي اشري بها بلغة
احيا بها من بعد جوع وصوم
فياله عيشا اذوق الردى
ثلاث مرات به كل يوم

ولما بلغ الغلاء معظمه لم يعد يتيسر للفقراء ان يقتاتوا بخبز القمح بل اصبحوا يكتفون من القوت بخبز الشعير والكرسنة والجلبان الذي كان بسواد لونه اشبه شيء بالزبل وقد حفظت قطعا منه بعض العائلات على سبيل الذكرى

دخلت مرة على صاحب الدولة علي رضا باشا الحاكم العسكري العام وكان اذ ذاك رئيس البلدية وقلت له على مرأى ومسمع من جمهور كبير

اسندت اليكم رئاسة البلدية فاصبح الناس يأكلون من هذا الخبز . واريته قطعة كانت بيدي من الخبز الاسود فاجابني لن يُسند الي بعد الان وكانت كلمته هذه بمثابة نبوءة لانه بعد احتلال الجيوش العربية تبوأ كرسي الحكم العام

ولقد كثر توارد اللبنانيين الى دمشق نظرا لازدياد الغلاء ووقوف حركة العمل عندهم لان الحكومة منعت اصدار الحبوب الى تلك الجهات وصادرتها فاموا دمشق زرافات ووحدانا بحالة ينفطر لها قلب الجماد

حزناً وحسرة وقد وصف رزق الله صفير اللبناني احد مواطنيهم حالتهم بقصيدة رفعها الى والي سورية اذ ذاك تحسين بك عساه ينظر اليهم متعطفا وها هي :

هبط الليل وادلهم المساء
ثم مدت سدولها الظلماء
فاوى الاغنياء للانس والرقص
وفي الطرق يرقد البؤساء
في الخرابات او بعرض رصيف
ومباني بلادهم شماء
ذاك للتاعس القريب جحيم
وعذاب وللغني سماء
فعويل ان التفت شمالاً
واذا ملت يمنة فبكاء
حالة ترجف الجلامد منها
وتراع الكواكب الزهراء
مالهم ملجأ عراة حفاة
وكفاهم بانهم غرباء
قد نفاهم من ارض لبنان جدب
وجراد منه تناهى الغلاء
فاتوا هذه البلاد زرافات
رجال وصبية ونساء

هم يريدون الاشتغال ولكن
ليس في الجسم قوة ودماء
فجسوم هي الخيالات تمشي
وعيون قد زال منها الضياء
وقلوب من الاسى في ضرام
ووجوه من الضنى صفراء

لبسهم في النهار انسجة الشمس
م وفي الليل حلة سوداء
حلة لا تقيهم اسهم البرد م
اذا هب في الشتاء الهواء
ومتى يمرضوا فليس دواء
غير ماء والاكل والشرب ماء

يستغيثون نائحين باهل اليسر م
لكن اذنهم صماء
فينادون قائلين اسعفونا
وارحمونا ياايها الرحماء
ايها الموسرون لا تنبذونا
اخوة نحن ايها الاغنياء
نحن في الجنس اخوة فابونا
آدم ثم امنا حواء

وهو الحظ ظالم ورؤوف

والورى تاعسون او سعداء

فمن الناس ملتهٍ بغناه

وفقير تلهو به البأساء

واذا ما اهملتمونا فجوع

وهزال من بعده وفناء

قد تعالى صراخهم فامتلا الجو م

عويلا وضج منه الفضاء

فتلافى الشقا عطوفة والينا

فخفت بفضله الضراء

ثم اتى على مدح الوالي ببعض ابيات طلبا لجدواه وتليينا لقلبه على هؤلاء البائسين الى ان قال :

وثلوج في راس صنين بيضاء

حكتها افعالك البيضاء

وهبوب النسيم في واديه

وهديل الطيور ثم الغناء

واريج الازهار فوق الروابي

توجتها في راسها الانداء

وخرير المياه في تلكم الوديا

ن مدح لفضلكم وثناء

ثم اهدى هذه القصيدة الى جريدة الشرق فانكرت هذه عليه

ابياتها الاولى لانها على ما تعتقد تثير الخواطر وترمز الى اهمال الحكومة وتغاضيها وترشقها من اللوم بنبال خفية ثم اتت الجريدة المذكورة على ذكر القصيدة ولم تذكر منها سوى الابيات المدحية الاخيرة وقدسمتها قصيدة مدحية مع ان عنوانها صوت البؤساء . وكان ذلك الصوت يرن في مسامع الاتراك فخنقوه وقالوا انها مدح :

اما عدد الوفيات فقد كان يحصى يوميا بالمئات ومنهم من تبقى جثثهم مطروحة في الازقة اياما ولهذا السبب ولاجل غلاء الصابون ازدادت الاقذار في الطرقات فانتشرت الامراض وتكاثرت الاوبئة فعم التيفوس الاغنياء والفقراء واغتال من الاولين اكثر مما اغتال من الاخرين .

اجل ان الهيئة البشرية باجمعها يتالف منها جسم تام فاذااهمل بعض الاعضاء الرئيسية فيه الاعضاء الثانوية اثناء مرضها لا تلبث العدوى ان تسري الى الاولى فتصاب بما اصيبت به اخواتها

قد اساء بعض اغنيا بلادنابان ساعدوا الحكومة على الفتك بالفقراء باحتكارهم الاقوات ومسك يدهم عن البر والاحسان حتى ان بعض من يبذل الالوف في ليلة طرب كان لايبذل القرش في اعالة الفقير

لبنان

في هذا الجبل نحو خمسماية الف نفس ومساحته ثلاثة الاف ومائة كيلو متر مربع وعدد قراه الفان وست وخمسون قرية وقصبة وقد خلا منها اكثر من خمسين قرية من السكان وقد بلغني من اناس يوثق بهم أن الجياع في اكثر القرى كانوا يموتون ولا يوجد من يدفنهم

لان عدد الجياع يفوق كثيرا عدد اصحاب الكفاف ثم تنطبق تلك البيوت على من فيها من الجثث وتبقى آثارها شاخصة وجدرانها ركعا وسجدا تستبكي كل من يراها ولقد كان كثيرون من البوساء في لبنان يطبخون الحشائش التي يجمعونها ولايتسنى لهم قليل من الملح يصلحونها فيأكلونها مسلوقة بلا ملح ولا زيت ولا توم ولا توابل .

لقد حمل الجوع هؤلاء المنكوبين على ان يأكلوا لحوم البغال والحمير المائتة جوعا وكانوا يذبحون الكلاب والقطط ويأكلون لحومها

وفي قرية القليعات من قضا كسروان كانت امراة عجوز تأكل الجرذان والحيات بعد ان تقطع موضع السم منها وكان هذا غذاءها نحو نصف سنة قضت نحبها في اخرها

كذلك رجل في الدامور ذبح ولدين وعمل لحمهما (قورما) وقد كانت شرذمة رجال ونساء في طرابلس يذبحون الاطفال ويبيعون لحومهم بعد ما يعملونه قورما فجلبتهم الحكومة الى بيروت مكبلين بالقيود وجازتهم بما تستحقه قسوتهم وتوحشهم

وكان المار في الشوارع السورية لايرى اثرا للقشور الخضراء والفاكهة لان البوساء كانوا يلتقطونها ولقد كانوا وراء البيوت وفي المنعطفات ينتظرون نزول الخادمة لترمي بفضلات المطبخ فيهجمون عليها ويلتهمون القشور والعظام الملوثة وكثيرا ما كانوا يتخاصمون عليها ويتقاتلون واذا راوا احدا يأكل ليمونة او يمص عقدة قصب السكر يقفون ازاءه ليلتقطوا ما يرميه فيأكلونه ويمصون عقد قصب السكر من بعده لعل بها نقطة تحلي فمهم .

ولقد كان الكثيرون يقتاتون بنخالة الدقيق حتى نخـالة الشعير التي تضاهي الشوك ويأكلون اقراط الصبير بعد ان ينزعوا اشواكها وكان الفقراء الذين يحصلون على امثال هذه الاقوات يعدون انفسهم سعداء

وان عددا كبيرا من العائلات التي تؤلف الواحدة منها من خمسة، الى عشرة اشخاص لا تحصل على اوقية من طحين الشعير او البيقية او الرزين او الكرسنة يومياً او اسبوعياً فتحار الام كيف توزع هذه الاوقية على عائلتها هذه ولقد كانت ربات العائلات يطبخن هذه الكمية بالماء فقط اذ لم يكن لهن سواه ثم ياتي كل من افراد العائلة فيلعق من المطبوخ مقدارا لا يكفي لسد رمق العصفور

وكان الكثيرون يلتقطـون حبوب الشعير من (روث) الخيل ويطبخون البلوط وبزر الخرنوب وجزينة العنب (اي بزره) وكل هذه لا يجدي اكلها سوى تخمة قاتلة وليس بها من المواد المغذية شيء

وهل يصدق احد ان رطل الرزين بيع بسبعماية غرش الى ثمانمائة غرش وذلك ان ثمنه كان ستين غرشا ولم يكن الـدائن المرابي يعطي ورقته ب ٢٥٠ الا بعد ان يسجل له المديون املاكه ارزاقه بيعاً باتاً

وهنا لا بد لي من وصف قساوة المرابين هؤلاء وتجريهم بقتل هـذه الانفس البريئة واني ارى انهم كانوا اكبر مسـاعد للاتراك على قتل المساكين . قد كان اللبناني ينزل الى بيروت فيقبل بعض التجـار بان يدينه مبلغ من المال ولكن يشترط عليه ان يسجل له املاكه بيعـا باتا قبل ان ينقده درهما واحدا ثم يضع في جيبه صك المبيع ويبتدىء يعذب ذلك المسكين الذي تحالفت الدولة والطبيعـة والمرابون على قتله

واهلاك عائلته .

وهب ان المرابي اشترى بمائة ورقة ما يساوي الفاً وخمسمائة ليرة ذهبا فانه لم يكن يدفع المائة ورقة دفعة واحدة للمديون لكنه كان مرات كثيرة يدفع له تلك القيمة عشرين قسطاً اي كل مرة اربعاً او خمس ليرات ورقاً لا تكاد تكفيه نفقة سفره من لبنان الى بيروت فيعود الى اهله صفر اليدين ولا يزال على هذه الحالة الى ان يموت وهو ينحدر من لبنان الى بيروت ويصعد من بيروت الى لبنان ولو ان ذاك الظالم المرابي دفع لمديونه قيمة الدين مرة واحدة لكان ذاك المنكود الحظ تمكن من الاشتغال بها بما يعود عليه ببعض النفع ولكن ابت الانانية الا ان تحمله على قتل النفوس حراماً ليخلو له الجو وحده ويتنعم برزق غيره

ولو اردنا ان نصف كل حادثة جاءت في هذا الباب للزمنا تاريخ لا يقل عدد صفحاته عن ثلاثة الاف وانما نكتفي بهذا القدر لان كل الحوادث كانت على نمط واحد واما ما يجدر بالذكر فهو ان الدائنين كانوا يكلفون المديون استئجار عربة يركبونها الى مركز القضاء الذي ينتمي اليه ذلك المسكين لاجل تسجيل صك البيع ثم يضيفون الى تلك القيمة التي لم تكن تقل ذاك الوقت عن خمس ليرات بنكنوط فائدتها القانونية بالمائة مائة وخمسين ويضيفون ذلك كله الى قيمة الدين فيالله من هذه القساوة

ولقد كان ولاة الامور في لبنان مساعدين على قتل ابناء بلادهم المساكين فقد كان قائمو مقامات ومديرو النواحي وضباط الجندية

ومشائخ القرى ومختاروها وانفار الجندرمة وغيرهم من المتنفذين والروساء اللبنانيين يستبدون بحقوق الضعفاء ويهضمونها وبمساعدة ارباب شركة القمح تمكن هؤلاء كلهم من قتل مائتي الف نفس من اللبنانيين الفقراء ومتوسطي الحال.

وبما ان التاريخ لا يحابي احدا فيجدر بنا ان نذكر كلمة مجملة عن هؤلاء القساة واصفين قليلا من كثير مما اتوه من النهب والسلب وقد تالفت شركة توزيع القمح على اللبنانيين بعد ان احصي سكان الجبل واحدا واحدا واعطي لكل عائلة دفتر خاص بعدد انفسها تتقاضى به ما يخصها من القمح بسعر خفيف وجلب لهذه الشركة ما يكفيها للتوزيع ثمانية اشهر ولكنها لم تبدأ بالتوزيع شهرا واحدا حتى قيل ان الشركة قد اتفقت مع المتصرف علي منيف على بيع ست مائة قنطار دفعة واحدة لتجار بيروت بالاسعار الدارجة اذ ذاك ولما وزع القمح على الاقضية باع كل من القائمقامين نحو مائتي قنطار ووزع على ذويه ما يقارب ذلك العدد واستبدل الكمية المسروقة من القمح بما يقابلها من الحصى فكان في رطل القمح ست اواق حصى . وهكذا فعل موزعو المديريات فانهم سرقوا قسما وافرا من القمح وذلك انه كلما مات بائس ورثه الموزع في حقه واخذ ما يخصه من القمح وانكر على اهله ذلك الحق ثم اخذ يبيع الزائد عنه باثمان باهظة ولم تدم حياة الشركة اكثر من شهرين ونصف

اما انفار الجندرمة اللبنانيون فكانوا ضربة على اللبنانيين لان اكثرهم كانوا يتحيلون لسلب اموال البوساء والاغنياء من مواطنيهم وقد كان بعضهم يتنكرون ثم ياتون البيوت المنفردة ليلا فان شاء اهلها

ان يطعموهم كان به وان ابوا اوسعوهم ضربا واخذوا ماعندهم من الماشية وسواها وولوا هاربين

وهذا كان شأنهم اذا صادفوا بعض المارة في الطريق فقد كانوا يسلبونهم ما معهم من العملة الفضية ويستبدلونها بالورق العثماني ليرة بليرة والورقة لا تساوي مجيديا حتى صار المسافرون يخبئون ما معهم من عملة الحجر في احذيتهم وغيرها !!

وكان لانفار الجاندرمة المقيمين على محافظة الجرد بين صنين وزحله شركة مع قطاع الطريق بالمسلوبات والغنائم لقاء سكوتهم عنهم ولقد شوهد الفريقان مرات عديدة يسكرون على نبع صنين وغيره احياناً كثيرة وكان الانفار المحافظون يتنكرون ويساعدون اللصوص عند ما تكون القافلة كثيرة العدد

ومجمل القول ان اشتداد الازمة في لبنان تأتى منه قسم كبير من اهمال كباره وهضمهم حقوق صغاره بل شاء ان يأكل كبيرهم صغيرهم كما يفعل السمك فقضى البؤساء جوعاً على الطرقات وفي شوارع المدن وقد أكل القمل اجسادهم وافنى الجوع قواهم وقد باتت منازلهم مهدمة على ما بها من بقية الاثاث او على من دفنوا بها . وهذا ما حمل الشاعر اللبناني رزق الله صفير الذي كان مدة الحرب في دمشق ثم زار موطنه في آخرها ان يفتتح قصيدته الرثائية لمواطنيه بهذا المطلع بعد ان وقعت عينه على اثار بلاده المتهدمة المتراكمة !!

اذي معاهد لبنان على القلل
ام تلك تدمر في اجيالها الاول

اتيتها بعد ما فارقتها زمناً
فانكر الطرف ما فيها من الخلل
امست خلاء وامسى اهلها رمماً
يبكي عليها كما يبكي على الطلل
سألتها اين اهلوك الاولى عظموا
قدرا وكان لهم شان لدى الدول

اين الاولى شيدوا اين الاولى ارتفعوا
اين الاولى يقرنون القول بالعمل
اين الاكابر والكتاب والشعرا
الم يسدوا برأي موضع الزلل
اين العظام الاولى ارتج البلاد لهم
الم يذودا كما قالوا عن السفل

فانشدت بلسان الحال قائلة
قضي الصغار بلا اثم ولا ذلل
وتلك ارماسهم في وسط دورهم
تنبيك ياسائلي عن خطبنا الجلل
فقمت ملتفتاً حولي ارى فاذا
بعض الرموس الى بعض الرموس تلي

وقداتى الخوري يوسف اسطفان في شطر من قصيدته العصماء (مظالم الترك) على بعض ما الم بلبنان من المصائب وها هي :

ذكرت لبنان = لبنان يهب له
في القلب من ذكر ظلم الترك نيران
يالابس الارز مجدا كم اصابك من
مظالم الترك اشكـال والوان

امست منازله الغناء مقفرة
لم يبق الا عواميـد وجـدران
صارت قبورا لاهليها ومدفنة
فيها شيوخ واطفال وشبان
ياسائلين عن الولدان كيف هم
كفوا السؤال فما في الدار ولدان
وراقبين من الغزلان مبسمها
ردوا العيون فمافي الدار غزلان
لبنان لبنان ميت لا حياة له
قد اقفرت منه اطواد ووديان
اجراسه ساكتات اذ خربن فما
لهن الا انين النوح الحان
كم من جسوم تردت في مسالكه
كانها من هزال الجوع عيدان
موتى تمر بها والقلب ملتهب
والعين دامية والفكر حيران

لبنان لبنان سامي الارز قدشبعت
من لحم ابنائه بوم وغزلان
كم مرضع تحمل الطفل المزيل على
صدر قد اشتفه جوع واحزان
تود لو قلبها يجرى فيحميها
وتستغيث ودمع العين هتان
تبكي ويبكي يذيب الصخر دمعها
والحاكم الوغد بين الغيد سكران

الهجرة والاموات في الازقة

قد اتينا بالفصل السابق على شيء مما اصاب لبنان وكان كلامنا على وجه عام ولو اردنا تخصيص كل حادثة وحدها وفراد فصل لها لضاق بنا المجال واستلزم تفصيلها كتبا عديدة . وتلك الكوارث وامثالها اجبرت معظم السكان على الهجرة الى المدن نظير دمشق وبيروت وحلب وطرابلس وسواها على ان هؤلاء البائسين لم يجدوا سبيلا للحصول على القوت الضروري فكانوا مكروهين ممقوتين في كل البلاد وكانت الحكومة بايعاز من جمال باشا تطردهم طرد الكلاب وترجعهم على اعقابهم فكنت ترى عائلات باسرها تطوي على الجوع اياما ثم تموت على الطرقات

ولقد اخبرني اكثر المشاهدين في مدينه بيروت ان اللبنانيين كانوا ذرافات ووحدانا في الشوارع يصيحون ويبكون قائلين (جوعان !! جوعان !!) ولا يلبي احد استغاثتهم وكان المارون يرون على الدوام

جثث الموتى ملقاة على الطريق العامة في مداخل الاسواق عارين من اللباس ثم يأتي حوذ ية البلدية فيجمعون تلك الجثث في عربات الاقذار و يأخذونها الى المدافن العمومية ومنهم من كانوا يلقونهم في الحفائر لكثرتهم اذ لم يبق سبيل لدفنهم في المقابر العمومية وقد كنت ارى اللبنانيين في الشوارع يستغيثون جائعين ولا يلبي طلبهم الا النذر القليل اخص منهم غبطة السيد غريغوريوس بطريرك الطائفة الارثوذكسية وصاحب الايادي البيضاء سيادة المونسنيور بشاره الشمالي النائب البطريركي للطائفة المارونية وممن يذكر بالحمد والثناء الاب يوسف عازوري الذي خلص بمساعيه اكثر من خمسين شابا من الموت جوعاً وضعف هذا العدد من البنات والنساء والاولاد ثم الجمعية الخيرية جزى الله اولي البر اضعافا

وجزاء رب العالمين يجل عن
عدٍ وعن كيل وعن ميزان

ان بعض اللبنانيين الذين اقتاتوا في جبالهم بالاعشاب مدة اشهر لا يذوقون بها الخبز قد قصدوا المدائن الكبرى ومعهم بقية من اولادهم الذين لم تغتلهم يد المنون فكانوا يبيعونهم بيع السلع محافظة على حياتهم لانهم لم يعودوا قادرين على اعالتهم فمنهم من باع ولده بربع مجيدي ومنهم من تجاوز هذا السعر ومنهم من لم يبلغه ويعد هؤلاء بالمئات واكثرهم من اللبنانيين و[illegible] . اما اليوم نظرا لانفراج الازمة فاراد الاهل استرجاع بنيهم واقاموا الدعاوى على من يابى تسليمهم وقد رفع بواسطتي عدة دعاو من هذا القبيل

وقد مات في بيروت في العامين الماضيين خمسة وعشرون الفا من الجوع ومات في لبنان بموجب الاحصاء الاخيرة خمسة واربعون الفاً او اربعون في المائة وقد عرض الاميركيون على الحكومة العثمانية توزيع مبلغ طائل من المال واقترحوا ان يكون التوزيع على منوال يكفل عدم معرفة الاهالي بمصدر المال بل ان الاميركيين فعلوا اكثر من ذلك فاقترحوا ان يصور للاهالي ان القمح مشتري بمال قدمته الحكومة العثمانيه وراعى الاميركيون في مفاوضتهم هذه عواطف الترك لما بسطوا لهم الاقتراحات المتقدمة . ولكن العثمانيين ابوا ان يسمحوا بالتوزيع الا اذا تولوا ادارته بانفسهم فلم يسع الاميركيين قبول ذلك علما منهم ان القمح لا يصل الى اللبنانين بل يتسرب الى اهرا الموظفين ولذلك حرم اللبنانيون هذه المساعدة العظمى واصبح اكثرهم في طي اللحود وخلت قرى برمتها من السكان

ان من يسمع لاول وهلة ما لحق البنانيين في هذه الحرب من الويلات المتنوعة ينسب اليهم الخمول ولا يلبث ان يؤيد برهانه بقوله :

ان شعباً يبيد منه نحو من مئة وثمانين الفاً اي ما يقارب نصف عدد سكانه ولا يثور اهله على الحكومة ويطالبونها بحقهم في الحياة وهي تحرمهم منه لهو شعب ولا شك فقد قوميته وزالت الحماسة من صدور ابنائه

على ان من تروى في حكمه ونظر الى المقدمات التى سبقت هذه المجاعة والحيل التي اتخذتها حكومة الاتراك لسلب القوى المعنوية

والادبيــة من هذا الشعب لا يلبث ان ينصف لبنــان المظلوم ويصدر بحقه حكما عادلا ومن راى ما كان عليه اللبنانيون قبل الحرب من الجد والنشاط الذي كانوا يمتازون به سواء كان في المهجر ام في الوطن لا يطاوعه لسانه بان يلحق كلمة خامل بالاسم اللبنـاني وهذه قرى لبنان الخالية من السكان تدل على مكانة هذا الشعب من المدنية بما احدثوه من المباني الفخمة والمدن العظيمة حتى ان في احقر القرى اللبنانية مباني تضارع بل تفوق سائر مباني المدن الداخلية

اما نشاط اللبنانيين في الزراعة فامر لا ينكر لانه لا يوجد في بلاد الله كلها جبال صخرية قاحلة يعتنى بزراعتها مثل لبنـان ولا يجوز ان ينسب اليهم الجهل والامية وهم ناشرو لواء العلم في سورية بل في البلاد العربية كلها وفي المهجر ايضا وذلك امر لا يحتاج الى دليل ويكاد يكون عدد المتعلمين في لبنان ثلاثين في المائة على انه في سائر جهات سورية لا يبلغ نصف هذا العدد حتى في المدن اما في الشول فلا يوجد متعلم واحد في الف جاهل فقد ثبت اذن ان ما لحق باللبنانيين من الويلات والمصائب سببه اولا الجراد الذي حرم اللبنانيين المواسم مدة سنتين وذلك لانه طابت للجراد الاقامة فيه دون سواه كما ذكرنا سابقاً اي ان ظهور الجراد كان في الثاني عشر والثـالث عشر من نيسان سنة ١٩١٥ وبقي الى منتصف كانون من السنة المقبـلة يتنقل من الجرود الى السواحل حين اشتداد البرد فلم يتجرأ الفلاحون ان يبذروا القمح والجراد يحجب عنهم انوار الشمس لزعمهم انه لن يبارح بلادهم تلك السنة وقد كان الجراد الزحاف الذي تولد هناك جرد اغصان

الدوالي من قشرتها فبقي الكرم وهو هناك غله ذات شأن سنتين لم يعط عنقودا واحدا في كل جهات لبنان لا سيا في الجرود

ثانيا هبوط اسعار الحرير وهو الموسم المعول عليه في لبنان في السنوات الثلاث الاولى الي درجة متناهية فقد كانت تباع اقة الفيالج بعشرين الى ثلاثين غرشا ورقاً عثمانياً في السنة الثالثة . وفي السنتين الاولين بما يضاهي ذلك من عملة الحجر وقد كان سعر الورقة العثمانية اذ ذاك يتراوح بين ٢٧ و٣٢ قرشا على حين كان رطل الطحين باربعة غروش وسائر الحبوب بما يضاهي ذلك او اقل فاختلت الموازنة بسبب ارتفاع اسعار الواردات ارتفاعاً باهظا حتى بيع رطل طحين الشعير في لبنان بخمسة وستين غرشاً ورطل طحين القمح بخمسة وثمانين مع هبوط اسعار الصادرات كما قدمنا وخسارة موسم سنتين بتمامها .

ثالثا اعلان الحرب فجأة وانقطاع المواصلات بين البلاد العثمانية والاميركية وهذه مورد ارتزاق اللبنانيين على اختلاف طبقاتهم حتى لا تخلو عائلة من ان يكون احد انفارها هناك

ولا عبرة لما كان يرد من الحوالات على البنك الالماني والمدرسة الاميركية لان الليرة الاميركانية كانت تقبض في سوريا ورقة نقدية ولهذا احجم كثيرون من المهاجرين عن ارساليات تعود عليهم بهذه الخسائر الفادحة

رابعا اغترار اللبنانيين بان مدة الحرب لا تكون اكثر من بضعة اشهر وهذا ما كان يذيعه قناصل الدول قبل سفرهم

خامساً وهو من اهم الاسباب اتقان حكومة الاتراك فن قتل النفوس لانهم عرفوا ان الجبل انما يحتاج بدرجه قصوى الى الحبوب فمنعوها عنه وصادروها اشد المصادرة حتى صار الاهالي يجتازون مسافة عشر ساعات ليجدوا قليلا من الطحين المهرب من الولايات ويباع باغلى الاثمان ولا يخفى ما في ذلك من ضياع الاوقات سدى رغماً عن الخسائر

سادسا اجبرت الحكومة التركيـة اللبنـانيين ان يسلموا قسما وافرا من البقر وكل البغال الصالحة للنقل فارتفعت اجور النقليات وكادت تصير النساء الوسائط النقلية الوحيدة فالواحدة منهن كانت تجتاز مسافة عشر ساعات او نحوها لتنقل خمسة او ستة ارطال من الفحم ذهابا وما يضاهيها من الدقيق ايابا وذلك يوجه اخص في جهات كسروان حيث لم يبق بغل واحد في اكثر من خمسين قرية اما في شمالي لبنان فقد ابى الاهالي تسليم بغالهم ولذلك بقيت النقليات مسهلة لهم والاسعار عندهم اكثر مهاودة منها في سائر لبنان وكانت الوفيات في تلك الجهة نحو خمسة في المئة فقط وقد ساعد هؤلاء القوم في المحافظة على حياتهم ان ارضهم اكثر خصبا من ارض لبنان واقرب الى البقاع المخصبة من سواها وقبل اعلان الحرب كان يوجد في اصغر قرى لبنان لا اقل من خمسة عشر بغلا ناهيك عن سواها من الطروش والمواشي

ولاجل هذه الاسباب الاولية لم تنته السنة الثالثة من الحرب الا وقد ماتت الطبقة السفلى من الشعب اللبناني وعددها نحو مئة

الف فكان الواقف في قرى كسروان لا يسمع الا اجراسا تنبئ بالوفيات. فالقرية التي لا يزيد سكانها عن الف نسمة كان يموت فيها من الجوع يوميا ما يتراوح بين اربعة وخمسة

ولا يسعنا في هذا المقام الا ان نوجه اللوم الى بعض كبار اللبنانيين وسراتهم فانهم لم يظهروا من الشفقة على مواطنيهم مـا يستحقون عليه الشكر . وقد كانوا بعملهم هذا كانهم يساعدون الاتراك على الفتك بمواطنيهم البوءساء

وقد بقي الجوع مواصلا الفتك باللبنانيين بكل طبقاتهم الى ان بلغ عدد الوفيات منهم مئة وثمانين الفاً

نختم هذه الماساة التي ينفطر لها الفوءاد مترحمين على شهداء الظلم هوءلاء الابرياء سائلين الله ان لا يعيد هذه الايام السوداء على من في الارض قاطبة

﴿ غرائب وعجائب ﴾

حدثني سيادة المونسنيور بشاره الشمالي النائب الاسقفي على الطائفة المارونية بامر لم اسمع مثلـه ولم يرَ سواي نظيره وهو ان المستخدمين في التنظيفات العمومية كانوا يحضرون ليلا ونهارا جثث الموتى ويلقونها على باب الكنائس وخصوصا كنيسة الموارنة عراة من الملبوس مكشوفي العورات ومعظمهم من النساء وكانت الناس تنظر الى هذه الحالة باستياء تام

وقد طلب الي سيادة الخوري الموما اليه ان اساعده برفع الامر الى والي الولايه لتلافي هذا الخلل وستر عورات الموتى دفعا للضرر

الصحي وحفظا للاداب العمومية ثم رفع عريضة الى الوالي هذا نصها :

=﴿ لجانب معالى ولاية سورية الجليلة ﴾=

دولتلو افندم حضرتلري

ان هذه الحرب الطاحنة قضت على الامة وعلى العالم بالتعاسة واوجدت المجاعة العمومية وقد اصاب منها الشعب اللبناني الحظ الاوفر الامر الذى الجأ معظمهم الى الهجرة لهذه الحاضرة واكثر المهاجرين من الطائفة المارونية ولعدم وجود القوت والمأوى لهم يموتون على الطرقات العمومية غير ان المستخدمين في التنظيفات يحملون جثث الموتى ويلقونها ليلا علي باب كنيستنا الكائنة في محلة باب توما عارين من السترة مكشوفي العورة اكثرهم من النساء الامر الذي اوجب التاسف اذ بذلك تسري الامراض الموبئة وتخل بالاداب والهيئة الاجتماعية ولما كان هذا العمل في منتهى الفظاعة لم يسبق له نظير في العالم الهمجي ويحط من كرامة دولتنا العلية ويسطر لها التاريخ اسطر العار ودفعا للضرر الصحي وحفظا للاداب العمومية وشفقة على الانسان دفعني اخلاصي لرفع هذه العريضة لمعاليكم راجيا ان ترمقوها بنظركم وتأمروا برفع الخلل وستر عورة الموتى ودفنهم بما يليق في بني الانسان ولا اخالكم الاتسدون الخلل فتكرموا رعاكم الله باجابة ملتمسي افندم

ثم سرت معه الى مقر الولاية وهناك لم يتيسر له مقابلة الوالي تحسين بك لانه كان مشغولا باعطاء الوثائق الى التجار شركائه لتسيير عربات الحبوب بقصد التجارة فاضطر الخوري ان يعطي الاستدعاء

الى الياور ورجع

ما ذا تم

اخذ الوالي الاستدعاء من الياور فقام وقعد له وعد هذا الاستدعاء جريمة سياسيه وتحاملًا على عدل الدولة العلية فحوله الى دائرة البوليس التي استدعت الحوري ليلابواسطة احدافرادهافحدث ولاحرج عما خامر افكار هذا الاب من المفاجأة بهذا الطلب لما مرمن الاشياء التاريخية في مثل هذه الظروف وبما انه ثابت الجاش وقدعودته المظالم على تحمل مثل هذه المعاملات لبى الامر وذهب الى الدائرة فساله المدير عن الاستدعاء وهل هو قدمه ؟ فاجابه بالايجاب وسأله عما يقصده فاجابه انما المراد من تقديمه حفظ الصحة العامة وستر الاموات وتلافي الخلل ثم ارسله الى الوالي وهناك استجوبه هذا عن الذي خط له الاستدعاء وما المراد من كتابته وقال له ان في الامر جريمة سياسية فاستغرب الحوري الامر واجابه بثبات جاش واي جريمة تنسب الي وهل رفعت الامر الى حكومة اجنبية ؟ ؟ كلا فاني رفعته الى والي سورية

وعند ذلك سكت الوالي واحب تلافي الامر فامر باحضار رئيس البلدية وسأله عن ذلك فدفع الشبهة عن نفسه بانهم مكرهون على تعرية الموتى من ثيابهم وذلك انه يوءتى بالمرضى اللبنانيين الملقين على الطريق الى المستشفيات العمومية وعليهم ثياب قذرة بها من جراثيم الميكروبات انواع واشكال فنضطر الى احراقها وتلبس المريض سواء كان رجلًا ام امرأة احد قمصان المرضى وحين يموت

هذا المريض تنزع عنه ثيابه وبما انه ليس لنا ان نكفن الوفا من الموتى نسلمهم عراة لينقلوا الى المدافن العامة ولكن الخوذيين يلقون بهم على ابواب كنائسهم لزعمهم ان طوائفهم تستر عورتهم فعد الوالي هذا العذر مشروعا وصرف الخوري واعدا اياه انه يصرف الى هذا الامر عنايته بشرط ان لا يعود الخوري الى امثال هذه التشكيلات التي تضر بالسياسة

تلافي الخلل

اصدر الوالي الى دائرة البلدية والى دائرة الصحة امرا سريا بأن الفقراء الذين يؤتى بهم من الطرقات الى المستشفيات يؤخذون عند وفاتهم راسا الى المدافن العامة ليلا اخفاء للامر و كان يرى المارة ليلا ان اصحاب عربات الاقذار يحملون تلك الجثث بين الاوساخ ويرمونها في خنادق خارج البلدة وقد خيل للناس ان الموت قد قل لانهم لم يعودوا يرون عربات الموت العموعية تسير نهارا في شوارع المدينة

نحن وهم

وفد الى سورية في ٩ تشرين الاول سنة ١٣٣٣ صحبة جمال باشا اديبان تركيان وهما سليمان نظيف بك وشهاب الدين بك فجرى لهما من ادباء العرب استقبال باهر لم يجر مثله واخذت الجرائد العربيه تعرفهما الى قرائها بنشرها عنهما المقالات الافتتاحيه التي تعرف بها منزلتهما من العلم ومبلغهما من الادب : ولقد نشر حضرة الاستاذ النعساني في جريدة الشرق مقالة ضافيه الذيل عرف بها الاديبين ووصفهما بابلغ عباراته

فقال : سليمان نظيف بك يسير بين الرياض والغياض وينتقل بين الآكام والآجام ويغوص في البحار على الدرر الكبار ويرتفع بك الى السحاب ويسبح معك في مجاري الافلاك وربما جشمك جبلا عالية ذراه صعبا مرتقاه فانت معه بين رفع وخفض وبسط وقبض وجناب شهاب الدين بك يسمعك صوت العندليب على الغصن الرطيب ويقطف لك احسن الازهار ويجني لك باناملها الغضة اطيب الاثمار وهو يحسن وصف الوقائع ويبرزها بحسن بيانه صورة امام نظر السامع وينسي القاريء لطافة مبانيه امام جزالة معانيه ... الى اخر ما جاء هناك من عبارات التعظيم والتفخيم التي تزيد على حقيقة موصوفيهما وتجعل عارفيهما في ريبة من امرهما حتى يخيل لهم انهما في سفرهما الى سوريا قد اكتسبا روحاً جديدة وبتنشقهما من هوائها النقي ارتسم في مخيلتهما النقاء والصفاء .

ولقد زاد في تعريفهما ورفعة مقامهما تشبيه الاستاذ النعساني اياهما بعلامتي العرب ونادرتي الزمان الذين لايجاريان ابي بحر الجاحظ وعبد الله بن المقفع ثم مقابلتهما بشاعرين الفاتين جرير والفرزدق

ولا ارى داعياً موجباً ان آتى على كل النعوت والاوصاف التي وسمهما بها الاستاذ لانها في غير محلها ولم نقصد بايراد هذه الكلمة عنهما الا اظهار المقابلة بين شهامة العرب واعمال الترك والضد يظهر حسنه الضد . ولقد اردنا ان نظهر على رؤوس الملا كيف نقابل ادباءهم والازهار بايدينا وكيف يقابل طغاتهم ادباءنا بالمشانق والمجالد والمهانة والاحتقار فقد كنا واياهم · يد تحيي ويد في الحسام : ولا بدع فكل بما عنده

يجود وكل إناء بالذي فيه ينضح .

﴿ حالة ادباء سوريا في عهد الطاغية جمال ﴾

لم يكتف الاتراك بانهم حرموا الاجساد من غذائها بل صادروا غذاء الانفس وضيقوا على الادباء وصادروا اقوالهم فطو يت صدورهم على المقالات النفيسة والاشعار الرائقة ولم يتجرأ احدهم على رثاء رصفائه الذين قضوا شهداء الواجب فحرموا الاولين من الحياة وخنقوا في الاخرين العواطف وقد جاء ملخص لحالة ادباء سورية في العصر الجمالي في مجلة العروس لصاحبتها الانسة الفاضلة ماري عبده عجمي

محمد كرد علي : راى رجال الحل والعقد ينظرون الى العرب وقادة الراي بين العرب . العيون فاشاب نفسه عن مواطن الزلل ولبس ثوباً غير ثوبه . وقد سئل احد الادباء عن مسلك محمد افندي كرد علي مع رجال الترك فاجاب : انه يحاحش عن رقبته . وقد التف حوله نفر من الادباء الذين رأوا رايه فاعتصموا بالنجاة ولم يعودوا كلما رأوا حبلا ظنوه مشنقة

فيلكس فارس : كانت الحرب موالية لخطته السياسية فكان رنين النقود في جيبه اطرب اغنية غناها له الزمان وختم افراحه بزيجته عسى ان يرزقه الله بنين وبنات

جرجي باز : اعلنت الحرب وهجمت الجيوش على الجيوش فهاجمه جيش من ميكروب التيفوس كتب الله له السلامة من فتكه فنهض من الفراش الى المكتب والف ادبيات سورية والنهضة النسائية وبذلك اثبت انه ليس في العالم جيوش منظورة ولا غير

منظوره تشغله عما خلق له -

شبلي الملاط : مشى شعره مع السياسة وتغنى به في المحافل. فنال من ثماره نصيباً وافرا اعاد له جوائز عصر المخضرمين والمولدين وفي شعره المنظوم زمن الحرب شيء كثير من تاريخ كبراء الترك في سوريا .

الشيخ اسكندر العازار : هو شيخ ادباء سورية في كل الاطوار ولو كنت مصورا لصورته وراء منضدته يتأمل في ما جرى ويبكي ثم يعود الى التجول في المدينة ويرجع بحقيبة من الخواطر هي الطف مجموعة لما جرى بيننا منذ اربع سنوات

بشاره الخوري : لم يكن الجو ملائما لبرقه فانزوى في قريته يصطاد العصافير التي كان يتغزل بزقزقتها ثم انخرط في سلك محتكري الحبوب فنال النصيب الوافر على انه عاد فانزوى ثانية ولعل برقه ينم عن مقره الان .

توفيق اليازجي : فر من مجازر الترك وتولى مجازر الالمان وهو فرار من مجزرة البشر الى مجزرة البقر والفرق بين حالتيه كالفرق بين شقاء الصحافي ونعيم التاجر

حليم دموس : طرق باب التجارة فلم يكن حظه منه وافرا لولا عضد الزوجة الفاضلة

ابراهيم بك ابو خاطر : خرج من السجن فرأى البلاد كلها مظلمة كسجنه فاختار العزلة على الظهور .

عيسى المعلوف : رأى ان العصر عصر تاريخي فاعتزل يجمع من

عادياته ما ينشره للجيل المقبل .

جورج عطيه : فتش عن زيد وعمر فلم يجدهما الا في المدرسة فتداخل يصلح بينهما ولكنه خشي ان ينتقلا من التضارب بالاكف الى السيوف اسوة ببقية البشر فانسحب مدعياً ان لا ناقة له في الامر ولا جمل .

جورج كفوري : احتجب في الكروم يستنزل وحي آلهة الجمال الا انه ادرك ان ما في الارض مقدم على ما في السماء فتعين مأمور اعشار وعوضاً عن جمع المحصول اخذ يفرق على الفلاحين آداب اللغة العربية .

ماري عجمي : حجبت العروس في خدرها واودعت نقودها في البنوك فلم تهرم العروس لكن تحولت بائنتها اوراقاً بدلاً من ان تخيط ثوباً لعروسها التي برزت من خدرها الآن .

قسطنطين يني : فر من رمل بيروت الى كروبول آثينا وهو الان في حرس الملك الخاص يدعو للحرب بطول البقاء .

فارس افندي الخوري : انتقل من المبعوثان الى الخان

والاديب الاخير لم يرد ذكره في مجلة العروس وقد آثرنا ان نأتي على ذكر حضرته . اما بقية الادباء فعفواً ممن سهوت عن ذكره ورحم الله من خلدوا ذكرهم .

نكبة العلم والموت الادبي

لم يتح لابناء سوريا ان ينعموا بالنهضة العلمية الاخيرة والحياة الادبية بما قام في بلادهم من الحياة الادبية والرقي العلمي بتشييد

المطابع والمكاتب وفتح غرف القراءة ونوادي الادب حتى اشتعلت نيران الحرب ماتت تلك الحياة باغلاق تلك النوادي والغرف والضرب على ايدي القائمين بها ونكبت الجرائد بشنق بعض ذويها وابعاد بعضهم واختفى الآخرون وتسنى التكتم لمن كتب لهم طول الحياة وحرمت البلاد من نفثات اقلامهم الرائعة فبات السوريون يقابلون بين ماضيهم وحاضرهم فيرون الفرق بينهما كما بين الثريا والثرى ولذلك عول الاتراك على سد هــذه الثلمة والتمويه على عقول السذج فأنشأوا صالونات للاستخبارات في كل المدن وزينوها برسوم الملوك حلفائهم واعاظم قوادهم وعلقوا على جدرانها صوراً يوهمون الناس انهم اخذوها عن ساحات الحرب وهم يقصدون من وراء ذلك ان يظهروا حسن معاملتهم لاسراهم وسوء معاملة اعدائهم للاسرى الالمان والترك والنمساويين ويصوروا معاملتهم بغيرها ويفضلونها عما سواها من نظائرها في بلاد الاعـداء وبوجيز المقال كانوا يريدون اقناع العـالم كله انهم يفوقون اعداءهم مدنية وعلوماً وصناعة وآداباً . وكانوا يعلقون على جدران هذه الغرف كل يوم تلغرافات تبلغهم عن طريق المخيلة بدون اسلاك فيرون بها ما احرزه الالمـان وحلفاؤهم من الانتصارات المتواصلة وقلما ذكروا ان قد استشهد منهم في كل موقعة غير حمير وجمال لانهم كانوا عقيب كل موقعة ينشرون تلغرافا على هذا النحو .

جرت الموقعـة الفلانية واشتبك القتال وحلق الاعداء الى الجو بطياراتهم فقابلناهم بالمثل وجرت الحرب في الجو وعلى الارض فدحرناهم واسرنا منهم الفاً وخمسمائة رجل وعشرين فارساً وعشرة ضباط وغنمنا

ثلاثين مدفعاً رشاشاً ولم يصب منـا احد باذى غير انه استشهد حمار ورجلان : فما هي هـذه الغيرة في حميرهم حتى انها تندفع الى فدائهم بنفوسها وماذا تـكون العلاقة الاخوية بين الاثنين يا ترى ؟؟

ولم يزالوا يموهون على العقول الضعيفة ويؤيـدون انتصاراتهم الوهمية وعساكر العرب والحلفاء منا على قيد آلاف من الامتار .

ولو احصى حسابي عدد الاسرى الذين روت الجرائد العثمانية انهم وقعوا في يد الترك وحدهم لاربى عددهم على ربع عدد الجنـود المشتركين بساحات الحرب كلها حتى اصبح بعض الظرفاء يتساءلون بهزء كيف تتمكن دول الائتلاف من متابعة الحرب وقد اسر منهم الترك وحدهم ما ينيف عن ربع مجموعهم ناهيك عما اسـره الالمان والنمساويون والبلغار . وحبـذا لو جمع موتمر الصلح جرائد الترك وطالب حكومتهم بعدد الاسرى الذين يثبت الترك انهم وقعوا في ايديهم فان لم يجيبوه — وانى لهم ذلك — اقام عليهم الحجة انهم اودوا بهم غيلة وتشفياً ولكن الموتمر ارفع من ان يتلهى بهذه الالعاب .

اما الجرائد التي اسسوها في الشام فهي (الشرق) انشأها الاتراك فصيرت الشرق ظلاماً دامساً وقد طوت في صفحاتها مظالمهم وخداعهم وجورهم وتملقهم . ثم انشأ الالمان جريدة المانية سموها بالتركية (يلديرم) اي الصاعقة وهي والحق يقال صاعقة انقضت على السوريين فكادت تهدم جامعتهم وتسلبهم كل قواهم ومن المعلوم ان الصاعقة انما تنقض اكثر الاحيان على المعادن . والصاعقة الادبية لا تـكون على الادباء اشفق من اختها الجوية على المعادن ولكن نشكر الله لانه لم

يفسح باجلها .

ولحائر ان يقول متعجباً لم اعهد في الاتراك غيرة على نشر آداب اللغة العربية حتى يصرفوا عليها ماصرفوا على تأسيس جريدة الشرق فانا اجيبه يا صاح ما مطبعة الشرق وكل ادواتها الا مسلوبات مطبعة الاباء اليسوعيين والمهذب الزحلية ومكاتب كل الاجانب وبينها الكتب العربية وسواها وفيها العلمية والتاريخية والفلسفية والرياضية والجغرافية وغير ذلك وقد رأيت اكثر هذه الكتب في ايدي الجنود يبيعونها بابخس الاثمان وقد انتزعت دفاتها وبقيت ورقاً مقوى (كرتون) واتخذ الجلد للاحذية والقماش للترقيع ثم مزقت تلك الكتب وبيعت اوراقاً بالوزن لاصحاب الحوانيت لتغلف بها الحاجات او تعمل قوالب للف الدخان ومن تصفح تلك الكتب والمخطوطات يجدها من اعظم وانفس امثالها وبما اني من المولعين بجميع الكتب فقد اشتريت ماتيسر واسفت على مافاتني واندثر وهكذا كانت حالة الاتراك في نكبة العلم واعدام الكتب .

وهذه الفواجع الادبية لاتقل فظاعتها عن سفك الدماء فالموت موتان ادبي ومادي و لولم يكن من نكبات الحرب التي لاتحصى الا نكبة العلم لكفى



الفصل التاسع

نكبة الارمن ومؤتمر جمعية الاتحاد والترقي

عقدت جمعية الاتحاد والترقي جلسة في الاستانة سنة ٩١٥ ترأسها طلعت باشا واستهل الحديث في حالة الارمن ووجوب ابعادهم واتلافهم وقد نسب اليهم ما يحمله على وجوب اتلافهم وهذا بعض ماجاء

اولا . حال اعلان الحرب على روسيا قام انترانيك احد رؤساء العصابات الارمنية وقره كين باصدير مه جيان مبعوث ارض روم مع متطوعي الارمن (من غارو) فاجتازوا حدود بايزيد وخربوا القرى التي على مناطق الحدود وقتلوا عموم الاهالي من المسلمين .

ثانياً في غرة شباط سنة ٣٣٠ استعملت عصابات الارمن في خيزان السلاح على فصائلنا التي ارسلت لاجل جلب العسكر فكمنوا في طريق وان — بتليس وقطعوا خطوط التلغراف وحاربوا الفصائل التي ارسلت عليهم واطلقوا النار على افراد الدرك الجندرمة في موش واطلقوا النار على بيت مدير ناحية آقان في قرية كومس فجعلوا المدير مع تسعة انفار شهداء وحشدت العصابات في دير آرق الكائن في موش فقتلوا قومندان فصيلة الدرك ومن معه من الافراد .

ثالثاً في ١٦ شباط هجمت العصابات مع العساكر الفارين في زيتون على دائرة الحكومة والجبخانة ونهبت الاسلحة وقطعت خطوط التلغراف وقتلت بعض المأمورين وفتكت بالعائلات المسلمة وصدت بالسلاح العساكر التي ارسلت لتهدئة الثورة وقتلت البعض منهم

رابعاً : وفي شباط ايضاً انفجرت قنبلة في قصبة دوملو من اعمال قيصري امام كيغورت خامبار سوميان الذي عاد من اميركا حديثاً . وقد وجد عقيب التحري تسعون قنبلة ذات حلمات ومئات من الماوزر وصفائح عديدة للبارود ومفاتيح للشفره بالافرنسية والروسية والارمنية ووثائق اخلالية وتعليمات مؤلفة من سبعين مادة مبينة وظائف العصابات وادوات مخابرة كثيرة في تربة الارمن ومكاتبهم وقد قبض على المظنونين واعترفوا انهم انما اعدوا هذه الوسائط الحربية لاجل استقلال الارمن

خامساً : بتاريخ ١١ مارت سنة ٣٣١ اجتمع في ديرتك في زيتون خمسمائة شقي مسلح فقاموا بمعركة مع الفصيلة التي ارسلت اليهم وقتلوا سليمان افندي قومندان الجندرمة ومن معه من الانفار .

سادساً : انزلت سفن الاعداء الى ساحل درت يول من اعمال اطنه في جوار اسكندرونه اشخاصاً لاجل الجاسوسية ولتخريب سكة الحديد وكان الذين قبض عليهم ومعهم التعليمات من الارمن العثمانيين

سابعاً : في شهر مارت حين تعداد الاغنام في مركز ناحية تيماز من اعمال وان استعمل الارمن سلاحهم بوجه مأموري الحكومة واجتمع في الحال اكثر من الفي ارمني مسلح وسرى العصيان الى قضائي كوش وشتاق فقطع العصاة خطوط التلغراف وقتلوا انفار الجندرمة وقاضي كوش

ثامناً : ثم سرى العصيان عقب ذلك الى وان فالقيت القنابل على بيوت المسلمين وبنايات المصرف العثماني والديون العمومية والريجي والبوسطة والتلغراف ورام العصاة احراق البلدة ، وفي ٧ نيسان ازداد عدد الاشقياء

المسلحين بالموزر والقنابل والقذائف اليدوية حتى اربي على الفين وخمسمائة فدافع الاهالي المسلمون والعساكر حتى غاية نيسان ، ولما سقطت البلدة في يد الاشقياء اعلنت بها في الحال الحكومة الارمنية الموقتة ، وقد قبض على قبعات روسية وافرنسية في متاريس الاشقياء في جوار وان و بتليس

تاسعاً : في اثناء اجراء التفتيش عن السلاح في ١٢ نيسان وجد في نفس ديار بكر متون قنبلة ديناميت في العلب و بارود ديناميت ضمن علب كبيرة متعددة وكمية وافرة من بنادق موزر ومانليهر والوف من العسكر الفارين في الكنائس والمدارس ·

عاشراً : ثبت بالاعتراف الواقع انه سعي في ولاية سيواس لجمع وحشد قوة مؤلفة من ثلاثين الف رجل لأجل تهديد خط رجعة جيش قفقاسيا وقد أيد ذلك ما قبض عليه في سيواس وصوشهر ومرزيفون من القنابل وملابس الجندرمة التي عملت لاجل تلك الغاية والنفيرات العسكرية والاسلحة الممنوعة الكثيرة — كما ان الهجمات التي تكرر وقوعها على قوافل العساكر الذاهبة الى ارضروم في جوار بلدة صو التي كانت مقدمة للعصيان

حادي عشر : وفي اثناء التحري عن السلاح في ١٢ حزيران شقت عصابات الارمن شرقي قره حصار عصا الطاعة فأصلت البلدة ناراً حامية وقد تحصن ثلاثمائة من العصاة في القلعة فقتلوا كثيراً من العساكر والاهالي والجندرمة والبوليس وكان في من قتل قومندان الجندرمه ·

ثاني عشر : وكذلك ظهر في اثناء التحري عن السلاح في ازميت وباغچه جك وآطه بازار مئات من القنابل والسلاح الممنوع كما ظهرت قنابل

متعددة ذات قوة تخريبية متناهية في المكتب المختص بالرهبان في دير ارميشه واسلحة وقنابل صغيرة وكبيرة .

ثالث عشر: وتدظهرت في ولاية خدواندكار قنابل واسلحة في محلات كثيرة فان العصابات المسلحة بدأت باخلال الامن العام .

رابع عشر : وقد حفرت عصابات موءلفة من خمسمائة شخص في فنديجق من اعمال مرعش متاريس منتظمة فقاومت الجنود الذين ارسلناهم وهاجمتهم فاستشهد منهم كثيرون .

خامس عشر : وفي اثناء ذلك تجاوزت عصابات ارمنية قوية على الاهالي والعسكر في قضاء بوغازليان التابع لانقره .

سادس عشر : وقد قام الارمن في اورفه ايضاً بمثل ذلك العصيان

فهذه المخالفات والتعديات ضعضعت قوى الجيش الذي على الحدود الروسية وجعلت بعض منازل الاعاشة وقوافلها مهددة بالاخطار لانه ليس لها قوة دفاعية ، ولذلك وجب ابعاد الارمن عن المناطق الحربية والسكك الحديدية ومنازل الجيش لاجل تخليص جيوشنا من ان يكونوا بين نارين

ولأجل هذا قررت الحكومة التركية قانوناً مخصوصاً لابعاد الارمن من جميع البلاد الارمنية فصدر الامر من العاصمة التركية الى جميع الولايات في الاناضول وارمينيا وحدود الروس بابعاد هذا العنصر الى داخل منطقة الجيش الرابع تحت رعاية ونظر احمد جمال .

ان في ما نسبه طلعت باشا الى الارمن من العصيان واضمار الشر للاتراك والايقاع بهم يكاد يكون كله صحيحاً لولا بعض المغالاة فيه حملا

لرصفائه عَلَى ان يقرروا الفتك بهذا الجيش الذي يريد حضرته ابادته

ولكن ماذا يحمل الارمن عَلَى تضحية أنفسهم وإراقة دمائهم حباً بالاستقلال الا ظلم الاتراك الزائد وطغيانهم وقد سطر العداء بين الجنسين بدماء غزيرة أراقها الاتراك من الارمن في احقاب مختلفة وآونات متعددة حتى بات كل ارمني يحسب نفسه في خطر دائم اذا بقي تحت السلطة التركية وقد رسخ في اعتقادهم ان الاتراك يتحينون منهم غفلة ليوقعوا بهم فتحذروا وتنبهوا واستعدوا للخطر قبل حلوله وهم محقون في ذلك لانه ليس بينهم الا ثائر لأبيه او لعمه او لشقيقه او لنسيبه ·

اما ما حمل طلعت عَلَى ترويج الفتك بالارمن وابعادهم فهو تحينه فرصة الحرب العامة وزعمه ان الدول العظمى متلاهية عنه ولا تقدر ان تناله وحكومته بضرر مادامت حليفته المانيا راضية عن اعماله وهو كما يعرفه الناس ممن يؤثرون الصيد في الماء العكر · امـا الابعاد فقد ارتكب به من الفظائع ما يقف لها الشعر هولاً وهـا نحن نأتي عَلَى تفصيل ذلك مراعين جانب الفائدة التاريخية والاختصار المفيد ·

ــ﴿ حالة الابعاد ﴾ــ

تفرقت العساكر التركية في كل قرى الارمن وباشرت جمع الذكور ممن بلغوا الخامسة عشرة الى الخمسين وكانت تغل ايديهم بالقيود وتسوقهم زرافات ووحداناً ظاهراً الى ساحات الحرب وضمناً الى منقطع العـذاب · فكانوا يقصونهم الى المحلات المقفرة البعيدة حيث أُعدّت الخنادق وآلات

الانتقام للفتك باولئك المنكوبين ثم يصفونهم بصورة هندسية و يطلقون عليهم العيارات النارية و يدفنونهم في بطن تلك الخنادق.

أما النساء والاولاد فكانوا يسلمون موثقين الى قيادة الجند ليرسلوا الى منطقة الجيش الرابع في سوريا واستولت الحكومة بعدذلك عَلَى منازل الارمن وارزاقهم وهناتهم البيتية وحلاءم وكلما ملكت ايديهم.

وهكذا فعلت بعموم البلاد الارمنية ولم تستثنِ ذكراً عامياً كان او اكليريكياً بل كانت تعامل الجميع عَلَى السواء ما خلا النزر اليسير من روساء الاديان الذين أبعدتهم الى سوريا وأطراف بر الاناضول.

ماذا جرى في الطرقات اثناء السفر

لقد استخدمت الحكومة من الجند رجالاً اشداء تقوى جسومهم عَلَى معاناة الاسفار ممتطين جياد الخيل التي سلبوها من الارمن وكانوا يحيطون بالارمن بهيئة دائرة يسوقونها كالنعاج افواجاً في تلك السهول الجرداء الصخرية بدون شفقة ولا رحمة وكانت تلك الجموع في حالة تستنزف الدمع دماء لرؤية النساء يحملن اولادهن عَلَى الايدي وعَلَى الظهور وكنت ترى المرأة الحامل تئن من التعب وتستجير ولكن لا مجير:

والمستجير بعمرٍ عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وقد كان اليأس يحمل كثيرات منهن عَلَى طرح اولئك الاطفال في هوة أو غدير تخلصاً من العذاب. ومن كانت تتقاعس عن السير انهال عليها القساة بالسياط حتى يقضي عليها فيتركونها طعاماً للوحوش. وقد

روى لي احد المهاجرين ان قافلة كبيرة عند ما انتهت الى دير الزور عاملهم متصرفها سعاد بك بالحسنى ووزع على كل منهم ستة متاليك .

ولما ولي الامر بعده متصرف آخر وكان من التوحش بمكان عظيم شتت تلك القافلة وافناها عن بكرة أبيها وذلك انه كان يرسلهم الى البرية مثنين مثنين و يقضي على حياتهم بعد سلب أموالهم وهتك أعراضهم وما شاكل ذلك .

وقد روت لي احدى الآنسات الارمنيات واسمها انتران ابنة كريكور شمليان من قرية كنكل من اعمال سيواس ما ملخصه :

بينما خرجت القافلة التي كانت سائرة معها استوقفها بعض الجندرمة مابين الصخور في احدى البراري وفتكوا بكل الارمن فتك الذئاب بالغنم فقتلوا الرجال وسبوا البنات واختطفوا منهن من وجدوها رائعة في الجمال وسلبوا ما كان مع اولئك المساكين من الدراهم والجواهر وأما البقية الباقية من هؤلاء المنكودي الحظ فقد أجبروا على مواصلة السير على طريق عينتاب حيث ادخلوا الى المستشفى الاميركاني وهم بين جريح ومريض ومحتضر

وقد كان الاجناد الذين رافقوهم تقاضوهم ظلماً اربع مائة ليرة ليرافقوهم في هذه الطريق تالله درهم ما أعظم امانتهم !! ولم يسبق لاحد ان دفع للجلاد اجرة ليجلده ولا للص ليسلبه !! ولا للسفاح ليقتله !!

سلب الاموال والعرض

عندما كانت تمسي تلك القوافل في احدى النقط كان الجنود يتفرقون

بينهم يسلبون من هذا الموسر فضلات دراهمه و يفضون بكارة العذارى الجميلات بالرغم منهن فكانوا يأخذون من أرادوا الفحشاء بها بعيداً عن القافلة بضعة أمتار وهناك يأتون ما يندى له الجبين خجلاً ، وقد اخبرني بعض الثقاة ان بعض البنات اللواتي افتضت بكارتهن كن يلقين أنفسهن الى الانهر والوديان او ينتحرن تخلصاً من العار وهكذا قضى على فريق من تلك المخصنات التعيسات وقد فتك الجوع والبرد والظماء بفريق آخر منهن و[illegible] من اولئك المنكو بين الى البلاد السورية الا النزر اليسير ٠

كيف أُدخلوا الى دمشق

قد شاهدت بأُم العين تلك المواكب تدخل دمشق في خريف سنة ١٩١٥ فراعني منظرهم ٠

قد رأيت فريقاً يئنون من التعب وقد علاهم الغبار وغطت وجوههم الاقذار وفريقاً آخر قد أنهك الجوع قواهم فوقعوا في الطريق اشلاء لاحراك بها ولقد صادفت إمرأة اتاها المخاض ولم تتمكن من مواصلة السير فانطرحت امام حديقة النوافير في محلة القصاع في الشارع على مرأى من الدمشقيين تستغيث وتستجير فضربها الجندي وأمرها بمواصلة السير فلم يمكنها فازداد في ضربها الى ان قضت وهي على تلك الحال ٠

وكان هؤلاء التعساء يطلبون اثناء مرورهم في شوارع دمشق قليلاً من الماء أو قطعاً من الخبز فيزجرهم الجنود ويلكمونهم و يمنعون من تحمله الرحمة عن ايصال الاحسان الى هؤلاء البؤساء وظلوا يجهدونهم السير حتى

أوصلوهم الى القدم وهو محل يبعد عن الشام نحو نصف ساعة وهناك القوم
تحت الزيتون معرضون لعوامل الطبيعة يفتك ببقيتهم البرد والجوع
ونظراً لجاورتي كنيسة الارمن فقد كنت أرى ليلاً ونهاراً العربات
تقل الجثث عشرات عشرات يؤتى بهم من القدم الى الكنيسة لاجل
الصلاة عليهم وهم بحالة مؤثرة للغاية

دفن الاحياء

صبيحة عيد الميلاد ٢٥ كانون اول سنة ٩١٥ زارني مرتيك الارمن
وبينما كنا نتداول اطراف الحديث دخل عليه متولج الحفر في القبور
وأخبره ان الجند أتوا باشخاص احياء مع الموتى ودفنوهم في المدفن العمومي
فأنكرت الحادثة ولكي أتحققها بنفسي ذهبت مع جماعة وأخرجنا شاباً في
السادسة عشرة مغمى عليه فجسست نبضه فوجدته يختلج فأخرجناه للحال
واتينا به دار البطريركية الارمنية واستدعيت الدكتور سمعان افندي دمر
فعالجه هذا مدة خمسة عشر يوماً ثم توفاه الله لزيادة تأثره من تلك الرعبة

التفرقة

ان الحكومة التركية التي تعرف قوة الارمن وعصبيتهم خشيت انه
اذا اشتد ساعد هؤلاء يقومون ولو كانوا بضعة آلاف بثورة تجري بها
الدماء انهاراً من رقاب الظلمة الاتراك فأرادت ان تقضي على حياة هذا
الشعب المعنوية ففرقتهم في القرى افراداً وازواجاً واجبرتهم على اعتناق

الدين الاسلامي فاعتنقه بعضهم ظاهراً وحالما وضعت الحرب اوزارها رجعوا يجاهرون بدينهم على رؤوس الملا .

سلب الاموال الارمنية في البريد

وفي تلك الاثناء كانت الحوالات المالية ترد الى بعض مهاجري الارمن فيختلس ارباب البريد وقسما منها القسم الاخر كان يستلمه مرتبيت الارمن الذي كان يساعد الحكومة على تنفيذ مآربها فيكتمه عن اصحابه ويتصرف به كيف يشاء وبهذه الطريقة قد قضى على اكثر التعساء ولما توفي المرتبيت المذكور وجدت في خزانته كمية وافرة من الدراهم سلبها من هؤلاء المنكودي الحظ . وقدكان غبطة بطريرك الارمن حين وفاة المرتبيت مبعدا من القدس الى الشام .

عود على بدء

كتب باترو باولي الذي مات شهيدا حين كان منفياً في احدى يومياته ما يلي :

افقت اليوم على هدير العربات التي تجرها الجواميس وعلى اصوات تذيب الحديد فاذا بجماعات الارمن تتهيأ للمسير برجال اضناهم الجوع والسير ونسوة اهزلهن الذل والضيم واطفال برت ارجلهم المشي وقطع قلوبهم الجوع يسيرون في تلك الطرق والموت يظللهم فذئاب الانسان تنهشهم الويلات تتقاذفهم فيتركن الاشلاء من العذارى والاطفال وراءهم تعبث بهم الجوارح وتمزقهم مخالب الانسان القاهر . امة كانت

بالامس . واليـوم اضحت هباء . وستبقى حيـة رغم طوارق الحدثان وكما اثبت احـد ساسة الانكليز انه اذا لم يبق من الشعب الارمني الا رجـلان يصير احدهما ملكا والاخر الرعية فامة مثل هذه لا تموت فعلى ارواح المائتين منها الف سـلام وللبقية الباقية الاجلال والاكرام .

التفنن في التعذيب

روى لي احدهم رواية صادقة وهي :

لم يكتف حكام الطورانيين بما كانت تمليه عليهـم قرائحهم من ضروب التعذيب وصنوف الآلام حتى عادوا الى تاريخ ديوان التفتيش الاسباني ليكون لهم واسطة جديدة لاتقان تلك الضروب وقد اشتهر جودت بك والي وان بضرب ضحاياه بسنابك الخيـل . وقد كان من ضروب فظائع الترك ان يوضع الارمني في غرفة والى جانبه حارسان تركيان فيضربانه فلقاً حتى يغمى عليه ثم ينبه وتعاد الكرة عليه ثانياً وثالثاً ثم يقلع شعر حاجبيه وجفنيه ولحيته وتسحب اظافره ويكوى صدره بالحديد الحامي ويمزق لحمه بكماشات حامية فيصب زيت غال على جروحه وكانوا احياناً يسمرون ايدي فريستهم وارجلها على قطع من الخشب ويصيحون امامها باستهزاء قائلين (ليخلصك الان مسيحك)

وكان الترك يصطفون حول الفريسة بالطبـل والمزمار ليخنقوا صوت استغاثته وهذا نوع من انواع الآلام التي كان يسومها الاتراك للارمن .

مراسلات

سيدي الفاضل :

بلغني اعتناؤكم في تدوين تاريخ الحرب وفاجعة الارمن والى حضرتكم هذا الحادث : في آب سنة ٣٠٠ قامت حكومة تركيا على الارمن وجمعت رجال المدينة في مرعش من ذلك العنصر وقررت اعدامهم في عموم مناطق المدينة وقد قسمتهم عشرات عشرات وعلقت على المشانق رجال ذلك العنصر مدة ثلاثة ايام وقتلت منهم ثلاثمائة رجل ورمت بالرصاص نحوا من ثلاثمائة ثم نهبت بيوت الارمن واختطفت الحريم .

وبما ان والدي من المتميزين وله صداقة مع مبعوثي الاتراك وهم شكري بك بايزيد ورفيقه تمكن من حفظ حياته وتوسط في انقاذ البعض من اصدقائه . وبسبب هذا التعدي تألفت عصابة من خمسة وعشرين شخصاً منهم من زيتون ومرعش وفندجاء فساق القائد فخري باشا عليهم فصيلة من الجند وضرب مدينة فندجاء وخربها . من بقي من الاطفال والحريم ارسلوا الى منطقة الجيش الرابع كامثالهم من الارمن .

هذه واحدة من الف ارجو تدوينها بتاريخكم سيدي .

٧ ك ٢ سنه ٩١٨ الداعي

ليون اوهانس

﴿ ملحق بحوادث الارمن ﴾

قبيل تمثيل الكتاب للطبع عثر المؤلف على كتيب عنوانه المذابح في ارمينيا تاليف فائز بك الغصين وهذا الرجل ابن احد كبار عرب اللجاه وقد اتيح له ان يدرس بعض العلوم في احدى مدارس الاستانة العالية . وله من الذكاء والاقدام ماخوله ان يكون على حداثة سنه (قائمقاماً) في بعض مناطق سوريا وله نزعة حرة جرت عليه بلاء الجلاء والفرار على عهد اضطراب البلاد بمساوىء الاتحاديين فصرف عامين او اكثرتانها جائلا مشردا في اقاصي الاناضول وبلاد الجزيرة وهناك رأى بام عينه كثيراً من الفجائع التي لحقت بالارمن فاقتطفنا منها مايأتي :

بعد ان ذكر المؤلف تاريخ الارمن مختصرا وعددهم والولايات التي يسكنونها والجمعيات التي الفوها انتقل الى تفصيل المذابح الارمنية الفظيعة واشهرها عام ١٨٨٨ وعام ١٨٩٦ ثم حوادث الحرب الاخيره .

وقد وصف ماشاهده من حالة النساء اللواتي كن يخرجن بامر الحكومة من بيوتهن من ولاية الى ولاية مشياً على الاقدام وكانت الحاملات منهن يضعن على الطريق وقد شاهد كثيرات يتركن اطفالهن في البراري والقفار الخالية جزعاً او ضعفاً او من شدة المرض . وقد ذكرت له بعضهن انهن لم يعتدن المشي ساعة على الاقدام اذ نشأن على الدلال فاصبحن بين ايدي الاكراد والدرك في الجبل الشاهقه بين الاحراش الكثيفة عرضة لهتك الاعراض والموت الشنيع وكثيرات

منهن قتلن انفسهن ولم يسلمن اعراضهن لتلك الذئاب الضاريه.
وقد ذكر المؤلف اعدام كركور زهراب مبعوث الارمن المشهور في الاستانة ورفيقه وارتكس) اما قاتلهما فهو الجاني احمد السرزي احد فدائيي الاتحاديين وقد اظهر (وارتكس) ايام عبد الحميد جرأة تستحق الاعجاب وذلك انه وعد بمنصب رفيع اذا عدل عن خطته واعلن انه يخطيء في رأيه فلم يقبل هذا التكليف ورده قائلاً . اني لا ابيع وجداني بوظيفة واقول ان حكومة عبد الحميد عادلة وانا ارى ظلمها بعيني والمسه بيدي .

وقبل ان يصل فائز بك الى ديار بكر حيث سجنته الحكومة وصف مشهدا مؤثراوهو انه رأى في بعض القفار طفلا لايتجاوز الرابعة من عمره ابيض اللون بعينين زرقاوين وشعر ذهبي معرضاً للشمس لايتحرك ولا يتكلم فامر الضابط الجوذي ان يوقف العربةونزل وحده وسأله فلم ينبس ببنت شفة فقال لو اخذنا هذا الطفل الى ديار بكر لاخذته الحكومة وكان نصيبه القتل فاستأنفوا السير وتركوا ذلك الطفل المسكين كما رأوه لايتكلم ولا يتحرك وهو ميت اكثر منه حياً .

ثم وصف المؤلف سجنه في ديار بكر ومن كان معه من مسجوني الارمن وكبار اغنيائهم ومطرانهم ووكيله واهم الاعضاء العاملين في الجمعيات الارمنية كديكدان واغو قابطاجيان . ثم وصف مقتل البروتستان والكلدان والسريان في تلك الديار وبيع متروكات الارمن وانزال الصلبان من كنائسهم وهمجية افراد الدرك وفض بكارة النساء

قبل الموت وبعده واماتة الاطفال ظمأ وجوعاً واجبار بعض النساء على الاسلام .

وقد احصى المؤلف عام ١٩١٥ عدد الارمن الذين قتلوا وماتوا ممن عرفهم او سمع بهم ممن يعتمد على روايتهم فبلغ مجموعهم مليوناً وتسعمائة الف نفس وذكرت جريدة المقطم عام ١٩١٦ ان عدد المنفيين من الارمن بلغ مليوناً ومئتي الف نسمه .

ومما يجدر بالذكر ان الارمن كبارهم وصغارهم اظهروا في اشد الاضطهاد بسالة نادرة واستهانة بالموت محمودة وذلك مدافعة عن شرفهم وعرضهم وقال احد مديري النواحي :

جمعت مابقى في ناحيتي من الارمن وكان مابقي فيها عبارة عن سبع عشرة امرأة وبعض اطفال بينهم واحد في الثالثة من عمره وهو مريض لم يمش على رجليه الى ذلك الحين فلما ابدأ القصاب بذبح النسوة وجاء الدور لوالدة الطفل تحمس هذا وقام على رجليه وجرى شوطاً ثم وقع على صدر والدته وكلاهما جثة بلا روح .

وقال المدير المذكور ان كثيرات من النساء المومأ اليهن كن يقتربن من القصاب والواحدة منهن تاكل خبزا والثانية تدخن لفافة كأنهن يسخرن بالعذاب والمعذبين .

واما طفلات الارمن فلم يكن اقل جرأة من الاطفال . قال شوكت بك كنت سائرا مع قافلة ارمنية معدة لتقتل خارج ديار بكر وعندما بدأنا باطلاق الرصاص جاء كردي وطلب الي ان اعطيه طفلة عمرها نحو عشر سنوات فاومأت بايقاف اطلاق الرصاص واشرت الى

الابنة ان تاتي الي فاوقفتها ناحية وقلت لها : امكثي هنا لاسلمك الى هذا الرجل فتخلصي من القتل . وبعد مدة وجيزة عادت الى ما بين القتلى ورمت بنفسها بين الجثث فامرت بايقاف النار واتيت بتلك الطفلة ثانية وسألتها عما يحملها على ان ترمي بذاتها الى الموت وترك الكردي مخلصها فاجابت : انا ارمنية ووالدي ووالدتي واقاربي كلهم مع هؤلاء الاشخاص المقتولين فلا اريد غيرهم لي اقارب وبدأت تبكي وتنتحب فنصحتها بالرضى بما اقول فابت الا الموت مع اهلها . اما شابات الارمن فقد اظهرن عفافاً نادراً فاللواتي تفتض بكارتهن رغماً . كن يطرحن بانفسهن في الانهر تخلصاً من العار .

قال فائز افندي الغصين مؤلف الكتاب المومأ اليه : زرت يوماً احد كبار المأمورين في ديار بكر وكان عنده شابة ارمنية تخدمه وبعد ان ناولتنا القهوة قال لي ذلك المأمور اتعلم ماذا تقول لي هذه الفتاة غالب الاحيان فقلت لا فقال : انها لاتفتأ تعيد على مسامعي :

(الويل لكم فلن يغفر الله لكم مساوئكم وهتككم اعراضنا وقتلكم اطفالنا.)

اما الحكومة التركية فبعد ان فتكت بالارمن ذلك الفتك الهائل خشيت ان تحاسبها اوربا على المظالم والمذابح فشرعت تدبر حيلة تبرأ بها امام العالم المتمدن وذلك انها بعد ان فتكت برجال الارمن كستهم عمائم كردية وجاءت بنساء الاكراد فاحطن بتلك الجثث وشرعن ينحن عليها ويقلن : ان الارمن فتكوا برجالنا

وقد جاءوا بمصور اخذ تلك الرسوم وارسلها الى الاستانة وذلك ليقنعوا القوم ان الارمن هم الذين اعتدوا على الاكراد فقابلهم هؤلاء بالمثل ولم يكن ثمة من دخل للحكومة في الامر

وخوفاً من ان تظهر جريمة الاتراك فيما بعد عمدت الحكومة الى قتل كل من تخشى ان يفشي سرها وذلك انه لما اعطي للقائمقامين الامر بقتل الارمن كان احد اهالي بغداد قائمقاماً في قضاء (البشيري) من ولاية دياربكر . وكان احد الارناؤوط قائمقاماً في قضاء (ليجه) فابرقا الولاية انه لا يطاوعهما الضمير للاقدام على افعال كهذه ولذلك فانهما يستقيلان من وظيفتهما . فقبلت الولاية استقالتهما غير انهما قتلا في الطريق غيله .

وليست هذه هي المرة الاولى التي حاولت بها الحكومة التركية ان تخفي مظالمها على هذه الصورة فانه قد سبق لها نظائر عديدة سنه ١٨٦٠ كما تقدم ذلك في بابه وذلك خارج عن منطقة بحثنا الان

كلمة
في خسائر السريان الارثوذكس
في
الحرب العموميه

لقد وردتنا من غبطة بطريرك طائفة السريان الارثوذكس رسالة مسهبة جاء بها وصف ما حل بملته من الاضطهاد في ابان الحرب واليك اهم ماجاء بها من الفوائد.

لقد رسخ في اذهان الناس ان المذابح الفظيعة التي حدثت ابان الحرب العمومية لم تعد ملة الارمن عَلَى انه لم تنجُ منهـا ملة او طائفة في بلاد ارمينية والجزيرة ٠

ومن المصابين بها ملة السريان القدماء والارثوذكس فان خسارة هؤلاء تعد أعظم من خسائر الارمن بالنسبة الى عدد كلتا الطائفتين ٠ فان عشائر الاكراد المختلفة ومأموري الترك عبثوا بكل الطوائف المسيحية ٠ ولم يحملهم عَلَى ذلك الا تعصبهم وبغضهم من لا يكون من مذهبهم وجنسهم لانه لم يعرف في عهد ما ان الامة السريانية حاولت ان تشق عصا الطاعة عَلَى الحكومة التركية او رامت ان تنشيء لابناء ملتها وطناً قومياً ٠

ولا داعي لاثبات همجية بعض الاكراد والاتراك لان ذلك ثابت ٠ وهذه الاطوار هي التي حملتهم عَلَى ان يشنوا غارتهم الشعواء عَلَى كافة العناصر ٠

وكانت سنة ١٩١٥ من اشأم السنوات التي لايمحى ذكرها الدامي وشبحها الاسود من اذهان الناس ٠ وتقدر خسائر السريان المذكورين بنحو ثمانين الف نسمة في ولايات بتليس وديار بكر ومعمورة العزيز ومدينة الرها ٠ ولقد ذبح معظمهم بصورة فظيعة توقف الشعر ٠

وكان ذلك العذاب غير كاف فنهبت أملاكهم وسبيت نساؤهم وصبيانهم وتشتت شملهم فاقفرت بلادهم وقراهم وخربت كنائسهم واديارهم ولقد اضمحلت ست ابرشيات برمتها وقتل مائة وستة وأربعون

قسيساً وراهباً وخمسة نواب ومطرانان هما : السيد دنحا مطران سديرك ، والسيد يعقوب مطران دير الصليب بطورعابدين بعد ان أُذيقا امر المصائب وأَقسى العذاب وعانيا من الاهوال اشكالاً والواناً يقشعر لها البدن

وفضلاً عن ذلك فقد فشت الاوبئة والأَمراض وضرب الجوع أَطنابه فأَقفرت بعض القرى ومات كثيرون جوعاً .

ولقد تمكنت بعض القرى في طور عابدين من ان تدفع عن نفسها غارات الاكراد المتوالية وهجماتهم القوية شهوراً عديدة وأَبدى أَهلها بسالة عظيمة . و بين هذه القرى ما لم تسقط حتى اليوم ولا تزال تدافع مدافعة الابطال .

وان قرى غيرها سقطت اخيراً امام هجمات الاكراد العنيفة بعد ما اعيتها المقاومة .

ومما يجدر بالذكر انه اجتمع نحو خمسة آلاف كردي حول دير الزعفران بقرب ماردين وهو كرسي البطريركية وحاصروه من الصباح الى المساء وكان يشد ازر المحاصرين نفر من الجنود المعروفين بجنود الخمسين ، وهم طائفة من المتطوعين وكان هؤلاء الجنود يقصدون ان يسلموا الدير للاكراد وكادوا يظفرون ببغيتهم لو لم يرسل متصرف ماردين بضعة جنود انقذوا الدير وطردوا جنود الخمسين و بددوا عشائر الاكراد ونجا الدير المشهور بعناية الله بمن فيه من المطارنة والرهبان ومئات الاهالي الذين لجأوا اليه بعد ان كانوا استسلموا للقضاء وظنوا ان منيتهم قد دنت .

وقد بلغت الاديار والكنائس التي خربت ماينيف عن مائة وخمسين

فما قول الاتراك في هذه الويلات التي انزلوها بشعبهم عمداً وهو آمن يؤدي واجباته نحو السلطنة ؟ ؟

قالوا ان الارمن ثاروا علينا وأرادوا ان يقضوا على ملك بني عثمان ولكن ما فعل السريان وغيرهم ؟ ؟ ؟

تلك أجوبة ان سكت الاتراك عنها فالتاريخ لا يسكت وهو يجيبهم بكل ما له من القوة لتبقى تلك وصمة عار على شعب لم يعرف كيف تحكم الشعوب بعد ستمائة سنة :

الفصل العاشر

عود الى النفي

ولم يكن الطورانيون أقل ظلماً وبغضاً للعرب منهم للارمن ولكن قيام اولئك للمدافعة عن نفسهم سول للاتراك الفتك بهم والهاهم ردحاً من الزمن عن سوريا . الا ان استكانة العرب السوريين والفلسطينيين لم تكن تمنع الاتراك من متابعة نفي وإبعاد كل المتنفذين العرب على عمومهم فلم تكن تمضي برهة من الزمن الا وتصدر أوامرهم بابعاد فئة ما من سكان الثغور والمدائن الساحلية وجبل لبنان وكلهم من رؤساء المحاكم واعضاء المجالس الادارية أو من الاعيان وكبار القوم وتفرقهم في المدن الداخلية او في الاناضول ثم تشرع الحكومات المحلية بالاستبداد بأموالهم وأرزاقهم مع ان ابعادهم لم يكن لجرم بل تخوفاً وتحذراً مما قد يحدث ، وقد اصبح الناس

كالبضاعة يتقلون من بلدة الى اخرى لغير ذنب ، وكانت كل المــدن تتبادل نخبة سكانها .

غير اني ارى ان الاتراك احسنوا الى العرب بهذه المعاملة وهم يريدون بهم سوءاً لانهم أفهموا غايتهم بأجلى وضوح لتفريق العرب واذلال شأنهم وقد تسنى للعرب بهذا الاختلاط ان يتفاهموا ، وتهيأت الافكار للاستقلال واشتد الحقد وازدادت الحزازات بين العنصرين العربي والتركي .

ونظراً لكثرة عدد المنفيين فانه ضيق بنا المجال عن تسمية كل منهــم وتعدادهم فنكتفي بذكر بعضهم لاسيما وقد أبعد الكل لغاية واحدة هي تفريق العرب وقد كان كلما دنا جيش الاعداء من مدينة أبعدوا اكثر أهلها لاسيما الموظفين والرؤساء الروحيين .

ولمــا حاصر الجيش البريطاني مدينة القدس ابعدت حكومتها كل الموظفين والرؤساء الروحيين وكان بين هؤلاء سيادة مطران الكلدان ونيافة رئيس اساقفة القدس عَلَى اللاتين وهو يناهز الخامسة والثمانين من عمره وكان مبتلى باسهال قوي فطلب الى المتصرف ان يرحمه ويبقيه في القدس نظراً لشيخوخته ومرضه لأنه لايقدر عَلَى احتمال مشقات السفر فأبى المتصرف طلبه وأجبره بالحال عَلَى ركوب سيارة كانت معــدة له ولرفقائه من الكهنة اللاتينيين .

الا ان ذلك الأسقف التاعس لم يعش من حين خروجــه من القدس الى ان وصل دمشق فتوفي بهــا في اليوم التالي لوصوله الى دير الآباء الفرنسيسكان .

﴿ المثلث الرحمات ﴾

(سيادة المطران بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت)

« عَلَى الطائفة المارونية »

لم تشأ الاقدار بان ينال هذا العلامة الاوحد من فظائع الاتراك حظاً وافراً لان هؤلاء عرفوا ببغض عظام الرجال السوريين ، وقد كان سيادته متحلياً بالمعارف الواسعة ذا آراء سديدة ذكي الفؤاد حاضر الحجة دامغها عرفته اوربا تلميذاً متفرداً بذكائه وأعجبت به باريس أسقفاً خطيباً ترتج له اعواد المنابر في سيدة باريس « نوتردام دي باري » وطربت به سوريا راعياً صالحاً غيوراً مؤرخاً فيلسوفاً فكان كالقذى في عين الاتراك فحاولوا ابعاده خوفاً من نفوذه ·

ان والي بيروت عزمي بك الذي اشتهر بالجور والفظاظة وعدم الرحمة وقد قال عن نفسه مراراً « أود ان لا يكون فيَّ عرق من الرحمة » بعث يطلب الاسقف المذكور لمواجهته فلبى سيادة المطران الامر فأشار عليه الوالي ان يطلب الاعتزال عن وظيفته فاستمهله ريثما يخابر رئيسه غبطة السيد البطريرك الياس الحويك فأبى الوالي كل الاباء والح عليه ان ينجز الامر في الحال فأخذ قلماً وقرطاساً وكتب استعفاءه مبنياً عَلَى طلب الوالي فلم يرض هذا بذلك بل الزمه حذف هذا البناء فلم يسع الاسقف الا الرضى فوقع إمضاءه واشار عليه الوالي اذ ذاك ان يعتزل في احد الاديرة في جبل لبنان فأطاع الامر وذهب في اليوم المعين قاصداً دير مار يوحنا مارون في كفرحي قضاء البترون وكان كلما مرَّ بقرية قرعت لاستقباله الاجراس

وتقاطر لملاقاته الخلق الكثير مبالغة في تعظيمه واكرامه ·

وكان اذ ذاك الامير امين ابي اللمع قائمقاماً عَلَى قضاء كسروان وقد اشتهر هذا الرجل بتزلفه للاتراك وظلمه لاهل كسروان وسرقة القمح الذي كانت توزعه شركات القمح اللبنانيـة وكانت أقل سرقاته خمسين قنطاراً الى ثمانين وهو اكبر المساعدين للاتراك عَلَى قتل أهل كسروان جوعاً ولذلك نال هذا القضاء من الجوع ما لم ينزل بسواه ومن يتجول في قرى كسروان يسمع الاحياء بصوت واحد يقبحون عمل الامير امين او (خائن) ابي اللمع

ونجلُّ كل لبناني أبيّ شريف النفس ان تربطه وحدة الوطن بامثال الخـائن امين ابي اللمع ولو شئنا تعداد ذنوبه لاحتجنـا كتاباً لا يصغر حجماً عن العصر الدموي · وقد الصق بنفسه عاراً عظيماً بقضائه عَلَى تلك الآثار الرومانية القديمة والرخامـة التي كانت تذكاراً لمرور جيش نابوليون الثالث في محلة نهر الكلب ·

ان هذا الخائن لما رأى ما لاقاه الاسقف من الحفاوة بعث الى بيروت يقول ان وجود الاسقف في لبنان مضر بمصالح الحكومة فبعث الوالي حالاً يطلبه لمواجهته ·

ولايخفى مافي خدمة هذا الرجل من التطفل للاتراك لان قرية كفرحي حيث يقيم المطران خارجة عن منطقة حكمه وهي في بلاد البترون وهب ان المطران أحدث قلاقل سياسية في تلك الجهـة فقد كان حضرة الامير الجاشع غير مسؤول عن شيء من ذلك لان مركز المطران بعيد عن منطقة حكمه ·

ولكن الوالي أوجس خيفة من قرار القائمقام المذكور وحسب للامر الف حساب وحين انتهى المطران الى بيروت أمره بالذهاب الى ادنه والاقامة فيها . وعين له ميعاد السفر فاسترحم الاسقف من الوالي ان يسمح لاحد كهنته ان يرافقه في سفره الشاق نظراً لتوعك صحته فامتنع عن اجابة طلبه واضطره للسفر وحده ، ولم يتمكن كاهنه الخاص من اللحاق به إلا بعد اسبوع وأقام الاسقف في أدنه مدة أثرت في صحته وأخذت بمزاجه فانتقل الى رحمة ربه في منفاه مأسوفاً عليه من كل من عرفه .

ولا يجهل احد ما اتصف به هذا الاسقف من دماثة الاخلاق ولين العريكة وما كان عليه من العلم الغزير والاراء الصائبة والحكمة البالغة

وقد احدث موته فراغاً عظيماً في عالم الادب والدين ولهذا كان لصدى نعيه وقع عظيم انفطرت له القلوب وجرت الدموع دماً .

بيروت يرجف قلبها ... وتقول من بالحزن مثلي
ويلي من الذئب العمأس ... اذ فقدت اليوم شبلي
فبفقده ما مات جزئي ... بل قضى بالعلم كلي

اما سبب اقالته فهو ان السيد البطريرك ومجمع الاساقفة كلف هذا الحبر ان يعرض عَلَى القنصلية الفرنساوية استفتاء اساقفة الموارنة عن اخذ الفرمان السلطاني الذي عزم الاتراك ان يجبروهم عَلَى اخذه فيما انهم يصرون عَلَى المحافظة عَلَى عوائدهم القديمة بعدم قبول الفرمانات التركية لكونهم يعتبرون ان سلطتهم غير مستمدة من هوءلاء . وانه لا حاجة لهم بالفرمانات

التركية قطعياً ولقد نجحوا اذ ذاك برفض هذه الفرمانات التي عرضتها عليهم تركيا اكثر من مرة ·

سيادة المطران نيقولاوس قاضي
رئيس اساقفة حوران للروم الكاثوليك

وقد جرى لهذا الحبر المفضال حوادث عديدة مؤلمة ادت الى نفيه واليك بعضها :

كان في ابرشية حوران كاهن افرنسي الاصل دخل في سلك الاكليروس الشرقي منذ عشرين سنة يدعى الخوري باسيليوس كوني وهو ذو غيرة عظيمة وفضل مشهور وتقوى فائقة ، وكان قائمقام ازرع حمدي بك اكر بوظ من أحسن الناس لطفاً قبل اعلان الحرب فانقلبت اخلاقه بانقلاب الزمان و بعث يطلب اليه بعد اسبوع من اعلان الحرب الكاهن الافرنسي المذكور ووضعه في السجن ثم ارسله مخفوراً الى الديوان العرفي في الشام فأرادت المحكمة العسكرية ان تترجم أوراقه المثبتة انتقاله الى الاكليروس الشرقي المعطاة له من قبل المقام البابوي الاسمى فأرسلتها الى مدير الامور السياسية نظمي بك فبقيت عنده مدة اسبوع كان الحبر يراجعه يومياً بشأنها فانكرها اولاً ثم اعترف بها اخيراً ·

ولما كان نظمي وحاشيته لا يعرف احدهم اللغة اللاتينية والايطالية المحررة بها الاوراق طلب اليه سيادته ان يترجمها له او يرسل اليه من يقوم له بهذه المهمة · فاجابه بفظاظة لا اريد ان يترجمها لي احد من ذوي القلانس

ولا من ذوي البرانيط .

ولم تلبث ان ظهرت براءة الكاهن فسفروه مع جميع الكهنة المنتمين الى الدول المعادية في اواخر سنة ١٩١٤

الحادثة الثانية

وفي اواخر ت١ سنه ١٩٠٥ جمع المطران لفيف الابرشية من الكهنة ليقيم له. رياضة روحية في مطرانخانته في خبب حسب العادة المألوفة وبعد ثلاثة ايام من ابتداء تلك الرياضة احاطت بالدير فرقة من الجنود المسلحة واخذت تفتش تفتيشاً دقيقاً في كل الغرف والقاعات ولما لم يجدوا شيئاً قال الضابط للاسقف هل عندك سمن فاجابه ليس عندي سوى نصف رطل لحاجتي فقال الضابط وقد ظهرت عليه امارات الغيظ عندك ثمانون تنكة خبأتهم للعرب . ثم اعادوا التفتيش فخابوا كالاول واحضروا اهل البلد وانهالوا عليهم شتماً وضرباً لكي يقروا لهم عن مخبآت السمن ولما كانت هذه التهمة اشاعة لا اصل لها عادوا بخفي حنين بعدان برحوا بالاهالي ضربا واماتوا ثلاثة اشخاص بينهم كاهن فاضل من شدة الضرب وتأثير الرعب .

الحادثة الثالثة

في ٦ ت ١ سنة ٩١ جاء دمشق سيادة المطران نيقولاوس المذكور بناء على دعوة ارسلها اليه والي الشام عطفاً على اوامر نظارة العدلية الاديان تقضي بانتخاب قائمقام بطريركي على طائفة الروم الكاثوليك نظراً لموالاة غبطة البطريرك كيرلس جحا المقسم في مصر للدول المعادية عدم حضوره الى تركيا عندما اعلن الحرب فاجتمع في الحاضرة كل

من اصحاب السياده :

المطران نيقولاوس قاضي . المطران باسيليوس حجار . المطران كيرللس مغبغب . المطران اغناطيوس حمصي . المطران اكليمنضوس معلوف المطران فلبيانوس كفوري .

وقد قرروا في اجتماعهم الاول :

اولا ان المنتخب للقائمقامية البطريركية تحصر وظيفته بالوسائط الزمنية تجاه الحكومه .

ثانياً لما كان البطريرك حياً فهو وحده صاحب السلطة الروحية لذلك لاتتعدى وظيفة المنتخب الى الامور الروحية ابداً .

وفي ذلك النهار الاربعاء ١٤ ك ١ سنه ٩١٥ جاء ضابط يدعى طاهر بك وقال لسيادة المطران نيقولاوس قاضي : ان عطوفة الوالي يرغب حضوركم اليه فاخذه في عربة الى دار الولاية فاحاله الوالي الى خورشيد بك رئيس الدرك العام وهذا بلغه امر جمال باشا بوجوب سفره الى سيواس واوقفه في غرفة الدرك ليسافر في اليوم الثاني فذهب بعض الاساقفة ليفهموا قضية المطران وسبب نفيه . فاجابوهم ان وجود المطران في هذه البلاد لايخلو من محذور لذلك ارتأت الحكومة ابعاده فطلبوا منه الاذن بمواجهته فرفض طلبهم فرد عليه المطران باسيليوس حجار : اننا نحن الان مجتمعون بامركم لاجل انتخاب قائمقام بطريركي وقد حررنا اوراقاً يلزم ان ناخذها منه . فظن ان في الامر مكيدة هائلة يدبرها الاساقفه . فامر قومندان الجندرمة بتحري الاوراق المذكورة واوعز اليه ان يقصد حالاً بيت المطران ويحضر اوراقه وينقبها بانتباه

وحذر . وان يوقف المطارنة الموجودين عنده تحت النظارة في غرفة طاهر بك قائد المئة لجوق الدرك ليروا ان كان في اوراق سيادته امور مغايره . فتم التحري بحسب العادة بان اخذوا جميع اوراق المطران وكتبه وكسروا مكتبته واحضروا معهم اواني التقديس وذخائر القديسين وطقم السفرة ظنا منهم ان لهاته الاواني دخلا في السياسة او هدية احدى الدول الاجنبية المعاديه .

وبعد ان وقفوا على حقيقة الحال اطلقوا الاساقفة ولم يدعوهم يواجهون الاسقف المسجون .

واحيلت اوراق سيادته الى الديوان العرفي وهناك بدأت التحقيقات بمعرفة سعيد ركاب رئيس الهيئة التحقيقيه .

ولقد رأينا سيادته يمدح سعيد بك الركابي ووجدانه واستقامته وعلو همته وسامي اخلاقه .

وقد قسمت الاوراق الى ثلاث منها دينيه ومنها ماليه ومنها سياسيه وقد رأوا في اوراقه الدينية انتشار الايمان ففسروها بانتشار النفوذ الافرنسي وخلطوا بين الجمعية الدينية في مركز الفاتيكان البابوي والسناسة وظنوا ان الف فرنك المرسلة من تلك الجمعية هدية يوم يوبيل سيادته الف فونك مقدمة له لنشر النفوذ الافرنسي في اصقاع حوران ومن جملة الاسئلة التي القيت عليه : لماذا يرسل جميع الحوارنة الموجودين في المهجر دراهم الى عائلاتهم بواسطته ؟ فاجابهم الاسقف انما ذلك لثقتهم بي وتفاني لاجل خيرهم فلم يصدقوا بل كانوا يعزون ذلك الى امر سياسي .

ولما لم يجد الديوان العرفي شيئاً يؤاخذ به سيادته برأ ساحته وقدم الحكم الى جمال فعين مكان النفي حلب بدلاً من سيواس فنفذ الامر وبقي سيادته سنتين ونصفاً في حلب وقد اطلعنا على تذكرة في اللغة التركية واردة من نظاره العدلية تحت نمرو ٣٧ بتاريخ ٨ ربيع الآخر سنه ٣٤ و ٣ ك٢ سنــة ٣٣١ ارسلت الى القائمقام البطريركي مؤداها ان الاسقفـين نيقولاوس قاضي مطران حوران واغابيوس معلوف مطران بعلبك هما عظيما التعلق والارتباط بدولة فرنسا كما ظهر لنا فاضحى بقاؤهما في مركزهما غير جائز ووجب ابعادهما فيقتضي انتخاب سواهما ولذلك صار اعلان الكيفيه .

جبل عكار

نجيب العرسوسي وعبد الرزاق بك الياسين سنه ٩١٦

ان عبد الرزاق بك هذا من وجهاء وفرسان وابطال عكار ومن البيوت الكريمة المشهوره

بينما كان احمد جمال باشا ذاهبـاً من حمص الى طرابلس الشام الشام استقبله وفود جبل عكار وبمقدمتهم هذا الفارس فاوقف جمال القطار وسلم على القوم .

ولما كان عبد الرزاق افنـدي ممتطياً جوادا من احسن الخيل اقترب من القطار وكان لجواده عادة غريبة في بابها وهي اذا دنا هذا الجواد من فارس يناظر راكبه يتناوله بفمه وقضت الصـدفة بان الجواد المذكور تناول بفمه الفرسان وجيادهم لانهم كانوا يزاحمونه في الميدان وانتصب الجواد على احدى قائمتيه واستلفت انظار جمال فسأل

عن الفارس وعن لقبه وكنيته ولما رجع الى الشام بعث امراً يقضي بنفي عبد الرزاق بك المومأ اليه فنفي الى قونيه في بر الاناضول فاقام مدة تناهز السنة ثم اوعز اليه والي قونيه بانه يمكنه ان يعود الى بلاده فعاد هذا .

ولما بلغ ذلك جمالاً استشاط غضباً واحتدم غيظاً وارسل فالقى القبض عليه وقاده مخفوراً الى دمشق مع نجيب افندي العرسوسي المحامي من اهالي اللاذقية واتهم الاثنين بجرم الجاسوسية وتاليف جمعية ضد الحكومة التركية .

وبعد وصولهما الى الشام وضعا في السجن في خان الباشا وقاسى عبد الرزاق بك كثيراً في سجنه واجبر على بذل الاموال الطائلة في سبيل النجاة والتبرئة مما اتهم به .

ثم خرج من السجن بعد ثمانية اشهر وبقي في الشام محجوراً عليه مدة ولما اريد ابعاده توفق بسعي بعض اصحابه الى اتخاذ التزام حطب على طريق حمص صرف في سبيله المبالغ الكثيرة وبقي على ذلك الى ان تم الاحتلال العربي .

اما نجيب افندي العرسوسي فقد اوهم القائدين جمالاً وجمالاً انه يحسن الضرب بالرمل فدعواه اليهما وسألاه عن ذلك فاكد لهما تبحره بهذا الفن . وقد بشرهما انهما سيفوزان بالنصر النهائي فسر خاطرهما وعفوا عنه .

الفصل الحادي عشر

﴿ باستيل سوريا ﴾

ان موقع هذا الخان الذي صار مرادفاً لبوسفور الاستانة في البحرة المدورة في مصلبة سوق الخضر على مقربة من مركز الحكومة في الشام مؤلف من طابقين سفلي وعلوي فيه ماينيف عن الاربعين غرفة فالطابق الاسفل معد للحيوانات والعلوي معد لحفظ البضائع .

استلمت الحكومة هذا الخان مدة الحرب وجعلته سجناً للمتهمين بالجرائم السياسية واخذت تمثل فيه ادوار الظلم والعسف ونزع ارواح الابرياء .

ومن جملة الحوادث التي صارت تحت سماء خان الباشا الدعوى التي اقامتها الحكومة على شكري باشا الايوبي لانتمائه الى حضرة الشريف ومخابرته بشأن الخلافة العربيه

واما الذين اتهموا بهذه الدعوى وسجنوا لاجلها فهم :

شكري باشا الايوبي	من الشام
عبد الحميد باشا	
ذكي بك المظلم	
خالد ابن شكري باشا	
فارس افندي الخوري	
الدكتور احمد قدري	
الشيخ عبد القادر كيوان	

شكري افندي القوتلي سليم افنـدي السيـد محمـد المصري السيد ابو محمد الشامي	من الشام
ابراهيم بك ابو خاطر الياس بك البحمـدوني نقولا افندي حرب الدكتور جوزف افندي عبسي سليم افندي البابور خليل افندي النحاس الدكتور سليم ابو سليمان وابوه القس مفيد عبد الكريم	من زحله
عبد الله افنـدي مالك جرجي افندي مالك حسين افندي جوديه سليم افندي زكي علي افنـدي غزلان ابراهيم افندي العسل	من راشيا
مصطفى افندي الرافعي	بعلبك

صادق افندي زهري	حاصبيا
ابو رعد افندي	المعلقه
عمر افندي الرافعي	طرابلس الشام
رشيد افندي الرافعي	
السيد صالح افندي الرافعي	
ذكي افندي الملا	
البوليس صالح افندي جركس	

وثلاثة من خدم شكري باشا الايوبي

﴿ التهمه ﴾

قلنا ان الحكومة التركية قصدت ائتلاف العنصر العربي فتفننت في انتحال الدعاوي على اختلاف اشكالها ومن جملة ماتذرعت به للحكم هو اتهام من تريد اعدامهم بالميل الى اللامركزية . غير ان العامل الوحيد بهذه التهم هو جور الاتراك وعدم مراعاتهم حرمة العنصر العربي كما مر .

وبما ان شكري باشا الايوبي كان ولم يزل من زعماء الامة العربية وقد تقلد المناصب العسكرية وقضى معظم ايامه في الاستانة لاسيما في الدور الاخير زمن السلطان رشاد وقد اطلع على ظلم الاتراك واكتشف نوايا جمعية الاتحاد والترقي والى مايؤول امرها وما فعلت في ماضيها . فاخذ يسعى سعياً محسوساً ليوقظ ابناء قومه الى الخطر المحدق بهم .

وكان زعماء الاتراك المنتشرين في كل أصقاع المملكة يبثون الارصاد فوقفوا على شيء من هذه الافكار . لكنهم لم يتلافوا الامر بصورة تضمن حياة المملكة بل عمدوا الى الانتقام اتباعاً لخطتهم الاثلة الى إبادة العنصر العربي فألبسوا هذه التهمة ثوباً مستعاراً وضموا الى شكري باشا اشخاصاً لم يكن لهم أقل دخل في القضية كمن ذكرناهم آنفاً لانه لا جامعة تربط ابن راشيا بابن المعلقة و بعلبك وزحلة وطرابلس .

فكان القصد من ذلك كله التهويل وتعظيم الامر لكي يقنع جمال زملاءه في الاستانة انه يكتشف دائماً مؤامرات جديدة قوامها اشخاص متنفذون .

﴿ التوصل الى تحقيق الآمال ﴾

كان رجال الهيئة التحقيقية يأتون بمن قدر له نكد الطالع الوقوع بين أيديهم فيسوقونه من محل الى آخر . فمن دائرة الدرك الى دائرة الشرطة فالى الخان ، وبما اني قد تحريت بنفسي تلك المظالم والمخبآت فاستميح القراء ان أبين لهم حقائقها :

اولاً يصدر الامر من المرجع الاعلى وهو مقر القيادة العامة الى المتصرفيات او القائمقاميات بالقاء القبض على احد المتهمين فيذهب الجند ليلاً ويطوقون باب ذلك المنكود الحظ بمنتهى ما طبعوا عليه من التوحش والخشونة فيملأون القلوب رعباً . فكم حامل طرحت ومريض مات تأثراً من هذه المخاوف .

ثانياً يؤتى بالمظلوم الى مركز القائمقامية وهناك يوسعه الدرك ضرباً ويتقاضونه ما استطاعوا من الدراهم لإمديته بتخفيف عذابه ٠

ثالثاً في منتصف الليل يلج احد رؤساء الدرك كمال بك او حسن بك أو حسني بك بحسب نوبهم وأهمية المدعى عليه فيجلدونه جلداً عنيفاً ويكرهونه على اعطاء الافادة بموجب رغائبهم والويل لمن عصي ٠

رابعاً يمكث السجين على هذه الحالة ثلاثة أو اربعة ايام الى ان تستوفى الجزية منه وباليته يستفيد شيئاً من بذل الاموال ٠

خامساً يرسل الى دائرة الشرطة المحاذية لدار الولاية وهذه هي الحلقة الثالثة من تمثيل الرواية ٠

وهذه الدائرة مؤلفة من طابقين : في الأسفل منهما غرفة محاذية للسلم من الجهة الغربيـــة تدعى غرفة الجلد يتولى رئاستها اشخاص عديدون منهم عمر بك الشركسي ومحمد افندي الخربوطلي وسواهما ٠ ويقابلها غرفة التحقيق التي يترأسها عبد القادر بك ٠

وحينما يؤتى بالمتهم يدخل اولاً الى غرفة التعذيب ويجلد بقضبان الرمان المبتلة بالماء ، ثم يرسل الى غرفة التحقيق والويل لمن انكر ما يعزى اليه ٠

ولذلك يضطر المتهم الى امضاء الافادة الوهميـــة خوفاً من اعادة التعذيب والضرب ٠

وبعد ذلك يرسل المظنون الى خان الباشـــا او باستيل سوريا وترفع تلك التحقيقات الى القيادة العامة مذيلة باشعار من مدير البوليس ٠

أما الحلقة الثالثة وهي الهيئة التحقيقيـــة لديوان الحرب العرفي فتؤلف

من رئيس هيئة تحقيقية ومدعٍ عام وكاتب ترتيب . وهذه الهيئة عسكرية بحتة ، والخطة المتبعة في تحقيقاتها انها ترسل المتهم الى الخان وتستدعيه للمرة الاولى فاذا ظهر لها عند استجوابه انه يريد الانكار أو يصر على تبرئة نفسه وإظهار الحقيقة تعيده بدون استجواب الى الخان وتعطي الاشارة السرية لرجال المحافظة لكي يجروا التعليمات السرية وهي : يدخل ذاك المسكين الى غرفة التعذيب في الخان وهناك حدث ولاحرج عما يحتمل ذاك التعيس من طرق التعذيب ويكون ختامها بكلمتين « صادق على الافادة » وبعد ان يتعهد امامهم بالاقرار يرسلونه الى الهيئة التحقيقية مكبلاً بالحديد فيأتي خاضعاً ويصدق على ما ارادوا فيقف رئيس التحقيقات ويوبخه عندئذٍ على جرأته ومغايرته للقانون . ثم يكتب القرار الظني ويرسل الى القيادة العامة فيرمقها ذاك الطاغي احمد جمال بنظره الحاد ويسطر اشارة سرية مضمونها الأجل المحتوم او الجزاء الواجب .

—✱ عود على بدء ✱—

قد جرت هذه المعاملة البربرية لشكري باشا الايوبي ومن كان موقوفاً معه وقد روى لي احدهم الدكتور يوسف عبيد عيسى المتربي في اعطاف النعمة والدلال في بيت عريق بالمجد في زحله وقد تلقى علومه في المدارس الكبرى مانالهُ في الحلقة الثانية من دائرة الشرطة من انواع العذاب واشكاله وما اكرهه على إعطاء الافادة التي رامها ورامتها اهواؤهم ، وكذا الدكتور ابو سليمان وعبدالله افندي مالك وعمر افندي الرافعي وهلمَّ جرا .

قضى هوءلاء المتهمون ردحاً من الزمن في سجن الخان وقد توسط في دعواهم اكبر ساسة الاتراك محمولين على ذلك بما تلقفوه من الدنانير فانجلت القضية بعدم محاكمة المتهمين الا شكري باشا وعمر الرافعي وقليلين سواهم حكموا بالاعدام وكان ذلك سنة ٩١٦ أي في ابتداء الثورة العربية فتناولت البلاد العربية تلك الحوادث المزعجة والانباء المكدرة وما لبثت الاخبار ان وصلت الى مكة المكرمة فأرسل سمو الامير فيصل برقيــة الى الاستانة ومثلها الى جمال باشا يتهدده ويأمره بالعدول عن اعدام شكري باشا وإذا فعل قابله سموه باعدام الاتراك الموجودين في البلاد الحجازية فكتب من الاستانة الى جمال ان توقف عن الاعدام واعف عن شكري باشا ٠

وفي ذات ليلة حضرت عربة يمتطيها ياور وملازم اول فصعد هذان الى غرفة شكري باشا ودعواه لمقابلة جمال ٠ فتوهم شكري باشــا وخشي ان يساق الى الاعدام واستولى الرعب على جميـع المسجونين — الا ان شكري باشا خرج من غرفته بكل ثبات واجال نظره الحاد في كل الغرف وودع المسجونين الذين كان يعاملهــم كأب شفوق — قال : الى الملتقى يا اولادي في العالم الاخير ٠ فأجابه المودعون بالبكاء والنحيب وشيعوه بدموعهم ولمــا وصل امام الخان وجد العربة خالية من الجند فأبرق وجهه اولاً ثم سأل الياور الى أين نحن سائرون ؟ فأجابه الى مقابلة القائد العام ، وما لبثت العربة ان وصلت بهم الى الصالحية الى مقر جمال باشا وكانت الساعة الرابعة ليلاً ٠ ولما بلغ القائد وصول شكري باشا جلس في غرفة تحاذي مدخل الدار وأمر بإدخاله ٠

محادثة شكري باشا

مع القائد

دخل شكري باشا وعلى وجهه علامات التأثر تمازجها امارات الشجاعة فبادره جمال باشا قائلاً :

أي شكري لقد خدعك حسين الجاهل الذي يدعي خلافة العرب وقد وعدك بنظارة الحربية أليس كذلك ؟؟

ـ رويدك أيها القائد انك تخاطبني كأحد العامة على حين كنت مارشالاً وانت بمعيتي فإني لا ارتضي بهذا التحقير فافعل ما بدالك ولا تحقرني وقد دعوت حضرة الشريف كأحد العامة والحقت به لقب الجاهل وهو أحد خلفاء رسول الله ، وقد فرض علينا احترامه بالنظر الى شرف محتده .

ـ فأكلفك بسحب كلامك . تتهمني بقبول الوعود في نظارة الحربية وهذا أمر لم اسمعه قبل الآن .

ـ ان الحكومة قد عفت عنك على شرط ان لا تعود لمثل هذه الخيانة .

ـ اني أرفض العفو وأرجو ان تنفذوا فيَّ ما ربكم لاني اعتبر نفسي بريئاً ولا اقبل سوى كلمة تبرئة .

ـ أي شكري باشا لو أتيح لحضرة الشريف وأعوانه الفوز ماذا كان او كنتم تريدون ان تفعلوا بجمال ؟

ـ أجيبك عن نفسي يا حضرة القائد لانه ليس لي علاقة بما تعزوه

الي . أما رأي العرب بحضرتكم فهذا يرجع الى وجدانهم . وكل ينال جزاءه على ما فعل .

— ألا تريد العفو ؟ اسألك مرة ثانية

— كلا . . .

فأمر القائد اذ ذاك باعادة شكري باشا الى سجنه في الخان حيث كان السكون سائداً والسجناء يبكون لاعتقادهم انه نفذ الحكم بشكري باشا . ولشد ما كان سرورهم عظيماً حينما رأوه رجع سالماً وبلغهم ما جرى فاعتقدوا بان الدهر تبدل ونجم الاتراك افل ، فتشجع اولئك المظلومون لذلك ، وبعد مضي عشرة ايام من ذلك التاريخ بارح جمال دمشق قاصداً الاستانة وكان آخر العهد به .

وقد ذهب مؤلف هذا الكتاب الى الخان لاجل زيارة شكري باشا فاليك مادار من الحديث : اجتمعت به منفرداً في غرفة خالية ووجدته مكتسياً بسربال عربي وفرملية بغدادية يلبسها العرب فتصافحنا قليلاً وقبلته وجلست قريباً منه فأخذ يحدثني له بكل ما جرى لا سيما مقابلته الاخيرة مع جمال وكان يكلمني بصوت جهوري على مسمع من الجند غير وجل ولا هياب .

وبعد اربعة أيام أرسلت اليه اخاه الجالي شكيب فتشرف بروٌيته وطمأنه عن الباشا بقرب اطلاق سراحه وكان ذلك يوم الخميس .

وفي الساعة الثانية مساء من ليلة الجمعة وقف على باب الخان اوتوموبيل « سيارة » تقل اشرف بك قومندان المركز فقصد هذا الخان وقابل شكري

باشا وقبل يديه و بلغه دعوته الى دار الوالي تحسين بك فنزل وركب الاثنان السيارة الى بيت الوالي فبلغه هذا ان براءته قد اتضحت للحكومة فأمرت باخلاء سبيله · ثم تناول الطعام على مائدة الوالي وخرج توا الى السجن فودع المسجونين جميعهم و بشرهم بقرب الفرج ·

أما بقية المسجونين فقد أخلي سبيل بعضهم وظل البعض الآخر الى الاحتلال العربي وكان شكري باشا الزعيم الاول وقيادة المدينة بيده فذهب هو نفسه وفتح السجون وأخلى سبيل المظلومين ·

جاسوسية

—« ودعوى تزوير »—

استخدمت الحكومة سنتي ١٩١٦ و١٩١٧ عدة من الارمن الذين اسلموا لاجل الجاسوسية وقد عرفت منهم اثنين احدهما شوكت والآخر جميل وكان هذان قد اتخذا لهما مسكناً في محلة المسيحيين بالشام وألفا عصابة من الجند تروبجاً لمآربهما وأعطي لهما نظام مخصوص ليتخذاه (بروغراماً) دستوراً لخطتهما مؤداه تلفيق دعاو مزورة على من تعول الحكومة على إعدامهم او سجنهم أو إبعادهم ، وقد استخدما لرواج مهنتهما بعضاً من النساء كن يتجولن في البيوت و يكتشفن الاسرار و يلصقن الجرائم بالابرياء ·

وقد سمعت حادثة غريبة في بابها وتأكدتها بأم رأسي وهي

ان هذين الجاسوسين دخلا بيت خليل لطفي في حي المسيحيين مظهرين انهما يبحثان عن عنز من الاموال الاميرية قد باعها احد الجنود ·

وعند دخولهما لم يبحثا عن عنز كما زعما بل قصدا غرفة شاب زحلي اسمه موسى جلاد كان يسكن عند تلك العائلة مستأجراً · ولما دخل أهل البيت ليعرفوا القصة أخرج الجاسوسان من جيوبهما بعض تذاكر نفوس لبنانية بيضاء والقيا القبض على موسى المذكور وساقاه الى مخفر باب شرقي وسلماه الى الشاويش اسماعيل افندي رئيس العصابة فاستنطقه هذا عن كيفية وجود تلك الاوراق في غرفته فانكر وجودها ونفى كل معرفة سابقة بها فضربوه وكبلوه بالحديد والقوه في مخزن يقابل المخفر وبعد ساعات ارسلوا اليه نفراً يسأله اذا كان يريد أن يشتري نفسه بالدراهم فدفع له عشرين ليرة عثمانية ذهباً فأخذوها واشاروا عليه أن يكمل على اربعين ليرة وبما انه لم يكن معه تلك القيمة اقترضها من امرأة خاله صاحبة البيت المقيم به فرهنت هذه حلاها وأتتهم بالقيمة المطلوبة فوعدوها انهم يطلقون سراحه ولم يمض نصف ساعة حتى كبل ذلك البائس وأرسل مخفوراً الى دائرة الجندرمة وسلم الى القائد كمال بك ومعاونه حسني افندي وقد أرسلوا مع أحد الانفار عشرين ليرة مدعين انه رشاهم بها واخفوا بقية الدراهم فادخل السجين الى محل العذاب وعند منتصف الليل اخذ الجندرمة يجلدونه بقضبان الرمان المنقوعة بالماء ليكرهوه على الاقرار بكونه يستخدم تلك التذاكر لاجل تخليص الناس من الجندية لكن الشاب لم يبال بكثرة الضرب وشدته بل ظل على اقراره بانه لا يعرف شيئاً من تلك الحادثة ·

وبعد الجهد والتوسط ارسل الى سجن دائرة التوقيف في سوق ساروجا فناله هناك ماناله في الرحلة الاولى ودفع للجنود بعض دراهم لاجل تخفيف عذابه . ومن ثم اودعت اوراقه الى ديوان الحرب العرفي ونقل الى سجن القلعة واحضر بعد ذلك الى ديوان الحرب واستجوب عن امرين . ماهية تلك الاوراق و. أنها ؟؟ وسبب اعطائه الرشوه ؟؟ فاجاب انه لم يدفع الدراهم على سبيل الرشوة بل ان الجنود احتالوا عليه بأخذها وانه قد دفع اربعين ليرة وليس عشرين فكتب ديوان الحرب يستعلم من الولاية عن حقيقة كمية الدراهم فاجيب : ان المأخوذ عشرون ليره ليس الا وقد وزعها الوالي على الجواسيس وبعض الجند الموءازرين لهم مكافأة لهم على حسن القيام بالخدمه . وقد بقي هذا الرجل سجينا الى احتلال الجيش العربي فاخلي سبيله .

وقد روي لي الخوري اغناطيوس جباره احد رهبان الكاثوليك في الشام قصة تشابه هذه وهي :

ان حكومة قضاء النبك ارسلت الخوري يوحنا عربش الكاثوليكي من قرية يبرود مع سبعة اشخاص من وجهاء القوم الى ديوان الحرب العرفي في الشام فاوقفوا في سجن القلعة وبعد التحقيق ظهر ان بعض جواسيس الحكومة في النبك احضروا جماعة من اعوانهم الى احدى دور يبرود حيث علقوا رسم السلطان رشاد وقد دعوا احد جماعتهم هذه الخوري عربش والاخرين باسم رفاقه المتهمين واخذوا يشخصون موءامرة لقتل السلطان واوعزوا الى ممثل دور الخوري عربش ان يتقدم من الرسم ويفقأ عينيه ففعل ومزق بقية الممثلين الصورة فنظمت

تلك العصابة مضبطة في الامر ورفعتها الى الحكومة المحلية فالقي القبض على الخوري وجماعته وارسلوا الى دمشق واودعوا في السجن سنة ثم تبرأ بعضهم وابعد الآخرون .

الفصل الثاني عشر

رحلة انور باشا

الى

البلاد الشامية والاصقاع الحجازية

في الثلاثين من كانون الثاني شرقي سنه ١٣٣١ او سنه ١٣٣٤ ﻫ وصل انورباشا وكيل السلطان وناظر الحربية الى بوزنطى يرافقه براونزار باشا الالماني رئيس اركان الحرب في النظارة الحربية وسليمان نعمان باشا رئيس الصحية والجنرال بومبايـه اودسكي ملحق النمسا العسكري وفون لوسوف ملحق المانيا العسكري وعلي بك من اعضاء الشورى ومحمود بك قائمقام ورئيس حجابه كاظم بك وممتازبك وصفوت بك وسيفي بك وغيرهم من الحاشية فاستقبله احمد جمال باشا قائد الجيش وصاحب المظالم لان بوزنطي هي اقصى منطقة الجيش الرابع وكان يرافقه الامراء والوجهاء فامتطوا سيارات الى طرسوس ومنها الى حلب واما عن حفلات التعظيم والولائم والاكرامية التي اقيمت له فحدث ولا حرج ولا سيما في حلب فان صاحب الرحله الانورية يقول

بهذا الصدد . ان حلب لم تر في تاريخها سلاماً عزاً تفتخر به الا بشخصين اولهما صلاح الدين ابن ايوب المجاهد الكبير وانها تفتخر بهذا العصر بزيارة بطل الاسلام قرة عيون الموحدين قائد جيوش المسلمين انور باشا (انظر صفحة ١٣ من تاريخ الرحله)

وقد مكث في حلب يومين وغادرها الى بيلان بغراس مع الحاشية وقد انضم اليه اذ ذاك جمال فاستقبلهم هنالك فخر الدين باشا وكيل قائد الجيش الرابع الذي عرفته البلاد السورية ولا سيما الشام وهو صاحب النشرة التي علقت في شوارع دمشق تأميناً للمسيحيين على دمائهم وقد كان تناول امرا سريا بذبحهم . ولما وصل انور باشا بموكبه الفخم الى حلب اخذيتفقد عموم المراكز وقد اقيمت له حفلات استقبالية تبارى بها الخطباء والشعراء واجاد منهم فيلكس افندي فارس من اساتذة المدرسة السلطانية في حلب . ومن جملة ماقال . تقدم وادخل ارض سوريا التي يعرف اهلها ان الحرية كلمة مرادفة لاسم انور الى ان قال : سر في رحب هذه البلاد التي ملئت من آثار اخيك البطل امجادا واذا رأيت ان سورية تصارع ويلات الحرب فلا تكتفي بالغلبة عليها بل تصعد ايضاً على مدارج الارتقاء فاعلم انها مدينة بذلك للبطل جمال .

وبعد ان بارح انور حلب عرج على زحلة في لبنان في ١٥ ربيع الثاني او ٢٠ شباط سنه ٩١٦ وهناك اقيمت له الحفلات وتليت القصائد ثم تقاطرت وفود اللبنانيين ووفود ولايتي بيروت وسوريه لتقديم الاحترام الاكراهي ثم غادر السفاح زحلة مارا بقرى لبنان الجنوبيه

الى الحازميـة حيث نصبت اقواس النصر ووقف بانتظاره كبار المأمورين ملكيين وعسكريين فجرت له مظاهرات عظيمة ثم دخل بيروت فاستقبل بها كاحسن مايمكن واقيمت له حفلة انبرى بها الخطباء والشعراء يعددون مالا نهاية له من اوصاف التبجيل والقاب الاكرام نخص بالذكر منهم شبلي بك ملاط وامين بك ناصر الدين من شعراء لبنان ويوسف افندي نعمان بريدي وسليان افندي مصوبع من ادباء زحله . وقد كان يرافقه جمال باشاوفريق من القواد الذين حضروا بمعيته

وقد عددت الصحف البيروتية ماجرى في تلك الحفلات تفصيلاً ولم تترك مجالا من التعظيم والتفخيم الا انتهجته

في ١٧ ربيع الثاني سنه ١٣٣٤ دخل دمشق مع احمد جمال ورفاقه فاصطفت امام جسر دار الذخيرة في طريق الربوة قطع نظاميه وجند الدرك وطلاب المدارس الرسمية والخصوصية باعلامهم وموسيقاهم وعلى جانبهم الايمن الموظفون الملكيون واركانهم ورؤساء جمعيات الاتحاد والترقي والمدافعة الملية والهلال الاحمر والاسطول والعلماء واعضاء مجلس الادارة والبلدية والديون العمومية ووجهاء دمشق ورجال الصحافة وقد اقيم امام جسر حديقة الامة في المرجة قوس ظفر ومثله امام فندق الجيش الرابع وازدانت الطرق والشوارع بالاعلام العثمانية والالمانية والنمساوية وقد بقيت هذه الصفوف منتظرة الى الساعة الثانية ليلاً وكانت تلك الليلة باردة جدافاضر البرد بكثيرين لاسيما بطلبة المدارس لان الموكب لم يصل الا بعد الساعة الثانية ليلا وذهب الموكب توا الى دار الولاية حيث تناولوا طعام العشاء على مائدة اقل مايقال بها انها اعدت لانور

وكفى بذلك تعريفاً فخطب في تلك الحفلة السيد ابو الخير افندي عابدين مفتي دمشق وعدد مآثر القائدين ثم بحث في الحديث النبوي المستفاد من (ان الله تعالى يبعث على رأس كل قرن من يجدد للامة امر دينها) لتحيا حياة سعيدة . وبعد ان زار انور كل الاماكن خصص يوماً لزيارة القائدين رأس حضرة الحسين وضريح السلطان صلاح الدين الايوبي الا ان هاتين الزيارتين لم تؤثرا به جزءاً مما اثرته به زيارة الطيارين فتحي وصادق ومن ثم زار قبر الشيخ الاكبر في الصالحية

واليك بعض الحفلات التي احتفى بها الدمشقيون بالقائد التركي فالبلدية اقامت مأدبة باسم الدمشقيين خطب فيها كل من السيد علي رضا باشا الركابي رئيس البلدية اذ ذاك وتلاه محمد افندي كرد علي فالشيخ مصطفى افندي الغلاييني فالامير شكيب ارسلان فالشيخ حسين الحبال .

وقد اهدى اليه مفتي دمشق كتاب مثال النعل النبوي تذكارا لزيارته دمشق واهدى هو مصحفين احدهما لضريح سيدنا يحيى والثاني لضريح السلطان صلاح الدين الايوبي

وقد اقامت جمعية الاتحاد والترقي مأدبة شاي في سينما جناق قلعه انشد فيها الشيخ عبد الرحمن القصار قصيدة من نظمه مثل فيها مصر تطلب النجدة والمساعدة من الدولة التركية . وبعد هذه الحفلة رجع الى الجيش فجاء علي رضا باشا الركابي رئيس بلدية دمشق مع شفيق بك القوتلي واحمد افندي ابش واسماعيل افندي النابلسي فقدموا للناظر باسم دمشق سيفاً عربياً مرصعاً بديع الصنع وقال رضا باشا :

لما كان اهل دمشق يرون في دولتكم انكم سيف الامه العثمانية القاطع في رقاب الاعداء اخذوا هذا السيف التاريخي وقرروا تقديمه ليكون بيدكم قاصما رقاب الاعداء وقد انتدبونا نحن لنقدمه باسمهم وهم يرجونكم قبوله ٠

فاجابه الناظر — اشكر اهل دمشق على هذه الهدية الثمينة مع اني لست اهلاً الان اتقلد هذا السيف ولكنني ساسعي لاستحقه في خدمة الامة وبعد تبادل القصائد خطب الشيخ اسعد افندي الشقيري خطاباً ا يقاً وتوسع في الموضوع اذ استهله عن المحاربين وتطرق الى مدح الناظر وبعد ان بحث عما تولد في بلاد الارناوط وتكلم عن سوريا والاراضي المقدسة ثم روى مسألة فلسطين وسوريا وبرهن عما احدث جمال من التحسين بها ونسب اليه انه كشف مرضهما المزمن ونوع المعالجة بصور مختلفة وعقاقير متنوعة حتى زال المرض ونترك للقارئ حل مغزى رموز الشيخ الموقر في ثنيات كلامه

ثم بارح الناظر دمشق الى جهات فلسطين فزار يافا في ١٣ شباط سنه ١٣٣١ بعد ان مر في اللد والرملة ولقي من الاستقبال امثال ما كان يلاقيه عند وصوله الى كل بلد ودخل مدينة يافا من الشارع الجديد الذي انشيء باسم جمال وتوجه الى منزل هرنك حيث تناول الطعام وسار بعد ذلك الي دار الحكومة وهناك احتفي بـه من تخطئهم الأعداد من اهالي يافا . ثم واصل المسير الى القدس مقر الجيش حيث نصبت له اقواس النصر وتقاطرت صفوف الاهالي وطلبة المدارس على اختلاف طبقاتهم يحملون بايديهم الاعلام والاغصان وقد كان يخيل

للناظر ان الزائر يمثل دخول المسيح اورشليم في عيد الشعانين (والفرق بينهما ان ذاك ناشر السلام وهذا مسبب الشرور والدمار .)

وقد تناول طعام الغذاء في مقر الجيش الثامن بدعوة جمال باشا ومن هناك زاروا الحرم القدسي فبدأوا بالصخرة المشرفة ثم المجلس الاقصى وهناك اهداه كامل افندي الحسيني مفتي القدس نسخة من فتاوي الانقروي كتبت منذ مئة وثمانين سنه بخط بديع ثم زار الكلية الصلاحية التي غصبها جمال باشا من الاباء البيض وحولها الى مدرسة عمومية ان لم نقل تركيه . وهناك القى حكمت افندي من صغار الطلبة امام القائدين باللغة التركية خطابا ملاء سباباً وشتائم تجرح العواطف الدينية ولذلك نضرب صفحاً عن ذكره .

في المدينة

عند وصولهم الى المدينة استقبلهم شيخ الحرم بالنيابة عن المحافظ ومدير الصحة جمال بك وبشير بك مدير الشرطة ثم خطباء الحرم النبوي الدائمون ومؤذنوه وهم لابسون شاراتهم المخصوصة بالاذان ينشدون الهمزية والبردة باصواتهم الشجية ثم ساداة المدينة واعيانها ومشائخ الطرق يتقدمهم رئيسهم الاعظم السيد حمزة الرفاعي شيخ المشائخ ومقدم الطريقة الرفاعية ومدير المعارف والمعلمين . انتهى نقلاً عن جريدة المقتبس ورسالة الشركة المليه .

ويقال ان حضرة صاحب السمو الشريف فيصل نجل صاحب العظمة الملك حسين كان مرافقاً لهم اذ ذاك . وقد ذهب الجميع الى الردهة المعدة لهم وبعد تناول القهوة اخذ الزائرون يتواقدون عليهم في

كل الانحاء وكان في من وفد السوريون ويوألف وفـدهم من الشيخ اسعد شقير وابي الخير افندي عابدين مفتي دمشق ومصطفى افنـدي نجا مفتي بيروت وكامل افندي الحسيني مفتي القدس واديب افندي تقي الدين نقيب الاشراف في دمشق وشبلي افندي، وقد توجهوا الى الحرم الشريف حال وصولهم . وكان الموكب فخماً جدا ولما انتهوا الى باب السلام النبوي ذبحت لهم الضحايا من غنم وابل فزاروا الروضة النبوية ثم ذهبوا الي فندق دار السرور ولما ازف وقت العصر نزلوا للصلاة في المسجد النبوي وبعد صلاة العصر لبس انور وجمال قفطانين وطربوشين ابيضين وتشرفا بالدخول الي الحجرة النبوية واوقدا المصابيح ثم قبلا بكل احترام ستار المرقد النبوي .

(— فكرة للموألف —) ورد في الانجيل المقدس ان يهوذا الغاش — رسول المسيح — قبله عندما جاء ليسلمه وكاني بقبلة القائدين اشبه بقبلة يهوذا . وفي اليوم الثاني طلب القائـدان الى شيخ الحرم ان يجمع مشائخ الطرق ويتلو الذكر بحسب المعتاد فلبى الشيخ حمـدان الونيس الفسطنطيني والسيد محمد ابن جعفر الكتاني والشيخ خضر الشنقيطي واخوه الشيخ محمد حبيب الله والشيخ حسين احمد الهندي وقد تصدر المجلس المفتي مأمور بري افندي بصفته شيخ علماء المدينه ثم جلس انور وجمال فابتدأ المفتي بسرد البخارى شارحاً لهم مايقتضيه الحال من وجوب الجهاد . ثم فض الاجتماع وتوجهوا الى الحضرة النبوية وبعد صلاة الظهر خرج القائدان للتوديع وقد اهداهما مولانا امير مكة المكرمة اذ ذاك صاحب السيادة والدولة الشريف حسين

سيفين قديين مرصعين بالجواهر والحجارة الكريمة ، ثم عاد انور باشا توا الى دمشق مع رفاقه فقضى فيها يومين زار في اثنائهما شفيق بك الذي أهداه كرسي مصحف كريم م ، العاج الثمين من صنع دمشق وأهدى رصيفه جمالا آنية اشربة نفيسة ، وقد أهدى انور لمدرسة دار الحديث الاشرفية التي يتولاها خاتمة المحدثين الشيخ بدر الدين الحسني مصحفاً كريماً وقدم لحضرة الشيخ سبحة نفيسة . وفي يوم الثلاثاء في ٣ جمادى الاولى سنة ٣٣٤ بارح انور دمشق كما استقبل وكان سمو الامير فيصل من جملة مودعيه .

وقد فاتنا ان نذكر اثناء ذهابه الى مدينة زحله انه بينما كان ماراً بقرب الكسارة بسيارته تعرضت له نساء قرويات ورمينه ببعض قطع من الخبز الاسود المعجون من الكرسنه والزوان وما اشبه ذلك وقلن له :

حنواً ايها الوزير: اننا في منتهى التعاسة ! فتوهم لأول وهلة ان ذاك الخبز ديناميت ، فبعد قليل هدأ روعه وسار بسيارته تواً الى زحله فاستدعى قائمقامها وسيادة المطران كيرللوس مغبغب على الطائفة الكاثوليكية ووبخهما لاعتقاده انهما مصدر هذه الحركة .

—﴿ السم في الدسم ﴾—
في
البعثة العلمية الى دار الخلافة الاسلامية

بعد ان مضى تسعة أشهر على خضور هذا الطاغية الى سوريا وفتكه بالاهالي وتمزيق شمل العرب أراد ان يموه الحقيقة على القوم فاقترح تأليف

رحلة علمية من علماء وأفاضل ووجهاء ليمثلوا قومهم في الاستانة وجناق قلعه وأمر الاهالي بان ينتخبوا وفداً ينوب عنهم فانتخب أهالي دمشق السيد ابا الخير افندي عابدين مفتيها ، والعلامة عبد المحسن افندي الاسطواني . ومن حمص توفيق افندي الاتاسي . ومن حوران محمد افندي الزعل ومحمد افندي الحلبي . ومن بيروت مصطفى افندي نجا مفتيها . ومن طرابلس الشام الشيخ عبد الكريم عويضه . واللاذقية محاسن افندي الازهري . وعكا الشيخ ابراهيم العكي والشيخ عبد الرحمن افندي عزيز . وحيفا محمد افندي مراد مفتيها . ونابلس محمد رفعت افندي تفاحة وعبد الرحمن الحاج ابراهيم . وحلب محمد صالح افندي العيسى مفتيها ، والشيخ بدر الدين النعساني ، وعبد اللطيف افندي خزنه دار . وعن عينتاب عارف افندي مفتيها . والقدس طاهر افندي ابو السعود مفتيها ، والشيخ علي الريماوي . ويافا الشيخ سليم اليعقوبي ، وجبل لبنان عبد الغفار تقي الدين

وقد انتخب احمد جمال باسم الجيش الرابع الشيخ اسعد الشقيري والسيد حبيب العبيدي والشيخ تاج الدين افندي نجل حضرة العلامة الشيخ بدر الدين افندي والشيخ عبد القادر افندي الخطيب وانتخب من الصحافيين الشيخ عبد الباسط الانسي صاحب جريدة الاقبال ، وحسين افندي الحبال صاحب جريدة ابابيل ، ومحمد افندي الباقر صاحب جريدة البلاغ ، ومحمد افندي كرد علي صاحب جريدة المقتبس .

وفي اليوم التاسع عشر من ذي القعدة سنة ١٣٣٢ ، و١٥ و٢٨ ايلول سنة ١٩١٥ سار معظم الوفد من دمشق الى حلب وهناك اجتمعت سائر

الوفود في دار الولاية بحضور بكر سامي بك والي حلب فقرروا بعض مـا يقتضي لهم من الشؤون وانتخبوا رئيساً الوفد الشيخ اسعد الشقيري الذي كان رئيس مجلس التدقيقات الشرعية ومفتي الجيش الرابع ، وكان الوفد مؤلفاً من اثنين وثلاثين عضواً ينوبون عن اربعة ملايين من سكان سورية وفلسطين أوعن ثلاثة ولايات ولوائين مستقلين، فغادر رجال الوفد مساء ٢٠ من شهر ذي القعدة سنة ١٣٣٢ مدينة حلب مواصلين السير الى الاصلاحية التي بارحوهـا في التاسع عشر من شهر ايلول الى كورجيلر — انجيرلك — اطنه — ظرطوس ، فمضيق كولك بوغازيـ ومنه الى بوزانطي فمحطة جفته خان ومنها الى قولوقشلة وظلوا مواصلين سيرهم الى قونيه فاسكي شهر فازمير فالاستانة محط رحالهم وقد بلغوها في ٢٤ ايلول سنة ٣٣١

وكان بانتظار هذا الوفد عَلَى محطة حيدر باشا مندوبو النظارات وممثلو الوزارة عَلَى الترتيب الآتي :

الرئيس : القائمقام جواد بك قائد مركز الاستانة ، وحيدر بك مشاور القسم العمومي في باب المشيخة الاسلامية ، والدكتور فؤاد من قبل الداخلية ونسيمي حازم بك من قبل جمعية الاتحاد والترقي ، ورائف بك مدير دائرة بايزيد من قبل امانة العاصمة وفريق من رجال العسكرية والبوليس والبلدية ثم اخذت تتوارد عليهم الوفود للسلام والترحاب ، وفي صبيحة اليوم الثاني جاء لزيارتهم حسين كامل افندي من قبـل شيخ الاسلام ، وعلي رشدي افندي عضو في محكمة التمييز باسم نظارة العدلية وحسن فهمي بك رئيس القلم الخاص لنظارة الداخلية . وحكمت بك بابان مبعوث بغداد باسم مجلس

المبعوثان . الميرالاي ابراهيم بك حاجب السلطان باسم محمد رشاد . مدحت شكري بك نائباً عن جمعية الاتحـاد والترقي . اسماعيل شناق بك باسم رئيس مجلس الاعيان . القائمقام جواد بك قائد مركز الاستانة باسم النظارة الحربية . البكباشي نايل بك حاجب الصدارة باسم الصدر الاعظم ، وقد تسلسلت الوفود من كبار علماء الفاتح و بايزيد والمدرسين وامراء الاستانة وكان الوفد العربي مطمح نظر الاتراك ولا نغالي اذا قلنا ان ما صادفه هذا الوفد في عاصمة الاتراك من مجـالي التعظيم والحفاوة يفوق كثيراً ما أُقيم للملوك والعظماء وما ذالك الا لسدل ستار النسيان عَلَى الضحايا العربيـة . ثم ذهبوا لصلاة الجمعة في جامع الحميدية بحضور السلطان ، وقـد تولى الخطابة أحد رجال الوفد الشيخ عبد القادر الخطيب أحد خطباء الجامع الاموي في دمشق ، ثم خرجوا لزيارة المابين ومشاهدة السلطان ، وهناك القى رئيس الوفد خطاباً اسهب فيه عن غاية زيارتهم وتعلقهم مع موفديهـم بالعرش العثماني فاجابه السلطان بهذه العبارة :

« لقد سررت بكم جميعاً يا علماء الدين لاسيما بمصادفة قدومكم الى دار الخلافة الاسلامية قرب ختام قراءة البخاري الشريف

ثم زار الوفد نظارة الداخلية ورئيسها السفاح الغشوم طلعت بك الذي مرّ ذكره في حادثة الارمن وله اليد الطولى بقتل الامة العربية فاستقبل الوفد ببشاشته المعتادة وصافح كلاً بيده وحياهم بلطفه الذي يستر خبثه ورداءته وقدم محمد افندي كرد علي بحضرته خطاباً نقتطف منه ما يأتي :

. . . : . . .

ان ولاية سوريا و بيروت وحلب ومتصرفيتي القدس ولبنان قد قام فيهما هذه السنة من اعمال العمران ما لم تكن توفق الى مثله في نصف قرن وأهم ذلك الطرق المعبدة الطويلة التي ربطت البلاد بعضها لبعض والسكك الحديدية التي قطعت بلاداً ما كان أهلها يحلمون ان يروا البخار من القطار ·

دع المدارس العليا والوسطى والمعاهد الخيرية التي انشئت والمغارم التي رفعت عن عاتق الاهلين الذين كانوا يقولون ان في الحرب خراب البلاد ولكن حربنا الحاضرة والحمد لله قد عمرت بلادنا « ومحصت الناس فتبين الخائن المائن من الوطني المخلص » والخامل من العامل والجاهل من العالم ولو لم توفق الحكومة الى انتداب امثال جمال باشا واخوانه الولاة لسياسة سوريا اثناء هذه الازمة لتم فيها المضحك المبكي ولكن حسن توفيقكم ايها الناظر العظيم في جميع اعمالكم منذ كنتم في الحكومة وكانت لكم ولاخوانكم رجال الانقلاب اليد العليا في ادارة دفة سياستها الداخلية فد كان منه هذا الاثر العظيم · وكانت الزيوف قد تجد لها رواجاً من قبل فأصبحت النوبة اليوم نوبة الصحاح أما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض · اه ·

ثم تلاه حسين افندي الحبال صاحب جريدة ابابيل بخطاب لا يقل اهمية عن سالفه ومثله صاحب جريدة الاقبال عبد الباسط افندي الانسي فقابلهم طلعت بمثل خطبهم وذكر الحرب العامة وسبب دخول الدولة فيها وهذا ملخصه :

اننا لم نعتمد الحرب ابتداء ولم نتصد اليها اعتداء وما أقبلنا عليها الا لندرأ عنا من نصب لنا الشر ولم نستطع الامتناع من الدفاع ونحن بصفة اولئك القوم الذين بلغوا من المعالي ناصيتها فقمنا للمحافظة عن وطن عزيز فقاومنا العدو الى الآن خير مقاومة وسنثبت الى النهاية انشاء الله واننا ننال الظفر رغماً عن اهتمامنا باخماد فتن داخلية اضرم العدو نارها ومراقبة جماعات متدلسة خالف اعلانها اسرارها وانتم تعلمون ان المرض الباطني أشد وطأة من المرض الظاهري ·

وعليه سنتخذ كل التدابير لقطع تلك الجراثيم المو بئة ونكون كلنا يداً واحدة في العمل بمنه وكرمه ·

· · · : · · ·

و بعد ذلك غادر الوفد نظارة الداخلية وزاروا الطو بخانة واشرفوا على معاملها ثم زاروا نظارة البحرية فاستقبلوا أحسن استقبال ، ثم زاروا نظارة الحربية ، فساروا رأساً الى ردهــة الاستقبال حيث استقبلهم الاركان والامراء ·

وعند وصولهم قابلهم انور باشا وصافحهم واحداً واحداً و بعد التعارف وقف رئيس الوفد الشيخ اسعد الشقيرى والقى خطاباً بين فيه نبذة تاريخية من ترجمة حياة انور باشا وتأثيره على الانقلابات السياسية الاخيرة ·

ثم أشار الى خدمات انور باشا في طرابلس الغرب الى ان تطرق لذكر الجيش الرابع الذي هو بقيادة احمد جمال باشا وعدد اعماله الاصلاحية في سوريا ·

فقابله ناظر الحربية انور باشا ببعض كلمات مآلها :

انا نعمل ليلاً ونهاراً للاتحاد التام واننا موفقون في عملنا حتى اليوم ،

ثم ذهب الوفد الى نادى الاتحـاد والباب العالي ومدرسة القضاء ثم الى ضيافة ولي العهد الذى تكلم بحق العرب حديثاً طيباً .

وان الاخلاق الطيبة والمزايا الحميدة التي كان يتجمل بها هذا الأمير اثارت عليه ضغائن الاتحاديين وبغضهم فقضى نحبه مقتولاً .

أما الوفد فانه بعد مبارحته دار ولي العهد اخذ يتفقد بعض المعامـل في الاستانة والمعاهد والمدارس الى ان توجه الى زيارة دار الحرب في السادس والسابع من ذى الحجة سنة ٣٢٣ وخطب الشيخ عبد الكريم عويضه مستحثاً همم الجنود .

وبعد ذلك سافر الوفد الى ارى برني وهي تبعد ساعة ونصفاً عن مقر العسكر فشاهد الخنادق والمدفعية وتبودلت فيها بعض الخطب ، وزار المستشفيات ثم عاد الى الاستانة فاستقبل كما ودع ، وبعد ان تبودلت الزيارات ركب القطار الى ازمير بصحبة معاون مستشار الحربية وقومندان المركز وبعض رجال الحكومة وقد نظم اعضاء هذا الوفد قصائد جمة لامحل لذكرها الآن .

وعند انتهاء الزيارة عاد الوفد الى سوريا في ١٨ محرم سنة ٣٣٤ بعد ان تغيب عنها مدة شهرين ذهاباً واياباً .

وبعد عودته بقليل اقام احمد جمال حفلة في سينما جناق قلعه بدمشق دعا اليها اركان الدولة وكان من جملة الحاضرين سيادة الامير فيصل نجل

جـلالة ملك الحجاز الآن وعلي منيف بك متصرف لبنان وعزمي بك والي سورية وعزمي بك والي بيروت ومصطفى عبد الخالق بك والي حلب ومدحت بك متصرف القدس وجمهور من العلماء والوجهاء وأوعز جمال الى الشيخ اسعد الشقيري ان يلخص جميع ما لقيه الوفد وعمله في هذه الرحـلة ففعل ·

الفصل الثالث عشر

في

التفنن في اللصوصية

وصل كاظم بك الى دمشق عَلَى اثر اعلان الحرب فاتخذ له دائرة صغيرة في فندق دار السرور مركزاً له ولبعض ضباط جاءوا معه · وما هي الا برهة يسيرة حتى وضع يده عَلَى عمارة عزت باشا العابد في المرجه واتخذها مقراً للمنزل الجديد وحشد فيها مئات من الضباط والكتاب والجنود وقسمها الى فروع وشعبات حتى ضاقت بهم عَلَى رحبها ·

وكان لهذا المنزل صلاحية كبرى ونفوذ واسع لان اربابه كانوا يشتغلون باعداد حملة القتال الاولى فكان يعطي الالتزامات العظيمة ويعقد المقاولات المهمة بعد ان يخصص المفتش بجعل كبير منها ·

آوى كاظم بك الى منزله كل من ينتمي اليه بصلة القربى والنسب واخذ عَلَى عاتقه حمايتهم مهما ظلموا او سرقوا واليك حادثاً صغيراً نقف منه عَلَى فساد ادارة تلك الحكومة الظالمة ·

كان مدير فرع التجهيزات في المنزل ملازماً تركيا اسمه فريدون طردته الحكومة من الجيش قبل الحرب واستخدمته بعدها والحق ببطانة كاظم بك وكانت له دالة كبيرة عليه فاتخذ تقربه وسيلة للاضرار بالحكومة والشعب فكان لا يعطي التزاماً بدون ان يأخذ منه مبلغاً كبيراً ، وكان يسيء الى المتعهدين ويعاكسهم ويتفنن باذيتهم فلهج الناس كثيراً بظلمه وضجوا من اعماله ورفعوا عرائض الشكوى الى المفتش لكنه كان اصمّ عن سماع الحق .

فلما علم فريدون بذلك ازداد عتواً علي عتوه وضلالاً فوق ضلاله ، وكانوا كلما زادت شكواهم زاد ظلمه وإرهاقه واخيراً رفعوا الامر الى الطاغية الكبير فلم يجدهم نفعاً اذ انه أرسل عرائضهم الى المفتش لكي يدقق بها فألقيت في زوايا الاهمال وضمت الى اخواتها .

ولقد ظل المتعهدون يسامون انواع العذاب نحو سنة ويستجيرون فلا يجدون مجيراً لهم حتى بلغت أصواتهم عنان السماء وتجاوزت أوراق شكاويهم المئات وكلها مملوءة بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة على خيانته وسوء تصرفه . وبينما كانوا ينتظرون من ذاك الطاغية السفاح إصدار الامر بزجه في اعماق السجن أصدر الامر الآتي بحرفيته :

لايجب قطع علاقة الملازم فريدون من المنزل وإرساله الى الاستانة ! ولم يبحثوا عن جرائمه وخيانته لانها كانت عادية بالنسبة لذلك الدور المظلم وتلك الحكومة الغاشمة .

اختلف الناس في تقدير ثروة فريدون فقدرها بعضهم بمائة الف ليرة

وزعم آخرون انها ثمانون الف ليره فقط وأنزلها غيرهم الى خمسين الفاً ويمكن للعاقل الفطن مهما كان الامر ان يستخرج نسبة معتدلة من بين هذه الارقام المختلفة ·

هذه اعمال فر يدون وهو احد رجال المنزل وقد كان مملوءاً بالفر يدونات وملك الطيش تلب ناظم فلم يكن يأبه لأحد مطلقاً ، وكان أهل المنزل يقفون خضّعاً خشعاً امامه ، ولا يسمح بمقابلته الا لمن أسعده الحظ بذلك

وجاء لمقابلة كاظم طاغيـة بيروت وجزار لبنان عزمي ومنيف وآفة الشام توفيق مستشار الجيش الالماني ووكيل والي سوريه يومئذٍ فوقفوا على باب غرفته يطلبون الاذن بالدخول ، فبعـد انتظارهم خمس دقائق خرج الحاجب يقول لهم ان سعادة البك نائم فاجلسوا في غرفتي ريثما يصحا من نومه ، ولمـا ألحوا في طلب الدخول أجابهم انه لا يمكن ازعاج سعادته فانصرفوا خائبين ناقمين يحرقون الارم ·

وقد اشاع كاظم وأتباعه انه ليس للطاغية الكبير جمال سلطة عليه وانه لا يهتم به مطلقاً لكون كاظم ممن ينتسبون الى انور وكان جمال يسمع هـذه الاقاويل ويغضي على القذى ·

قيل ان أحد اسباب اقالته من المنزل هي : انه بينما كان جمال عائداً من الاستانة الى دمشق صادف في محطة بوزانطي عربة شحن مملوءة بجياد الخيل فسأل عن صاحبها فقيل انها هدية مرسلة من كاظم الى الاستانة مع عربة اخرى مملوءة بالسجاد النفيس ، ولما وصل جمال الى دمشق عينه قائداً للفرقة في عاليه ثم نقل الى قيادة الفرقة السابعة في الجبهة وشـهد حروب

السنة الاخيرة من الحرب في جنوب فلسطين ، ثم قدم دمشق مأذوناً في الشتاء وسافر منها الى الاستانة مملوءا لوطاب بآلاف الليرات .

ولو اردنا ان نستقصي خيانة موظفي هذه المصلحة وما حدث بين جدران المنازل لضاق بنا النطاق .

عرف هؤلاء ان دولتهم سائرة للزوال فأتمروا على اختلاس الاموال الطائلة عملاً بقول الشاعر :

اذا هبت رياحك فاغتنمها فعقبى كل خافقة سكون
وان درت نياقك فاحتلبها فما تدري الفصيل لمن يكون

كانت سعادة الضابط عندهم ان يعين لاحدى وظائف المنازل وأعظمها موردا وأرفعها شأناً لخدمات العنابر التي كانوا يزدحمون عليها « والمورد العذب كثير الزحام » ويكثرون من التوسط والانفاق والبذل لنيلها يدخل أحدهم العنبر وهو خالي الوفاض بادي الانفاض لا يملك بلغة ولا مضغة . فما هي الا ايام قلائل حتى يمتلئ وطابه بآلاف الليرات وتنتفخ أوداجه بالكبر والعظمة فينصرف للسفه والخمور وينغمس في حماة الفسق والفجور ويكثر من اتخاذ الاثاث والرياش والخيول والمركبات ويظهر بمظاهر كبار الثروة .

يقضي قانون الميرة باعطاء الجندي تسعمائة غرام من الخبز يومياً وقد ظلوا يحتالون على تنقيص هذا المقدار حتى انزلوه الى ٢٥٠ غراماً في اليوم أي نحو أوقية من الخبز ، كانوا يعطونها الى الجندي ليقتات بها مدة ٢٤ ساعة

مع انهـا لا تسد رمقه عند الصباح فقط ، واذا سئلوا عن اسباب تنقيص الغذاء يجيبون على الفور «افندم» ماذا نعمل لا يوجد قمح ولا وسائط نقل. مع ان الموجود كثير والوارد من الحنطة اكثر ولكن مطامعهم الاشعبية لا يسد جشعها شيء .

قاسى الجندي اشد البلاء مع هؤلاء الزعانف ولاقى انواع العذاب منهم فقد كانوا يسرقون طعامه وشرابه وألبسته ومعاشه حتى رأينا الجنود يسيرون في اسمالهم البالية واطمارهم الرثة يسألون المارين ويستندون اكف المحسنين .

وزاد في طين الشقاء والتذمر بلة وصول قسم من الجنود الالمانيين والنمساويين الى هذه الديار وهم لابسون أحسن الالبسة موسع عليهم في الاكل والشرب ، معاشهم كاف ، حقوقهم محفوظة ، جانبهم مرعي ، ولا يوجد ثمة فرق بين ضابطهم وجنديهم وكلهم يتقاضون مرتبات جديدة و يشهدون المراسح والحفلات و يغشون اندية الطرب «في وقت الفراغ» رأى الجندي العثماني كل هذا عن كثب ودرس هذه الاحوال ثم تطلع الى نفسه وقاس ماهو فيه من البلاء بنعيم رصفائه الالمانيين والنمساويين فاقسم انه لا ينصر دولة تسعى لإذلاله وتطمح الى قتله .

كنت كثيراً ما ارى الجنود في الاناضول يقفون متفرجين على الجنود الالمانية في وقت اكلهم وقصفهم ولهوهم ويشاهدون انواع الطعام والفاكهة واللحوم مبذولة لديهم يأكلون ما يشاءون ، وبينما هم في أشد حالات الجوع والتعب يذهبون وهم يقذفون انواع الشتائم على دولتهم وحكومتهم وضباطهم .

ماشقي جيش خلال الحرب العامة كجيش الاتراك ولا يوجد بين ضباط العالم مجموعة ضباط ناقصة الاخلاق فاقدة الضمير فاسدة المبادئ مجردة [illegible] مجموعة ضباط الجيش التركي التي ارى انها المسؤولة عن [illegible] انهزامهم وهي المسبب الاصلي والاول بذلك، ولقد حل بالاتراك ما نزل بهم من الويلات ولحقهم من الانكسار يوم البلقان وذهب جهابذة الفن الى ان سبب انكسارهم كان :

اولا قلة وسائط النقل

ثانيا انقطاع الرابطة بين الجيوش

ثالثاً عدم انتظام وسائل توزيع الميرة على الجيوش زمن القتال فاهتموا حال دخولهم في هذه الحرب العامة بتأمين ميرة الجيش لانه لايمكن للجندي ان يحارب وهو جائع واحدثوا تشكيلات المنازل التي كانت عامل انهزامهم الاعظم لفساد ادارتها وخيانة موظفيها فاول منزل هو منزل دمشق وقد اسس بعده منزل حلب والحق به منزل القدس وكان مستقلًا ومنزل بئر السبع والمدينة المنورة وكان كل منهما مستقلًا يرجع في اموره الى قيادة الجيش .

ولقد عمموا تشكيلات المنازل داخل المنطقة فاحدثوا في كل بلد وكل مرحلة يمر بها الجيش في طريقه من طوروس الى فلسطين فرعاً سموه (نقطه) كان الجندي يأوي اليها ويأخذ منها ميرته وازوادة غير ان كل هذه التشكيلات لم تات بالفائدة المرجاة ولا اشبعت الجنود لانه كان يرأسها ضباط يحسبون ما كان خارجا عن مصلحة جيبهم لغوا

اوامرا لايعتدبه وقد كانت تضم بين جدرانها عددا غير قليل من سماسرة الغش وعمال السوء .

وكيف تنتظم جماعة يكون على رأسها امثال جمال من زعماء اللصوصية فانه لم يكتف بما سرقه واختلسه لما كان في سوريا بل ظل يحاول الاستفادة من اموال اهلها بالرشوة والاختلاس بعد انفصاله عنها فقد ارسل جمال بعد انفصاله عن قيادة الجيش الرابع تلغرافاً الي تحسين بك والي سورية موءداه ان يأذن بشحن فاكون بن الى ميشل بك مرسق من الشام الى ازمير وقد كان هذا الامر بيد الوكيل خليل افندي معتوق .

فلا مشاحة بعد هذا اذا اقتدى صغار الضباط بزعيمهم الاكبر .

هتك المخدرات

جناية لم يسبق لها مثيل في التاريخ نرويها على علاتها كما بلغتنا ونكتم اسم الابنة لكونها من العائلات العريقة بالشرف .

في العاشر من شهر شباط سنه ١٩١٧ امتطت هذه العذراء قطار بيروت من محطة البرامكة وهي لاتبلغ السابعة عشرة من عمرها وقد رافقتها شقيقتها البالغة الحادية عشرة ولما وصلت الى محطة رياق استوقفها الجند بحجة انه لايمكن مواصلة السير وانهم يريدون نقلها الى قطار آخر فامتثلت واوهمها الجند بانهم يرونها محل الركوب فانقادت مطيعة وتركت اخاها القاصر ليحافظ على امتعتها وهكذا اتوا بها الى بيت يجاور المحطة تحيط به الاشجار وادخلوها الى غرفة مرخاة على نوافذها الستائر وبعد بضع دقائق دخل عليها شاب يدعى بهاء الدين

بك من اركـان الحرب ومن مأموري المحافظة واراد ان يجري مآربه السافلة معها فابت ونفرت وارادت الخروج فتناولها من شعرها وجذبها الى الارض بكل خشونة ثم لطمها على صدرها الى ان اغمي عليها فتمكن اذ ذاك من هتك عرضها على هذه الصورة الوحشيـة حتى انصبغت ثيابها بالدماء وتركها على هذه الحالة وخرج من الغرفة فافاقت لنفسها واجالت نظرها في ذلك السجن المظلم فوجدت على الطاولة رسم ذلك الجاني فاخفته في صدرها لتتذرع به عند الدعوى . وبعد هنيهة دخل جنديان قاداها الى المحطه واكرهاها مع شقيقها المرتجف جزعاً على ركوب القطار واعاداهما الى دمشق محفوظين ولما وصلا الى دمشق اسرعت تلك البائسة الى دائرة الشرطة لترفع امرها اليها فرفع رؤساء الشرطة الامر الى والي سورية تحسين بك الذي استكبر الفاجعـة وامر فورا باحضار هيئة طبية ولدى الكشف تحقق حدوث هـذه الجريمة ثم قدمت لهم رسم الجاني فطلب بواسطة مرجعه العسكري ثم جرت التحقيقات واودعت اوراق الدعوى الى دائرة العـدلية اي الحقانية التي قررت باحالة اوراق تلك القضية الى الديوان الحربي العرفي لان المدعي عليه من السلك العسكري ولقد اجلت الجلسة الى خمسة عشر يوماً من تاريخ ايصال الاوراق الى ديوان الحرب .

﴿ الختام ﴾

حضرت المدعية في الوقت المعين فسألتها الهيئة القضائية العرفية عن دعواها فقهقه الحكام عندما رأوها واجابها الرئيس : عجائب كيف اتيت تكررين الادعاء وقد حضرت بالامس الى هذا المجلس واسقطت

كل حق لك ودعوى، وبما ان المحافظة على العرض عائدة اليك فلا يمكن المدعي العام ان ينفرد به ولذا نجد صادروا الدعوى. فاستغربت تلك المسكينة الامر لعدم اطلاعها على شيء من ذلك وصرخت يا للظالم بالغدر كيف تنسبون الي الجرائم وانا ممن يجدن القراءة والكتابة والتكلم باللغات العربية والافرنسية والانكليزية والتركية ولو فرض الحال كما تدعون اني اسقطت حقوقي لكان من الواجب ان يذيل الاستدعاء بامضائي وكان من الواجب عليكم يا قضاة العدل المحافظين على الجرائم ان تستدعوا معرفين لئلا يكون في الامر غبن وتزوير فاجابها الرئيس متهكما اخرجي لان ما عملناه هو قانوني .

فخرجت تلك المنكودة الحظ نادبة سوء حظها وامت مكتبي على مشهد من جم غفير وروت هذا الحادث وهي بحالة تؤثر في الجلمود

فلم يسعني الا ان انصحها بالسكوت الموقت لانني عرفت يقيناً ان القائد العام هو مصدر تبرئة المجرم .

لو بغير الماء حلقي شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصاري.

الوحش الوحش
اشرف بك

رجل طويل القامة قوي البنية كامل الشكل يرى الناظر على محياه علائم النجابة واللطف والذكاء اشبه شيء بالقبور المكلسة اشرف بك يحسن اللغتين الافرنسية والتركية وله المام بالعربية كان ياوراً لشوكت باشا في الاستانة وفي اوائل الحرب قدم سورية وتعين مأموراً

لمصادرة الحيوانات وكان مقره في المرجة على مقربة من سرايا الحكومة وهناك ظهرت طويته وما انطبع عليه من اللوءم والخسة لانه من حين استلامه هذه الوظيفة لم يدع تعدياً اوظلما الا فعله فكان يلقبه الكل رئيس العصابة ولما استفحل شر بهاء بك في رياق وكثرت تعدياته على المخدرات عينت الحكومة صاحب الترجمة خلفا لبهاء بك بعد اقالته من وظيفته في رياق .

محطة رياق

نقطة متوسطة تربط الخطوط الحديديه بين الشام وبيروت وحلب فهي مجتمع الطرق من اطراف سوريا ومن اكبر المحطات وفيها معمل تصليح عربات القطار .

في هذه المحطة ينتقل الركاب من قطار الى غيره لاختلاف شكل الخطوط بضيقها وعرضها وقد اتخذ هذا الظالم تلك المناسبة احبولة للظلم والاعتساف فمنع سفر الركاب بدون مأذونية منه ولم تكن تتيسر هذه المأذونية الا لقاء عشرة الى خمسة عشر مجيديا وقد وضع لهذه الغاية سماسرة مخصوصين ومن ابى اداء الجزية صد عن السفر وترك تحت جو السماء عرضة للعناصر ثم يلتمس الاذن بتأدية الجزية فيرفض الوحش ويحكم عليه باشغال شاقة كنقل الحجارة الى الخط مدة خمس ساعات ثم يجيز له السفر بعد استيفاء الجزية مضاعفة وقد تناول ظلمه هذا مستخدمي السكة انفسهم حتى شكا ظلمه سكان الارض والسماء .

وقد اتخذ للعذر طريقا اخر وذلك انه كان يشير على بعض اعوانه

من الالمان ببيع بعض الاسلحة الى الاهالي ثم يرسل جواسيسه يترقبون المشتري ويلقون القبض عليه فيوقفونه في منقع العذاب وهو خيمة يحف بها الجند يحضر اليها الظالم ليلاً ويجلد الموقوفين بها حتى يسيل الدم من جسمهم ثم يتركه الى اليوم الثاني آملا ان يدفع الجزية في اليوم الثاني وسواء دفع ام لا فانه يرسله بعد يومين الى دمشق مخفوراً مكبلاً بالحديد ويشفعه برسالة يهول بها اعظم الذنب ويبين للحكومة انه اكتشف مكيدة بين ابناء العرب يؤول امرها الى ثورة عمومية . وقد ذهب اكثر من واحد فريسة الظلم من جراء تهويلاته .

وفي الخامس عشر من شهر شباط سنه ١٩١٧ القى القبض على بعض مأموري المعمل الصناعي في رياق وبينهم خليل افندي ابو زيد وناصر افندي غندور من قرية حوش حالا لانهما مرا ليلة على مقربة من المحطة فاتهمهما بانهما يتذرعان لشراء بعض الاسلحة الممنوعة فساقهما رجاله الى خيمة التعذيب وهناك اوسعهما ضربا على عادته المألوفة وفي صبيحة اليوم الثاني ارسلهما مخفورين الى دمشق مزودين بالاوامر المتضمنة اكتشافه دسيسة ومؤامرة لمعاداة الدولة واعلان فتنة كبرى ففحص الديوان العرفي اوراقهما وارسلهما الى محكمة الصلح فاخلت هذه سبيلهما ورجعا الى رياق مقر عملهما فغضب المفتري بسرعة التبرئة وارسل كتابات خطية الى ولي نعمته جمال يشكو من الدوائر في الشام انها لاتروج مآربه فاصدر جمال عند ذلك اوامره بلزوم استعمال الشدة وعظم امر اشرف تجاه رئيسه فرقاه الى رئاسة ديوان وقومندانية المنزل مكافأة له . ولما شاع تعيين هذا الظالم هلعت القلوب لان من

كان يسوقه نكد الطالع الى الوقوع في شباكه يفضل الموت على الحياة فمدة التوقيف خمسة عشر يوماً يتواصل الجلد في اثنائها ثم يرسل الى احد الجوامع او الى القلعة ليسجن حيث لايتغذى يومياً بغير قطعة من الخبز الاسود ويرقد على الحضيض ويتوسد الحجر حتى في الشتاء .

وقداخبرني بعض اعوان اشرف انه كان يرى يوميا في غرفته بعض قطع من اللحم المتناثر من اجسام المجلودين .

ومن اغرب ماروي لي ان تاجراً اسرائيلياً اسمه اسحق بلحوس كلفه احد اصحابه ان يمضي له وثيقة خبز من قومندان الموقع علي بك سلف اشرف فامضاها له . ولما تعين اشرف احضر صاحب الوثيقة وسأله عمن امضاها له فاجابه ان الذي امضاها هو اسحق فاحضره اشرف وبعد ان جلده واحداً وعشرين يوماً ارسله الى جامع المعلق حيث لم يعط من الاكل الا اقل من القليل الذي يعطى لامثاله وبقي شهرين على تلك الحالة . ثم افرج عنه بعد سهرة معروفة اعتاد لاتراك مثلها

وقد رأيت جماعة في السنجقدار كأن على رؤوسهم الطير وسمعت صوت استغاثة فسألت ماالخبر فقيل ان اشرف يعذب رجلاً وقلم مات تحت الضرب فكبر الخطب على أهله ورفعوا الامر نظير كثير من سواهم الى الوالي تحسين بك الذي طالما تشكى عبثاً من مظالم اشرف ولم يهنأ الدمشقيون بالاً الا بعد ما صدر الامر بارساله الى ساحة الحرب .

﴿ في كل عطفة مصيبة ﴾

في ١٦ ك٢ سنه ٩١٧ خرجت من بيتي صباحاً ولما وصلت الى محلة

الخراب امام الفرن القريب من بطركخانة الروم الارثوذكس المعد لاعطاء خبز الوثيقة الى الفقراء واذا الناس مزدحمون على بابه نساء ورجال واطفال يصرخون ويولولون طالبين الخبز واذا باتوموبيل آت من باب شرقي يتطيه ضابطان المانيان وهو يباري الريح سرعة فلم يدع للقوم مجالا ليفتحوا له طريقاً وداس ابنة يهودية لاتتجاوز الحادية عشرة سناً وواصل السائق السير كانه لم يفعل شيئاً وكان ذلك على مشهد من الشرطة المقيمين في المخفر المقابل للفرن المذكور وعند وصول الاتوموبيل الى آخر محلة الخراب صادف بطريقه رجلاً مسناً فداسه وكسر رجله . ولم اصل الى حمام الخياطين حتى وجدت جثتي رجلين مائتين على قارعة الطريق واظنهما من فقراء لبنان وقد قيل لي ان الاتوموبيل قد داس ارجلهما فحطمها وماتا متأثرين لانه لم يكن لهما من يعتني بهما ولما وصلت الى مقربة من مدخل سوق الحميدية وجدت هوة سقط بها حمار يحمل العنب بين رجليه والدقروي اظنه السائق وقد تحطمت رجله وبعد بضعة امتار وجدت فرقة من الدرك والفرسان فسألت الى اين يسيرون فقيل لي انهم يرافقون جمالا في احدى زياراته

الفصل الرابع عشر
في
المستشفى

روى لي صديقي الدكتور فيليب افندي بركات بعض حوادث جرت في مستشفيات المزد وغزه وبئر السبع اثناء تعيينه فيها سنه ١٩١٦:

لما توجه انور وجمال باشا الى زيارة مستشفى بئر السبع سبقهما قائد الماني ممتط جواده فوجد جثث القتلى متراكمة مختلطة بالمجاريح الاحياء لانه ليس في ذاك المستشفى اكثر من اربعين سريرا والجرحى يعدون بالمئات ناهيك عن القتلى فاغتاظ القائد لهذا المشهد واستدعى الدكتور فيليب المذكور وسأله هل انت رئيس الاطباء ؟ فاجابه هذا كلا يامولاي ثم استدعى الرئيس وكان عبد النافع بك السباعي قائمقام عسكري فقال له القائد : لو كنت برتبتك ومنزلتك لخجلت ان يكون امام مستشفاي تلال من جثث القتلى والجرحى متراكمة فوق بعضها وانت لاتهتم بتفريقهم واعطائهم المحلات وكان رئيس الاطباء هذا جسوراً فقال للقائد بتهكم : انى لنا محلات للتمريض او رجال لدفن الموتى وهل يمكننا التشبه باعدائنا ؟؟ فخجل الالماني واشار الى الرئيس بان انور ورفيقه جمالاً على وشك الحضور فاسرع رئيس الاطباء عندئذ وامر بتبديل شراشف المرضى داخل المستشفى وابعد جثث الموتى بقدر الامكان . وبعد هنيهة دخل القائدان الى ذلك المستشفى ودنا انور باشا من سرير احد المرضى فلمس الشرشف فوجده نظيفاً

ابيض ولم يغسل قبل ذلك فعلم انه لم يوضع على الاسرة سوى هذه المرة فالتفت الى الرئيس قائلًا كم عندكم من الشراشف فاجاب اربعون شرشفاً يامولاي فعجب القائد وادرك ان الشراشف وضعت لاول مرة استعداداً لزيارته فهز رأسه ووبخ الرئيس وخرج مغضباً .

وروى لي ايضاً الدكتور الموما اليه حادثة عيانية غريبة في بابها وهي انه بينما كان في مستشفى غزة بعد رجوع الجنود من الحملة المصرية سنه ٩١٥ رأى جريحاً دخلت الرصاصة في استه (بابها البدن) فاستغرب ذلك وتذاكر مع رصفائه الاطباء عن غرابة هذه المصادفة لانها مخالفة للفن الحربي ثم سألوا الجريح عن كيفية ذلك فاجابه مبتسما رغماً عن الالم المستحوذ عليه : ان في الامر نكتة ياسيادي وهي انه قد صففنا اثناء الاستعراض مثنى ورباعاً واوعز الينا ان نستلقي على بطوننا كي نرى العدو ونحتجب عن نظره وقد كان ورائي جندي لايستطيع رفع بندقيته لما اعتراه من الخوف والوهن ولجهله فن الرمي أخذ يطلق الرصاص على الارض غير مبال بمن كان امامه فاصابت رصاصته هذا المدخل وكأني به يفتح الترعه . فقهقه جماعة الاطباء ضحكاً ثم اخرجوا الرصاصة من مكانها ..

وقد روي لي الدكتور خبرا ينطبق على المثل العامي : ان قلت الامانات (اجعل مخزنك عبك) بينما كان الطبيب المذكور في مستشفى المزة في دمشق اتت احدى الممرضات وافادته أن مريضاً مصاباً بقبض شديد ولا يمكنه الافراز فوصف له مسهلًا فاخذه ولما لم يات بالفائدة امر الطبيب باستعمال الحقنة فعادت الممرضة واخبرته بان الانبوب

لم يدخل في المستقيم كالمعتاد فاجرى عندئذ الكشف الطبي وما اشد ما كان استغرابه لما رأى مجيدياً معترضاً في المجرى فظن ان هذا الجندي قد اعتبر بما حل في رفيقه في غزه فحصن باب الترعة ثم سأل المريض عن سبب وضعه المجيدى في هذا المحل فاجابه المريض : ان قلة امانة خدم المستشفى قد حملته على ذلك لان هؤلاء يسلبون كل ماكان في حوزة المرضى . وهذا ماحمله علي زيادة الاحتياط ولم يجد مخبأ امنع من هذا .

ابعد معاملة كهذه وامثالها اكثر من ان تحصر او تعد يعجب المرء لماذا كثر الفارون من خدمة الجيش التركي .

﴿ زيارة العلماء ﴾

ان من اكابر علماء دمشق حضرة العلامة محدث البلادالسوريه الشيخ محمد بدر الدين المشهور بعلومه وتقواه ولهذا العلامة منزلة رفيعة في قلوب السوريين عموماً والمسيحيين خصوصاً لماله من الايادي البيضاء في دفع الغائله عنهم وتسكين الثورات التي كانت الحكومة التركية تود ايقاعها بينهم .

وقد زاره احمد جمال باشا وطلب اليه ان يتحفه ببعض ارشاداته خطاً يريد بذلك الحصول علي شهادة تبرئ ساحته في المستقبل . وبما ان العاتي جمالا كان كبير النفس فلم يصرح ببغيته بل طلب الى سماحة الشيخ ان يتحفه خطاً ببعض نصائحه الغراء . فزعم هذا الفاضل ان القائد يطلب النصائح والدعوات فارسل اليه مع خطيب دار الحديث حضرة الاستاذ محمد يحيي افندي تحريرا فيه النصائح

والارشادات لقواد وامراء الجيوش كانور وجمال واترابهما وقدتكرم حضرة العلامة بارسال صورة تلك الكتابات لكي اثبتها في هذا التاريخ وهاهي بالحرف :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى الانبياء والمرسلين . اما بعد فاهدي حضرتكم جزيل السلام راجياً ممن برأ الانام ان يجعل لكم التوفيق اعظم رفيق وان يجعلكم حصناً لمنع الضلال ومنهلا للفضل والكمال وان ينفع بكم العباد بسلوك السداد فان الظفر والنصر واستقامة الامر باتباع الحق والعمل به بين الخلق . وان الظلم وارتكاب المحرمات السبب الاقوى لنقص الارزاق وحلول انواع البليات والمرجو دعاوكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .   محمد بدر الدين

عفا الله عنه

وصايا سيدي الشيخ بدر الدين لقواد وامراء

الجيوش العثمانية كانور جمال واترابهما

اوامر :

الامر برعاية الله تعالى كالمحافظة على الصلوات في الاوقات والادب مع النبي صلى الله عليه وسلم .

قتل خالد ابن الوليد رضي الله عنه رجلًا قال عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وامر الامام ابو يوسف بقتل رجل قال انه لايحب الدباء عندما سمع ان النبي (صلعم) كان يحب الدباء .*

النهي عن الاستيلاء عَلَى الوظائف الدينية لغير الاهل فان تولية غير الاهل تؤدي الى محو الدين وأخذ الاجانب بلاد المسلمين .

عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : لا تبكوا عَلَى الدين اذا وليه أهله ، ولكن ابكوا عليه اذا وليه غير أهله .

النهي عن الالتماس والشفاعة بغير الحق حتى تحفظ حقوق العباد ولا يدعو المظلوم .

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة المظلوم مستجابة وان كان فاجراً ففجوره عَلَى نفسه ، رواه الامام احمد .

عن ابي مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تظلموا فتدعوا فلا يستجاب لكم وتستسقوا فلا تسقوا وتستنصروا فلا تنصروا ، رواه الطبراني .

الامر برعاية المنتسبين للنبي (ص) عن ابي ذر أنه قال وهو آخذ بباب الكعبة قال : سمعت رسول الله (ص) يقول الا ان مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص) النجوم أمان لأهل السماء فاذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الارض ، فاذا ذهب اهل بيتي ذهب اهل الارض — رواهما الامام احمد .

الامر بالنهي عن إيذاء اهل الذمة : عن جابر رضي الله عنه : عن رسول الله (ص) انه قال : اذا ظلم اهل الذمة كانت الدولة دولة العدو رواه الطبراني ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله (ص) قال اذا غدر باهل الذمة ظهر العدو رواه الديلمي

عظة وارشاد

كان الناس في اول الحرب يسألون هل الحرب دينية ؟ وماهي الحرب الدينية؟ وكادت تحدث في الناس فتنة تجري بها دماء الابرياء انهاراً فبلغ ذلك الشيخ محمد يحيي المكتبي امام وخطيب دار الحديث فاخبر حضرة الاستاذ الكبير والامام الشهير الشيخ بدرالدين بما يتكلم به الناس بالاسواق وان المسيحيين في وجل واضطراب ، وقد لزم البعض منازلهم فلا يبارحونها خوفاً عَلَى حياتهم . فأخذ حضرة الشيخ بدرالدين بالمسجد الكبير في جامع بنى أمية يوصي باهل الذمة خيراً و يبين الاحكام الشرعية الآمرة باجتناب ضرر وايذاء الذميين ولو كانوا من رعايا الدول المعادية لانهم دخلوا البلاد وقت السلام فاصبحوا كالوطنيين ، وكان الشيخ محمد يحيي يخطب في المدرسة ويحث الناس عَلَى الاحسان الى الوطنيين وغيرهم ويكتب الى القرى التي يقطنها اسلام ومسيحيون يدعو الطرفين الى الاتفاق و يؤيد لهم ان به نمو الزراعة والتجارة والصناعة . وكان المذكور يتفقد محلات المسيحيين وكنائسهم في الليل والنهار ، و يذهب الى السجون لزيارة الموقفين بتهمة السياسة من مسلمين ومسيحيين .

ولما حضر جمال باشا الى الشام اخـذ حضرة الشيخ بدر الدين يوصيه بالشفقة والرحمة ويبين له بان الحرب الدينية هي دعوة أحد الانبياء يدعو امة للتدين باحد الاديان او بعض المذاهب وتلك هي الحرب الدينية ومع ذلك فان الله لا يريد ان تزهق الارواح وتدمر البلاد لغـير ما سبب لان سيدنا داود لما فرغ من الجهاد جاء الى القدس الشريف ليعمر هيكلاً للرب الا انه كان يجد كل يوم ما بناه بالامس مهـدوماً فعجب من ذلك وقال : يا ربّ اشيد لك معبداً وانت تهدمه ؟؟ فاجابه الرب يا داود لا اعبد في بيت شيده السفاحون الذين يخربون دور بعضهم ، فقال يا رب اليس جهاداً في سبيلك ؟ فقال ياداود أليسوا عبادي ؟

فاستنتج حضرة الشيخ من هذا وامثاله ان الله لا يريد ان يذبح الناس بعضهم بعضاً . واما الحرب الدينية فهي ان تدعى امـة وثنية الى عبادة الله فان أبتْ قوتلت قتالاً دينياً او ان يحكم ملك بالظلم والاعتساف فيدعى الى الصراط المستقيم ، وان أبي تضرم عليه حرب دينية . فالحرب الدينية انمـا كان مبداؤها رفع الجور والبغي .

ولما قام صاحب السيادة شريف مكة المكرمـة في وجه الحكومة التركية افتت هذه بوجوب مقاتلته وقد صادق الناس على هذه الفتوى مرغمين خوفاً من الشنق والابعاد ، ولمـا انتهى دور ختمها الى الشيخ المذكور امتنع وقال : ان حضرة الشريف حسين لم يقم طمعاً بمنصب او وظيفة وانما كان قيامه لنبذ الجور والاستمساك بعرى الشريعة فمتى بلغ ار به كف عن العدوان . الا ان الاغرار لم يزالوا يحاولون اقناعه بالوعد تارة والوعيد اخرى

حتى ان جمال الطاغية كلف نجل الاستاذ الشيخ تاج الدين افندي ان يقنع والده بختمها فأبى ·

ومن مآثره انه كان دائماً ينصح الحكام قائلاً ان لم تتمسكوا بالدين يتغلب من معكم عليكم ، واياكم والاصغاء للمفسدين فهم خراب الدنيا والآخرة واياكم وتفرق الكلمة ·

وقد اوحى الله الى سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام : ان أعز عبادي عليّ من اذا قدر عفا ·

وبوجيز المقال ان خطب الشيخ في الجامع الاموي كانت كلها مثال التساهل والالفة والتحابّ بين العناصر والاديان المختلفة ·

الفصل الخامس عشر

افعال الاقوال

عنوان لكتيب أصدرته المطبعة الكاثوليكية مترجماً عن الايطالية يحتوي على بعض مآثر الاب الاقدس والحبر الاعظم بنديكتوس الخامس عشر في تخفيف ويلات الحرب عن الاسرى والجرحى والايتام والايامى في كل بلاد الله غير ناظر الى مذهب او معتقد الامة التي يرمقها بعاطفته الابوية وذلك مثال التساهل الحي والشعور الشريف وقد تناقلت ذلك جرائد العالم بأسرها على اختلاف لغاتها وأثنت على غيرة قداسته وحميته فاستحق ان يدعى محسناً كبيراً الى البشرية واضاف صحيفة جديدة الى مآثر الكرسي الرسولي المدونة سابقاً في بطون التواريخ ·

وقد آثرنا نشر بعضها هنا وان لم تكن قد جرت في سوريا لما بينها وبين ما سبق من العلاقة المعنوية ولكي نبين ان رؤساء الاديان على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم لم ينظروا الى الحرب كأنها دينية الا بعض الزعانف الذين يطيب لهم ان يصيدوا في الماء العكر ·

وقد احتوى الكتيب على ثمانين فصلاً جاءت بها خلاصة اقتراحات قداسته في شأن تخفيف ويلات الحرب ، واليك أهم ماجاء بها ·

١ : المبادلة بالاسرى العاجزين عن الخدمة العسكرية ، وقد اجابته الشعوب المحاربة جميعها بالايجاب وهم يثنون اطيب الثناء على ما ارتآه الحبر الاعظم وشرع فيه من حميد المسعى ·

فمن شهر آذار سنة ٩١٥ الى شهر تشرين الثاني سنة ٩١٦ فقط جاز في سويسرا ٣٣٤٣ اسيراً المانياً و٨٨٦٨ افرنسياً عائدين الى اوطانهم ·

ثانياً : اخلاء سبيل معتقلين مدنيين ومبادلة بعضهم ، وقد نجم عن هذا المسعى انه عاد ثلاثة آلاف بلجيكي الى اوطانهم · وفي شهر واحد اجتاز من سكان المقاطعات الافرنسية المحتلة مهاجرين الى فرنسا عشرون الفاً ·

ثالثاً : مداواة الجرحى والمرضى من الاسرى في سويسرا وفي بلدان سواها حيث تتيسر لهم سهولة اسباب الشفاء من أدوية وخلافها ويظلون هناك ضيوفاً على نوع ما الى ان يبرأوا · وان سائر البلاد المتحايدة قد حذت حذو سويسرا ولكن تم ذلك بفضل تحريض البابا الفعال ·

رابعاً : بحث في سويسرا للاسرى الذين هم آباء اربعة بنين ، وقد

من" عليهم في الامر ثمانية عشر شهراً ، وقد طالت المداولة بهـذه الامور برهة غير وجيزة ولم تحقق الا في نيسان سنة ١٩١٧

خامساً : ارجاع الاسرى المعتقلين في النمسا والمصابين بالسل الرئوي من الايطاليين الى اوطانهم بلا بدل . فلبت النمسا بارتياح واختيار رغبة برضى الكرسي الرسولي .

سادساً : مساعي البابا للحصول عَلَى المكاتبة بين المتخلفين في الاراضي المحتلة ، وقد توفق الى ذلك وهدأت كثير من الافكار المضطربة .

سابعاً : مساعي الاب الاقدس في الحصول عَلَى بطالة ايام الاحاد والاعياد وما اتاه في سبيل المدنة ومدافن الحلفاء في الدردنيل ، وقد اجمعت كل الدول عَلَى تلبية الاقتراح البابوي في بطالة يوم الاحد . أما سعيه للحصول عَلَى مهادنة لدفن القتلى في ساحات القتال فلم تمكن تلبيته لاسباب عسكرية أما مسعى الاب الاقدس بشأن مدافن الحلفاء في الدردنيل فقد كانت نتيجته ان تلك القبور ستظل دائماً محفوظة مصونة محروسة بعناية دينية وعَلَى كل منها شارة الملة المنتسب اليها كل من الجنود القتلى الثاوية هناك رفاتهم . أما اقتراحه في وضع حد للطيارات في اعمالها العدائية فانه وان لم يكلل بالنجاح فلم يخلُ من كونه لطف اهوال الحرب الجوية وفظائعها وحال دون نزول كثير منها :

ثامناً : شيء من مساعي البابا غير المعدودة التي سعاها لخير افراد هي عفو عمن كان حكم عليهم بالاعدام او تبديل ذلك القضاء بأخف منه ونظراً لكثرة ذلك وشهرته نجتزئ بذكر بعضه عَلَى سبيل المثال :

في ١١ ايلول سنة ١٩١٥ توسط الاب الاقدس لدى امبراطور النمسا لكي يبدل القضاء بالاعدام باهون منه عَلَى الصحافي الروسي ديمتر بوس دي بتنشفتسكي المحكوم عليه بالاعدام لاجل خيانة فظيعة فعفا الامبراطور مراعاة لخاطر قداسته ·

تاسعاً وقد سعى البابا باسعاف الشعوب بالاسعافات المادية لا سيما البلجيك و بولونيا والجبل الاسود والبلاد الايطالية المستولى عليها وقد صرف عَلَى ذلك آلافاً من الفرنكات منها انه في ١٠ ك ١ سنة ١٩١٤ اسعف البلجيك بعشرة آلاف فرنك ثم بخمسة وعشرين الف فرنك وتبرع في ٣١ ك ٢ سنة ١٩١٥ بعشرة آلاف فرنك عَلَى اللجنة المشتركة بين الامم وقد امد اطفال البلجيك بتحريضه كاثوليك العالم اجمع لاسيما كاثوليك الولايات المتحدة باسعاف باهر وأمر السكان الاشد عوزاً في فرنسا والكسمبرج وبروسيا الشرقية والاسرى الالمانيين في روسيا بالاسعافات المالية · وأرسل المال الى اسرى الحرب و بالاخص الايطاليين منهم ·

عاشراً و بامر قداسته تحولت مدارس كثيرة اكليريكية في ايطاليا الى مستشفيات ·

حادي عشر وقد اشتهر قداسته ايضاً بالموآزرة الدينية للجيوش وإرسال الكهنة — عسكراً الى كل المعسكرات ليتسنى للجنود اتمام واجباتهم الدينية وقد اجرى في الاراضي المحتلة والمنكوبة اهتمامات تؤيد في صفحات التاريخ مع الثناء العاطر ·

ثاني عشر قد اهتم بانشاء ديوان في رومه للاعتناء بالاسرى وتعيين منصب في بادربرن وفي بيورغ وفينا للغرض نفسه وبما ان أهل الاسرى لم يمكنهم أن يعرفوا شيئاً عن أحوالهم توسلوا الى الاب الاقدس ان يتوسط لهم بمعرفة ذلك ، وقد أفاد كثيرين وهدأ روع عدد غفير من الناس بتوسطه لدى كل الدول بمعرفة ذلك .

وقد كان لديوان البحث عن الاسرى مراكز في كل انحاء المعمور يتعاطى معها الديوان .

وقد بلغ في آخر حزيران في ايطاليا مائة الف بلاغ ما أرسل الى العائلات من الاخبار عن أعزائهم الاسرى أو المتشتتين فاعظم به عدداً في ايطاليا وحدها وأُضف اليه أضعاف اضعافه في سائر الممالك .

ثالث عشر احتجاج البابا ضد الخرق المتواتر لحرمة الحق في الحرب الحاضرة كالقسوة في معاملة رجال السلم من الاكليروس وغيرهم وخرق حياد البلجيك والاحتجاج ضد رمي المدن والارجاء غير المحمية بالمواد المتفجرة .

وعمل كل شيء ضد الاجلاء من البلجيك ومن اراضي فرنسا المحتلة الى المانيا وضد مصادرة الاواني المعدنية المختصة بالطقوس الدينية ومصادرة الاجراس في بلجيكا والقرى الايطالية المحتلة فتدارك الامر وتلافى الخطر .

رابع عشر مآثر البابا في سبيل سلم عادل وطيد وقسطاس خطة قداسته في ثلاث : ملازمة العدل والمحبة والغيرة على السلم ، وقد حاول إرجاع السلم ثلاث مرات الاولى في ٨ ايلول سنة ١٩١٤ والثانية في ٨

تموز سنه ١٩١٥ والثالثة في الاول من آب سنه ٩١٧

اما القواعد الاساسية التي عرضها البابا للصلح العادل والوطيد فهي :

١ نزع السلاح وحل الجيوش .

٢ التحكيم .

٣ حرية البحار .

٤ التسامح .

٥ تعويض عادل

٦ تخلي الطرفين عن الاراضي المحتلة في الحاضر لاصحابها قبل الحرب

٧ اما المشاكل الاقطاعيــة (Territorial) فيجب ان تدرس بروح التوفيق

٨ حل بقية المشاكل وتنظيم عسائر المسائل الاقطاعية والسياسية طبق الاعتدال

وبعد مناداة البابا للصلح بستة اشهر نادى ملحاً لويــد جورج وويلسن الرئيس بشروط وقواعد للصلح هي بالنظر الى الجوهر تلك التي اذاعها مناديا بها وداعياً اليها الاب الاقدس .

الفصل السادس عشر

الضغط على الافكار

اكرهت المقامات الدينية على اعطاء شهادات تتضمن اطراء جمال ومدحه واستصواب الرؤساء الروحيين اعماله ومآتيه .

ان هذا العاتي لما عرف ان الالسن في اوربا اندفعت على الطعن به وتقبيح اعماله واظهار سيآته والجميع يلقون تبعة المجاعة في سوريا ولبنان عليه وانها حصلت انتقاماً من شعب ضعيف آمن — أادرك ان الامم ستحاكمه على مظالمه فعمد الى تبرئة نفسه وهو لم يرجع عن مبادئه الاستبداديه .

وقف يوماً على احدى الجرائد الافرنسية وبها خطاب الكونت سليم قريصاتي ينتقد سياسة جمال ويبين فيها مظالمه وتسبيبه المجاعات واهلاك العباد شنقاً ورمياً بالرصاص او القاء باعماق السجون وكل ذلك تشفياً من السوريين ومن يمكنه ان يصف مااعترى جمالاً من شدة الغيظ عندما تلا هذا الخطاب وقام للحال الى آلة التلفون واستدعى اليه بواسطة دائرة الشرطة القائمقام البطريركي لطائفة الروم الكاثوليك وهو سيادة ديمتريوس قاضي لان الكونت قريصاتي منسوب الى طائفته وهو من اهالي دمشق فحضر سيادة النائب الى المقر العمومي فوجد الطاغي تلوح على وجهه امارات الغيظ فطارحه صاحب الغبطة الكلام قائلاً : ماذا يامر دولة الباشا بطلبي ؟ فاجابه لقد استدعيتك على وجه السرعة لابين لك ان انتقامي لم يكمل بعد ضد طائفتك . قد قلت لك مراراً ان طائفتك تحب الافرنسيس ! وانها عدوة لدولة تركيا فتمنعت عن الاعتراف بذلك وحاولت الانكار فاذا كنت تريد اليوم برهاناً واضحاً لاسبيل بعده الى الانكار فدونك هذه الجريدة اقرأ ما كتبه ذلك المدعو سليم قريصاتي وكيف انه يهيج بخطبه الرأي العام في فرنسا علي وعلى سلوكي ! فلم يجب المطران ولم ينبس

ببنت شفة فان تايد ذم جمال باشا على مرأى ومسمع منه جريمة لا تغتفر ثم سأله جمال قل ياصاحب السيادة هل انا ظالم ؟ هل انا مفقر العباد ؟ قاتل البلاد ؟ فاجابه المطران انك تفعل مايوحيه اليك ضميرك ثم سأله جمال هل تتشكى من شيء فاجاب سيادته لابد ياصاحب الدولة من ملحوظات خمس اولها اني انتقد على دوائر العدلية انحيازها عن جادة العدل كما ان دائرتي الشرطة والدرك تاتيان بقبيح الاعمال مما يقارب التوحش ونحن في عصر التمدن والنور لاسيما وكلانا واقفان على حقائق التمدن العرفي فاسألك ان توعز الى هاتين الدائرتين ان تلطفا معاملتهما لان الخشونة التي ياتيها افرادهما قد تؤذي ربات الخدور وربما تفضي الى فقد حياتهن من تاثير الرعب . فقال الباشا احسنت انما يجب عليك ان تقدم لي تحريرا بذلك . ولم يتفاهم الاثنان عن مضمون ذلك التحرير وجمال يريد زيادة التصريح .قد ظن المطران ان عليه ابداء ملاحظات بطريقة خطيه .

ولما رجع الاسقف عمد الى كتابة التحرير المنوه عنه وفقاً لما دار بينه وبين القائد من الحديث ، كتبه بطريقة لطيفة جدا لئلا يكون الانتقاد قاسياً او جارحا ورفعه الى المقر العام . لما اطلع عليه جمال اندهش وضرب بالكتاب عرض الحائط وارسل الى الاسقف احد وجهاء البلدة من المسيحين يفهمه عن الغرض المقصود فأم ذاك الكريم دار البطريركية وطلب الى سيادته ان يخط تحريرا مضمونه مدح جمال واطراء اعماله والثناء على معاملته الشعب السوري وخصوصاً المسيحيين فرفض سيادته الطلب حالا قائلًا ان هذه المعاملة تعد تزويراً فلست اريد

ان يسمني التاريخ بوصمة العار هذه . أأرى المظالم تتمثل مأساتها على مسارح البلاد وانعته عليها بالعادل وانها يعود عليه بالثناء؟! أأشاهد الفواجع والخطوب تسحق الانسانية وكل ذلك بامره ثم ارنم له نشيد الاطراء الابن يلعن امه لجناية ارتكبتها بولادته والاطفال والمساكين يزاحمون الكلاب على التقاط فضلات الطعام والعظام المرمية في الشوارع فكيف يريد بعد ذلك ان اثني عليه . دعني ايها الحبيب ابكِ مصائب الدهر . ان فؤادي ينفطر عندما اشاهده في داره بين الانوار والجواري وابناء جلدتي يتسكعون في دياجر الفقر ويعلقون على المشانق . دعني ودع فؤادي المجروح ولا تردني آلاما فعاد ذلك الرسول وهو لايدرى كيف يجمع بين اغراض جمال السافلة ونبالة سيادته وهما على طرفي نقيض

وهـذا بالتواضع في الـثريا

وذلك بالتكبر في الحضيض

لكنه لم يلبث ان عاد بعد يومين وبيده كتاب خطه جمال كما اراد وطلب اليه ان يوقع فيه امضاءه واعلمه ان الرفض مجلبة للوبال عليه وعلى طائفته فنزلت من عينه الكريمة دمعة المظلوم المكره وذيل امضاءه قائلاً لولا ان امتناعي يجر الوبال على طائفتي لما فعلت ولو آل الامر الى فقد حياتي .

ولقد طلب جمال مثل ذلك الى جميع رؤساء الطوائف المسيحية ظناً منه ان هذه الشهادات تدر عنه الشبهات وتبرئه مما جنت يداه وتبيض في صفحات التاريخ افعاله السوداء .

﴿ الغث والسمين ﴾

ان التاريخ ينقل الامور على علاتها وتحت هذا العنوان نسطر للقراء ماعثرنا عليه تاركين الحكم به لكل ذي بصيرة ولا نريد التحامل بل اظهار تباين الاراء

واليك صورة البلاغ المرسل من الشيخ احمد السنوسي كما طبع ونشر وتوزع .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين . اما بعد اعلموا اخواني من خير البرية وابناء الملة الحنيفية فانني احذركم من تلك الدسائس الاجنبية والوساوس الشيطانية المموهة بالنصائح وهي بين يد الله فضائح فانتبهوا لانفسكم وانظروا ما يراد بكم والى اي طريق يسوقونكم يقولون انهم يسعون في صالحكم والله يعلم انهم لكاذبون يرضونكم بافواههم وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون بل مايريدون الا ان يشقوا عصاكم ويفرقوا جمعكم وكلمتكم في وقت انتم في حاجة ماسة الى الاتحاد والتعاون والتضامن لتكونوا يداً واحدة ضد عدوكم وعدو دينكم حتى تستردوا مجدكم القديم وحريتكم الكاملة وهذه فرصة الحرب القائمة التي قل ان يجود الدهر بمثلها والتي عبأت فيها الدولة العلية دولة الاسلام جميع مواردها وقذفت في اتونها بكل مالديها وما ملكت يدها لرفع شأن المسلمين وحفظ كيانهم فواجب على المتدينين بهذا الدين في مشارق الارض ومغاربها ان يشدوا ازر ذويهم ويأخذوا بناصرها ويضحوا الغالي والنفيس في تعزيزها حتى تخرج من هذه الحروب الطاحنة ظافرة

مؤيدة رافعة علم هذه الامة فوق الهامات والاعناق ولا تلتفتوا بقول من يقول ان الانكليز وحلفاءهم يريدون عز العرب وشرفهم . ان افريقية كلها عرب فدعوهم يخرجون منها ومن العراق ان كانوا صادقين ويعطوهم حريتهم واستقلالهم فان القول بالعمل لا بالكذب والآمال وانني اقول لكم ناشدتكم اي عمل عملوه في صلاح الاسلام واي البلاد ملكوها واستراح اهلها معهم والحق الذي ترونه هل الانكليز وحلفاؤهم الفرنسيس والروس والطليان هم الذين يعملون لصالح المسلمين

كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولوا الا كذباً والا فمن الذي سام المسلمين الخسف واوطأهم بالعنف ومنع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها خوفاً غير الفرنسيس ومن الذي كان العدو الالد في التاريخ لدولة الاسلام والمسلمين ورشقها بكل سهم في كنانته وعمل الليل والنهار ليكيد لها ودس الدسائس ضدها غير دولة الروس ومن التي خطب وزراؤها وجاهروا والعالم يشهد في عصر الحرية والمدنية الذي يزعمونه وسب دين محمد صلى الله عليه وسلم واشار بمحو القرآن واستحالة ترقية المتدينين به الا وزراء الانكليز وساستهم واين كانت هذه الدول التي تغار اليوم على العرب يوم هاجمت دولة القرمان (ايطاليا) البلد الآمنة المطمئنة الاسلامية لغير مسوغ ولا حق غير التعصب الاعمى والقوة الغشوم فردها الله خائبة بعد ان البسها خزياً بيدها نتيجته قال تعالى : فأتيهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم

في الاخرة عذا اليم وماهذا الحال الا من نواياهذه الدول نحو الاسلام وهل بعد هذا تحتاجون لاقامة الدليل وتوضيح البرهان وقرع الحجة كلا فمن يتحكم في بلاد المسلمين غيرهم ومن المتسيطر على رقابهم سواهم وهل مايكابده المحكومون بهم من بأس وشقاء وذل وعناء وجهد وبلاء يجهله احد . ان اعداءنا ولعداء ديننا ودولتنا الذين يريدون استعبادنا والقضاء علينا هم هوءلاء الذين آذونا وافسدوا علينا ديننا ودنيانا هم اولئك الدول الظالمة الغا ـمة فحذار معشر المسلمين حذار من كيدهم ومكرهم فلا يغرنكم منهم حلاوة اللسان ولين الجانب واظهار العطف مما حملهم عليهم الا ماهم فيه من هذه الحرب الضروس التي اكات منهم الاخضر والهشيم وحطمت الغارب والسنام ولم تبق عندهم ولم تذر فهل من مذكر فالتضامن التضامن والتآزر التازر ولا تودون من حاد الله ورسوله وهم الذين اخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ولا تصغوا الى زخرف قولهم انما يبغون بكم الفتنة وفيكم سامعون لهم فاعتبروا يااولي الابصار وكونوا يدا واحدة مع هذه الدولة التي حفظت كيان هذه الامة مدة اربعمائةسنة منذصارت الخلافـة اليها وهي التي تذب بحولها وطولها عن الاسلام والمسلمين وكانت الصخرة الصماء والعقبة الكأداء والحصن المانع والسيف القاطع امام اولئك الذين يبغون للاسلام سوءً ولولاها لمحي هـذا الدين بدسائس المسيحيين ولكن يد الله فوق ايديهم وقد اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ماحصل وعلى ماسيحصل فقوموا على قدر السداد وذبوا عن دولتكم وعن قناة هذا الدين لأحياء شريعة سيـد

المرسلين صلى الله عليه وسلم يسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم اينما كانوا حتى اذا خرجت الدولة ظافرة ان شاء الله وهو المحقق بحول الله وقوته فلبوها باصلاح الذي تريدونه عندها تجدوا من المسلمين في مشارق الارض ومغاربها تعضيدا وتاييدا لكم ان كنتم محقين فيما طلبتم وكاني ببعضكم انقاد للدسائس الاجنبية واغتروا بوعودها ولكن ها انا اقول لكم برهنوا عما تقولون بطلبكم من الانكليز الجلاء عن مصر والايطاليان عن طرابلس والفرنسيس عن تونس والجزائر ومراكش وعند ذلك يسمع كلامهم يكتفى بالقول منكم وينفع التعليم وتذل لكم الاعناق والا فالقول بلا عمل مردود وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون وان الله لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدي كيد الخائنين والسلام على من اتبع الهدى ـ ١٥ جمادى الاخر سنه ١٣٣٦ .

نائب الخليفة الاعظم

مملوك استاذه

احمد الشريف سنوسي

وقد نشر الكاتب الشهير مبعوث حوران الامير شكيب ارسلان في جريدة سوريا الرسمية كتابا مفتوحاً الى حضرة الشريف علي نجل حضرة الشريف حسين جلالة ملك الحجاز فاخذناه بالحرف :

الامير النبيل سليل العترة الفاطمية وطراز العصابة الهاشمية اطال الله بقاءه وسدد الى الصواب اراءه آمين .

لايخفى ان من الاحاديث المأثورة المشهورة عن جدك سيد الثقلين صلى الله عليه وسلم لايلدغ المؤمن من جحر مرتين .

فاذا كان الامر كذلك أيها الامير ويطابق عَلَى صحته العقل وتظاهر بداهته الحديث — فما قولك بالمؤمن يلدغ الف مرة ، وما ظنك بالمؤمن ابن المؤمن والشريف ابن الشريف سلالة ولي نعمة الايمان ومشرق نور الاسلام وامير بلد الله الحرام ان يلدغ من جحر قد سبق انه لدغ غيره من المؤمنين من مرة ولا مرتين بل مراراً يضيع عندها الحساب ولا يستوفيها كتاب . أيها الامير عندنا في بر الشام مثل سائر : ألم تمت ؟ ألم تر من مات؟ فعلى فرض أيها الامير ان الانكليز لم يخونوك الى الآن أفلا تنظر الى من خانوا قبلك ، وعَلَى تقدير انه لم يأت وقتك أفلا اعتبرت بمن امهلوا من قبلك ثم أخذوه ؟ .

واذا كانوا لم يعترضوك الى اليوم في داخل أمارة مكة أو في سواحل الحجاز فيمكنك ان تريح فكرك منها منذ الآن . ولا حاولوا إدخال عسكرهم الى البلد الحرام ولا وضعوا ضباطهم عَلَى أبواب حجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام تفادياً من العجلة التي قد تخالف الحكمة وتجر الوحشة عَلَى حين لم يسترح بالهم ولا تحققت آمالهم ، أفليس عندك انت بمكانك من الذكاء والفضل ومطالعة التواريخ وقياس الحاضر عَلَى الماضي وقوة الاستنتاج ما يدلك عَلَى انك بعد ركود العواصف ومضي الازمة وانقضاء الغرض من مراعاتك ومداراتك صائر الى ما صار اليه غيرك ولاحق بمن تقدمك من ملوك الاسلام الذين وقعوا في حبائل الانكليز طوعاً او كرهاً فما زالوا حتى عفوا اثارهم وأطفأوا منارهم وجعلوهم في الغابرين .

أتظن أيها الامير ان الانكليز يغدرون بكل هؤلاء الملوك والممالك

ويستثنونك أنت من دون الجميع فيتعلمون فيك الوفاء و يخرقون من أجلك خطة الغدر التي ساروا عليها الى يومنا هذا مع كل من ظللته الخضراء وأقلته الغبراء حال كون غرضهم في محو امارتك وأخذ بلدك أعظم من غرضهم في أخذ غيرك .

وحال كون مصلحتهم في طي سجلك أهم من مصلحتهم في حذف أي امارة من امارات الاسلام لانهم يرون انهم ان استولوا على الحرمين الشريفين فقد استولوا على الرأس فصارت في أيديهم ارواح المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وعاد المسلمون لا يملكون معهم عيناً تطرف ولا نفساً يصعد وأمنوا جانب انتقاضهم عليها في مستقبل الايام وكل فتوحاتهم لا يحسبونها بالقياس الى نشر اجنحتهم على الحجاز وعلى البلد الامين والعياذ بالله من جملة مستعمرات بريطانيا العظمى . أم غرك كون الانكليز عقدوا معك عهداً ! قل لي بحرمة جدك أيها الشريف ابن الشريف : كم عقداً عقده الانكليز ولم ينقضوه ، وكم عهداً ابرموه ثم لم يجعلوه انكاثاً ، وما اخالك تجهل التاريخ وتكابر في المتواتر من شأنهم في الاخلال بالعهود والمواثيق الى الحد الذي تنكر فيه هذه الحقيقة التي تتجلى في جميع معاملاتهم سواء مع المسلمين أو مع سائر الامم . ناشدتك الله ايها الامير هل أنت مصدق في ذات صدرك ودخيلة نفسك ان للانكليز عهداً يرعونه معك او مع غيرك ؟ أو ذماماً يحفظونه لك أو لسواك اذا قضت سياستهم بعكسه أفلم تكن تقرأ ؟؟ أو لم يخبرك ابوك الامير الكبير انه قرأ اعلانات حكومتهم الصريحة الرسمية مراراً بانهم يخلون مصر عند ما

يستتب فيها الامن و يعيدونها الى أهلها فماذا كان بعد ذلك سوى انهم لبثوا يلتهمونها تدريجاً حتى انتهوا باستلحاقها بدون ادنى مبالاة بعهود خطية ولا بمواعيد رسمية وضموها الى سائر مستعمراتهم . وان احترموا ادنى مقاومة لافكارهم في [illegible]

كالشبح الماثل و يجعلونهـا ولاية كسائر الولايات ولا نطيل عليك بسرد ماصنعوه في الهند وزنجبار وجنوبي اليمن ومسقط والبحرين والكويت والعجم و بلوجستان وغيرها وكل مبادئهم مع هذه البلاد لم تكن الا كمبادئهم معك فكان من البديهي ان ينتهي معك الامر كما انتهى مع غيرك ، والى كم ايها الامير تمر بنا المثلات ولا نعتبر وتعظنا الحوادث ولا نذكر ونكون اشبه بالغنم يأخذها الجزار للذبح واحداً بعد واحد وهي لا تعقل مايصنع بها حتى يصير السكين في اعناقها ·

فاذا كان من المقرر عند اهل الشرق والغرب ان الانكليز ينكثون عهودهم لما هو اقل شأناً من الحجاز وتلك البقاع المقدسة التي تهوى افئدة المسلمين من كل حدب اليها · فهل هناك في يدك من قوة مادية تمنعهم من دخول قلب بلادك و يكونون مضطرين ان يحترموك من اجلها او تردعهم فيما لو قضت عليهم سياستهم عن سلب امارتك لا بل والايقاع بك واستئصال جرثومتك لاجرم انك تقدر ان تدعي بوجود بعض عشائر من العرب توفر القوة التي تكفل دفع انكلترا بجيوشها الجرارة المنظمة عن مكة والمدينة ولا احد من الخلق يرتاح الى هذه الدعوى فانت اذاً باتفاق كلمة جميع العقلاء وأهلك وقومك باقون تحت رحمة انكلترا ورهن ارادتها وقيد اشارتها

موكول امركم الى امانتها وكرم اخلاقها !

لا قوة معنوية تتكلون عليها من حفظ العهود وتأكيد الوعود بعدما رأينا سياسة انكلترا مع غيرك ولا قوة مادية من جيوش منظمة ومدافع وذخائر واعتاد وطيارات وبوارج وغواصات وما اشبه ذلك مما تلتزم انكلترا معه جانب الادب والكياسة فبماذا انت آمن شر تلك الدولة التي علَى جزيرة العرب ولا سيما علَى الحجاز منذ احقاب ، وأي ضمانة عندك على كونها لا تقلب لك ظهر المجن فتندم حين لا ينفعك الندم وبعد ان يكون تسلط غير المسلمين علَى اقدس تراب عند المسلمين منذ ثلاثة عشر قرناً ٠

ليس من بابوية في الاسلام ايها الامير ولا مزية علَى مسلم لمسلم الا بالتقوى واقرب الناس الى الرسول اطوعهم لوصاياه وانت لا تجهل ما في كلام الله واحاديث جدك المصطفى صلى الله عليه وسلم مما يثبت لك ان مزيتك هذه المتعلقة بسلالة الرسالة وبنوة النبوة انما تبدأ عند حفظ حدود الله لا غير ٠

أَم تظن ان الغاية تبرر الواسطة كما يقولون وانك انما تريد لتضع اساس دولة عربية تبدأ في اول امرها بالنشوء تحت حماية انكلترا حتى اذا بلغت اشدها استقلت تماماً وان تلك هي سنة النشوء والارتقاء ٠ فاعلم ايها الامير ان الذين يزينون لك هذه الاوهام هم قوم قد عرفناهم ونعرفهم لاخلاق لهم ابتلى الله بهم هذه الامة كما ابتلى كل الامم بامثالهم وماهم في واقع الحال سوى سماسرة للانكليز يسعون ان يتمموا لانكلترا صفقة البلاد العربية واسماؤهم مقيدة في دفتر المبالغ السرية التي تنقدها انكلترا سماسرتها السياسيين كلاً

عَلَى قدر خدمته يدخل هؤلاء عليك وعَلَى غيرك بمثل هذه الاعاليل التي هي اسخف من ان يتنزل عاقل مثلك لاستماعها فضلاً عن تلقيها بالقبول

هل الانكليز الذين حلموا في المنام بطائر حلق فوق الهند هبوا مذعورين وأرسلوا ببزاة طياراتهم لاصطياده في لوح الجو يرضون ان هذا العرق العربي النجيب الذي سبق له ما سبق في التاريخ العام يتمكن من تأسيس دولة عربية مستقلة عَلَى ضفاف البحر الاحمر دهليز الهند تسد عَلَى الانكليز طريق حياتهم ومجري نفسهم أي وقت شاءت ايحسب اولئك المخدوعون بالانكليز انهم صاروا ادهى من رجال انكلترا وأعلى كعباً في السياسة وأبعد نظراً في عواقب الامور حتى انتبهوا الى ما غفلت هي عنه وفكروا في مستقبل الامة العربية ولم تفكر هي في مستقبل الامة الانكليزية ·

ام هذه الامة العظيمة الانكليزية التي هي أربعون مليوناً خامر عقولها الجنون فصارت تسعى بارادتها في تأسيس استقلال للعرب عَلَى طريق الهند او في مقابلة مصر والسودان وتبحث عن حتفها بظلفها ·

قل لهؤلاء القائمين بالدعوة العربية الناهضين لحفظ حقوقها واخذ ثاراتها ماذا الى اليوم أمنوا من حقوق العرب بقيامهم ؟!

ليقولوا لنا ماذا أقاموا للعرب من الملك حتى نشكرهم ونقر بفضلهم لاننا عرب نحب كل من أحب العرب ونبغض من أبغض العرب · ولا نبالي بالقال والقيل امام الحقائق ·

أترانا اكتفينا بان يتلقبوا بالقاب الحكام ذوي السلطان فهل الملك بالالقاب والالفاظ الضخمة ؟ وليتلقب واحدهم بملك الملوك او سلطان

السلاطين وهو ذو قوة نعرفها كما هي — فماذا يؤثر على الامة الاسلامية او يفيدها بذلك ؟

ان قلت انك مستقل بالحجاز وانها اول بلاد عربية استقلت — أجبناك ان الحجاز وحده لا يمكن ان يستقل عن انكلترا طرفة عين ما دام الحجاز عيالاً على الخارج وعلى ما وراء البحر ، وما ليس هناك استقلال اقتصادي ممكن وان قلت انه يقدر ان يستغني عن البحر وان يعيش من الداخل فأي داخل دخل عليك لهذه المملكة الجديدة ؟؟

قد استولى الانكليز على العراق العربي فهل سلموكم شبراً واحداً من ارض العراق ؟

قد دخلوا فلسطين منذ ستة أشهر فهل قالوا هوذا فلسطين لكم ايها العرب ارسلوا من يدبرها ؟ بل كان قصارى امرهم بمجرد دخولهم القدس ان صرحوا على لسان المستر بلفور في مجلس البرلمان بانهم سيتركون فلسطين لليهود . ثم ان هؤلاء باشروا منذ مدة بتهيئة معدات دولية مستقلة فلسطينية يهودية تبدأ من رفح جنوباً وتنتهي بصيدا وجبل لبنان شمالاً وهذه هي بعثات اليهود متقاطرة الى يافا والقدس . أفهذه باكورة مساعدات اصحابكم الانكليز للامة العربية ؟ أفسحر هذا ام انتم لا تبصرون ؟؟

طرد نحو مليوني عربي من ديارهم وتشريدهم في الاقطار وحملهم على مثل ما حمل عليه آباء اليهود في سبي بابل .

هذا ما وعد به الانكليز اليهود صريحاً وامتلأت به صحف اوربا وانتم تبذلون دماء العرب في المظاهرة لمن يريدون هذا الشر المستطير

بالعرب فوا اسفاه.

هل كانت تهنئتكم انتم يا أمراء مكة ومعدن الاسلام للقائد الانكليزي الذي دخل القدس وازال منها ملك الاسلام نحو سبعة قرون لاجل كون الانكليز يريدون تسليم نصف سوريا لليهود وطرد العرب منها او إبقائهم خولاً تحت حكم اليهود المطرودين من جميع اقطار الارض! انا لله وانا اليه راجعون!

أبعدت الدولة العلية نحو الفين او ثلاثة آلاف نسمة من اهل سوريا الى الاناضول وكانت طول مدة اقامتهم تنفق عليهم مائة وخمسين الف ليرة كل شهر وقامت قيامتهم وقيامتكم وقيامتنا جميعاً وملأنا الدنيا عتباً واحتجاجاً ولكن ما قولك ايها الشريف علي! وما قولك يا اباه القائم لاجل العرب، وما قولك ايتها الامة العربية في مليوني نسمة من ابناء قحطان وعدنان يحملون على ترك القدس ويافا وغزة والرملة واريحا والسلط والكرك والشوبك والغور وطبريه ونابلس وحيفا والناصرة وعكا وصفد وصور الى صيدا وحدود جبل لبنان وذلك لأجل ان يسكن محلهم السكناج الطائرون على بلادنا من جميع اقطار الارض.

أيكون هذا العمل مقبولاً لكونه صادراً من الانكليز!

فبالامس كانت الدولة العثمانية تمنع تملك اليهود في فلسطين لأجل ان تبقى البلاد عربية — أترضى لنفسك وانت ابن رسول الله وسنام العرب ان تكون حليفاً لمن يضمرون في حق الامة العربية مثل هذه النية الخبيثة لا بل لمن يعلنونها في مجلسهم النيابي وتطبل وتزمر بها جرائدهم الكبرى.

ثم انت هذا لا تكتفي بان تهادن الانكليز او توادعهم او تصانوهم حتى تأتي بنفسك انت وبعض الاعراب وتبايعوا العرض الزائل على جواهر البلدان والخطط الزهراء التي اشتراها آباؤنا وآبائنا جميعاً بمهج اكبادهم وأقاموا لها اسواراً من جثث اجسادهم وفتحوا في الحروب الصليبية عوداً على بدء تأتي انت ويأتي اخوانك في مقدمتهم ويا للاسف راضين بهذا الفعل الذي يخجل امثالكم عنه وتهاجمون بهؤلاء الاعراب الذين يخربون بيوتهم بايديهم ولا يعلمون ما وراء الاكمة العساكر من الاسلامية والسكة الحجازية وتسفكون دماء المسلمين بايدي المسلمين بل ودماء العرب بايدي العرب وذلك لاجل ان يستولي اليهود على اوطان العرب ولاجل ان تبرر سوريا والعراق لانكلترة تلك الغاية التي لو افلحت لم يصبكم منها سوى الخسارة والندامة واذا فشلت كان الخسار اكبر والمصاب ادهى وأمر.

تقدمون سوريا لتحفروا قبور العرب بايدي العرب وتعاونوا العدو على طرد العرب من ديارهم التي سكنوها منذ ثلاثة عشر قرناً وانتم ترون انكم عاملون على جمع شمل الامة العربية ! لعمري ان كان هذا ذهولاً لقد آن ان نعرف الحقيقة وان كان لاجل الحطام فاعلموا اننا لسنا ممن يبيع وطنه بالمال وان قلتم انكم لم تريدوا الدخول في حرب الانكليز مع كونه هو وارث ممالك الاسلام والمستعبد لمائة وعشرين مليون نسمة منهم كان عليكم بالاقل ان تختاروا العزلة وتلقوا حبلها على غاربها فاما أن تجاهدوا وتجوبوا الفيافي وتتدرعوا الليالي وتثيروا حياً على حي وقبيلة على قبيلة كانكم ساعون لانفسكم وموقنون ان مرد هذا الامر اليكم !! فمن من

الناس يسلم ان الانكليز ان استولوا لاقدر الله على الشام وذلك لا يكون الا ببذل مئات الالوف من الاموال والرجال يتركونها لكم ويطبخون هم حتى تاكلوا انتم . او ان اهل سوريا وهم طوائف شتى وكل طائفة منها تطاول العنان وتري نفسها فوق الاقران يرضون ان يكونوا تابعين لاي كان ؟

ثم ما كفى هذا كله حتى ارسلتم مشايخ الدروز اولا وثانيا في الاعتصاب معكم املاً بتحريك هذا الجبل وجعله وسيلة لمقاصدكم ومقاصد الانكليز في سوريا ولما لم يجيبوكم الى دعاكم جئت ايها الامير علي الى الازرق على مسافة يوم من جنوبي الجبل تغري بعض جهلائهم بالمال وتحاول زرع التفرقة فيما بينهم اغريت اعراب البوادي وقسمت بعضهم على بعض فخاطبك رؤساء الدروز وصناديدهم واخشنوا لك الخطاب مع سمو اصلك وتقديس بني معروف خاصة لابناء فاطمة الزهراء ولا ينفع قول من يقول ان هؤلاء الدروز ليسوا من أهل السنة فاعلموا ياقوم ان السنة هي بالافعال لا بالاقوال وان الدين ليس ملكا لاحد وان هؤلاء آل معروف الذين طالما طعن فيهم الطاعنون لدى الدولة العلية اظهروا انهم اشد اخلاصاً من الطاعنين للدولة واعظم حمية على الوطن واهله منهم .

ولو سألت الانكليز الذين حالفتهم لاخبروك انهم طالما سعوا في استجلاب اهل معروف لانفسهم سواء في جبل لبنان او في جبل حوران وذلك منذ سبعين سنه . ولكنهم افهموهم ان احبوهم فعلى الفرنساوي وغيره من الافرنج فاما على الدولة الاسلامية فلا . ولقد صدقوا القول

بالفعل ومن جملة الشواهد كتابهم اليك والي صديقك السيد البكري ومنهما تفهم انهم آذنوكم بالخصام وان المهوادة بينهم وبينكم الا اذا رجعتم الي الدولة العثمانية واعدتم المياه الى مجاريها وان كان ذ الداك الجليل حريصاً على خدمة الاسلام والمسلمين فليدع التحرش بسوريا وبخط حديد المدينة و ليتركنا والانكليز ولا يلوث اسمه الشريف بمعرة مناصرتهم لانه ان لم يفعل وتم الامر للانكليز اوشك ان يعود ولياً من ولاة الانكليز في مستعمراتهم وان يفقد حكمه حتى على العربان الذين هم الان عصبته وجنرده لانه لما كان هو‌ٴلاء الجهلة قد عرفوا طريق الانكليز ومدوا ايديهم الى دنانيرهم فصار الانكليز قادرين ان يستجلبوهم بهذه الواسطة على من شاوءوا وفي اي وقت شاوءوا

واما اذا كنت مصراً على ممالأة الاجنبي الزاحف الى بلادنا والطامع الى استعبادنا كما استعبد غيرنا من قبلنا وكما اعلن استلحاقه لمصر وفتوحه للقدس فهنأته بالتلغراف المنشور في جرائد اوربا الذي صورته محفوظة عندنا فاعلم ايها الامير ان الدولة العثمانية وحلفاءها ماداموا في الدنيا لا يتركون سوريا للانكليز وانه يجوز ان تصطلح الدول على كل شيء وتضع الحروب اوزارها وتعاد السيوف الى اغمادها الا على قضية اعطاء سوريا لانكلترا وانما نحن السوريين لا نرضى ان ياخذ بلادنا اجنبي ولا انكليزي ولا ان يستعمرها اجنبي ولا يهودي ولا ان يتولاها عربي تحت سيطرة اوروبي وفي هذا كفاية لقوم يعقلون .

مبعوث حوران

شكيب ارسلان

﴿ انتحال التخلص من المسوءولية ﴾
وتمويه لجمال باشا

قرأت في جريدة التقدم الحلبية النبذة الاتية فرأيت ان اضيفها الى هذا البحث لما لها فيه من الارتباط :

نشر جمال باشا ناظر البحرية العثمانية السابق والقائد العام للقوات التركية في سورية وقائد الحملة المصرية وفاتح لبنان وترعة السويس مقالاً طويلًا في جريدة (فرنكفورت زيتنغ) الالمانية يكذب فيها كل مايقال بين مواطنيه من الطعن على وزارة طلعت وجمعية الاتحاد والترقي وقد اظهر في مقاله ان القوم في جهل مطبق بحملاتهم العنيفة على الجمعية (المقدسة) وانهم ينسبون اليها مظالم وفظائع لاترجع مسوءوليتها على الجمعية

والى القراء بعضاً من هذا الدفاع الجمالي المنشور في جريدة معروفة بانها اول من مهد سبيل الغواية والغرور للحكم الماضي ومن اكبر المدافعين عنه اليوم قال :

ان دخول تركيا في الحرب ليس بجريمة كما يحسبها الناس لاننا تيقنا وتأكدنا اننا في حين نصرنا نخلص البلاد من اعدائها الالداء ومن مشاغبهم وعراقيلهم فتتجرد البلاد للسير في حلبة الرقي والمدنية وهذه غاية نبيلة ومقصد شريف لاتلام عليه ولا يجب ان يحسبوه جريمة (واين النصر ؟؟)

ثم افاض طويلًا عن المذابح الارمنية متنصلا من كل تبعة قال : ان المحاكم التي تشجبنا وتعد اللوائح ضدنا وتتدبر المستندات التي ترغمها

رسمية ثابتة ليست على هدى من امرها وانما تجمع بعض اوراق متساقطة لاقيمة لها وتضرب بها وجه كل منتم الى حزب تركيا الفتاة على السواء وبمثل هذا تريد ويريد الرأي العام ان يسود صحيفة حزبنا واني على اعتقاد تام — كذا رفيقاي طلعت وانور — من انه متى فتح سجل تلك الاوراق والمستندات وقرىء على رؤوس الملأ يظهر للعيان بكل وضوح وجلاء اني ورفيقي لم نشترك شخصياً بالمظالم والفظائع الارمنية (يريد انهم لم يقتلوا بايديهم)واننا لم نفكر باقتراف تلك الجرائم وتبرهن هذه الاوراق ان اعداء جمعية الاتحاد والترقي (المحترمة)ينمون عليها نميمة شائنة بغية حلها وملاشاتها

ولا اراني مضطراً لتعداد ما قمت به من الاحسان والجميل نحو المهاجرين الارمن ابان مرورهم في المنطقة التي كانت تحت امرتي ومعلوم لدى الخاص والعام اللطف وحسن المعاملة اللذان كنت اقابل بهما النساء الارمنيات والاولاد الذين ابعدوا الى سورية ورموا فيها عرضة للطوارىء والاخطار المادية والادبية (عافاه الله وربما كانت عنايته هذه متوجهة خصيصاً نحو سيادة المرخص الارمني ساحاق . كليكيا)أوليس هو الذي امر احمد الجركسي وخليل ان يذبحا في ديار بكر زهراب افندي وورتكاس افندي المبعوثين الارمنيين) .

ولم يذكر جمال في دفاعه شيئاً عن اعماله في سورية كأن ضميره لا يبكته بشيء او لان ذلك الرعب والهول وتلك الفظائع لاعلاقة لها بالمذابح الارمنية وهو انما يريد الدفاع عن هذه النقطة التي يود التنصل منها وما سكوته عن (حسن ادارته و (جمال) اعماله في سوريا و العرب

الا اقرار بانه لا ينكر مايعزى اليه من المظالم وهمه ان يبرهن انه عامل نساء الارمن بالحسنى

ونحن لانستغرب اقدام هذا السفاح على مثل هـذا الدفاع فان جمود الضمير وموت الوجدان ينشأ منهما الغريب العجيب .

الفصل السابع عشر

﴿ لمحة مؤرخ ﴾

حالة دمشق في الازمنة الغابرة وما صارت اليه بعد الشنق والدمار

ايها الدمشقيون الكرام :

عهدنا مدينتكم دمشق الفيحاء اقدم مدن سوريا بل اكبرها سعة وعدد سكان واوفرها خصبا واجودها تربة واطيبها هواء واعذبها ماء وبالتالي ابعد صيتاً وغوطتها الغناء التي تحدق بها احداق الهالة بالقمر هي احد متنزهات الدنيا الاربع افلم ينتسب الى مدينتكم هذا العازر الدمشقي قيم بيت ابراهيم الخليل اذ لم تكن عاصمة مملكة الاراميين ولا سيما في عهد الملكين النبيين داود وسليمان الحكيم اما كانت محطاً للانبياء والعظماء في ذلك الوقت او لم تتغلب عليها الامم القديمة التي تملكت سوريا من اراميين واسرائيليين واشوريين وبابليين ومادين وفارسيين ومصريين ويونانيين ورومانيين وعرب وعثمانيين وهي المدينة التي بشر فيها حنانيا الرسول واهتدى بها بولس في صدر المسيحية واتخذها اليونانيون لرصد الكواكب واقاموا مرصدا على

جبلها قاسيون اي جبل الصالحية الان ثم جدده العباسيون ولا تزال آثاره ماثلة الى يومنا هذا ناطقة بعظمتها القديمة ومجدها الجليل ..

افلم تسمُ في صدر الاسلام حصن الشام وبيت ملكهم وباب كعبتهم وقد إتخذها معاوية بن ابي سفيان مؤسس الدولة الاموية عاصمة لمملكته ومركزا لخلافته وقد ود فها العرب في ذلك العهد كثرة الخصب وترفه العيش بقولهم (من خرج الى الشام انقضى عمره وقتله نعيمه) ومن صفة اهلها الوفاء افينكر المكابر انها ليست المدينة التي اقتص فيها ممن جاء ليقتل معاوية فقتله سكانها ودافعوا عن حوزة ملكهم بسيوفهم البتاره . افيسكت التاريخ عن انها ليست التي ارسل منها الغازون للفتح والجنود للتأديب وادخلت اليها سبايا الحروب ومغانم المعارك او لم يرصد فيها عبد الله المأمون العباسي ميل دائرة البروج على خط الاستواء او لم تكن ساعة باب جيرون عجيبة من عجائب العصر فيها او لم يضرب فيها اول سكة للنقود في الاسلام عبد الملك ابن مروان او لم يدر في خلد معاوية ان ينقل اليها المنبر من المدينة المنورة في اول ملكه . او لم تكن مزدحمة بوفود المهنئين بالخلافة من اطراف البلاد العربية الى اطرافها كما هنأت في هذا العصر الذهبي الامير فيصلًا او لم تكن وفودها في مقدمة المهنئين للخلفاء والامراء والعمال في كثير من المدن والبلدان او لم يشيد فيها الوليد بن عبد الملك الاموي جامعها المشهور الى الان بالاموي الذي يعده الاثريون من اعظم الاثار الاسلامية الباقية بل من اعرقها في القدم . او لم يتخذوا فيها اول بريد مرتب ناطق بفضل واضعه معاوية ولن يزال باب البريد اثراحيا

يذكرنا بفضله ومن رأى قبل اثنتي عشرة سنة القبة التى كانت في مصلبة باب البريد تذكر انه كان مكتوباً عليها :

عرج ركابك عن دمشق فانها
بلد تذل لها الاسود وتخضع
مابين جابيها وباب بريدها
قمر يغيب والف بدر يطلع

او لم ينشىء الوليد دارا للخلافة كانت تزري بقصور ملوك اوربا اولم ينشىء الملاجيء للزمنى والمجزومين والمستشفيات والمارستانات والفنادق المسافرين في ضواحيها او لم يصلح الطرقات ويرصفها التسهيل النقل او لم ينقل فيها ديوان الانشاء من اللغة الرومية الى اللغة العربية وهكذا استعربت جميع البلاد التي مد العرب عليها رواق سلطتهم افما استعمر خلفاؤها البلدان واختطوا المدن فبنوا القيروان وغيرها في المغرب اما يخترق هذه المدينة نهر بردى المشهور بمجرى الذهب الذي يتوزع في احيائها وشوارعها توزيع الشرايين في الاجسام . او لم يدفن فيها رهط من الصحابة والخلفاء والمقربين والمقدسين والعلماء او لم تشبه بجنة عدن في غياضها ومياهها حتى قال الشاعر :

دمشق في اوصافها	جنة خلد راضيه
اما ترى ابوابها	قد جعلت ثمانيه

افلم يتقاطر اليها الجوية والرحالة من أقطار المعمور حتى عهدنا لاستطلاع آثارها واستنطاق أخبارها ولذلك كثر شوق الناس اليها كما قال ابن محيين :

دمشق بنا شوق اليها مبرح
وان لج واش او الح عـذول
بلاد بها الحصباء در وتربها
عبـير وانفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق
وصح نسيم الروض وهو عليل

او ليست ممر الحجاج الى بيت الله الحرام في ذهابهم وايابهم ومقر المحمل الشريف النبوي والسنجق الجليل المحمدي او ليست مدينة الجوامع الشريفة والتكايا والزوايا والكنائس التي تقام بها العبادات او لم تكن المدينة التجارية التي بقيت قروناً طويلة محطاً لرحال القوافل التي تحمل اليها بضائع العجم والهند وتنقل منها البضائع الشرقيـة والغربية او لم تـتزاحم فيها اقدام الشرقيـين والغربيين من جميع المذاهب والاجناس او لم تكن طريقها اخصر طريق بين الشرق والغرب بل نقطة اتصالهما قبل افتتاح ترعة السويس او ليست مدينة الصنائع التي طمع بها الفاتحون ليتخذوا سيوفهم القاطعة من معاملها الشهيرة ولم يكتفوا بهذا حتى نقل الصليبيون صناعتها هذه الى بلادهم ولم يتوفقوا حتى الان الى اكتشاف سرها الذي بلغت فيه غاية الغايات اتقاناً واجلى الطاغية تيمورلنك كل صانع حاذق منها الى بلاده فافقدها رونقها الصناعي ولا سيما القيشاني والفسيفساء وغيرهما اما اتخذ الصليبيون منها صناعة النسج المشجر المشهورة الى عهدنا باسم (دامسكو) اي دمشق او لم يضرب المثل باثمارها واغلالها التي مدت اليها الطبيعة

انملها فألبستها برودأنضيرة ونصباً عجيباً حتى قال الشاعر في عنبها الزيني المشهور :

دمشق حازت عنباً يضرب فيه المثل
كأنه لآلىء يصان فيها العسل

أفلم تشيد فيها الصروح العلمية العظيمة والمعاهد الادبية على اختلاف انواعها مثل العابدية والاتابكية والاسدية والظاهرية والعادلية والنورية والعزيزية والطيبة الكبرى كالبودية والربيعية والداخوارية والعابدية والسليمانية والمرادية الى غير ذلك من المدارس التي تفوق الاحصاء او لم تجمع فيها المكاتب الحافلة بالمؤلفات النفيسة كالظاهرية والعامرية والعابدية والسليمانية والمرادية فمالي اعدد ما لا يحيط به عدّ ولا يحصيه قلم كاتب أليس ان الدمشقيين اولئك القوم الاعاظم الذين فاق ذكرهم وشاع صيتهم ، اولئك الذين انتخب من بينهم ابراهيم الخليل قيم بيته اليعازار مستأمناً اياه على ثروته الواسعة ، أوليسوا اول من سلم على معاوية بالخلافة وبايعوه واكرموا مثواه وقد بايعوا اليوم السلطان حسيناً ونزل انجاله الكرام فيهم منزلاً فخماً .

أليس الدمشقيون بقية الاقوام الذين اوصى بهم معاوية ابنه يزيد قائلاً : انظر أهل الشام فليكونوا بطانتك واعوانك فان رابك من عدوك شيء فانتصر بهم فاذا اصبتهم فاردد اهل الشام الى بلادهم فانهم ان اقاموا بغير بلادهم تغيرت اخلاقهم .

ولا يختلف اثنان بان اجداد الدمشقيين هاجر بعضهم الى الاندلس

واستعمروا الجزيرة التي عاصمتها غرناطة الشهيرة بعمرانها وقصورها حتى سميت دمشق الاندلس وقد وصفها ابن جبير مفرقاً بينَ الدمشقين :

يا دمشق الغرب هاتيك لقد زادت عليها
تحتك الانهر تجري وهي تنصب اليها

ولقد نشأ من الدمشقيين اول كيماوي عربي وهو خالد بن يزيد بن معاوية الاموي واول مخترع وهو علي ابن تغلب ابن مظفر الشامي الاصل واضع ساعة المدرسة المستنصرية في بغداد حتى عرفت سلالته ببني الساعاتي

ومن يقدر ان ينكر ان اسلاف الدمشقيين قد عرفوا بجرأتهم وحريتهم وقد قال ربيب باديتهم لابي جعفر المنصور الخليفة العباسي لما قال له هذا الا تحمدون الله تعالى اذ رفع عنكم الطاعون منذ ولينا كم فقال له بدون خوف ان الله اعدل من يجمعكم علينا والطاعون ·

فاذا كانت هذه حالة العلم والنشاط والجرأة في مدينة سوريا الماضية عَلَى ما وصفناه من الارتقاء والتفوق فهل يعزى انحطاطها في عصر الدولة العثمانية الى غير التخامل والاهمال فان الدمشقي لا يزال دمشقياً بطباعه واستعداده و بلاده لا تزال عَلَى ما كانت عليه من تحريك القرائح واثارة دفين المعارف كيف لا ومنتزهاتها الغناء وغوطتها الفيحاء تنادي عَلَى رؤوس الاشهاد بان القوم هم هم والبلاد هي هي عَلَى ما عرفت به منذ القديم من الاستعداد والقابلية للتقدم ·

أما كان الاجدر بالحكومة ان تعمل عَلَى تحريك هذه الهمم ان لم تتمكن

من زيادة الترقي فكيف بعد تلك المقدمات الطويلة وهذه النتيجة القصيرة نحي باللوم عَلَى الزمان والمكان او الانسان وكفانا بهذه اللمحة تذكرة لقوم يعقلون وتبصرة لاغبياء يجهلون ·

· · · : · · ·

الاوراق النقدية

«العثمانية»

ان دولة اجتمع بها الخبث والكذب والخداع الى الملاهي والفواحش والضعف لا يستقيم امرها ولا يترقى شعبها كما قدمنا في الفصل السابق ولا غرابة في هبوط الآداب وكساد سوق المعارف بها · ولقد بلغ الضعف من الدولة العثمانية انها لم تقدر عَلَى اجبار فلاح واحد بقبض ورقة نقدية واحدة وقد كانت هذه الاوراق في الحواضر والمدن كريشة في مهب الريح تارة في هبوط وطوراً ببعض ارتفاع يشبه نزوة الموت ، ولقد كانت التبعة في هذا الهبوط عالقة بالحكومة نفسها لان ارباها كانوا يأنفون قبض الورقة النقدية و يفضلون الذهب بل النيكل عليها ويتهافتون على صرف ما معهم من الاوراق بخمس اثمانها او بسدسها ·

ومن الثابت ان علي منيف متصرف لبنان السابق سافر الى الاستانة وكان قد امتص من عروق اللبنانيين الجافة ما يزيد عن المائتين والخمسين الف ليرة ذهبا اكتسبها كلها او معظمها بتبديل الورق · اما جمال الظالم فقد اشترى مزارع وقرى عديدة تدل عَلَى ما ابتزه من الاموال الطائلة

اثناء وجوده في منطقة الجيش الرابع ، ولا يجهل احد ان عموم الضباط كانوا يشترون الاوراق بابخس الاثمان ويرسلونها الى الاستانة حيث كانت تصرف بنصف قيمتها وقد أصدر جمال واعوانه أوامرهم بان من حكم عليهم بالنفي والابعاد لا يجوز لهم نقل الذهب من منطقة الجيش الرابع وكان العمال والاجناد يسلبونهم في الطريق دراهمهم ويستبدلونهم الليرة الذهبية بالورقة النقدية ويستأثرون بالذهب لانفسهم حتى جمعوا القناطير المقنطرة اكداساً فوق اكداس فكيف تحفظ الدولة العثمانيـة قيمتها والترك أنفسهم يفضلون المجيدي ونصفه عليها ؟؟ ولا يقدرون ان يجبروا الفلاح عَلَى قبضها ؟ ! فبوجيز المقال ان ضعف الحكومة وطمعها أوقعاها في تلك الازمة التي انتهت بجلائها عن بلادنا والحمد لله .

لم يدعوا باباً للعار الا طرقوه

لم تدع الحكومة التركية باباً للعار الاطرقته ولا طريقاً للشر الا انتهجته فقد تطرقت الى محل المومسات وأفرغت بيت احداهن المدعوة مارسيـ وجعلته مستشفى لمن أصيب منهن باحـد الامراض الزهرية مع ان هـذا البيت خالٍ من المراعاة الصحية التي يقتضيهـا محل السكن فكم بالاحرى المستشفيات . ورغماً عن وجود هذا البيت في وسط و بائي تحف به جراثيم الامراض وأنواعها فانه يطل عَلَى المقابر العمومية التي يودي جوارهـا بحياة الصحيح فـكيف بحياة العليل .

ولا يظن القراء ان الحكومة قصدت من وراء ذلك المحـافظة عَلَى

الصحة العامة كما هو دأب سواها من الحكومات ، وانما سنت هـذا النظام اطاعة لاهواء اربابها واستسلاماً لشهواتهم الدنيئة فقـد كانوا بآن واحد يقضون مآربهم و يستنزفون أموال المومسات ٠

وقد تطرق الاطباء بان عينوا رسمـاً طبياً قدره ربع مجيدي عن كل مومسة ومن تمنعت عن هذا الدفع بلغوا عنها انها مبتلاة بالامراض الزهرية وغير صالحة للعمل ٠ فبلغ صريخ هؤلاء عنان السماء ، ولما لم يجدن مناصاً ولا باباً للتخلص من هذا الرسم ترك بعضهن المحل الرسمي وتسربن في احياء البلدة حتى لم يعد يخلوحي منهن و يالله من حياة الانسانية وافاعي الآداب !

ولقـد نجم عن ذلك من العواقب الوخيمة ان تسمم العفاف وانحطت الآداب وانتشرت الامراض وتورط كثيرون من الشبان في العار ٠

ولقد عرفت الحكومة كل هذه العواقب المضرة ولكنها لم تبادر الى ملاشاة الاسباب بل قرت عيناً وطابت نفساً لعلمها ان الشعب المستسلم لاهوائه تفقد حياته المعنوية وتنحـل اواصره الشعبية فيبيت العوبة بايدي حكامه وقد عرفت بما وراء انتشار هذه الامراض من اهـلاك النسل وهي تريده بل تتعمده ٠

التحية العسكرية

استخدمت الحكومة التركية بعضاً من ذوات القوم وأشيائهم ممن هم في السن العسكري للكناسة في الاسواق لانها كانت تعزو اليهم الخيانة و بغض الوطن فلم تشأ ان تحملهم السلاح ٠ وقد صادف مرور جمـال ذات يوم

بينما كان هؤلاء التعساء يتعاطون وظيفتهم فوقفوا بحسب النظام العسكري وحيوا قائدهم بمكانسهم كما يحيي الجنود ببنادقهم ·

فاستاء عندئذٍ القائد من ذلك ووبخهم بعنف وفظاظة فقالوا ان المكنسة هي سلاحنا و بها نخدم الوطن وهذا ما حملنا ان نجعلها عدتنا عند اداء رسم التعظيم للقائد ·

نحن نتحدر من سلالات شريفة فتأبى نفوسنا الذل والعار والقيام بهذه الوظيفة الحقيرة · فازداد القائد غضباً وغيظاً وامر بنفي بعضهم وابقاء البعض في وظائفهم الى ما شاء الله · ·

الفصل الثامن عشر

بغض المسلمين للاتراك

ان الطورانيين المشهورة فظائعهم لدى كل ذي بصر لم يكونوا يفترون عن الادعاء بان المسلمين عَلَى اختلاف أجناسهم ولغاتهم وبلدانهم قد اجمعوا عَلَى الطاعة لسلطانهم العثماني واعترفوا بسيادته الدينية عَلَى المسلمين أجمعهم وكانت جرائدهم كل سنة تنقل رسائل بعض الامراء من الهند والعجم والصين وسواها يعترف كاتبوها بسلطة ابناء عثمان و يقرون بالاذعان لهم وقد كانت اكثر هذه الرسائل مزورة و بعضها كانت تقضي به ظروف الزمان والمكان ولا مراء بان كل مسلم يعرف ان الترك انما اختلسوا الخلافة والملك

من العرب · ولاق بهم ان يلقبوا غزاة بكل معنى الكلمة كما هو الواقع ولو لم تكن هذه الحقائق من ظلم الاتراك وعسفهم مقررة في عقول المسلمين لما آثروا الانفصال عن الاتراك في ممالكهم بل ومحاربتهم ايضاً : وها انا آت بشهادة تاريخية تدل على بغض العجم للاتراك من ازمنة قديمة وتظهر ما في قلب الواحدة نحو الاخرى من الحزازات والضغائن·

قال مكاتب بعض الصحف الاميركية في لندن :

عرضوا في ميدان القشلاق الخاص بالهورس جاردس (حرس الفرسان) بلندن مدفعاً فارسياً مصنوعاً من النحاس يزن خمسة اطنان غنمه البريطانيون لما دخلوا بغداد بقيادة الجنرال مود يوم ١١ مارس سنة ١٩١٧ فقدمه الجنرال مود هدية الى الملك وقبل جلالته الهدية وأمر بنصب هذا المدفع حيث نصب في لندن ليراه الجميع فنصب على مركبة ليست له في الاصل وقد نقش في المدفع بالفارسية ما معناه « نصر من الله وفتح قريب »

شاء أمير النصر والمعونة الشاه ان يبيد آثار الترك فأمر جيف « اسم صانع المدفع » بصنع هذا المدفع لتأكل ناره اينما ذهب ولتخرج النار من فيه كما تخرج من فم التنين فتحرق بلاد الترك · اما تاريخ المدفع فهو سنة ٩٥٤ هـ و ١٥٤٧م وهي السنة التي شق بها شقيق الشاه اسماعيل الثاني عصا الطاعة على اخيه وساعدة السلطان سليمان العثماني ، فشهر الشاه الحرب على السلطان والظاهر انه أمر بصنع هذا المدفع لمحاربته وقد وضعوا بجانب المدفع الكرة التي يقذفها وهي صغيرة وطول المدفع عشرون قدماً وثخن جداره عند فوهته ثلاث بوصات · غير ان بعض المشتغلين بالآثار الفارسية القديمة

من الانكليز استعان بصديق ايراني عَلَى قراءة النقوش عَلَى المدفع وقال انه يختلف عن القراءة المتقدمة وان عبارة التاريخ عليه هي :

خصم جان الرومية ، أي عدو حياة الترك . وهذا بحسب حروف المعجم ١٠٤٥هـ و١٦٣٥ او ١٦٣٦م — أما جيف فهو احد الابطال في خرافات الفرس القدماء وقد ورد اسمه في كتاب الملوك المعروف بالشاهنامه وقد استعمل هنا عَلَى سبيل الاستعارة الدلالة عَلَى ايران .

وهذه المقالة قد نشرها المقطم في عدده ٩٠٩٢ بتاريخ ٧ فبراير .

....

بغض الاتراك للمسلمين
لاسيما العرب

من مطالعة الفصل السابق يظهر ان البغض كان متبادلاً بين الاتراك وكل فئة من المسلمين لا سيما العرب لانهم اصحاب الخلافة ولهم الزعامة ولذلك كان الاتراك يحذرون من النسيم اذا هب من الحجاز وجاب سائر الاقطار العربية ويتخوفون من أمواج البحر التي تربط شاطيء سوريا ومصر وهي بين القطرين وسيط العقد .

وقد كان زعماء الطورانيين وحكامهم ينظرون الى العترة الخديوية شزراً لانها كانت حين ذاك محجة العرب وبيت زعمائهم ومجتمع كلمتهم .

ودليلنا عَلَى تلك البغضة رحلة البرنس محمد علي المصري الى سوريا في اوائل نيسان وما كان عليه استقباله في دمشق من البرودة وعدم

الاكتراث وقد صرح بعدم امتنانه من عواطف حكومة دمشق كما نقل ذلك

عرف الاتراك ما اقيم من مظاهرات الاحتفاء والتكريم لسمو البرنس محمد علي في لبنان وبيروت فاستدرك الامر الاتحاديون اعداء العرب وحسبوا ان تلك الزيارة يقصد منها اثارة نهضة عربية جديدة واحياء شعور العرب وعواطفهم بزيارة احد زعمائهم العظام . فاصدرت الاستانة اوامرها الى دمشق بامتهان البرنس محمد علي وعدم استقباله بما يليق برتبته المشيرية ولقد وصل سموه دمشق مساء الاثنين ٤ نيسان سنه ٩١٠ فاستقبله في القطار فخر الدين بك مدير الامور الاجنبية وحي بك مدير البوليس وحسني بك قومندان الدرك واحمد افندي الحسيبي رئيس البلديه . ولقد استاء سمو البرنس من هذا الاستقبال البسيط للغاية فركب العربة كاتفاً رجله كانه غير مكترث بفخر الدين بك الذي كان عن شماله ولقد اتخذ نزل فكتوريا موضعاً لاقامته . ثم تشرف مؤلف هذا الكتاب وهو صاحب جريدة العصر الجديد اذ ذاك بمقابلته وحين دخل عليه وعرفه امر فخر الدين بك بالانحياز عن مركزه اي عن يمين البرنس واعطاء المجلس لهذا المؤلف ثم جرى بينهما حديث نقتطف منه ما ياتي :

سأله رئيس تحرير الجريدة عما شاهده في رحلته وعن الغاية منها فاجاب سمو البرنس اني عازم على السياحة في البلاد العربية وقد مررت ببيروت فراقتني نهضتها العلمية واني لاشكر من صميم الفواد حكومتي بيروت ولبنان وما ابدتاه من الاحتفاء باستقبالي مما اطلق لساني بالشكر لهما . اجل قد دعاهم الى ذلك ما عرفوا به من

الشهامة والمروءة . ثم تافف من استقبال حكومة دمشق وسكت

وبعد برهة قدم والي دمشق اسماعيل فاضل باشا لزيارته وكانت مدتها قصيرة جداً ولما ذهب سمو البرنس لرد الزيارة للوالي لم يجد في سرايا الحكومة سوى نفر عسكري دفع اليه البرنس بطاقة الزيارة وسأله عن سبب تغيب الوالي فقال : أنه يتنزه مع انه لم يكن ثمة وقت تنزه والوالي عارف بان الامير سيزور الحكومة حين ذاك فعلت امارات التأثر وجه البرنس وقال متأففاً يااللاوغاد !

وقد زار في اثناء اقامته بدمشق بيوت اعيانها وعظمائها وردالزيارة لهذاالمؤلف في بيته لافي ادارة الجريدة لئلا يزعم الترك انزيارته سياسية وقد دعاه احمد افندي الحسيبي تناول الشاي في بهو سراي الحكومة فابى سموه قائلًا لو دعوتني الى غرفة البلديــة لقبلت ذلك بارتياح وشربت نخب الدمشقيين ولكنني لااريد ان الج سراي اعدائي اعداء العرب الذين لم يتنازلوا لاستقبالي لكوني عربياً ولما غادر الشام كان جمهور الدمشقيين من سراة البلدة واعيانهامزدحمين بالمحطة فتقدم رئيس البوليس يعتذراليه من عدم مجيء الوالي لانه متوعك المزاج فاجابه برنس بتأثر : لاشفاه الله !

ولقد اكمل بعد ذلك سيــاحته الى بعلبك فحمص فحلب وجرى له بها كلهااستقبال باهر لاسيما في حمص حيث ابدى حضرة السري الامثل الوطني الغيور والعربي الصميم المرحوم عبد الحميد باشا الدروبي والد صاحب الدولة علاء الدين بك والي دمشق الحالي من صنوف التعظيم والتكريم مايليق بمقامه ويجدر بكرم وسماحة وطيب ارومة عبدالحميد باشا ولماوصل سموالامير الى مصر الف كتاب رحلته وقبح به دناءة الاتراك

كفى بمثله شاهداً على مابسطناه من بغض الاتراك للمسلمين لاسيما العرب منهم ويثبت ذلك من رسالة بعثها الي من مصر وهاهي :

نظارة الخارجية المصريه

حضرة الاديب الفاضل :

بعد التحية .. ان سوء استقبال حكومة دمشق ايانا قد وقع منا موقعاً سيئاً واثر في نفسنا كثيرا ولم يسكن جأشنا سوى مارأيناه من اخلاصكم ومحبتكم وصدقكم وخدمتكم ايانا ايام اقامتنا بدمشق فلقد ابقيتم لكم في قلبنا ذكراً حميداً وشكراً مديداً ابقاك الله ايها الفاضل . البرنس : محمد علي

ولا اظن بعدهذا انه يبقى في صدر احد ريب في بغض الاتراك للعرب وكون جمرة احقادهم تحت الرماد التي نفخ بها جمال وزملاؤه فاضطرمت والتهمت الاخضر واليابس وضحي بها شهداء عظام كرام رحمات الله عليهم

ماآثر الاتراك

لاتغتر ايها القارىء اللبيب وتحسب ان للاتراك ماآثر فانهم خلاصة الفظائع وحب الذات . فان ماتسميه ماآثر انما هو بالحقيقة فظائع واشراك نصبوها لاصطياد المدائح رغماً وعنوة وقد حملنا على تسميته بالماآثر الهزل او تسمية الشيء باسم ضده او لان ظاهرها ماآثر فتنبه .

عرف الاتراك ان ما ارتكبوه من الفظائع في البلاد العربية سيثير عليهم الرأي العام وتكون مغبته عليهم وخيمة ولذلك تظاهروا بمساعدة المعاهد الدينية باعطائهم شيئا من الحبوب كالقمح وسواه ظناً منهم ان المظاهر تبتر اعمالهم السيئة وتمحو ذكرى

فظائعهم من الاذهان .

وقد ارادوا ان يتخذوا لهم من شهادة روءساء الاديان جنة يتقون بها سهام المنتقدين وعدل الخلفاء

ولكن الروءساء الروحيين ابعد من يغتروا بهذه الظواهر واعظم من ان يبيعوا وجدانهم لقاء دريهمات او بعض قناطير من القمح ولما رأى الاتراك ان روءساء الاديان لم يفعلوا ذلك بارادتهم طلبوا اليهم ان يوقعوا على عرائض كان كتبها الترك عن لسان الروءساء تتضمن الشكر من اعمالهم ففعلوا ذلك مكرهين وهم يعلمون ان الترك يعاملونهم كالاولاد يوسعونهم ضرباً ثم يرضونهم بقليل من الحلواء او كالنعجة يعللونها بالاكل قبل ان تذبح وكالعصفور يلقى له الحب ليقع في الشرك.

ولقد اصدر جمال اوامره باعطاء الحبوب وبعض الارزاق الى المراكز الدينية فمنح البطركية المارونية وبعض اساقفتها قسما منها ثم اجبر اربابها بان يوقعوا على شهادة تنفي وجود المجاعة في البلاد وتشهد بسهر الحاكم والحكومة على راحة العباد ومثلها شهادة لاتجدي فتيلاً والاموات يملأون ازقة مدائن سورية ؛ ورطل طحين القمح بلبنان يساوي خمسة وثمانين غرشاً ولو صدرت هذه الشهادة من احد الانبياء والاولياء لا سيما وسيادة الاساقفة مرغمون على توقيعها . ولقد منح ايضاً مثل ذلك لبطركيتي الروم الكاثوليك والارثوذكس وكانت خطة جمال في هذه المعاملة ممزوجة بقليل من اللين والموادعة ولكن :

ومهما يكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

اما المأثرة الوحيدة التي اتاها الاتراك وهي لاتنسب الى عمومهم بل الى واحد من مفكريهم اعني به سلطانهم الحالي جلالة وحيد الدين خان فهي اصدار الاوامر باعادة المنفيين ولا يخفى مابذلك من بعض الراحة لبعض العائلات واما العدد الاوفر من المبعدين فلم ينالوا من هذه النعمة حظهم لقلة ذات يدهم وخراب بيوتهم في مواطنهم فلم يستطيعوا الى العود اليها سبيلا

جدول تاريخي

للوقائع الحربية في الدولة التركية الى انقراضها

من بلاد العرب

سنه ١٢٥٨ استيلاء الترك تحت راية ملكهم هولاكو على بلاد العجم وبغداد وانقراض الدولة العربية في خلافة المستعصم بالله بن المستنصر

١٣٠٠ بدء دولة آل عثمان وتاسيسها ببر الاناضول

١٤٠٢ تغلب تيمورلنك على السلطان بايزيد في انقره

١٤١٠ موت تيمورلنك

١٤٥٣ فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني وانقراض سلطنة الرومانيين في الشرق

١٤٨٠ | ١٤٩٢ حروب الاسبانيين مع عرب الاندلس واجلاؤهم في ايام فردينند وايزابلا

١٥١٧ استيلاء السلطان سليم الاول على مصر ونزع سلطة

	المماليك عنها وفيها ايضاً استولى السلطان على سوريا
سنه ١٥٢٢	افتتاح السلطان سليمان جزيرة رودس من انصار بيت المقدس
١٥٣٨	استيلاء العمارة العثمانية بقيادة خير الدين باشا بربروس على عدة جزر في بحر الارخبيل وعلى بلاد تونس والجزائر وطرابلس الغرب
١٥٧١	افتتاح العثمانيين جزيرة قبرس ايام السلطان سليم الثاني
١٥٧٤	استيلاء العثمانيين على تونس
١٦٣٨	فتح مدينة بغداد على يد السلطان مراد الرابع
١٦٨٤	اتحاد سوبياسكي مع النمسويين ومنع الاتراك عن اخذ فينا
١٦٤٣	استيلاء الاتراك على مدينة ازوف
١٦٩٩	اخذ الاتراك بغداد وبلاد المجر العليا وخوف اوربا منهم
١٧١١	تغلب آل عثمان علي بطرس الأكبر عند نهر بروث
١٧١٨	تنازل الاتراك عن بلغراد وبعض الصرب والفلاخ الى اوستريا واستيلاؤهم على المورة من مشيخة البندقيه
١٧٦٥	تولية المماليك البحرية على الديار المصرية من طرف الدولة العثمانية في زمان السلطان مصطفى الثالث
١٨٠٤	تولي محمد علي باشا خديوى مصر
١٨٢٢	عصيان اليونان على الدولة العثمانية ومقتلة خيو المهلكة
١٨٢٦	قتل الانكشارية في تركيا
١٨٢٧	حرب نافاريا بحرا بين فرنسا وانكلترا وروسيا من جهة

والدولة العثمانية من جهة اخرى لاجل تحرير اليونان
واحراق المتفقين العمارتين العثمانية والمصرية وتسليم
الاتراك باستقلال اليونان

سنه ١٨٣٠ مصالحة ادرنه بين الدولة التركية وروسيا
١٨٣٢ استيلاء ابراهيم باشا على الديار الشاميه
١٨٤٠ اجلاء المصريين عن سوريا
١٨٥٣ بدء حرب القرم
١٨٦٠ حادثة لبنان ومذبحة دير القمر وحاصبيا وراشيا
ودمشق ومجـ ... نساوية الى سورية وانفصال
جبل لبنا ... فية مستلقة يديرها
حاكم .
١٨٧٦ حر
١٨٧٨ ا

سنه ١٩٠٨ نشر الدستور العثماني

١٩٠٨ خلع عبد الحميد الثاني وتعيين محمد رشاد الخامس

١٩١١—١٢ حرب ايطاليا مع الدولة التركية في طرابلس الغرب وحرب البلقان ٠

١٩١٤ دخول تركيا في الحرب العموميه

١٩١٨ انجلاء تركيا عن البلاد العربية قاطبة

الفصل التاسع عشر

﴿ نهضة الاسد ﴾

يجدر بنا قبل ان نبتدىء بتاريخ النهضة العربية ان نذكر لمحة تاريخية عن هذا البيت الشريف فنقول :

قد تحدر من اعقاب الإمام حسن سلالات شريفه كانت حامية ذمار العرب ولا سيما في البيت الحرام فنبغ منها اربع طبقات هي الامراء الشرفاء :

آل موسى ٠ آل سليمان ٠ آل هاشم ٠ آل قتادة ٠

فمن آل هاشم انتقلت شرافة مكة المكرمه الى الشريف الشهير الامير قتادة بن الشريف ادريس من امراء ينبع سنه ٥٩٨ هـ بعد ان تولى ابناؤهم ذلك المنصب ٢٤٠ سنه واما آل قتادة فلا تزال الشرافة بايديهم الى الآن اي اكثر من سبعة قرون وثلث قرن ٠

ومن ادل ما كان عليه الشريف قتادة من المجد الصميم والعروبة العصماء ان الخليفة الناصر العباسي استقدمه الى بغداد فخرج اليها بابهته العربية وبطانته العظيمة حتى اذا اشرف على الزوراء راى موكب الملاقين من كبار الدولة العباسية وبيوتات العرب وسراتها فلما دنا منهم راى بينهم اسدا مقيدا فاشار الى قومه : ان ارجعوا ولما سألوه عن السبب قال : مالي ولارض تذل فيها الاسود والله مادخلتها ؟

فلما بلغ بلاده عاتبه الملك الناصر لتخلفه عن الدخول الى بغداد فبعث اليه بجواب طويل لم نقف عليه اختتمه بهذه الابيات من نظمه ،

بلادي وان جارت عليّ عزيزةٌ ولو انني اعري بها وأجوعُ
ولي كف ضرغامٍ اذا مابسطتها بها اشتري يوم الوغى وأبيعُ
معودة لثم الملوك لظهرها وفي بطنها للمجدبين ربيعُ
أأتركها تحت الرهان وابتغي بها بدلاً . اني اذن لوضيعُ
وما انا الا المسك في ارض غيركم اضوع . وأما عندكم فاضيعُ

وقد ظهرت آثار هذه الحمية وذلك الاباء في جلالة ملك الحجاز الحسين ابن علي المتسلسل من آل قتادة الكرام فهو :

الشريف حسين بن الشريف علي بن الشريف عبد المطلب بن غالب ابن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن الحسن بن حسن بن ابي نمي بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميه بن ابي نمي بن حسن ابن علي بن قتادة مؤسس هذا البيت الكريم :

وهو قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين

ابن سليمان بن علي بن عبدالله المحض بن الحسين المثنى بن الحسن السبط بن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ..

وقد جرت العادة بان ذوي الانساب الكريمة يستظهرون على صحة أنسابهم بالاثبات والحجة والتوقيعات والشهادات في الورق حذراً من الضياع وخوفاً من تنامي الاصل بطول الايام .

أما هذا النسب الكريم فانه من الصحة والتواتر عند الجمهور بدرجة استغني معها عن تسطير أنسابه الا ما أيدته الكتب وضبطته التواريخ العامة ودخل في اخبار الدول .

ولد جلالة الملك المعظم منقذ العرب حسين الاول سنة ١٢٧٠هـ في الاستانة . وفي السنة الثانيــة من عمره انتقل ابوه مع جده الى أم القرى حيث تولى جده اذ ذاك منصب الامارة الى ان توفاه الله بعد عامين . فاستلم الشريف علي والد جلالة الملك النيابة من بعد عامين حتى عاد من القسطنطينية عمه الشريف عبدالله اميراً على الحجاز في اواخر سلطنة عبد المجيد ، ولما جلس السلطان عبدالعزيز على العرش ذهب والد جــلالة الملك الى الاستانة لتهنئة السلطان نيابة عن اخيه الامير واقام هناك معززاً مكرماً عضواً في المجلس الذي كان يسمى يومئذٍ مجلس بار ثم عضواً في مجلس شورى الدولة .

وفي سنة ١٢٨٥ عاد الى مكة ثم رجع الى الاستانة حتى توفاه الله سنة ١٢٨٧ وكان جلالة الملك قد سافر قبل ذاك لزيارة والده ، و بعد وفاة ابيه سافر لنقل العائلة الكريمة الى مسقط رأسها و بقي عند عمه ، وكانت له

مكانة عظمى لما اتصف به أيده الله من الفضائل السامية .

ففي اثناء اقامته بالاستانة تقلد عضوية مجلس الشورى واسندت اليه رتبه الوزارة الى ان تولى الامارة سنة ١٣٢٦ وهي السنة الاولى من اعلان الدستور التوراني . فتوجهت عناية جلالتــه الى الحرص على اكتساب الكمالات والفضائل والتحلي بمحاسن الصفات التي تكسبه حب قومــه وثقة امتــه .

وقد كان له قبل ان يتولى ادارة البلاد نفوذ عظيم على القبــائل واعيان الحواضر واكبر شاهد على ذلك انه عندما المت بالحجاز الفتنة المعروفة بثورة القبوري واستل الحجازيون سيوفهم في وجوه التورانيين في اواخر امارة الشريف علي ، لم يجد التورانيون اذذاك طريقة لتسكين الثورة واخماد نارها الا بالاسراع الى المناداة باسم الحسين اميراً على البلاد ومع ان نار الفتنة كانت في اشد ادوارها فقد هدأت الخواطر وعادت السكينة الى مجاريها

ولو كان غيره في منصب الامارة عند اعلان الحرب لكان الحجازيون كاخوانهم السوريين والعراقيين جنودا يذبحون فوق ثلوج الاناضول وفي صحارى التيه ويقضون في مستشفيات العراق وميادين ريغا وغاليسيا لغايات لايعلمونها ومقاصد يجهلونها

ولا شك ان الحجازيين قد علموا مايراد بهم منذ رأوا اعمال الوالي التوراني وهيب وسمعوه يصرح بانه مكلف بتطبيق قانون الولايات في الحجاز . ولولا مقاومة الملك حسين لهذا الوالي لتم ماأراده الظالمون

وقد عرف الحجازيون مقدار بغض الترك لهم لما قاسوه في بدء الحرب من شدة الجوع الذي داهمهم من وراء حصار الترك لهم ومصادرة القمح من بلادهم في حين انهم كانوا لايزالون متمسكين بحبال السكينه

ولما رأى جلالة الملك الهاشمي ماستؤل اليه بلاده نهض كالاسد لمقاومة الظالمين وكف يد المغتصبين

وكان اشباله العظام وانجاله الكرام الامراء الاربعة علي وعبد الله وفيصل وزيد يقودون العرب الى صفوف القتال وشراء الحرية بالدم الغالي وهم يخاطرون بحياتهم وكل ماعندهم انقاذاً لابناء قومهم .

﴿ اول وزارة عربيه ﴾

تالفت اول وزارة عربية في العهد الجديد بمكة المكرمة في ٧ ذي الحجة سنه ١٣٣٤ و١٥ اكتوبر سنه١٩١٦

وهذه صورة الارادة السنية المؤذنة بتأليف الوزارة :

حضرة العالم العامل السيد عبدالله سراج

انه لما كانت مصالح الرعايا وانتظام شؤون المجتمع وتوفر اسباب العمران لابد لها من دواوين تتوزع عليها للنظر في الحكومة وماهو في معنى ذلك من المصالح العامة والخاصة ويتعين بها اساس الوظائف التي تبنى عليها المسؤولية وتكوين حكومة لبلادنا المحروسة، وبالنظر لما تحققناه فيكم من الكفاءة والاستقامة عزمنا بعد الاستعانة بالله عز وجل على توجيه منصب قاضي القضاة اليكم واقامتكم وكيلا عن رئيس الوكلاء العظام وقد اخترنا لبقية الوكالات حضرات الذوات

الاتية اسماوءهم :

ولدنا عبد الله بن الحسين لنظارة الخارجية ووكيلا للداخليه

عبد العزيز بن علي المصري رئيس اركان حرب ووكيل رئاسة الجند مع رفع درجته عن رتبته الحاضرة

الشيخ علي مالكي لنظارة المعارف

الشيخ يوسف بن سالم القطان للمنافع العموميه

الشيخ محمد امين للاوقاف

الشيخ احمد بن عبد الرحمن باناجه للماليه

وذلك لما توسمناه من درايتهم واستعدادهم للسهر على مصالح البلاد وأهلها على مايرضي الله وانا ننتظر منكم المبادرة الى تاسيس الدوائر والدواوين الرسمية وتعيين العمال والموظفين لها

واسأل الله سبحانه ان يجعلنا مظهر توفيقه وهداه في كل مايحبه ويرضاه

سا ٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٤

﴿ ابتداء النزاع ﴾

عهدت الحكومة التركية الى ابن الرشيد امير نجد بالمحافظة على الخطوط الحديدية الحجازية والوقوف في وجه العرب الزاحفين عليها فلبي الامر وخيم برجاله على الازرق وبعثت اليه الحكومة وفداً من قبلها يتألف من الوجهاء الاتية اسماوءهم :

الشيخ اسعد الصاحب ، المفتي ابو الخير افندي عابدين ، يحيى باشا الكربوز

وبعث ابن الرشيد يطلب الى سفيره في الاستانة رشيد باشا ان يجيء الى دمشق ويقيم فيها للمخابرة بالامور الهامة والاطلاع علي

سياق الحوادث فوصل هذا الى دمشق واقام في احدى دورها الكبرى على نفقة الحكومه

وقد كان على جانب عظيم من الكرم وامتاز باعطاء الصدقة للمحتاجين وكان هو لاء يقفون على بابه يومياً مئات

وقد كان له نفوذ وسيطرة عظيمان حتى قيل انه بعث يطلب مرة مئة كيلو من الشاي لاسبوع واحد فارسلت الحكومة ثمانين واعتذرت لعدم ارسال الباقي

وقد كان على جانب عظيم من الابهة والجميع يخشونه . دخلت اليه مرة مع بعض الاصحاب وكان عنده بعض رجال الهيئة الحاكمة ولم يلبث ان دخل عليه شاب فاخذ عصا واوسعه ضرباً ثم دخل ولد ارمني ففعل به كما فعل برفيقه فبهتنا للامر وحسبنا ذلك احتقارا لنا . ثم تجاسرت وسألته عن السبب فاجاب بوداعة : ان في الامر جناية واخذ يجري التحقيقات بنفسه . وهذا كان دأبه في كل الامور الهامة

وقد غادر دمشق الى الاستانة ولم يلبث ان عاد ثم ترك دمشق قبل الفتح بشهر .

وكان ذلك مقدمة لحوادث الفتح العربي وتقهقر الاتراك .

﴿ حركة الشريف فيصل ﴾

قبل ان يشهر الشريف الحرب على الترك ارسل جمال باشا يطلب اليه الامير فيصلاً متظاهراً بطلب النجدة والمساعدة من العرب مع انه كان يريد ضمناً اعتقال الامير لديه كرهاً اما الامير فقد لبى دعوة الظالم عن حسن نية ووافى دمشق سنه ٩١٦ فرحب به جمال وجعله

للنزول في بيته فابى الامير معتذراً وحل ضيفاً كريماً على عائلة البكري المكرمة وهذه العائلة الكريمة فرع من سلالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه . ويمتاز اليوم من هذه الدوحة الشريفة نسيب بك وسامي بك وفوزي بك وانور بك البكري .

وقد كان سمو الامير يجد عندهم نوعاً من التسلية في تلك الازمنة المؤلمة التي كان يرى بها اخوانه العرب يسامون أنواع الذل وضروب الهوان . وكثيرا ما الح على جمال ان يعطف على العرب ويخفف من ظلمه فلم يكن لكلامه تأثير ثم طلب سموه الى جمال ان يسمح له بالرجوع الى الحجاز لتأليف حملة تنضم الى الحملة السورية الذاهبة لافتتاح مصر !! فتردد جمال في الامر وبعد ذلك عمد الامير الى استعمال الخدعة وارسل الى والده ان يطلبه ليرئس المتطوعين فورد اليه من جلالة ابيه كتاب بهذا المعنى فعندئذ سمح له الظالم بالسفر

وقد كان سموه سبق فاوفد من قبله عائلة البكري لئلا ينالها اذى من نزول سموه عندها .

ثم سافر الامير بعد حين وكانت الدولة البريطانية العظمى قد ابتدأت بالحث على ايقاد نار الفتنة بين عرب الحجاز ودولة الاتراك

وكانت المجاعة ضاربة اطنابها بالحجاز فاخذ الانكليز يوافون العرب بالارزاق عن طريق العقبة وجده ويفهمونهم انهم اذا اصروا على موالاة الترك نزل بهم الجوع المهلك وكان بين الاسرى الذين اخذهم الانكليز في العراق وارسلوهم الى بمباي رجال اعمال افاضل وهم حسن [illegible]مي الذي اصبح مندوب الامير في مصر وهو اول ضابط عربي

وعلي بك خلقي والسيد مولود وعبد اللطيف نوري وسواهم من خيرة الرجال فرأى الانكليز في هؤلاء الابطال الحماسة العربية والشهامة القحطانية فارسلوهم الى الحجاز لاضرام نار الثورة فلبوا الامر وقاموا بهمتهم احسن قيام وصادف اذ ذاك رجوع الامير فيصل من سورية فتم بينهم التفاهم فاعلنوا الثورة في ٩ شعبان سنه ٣٣٤ و ٩ حزيران سنه ٩١٦ . وكان لسقوط كوت الامارة في يد الترك تاثير عظيم على القائمين بالثورة فطلبوا الى الانكليز بالحاح شديد ارسال المعدات اللازمه فاجاب هؤلاء طلباتهم للحال وارسلوا اليهم كل مايطلبونه من الاعتاد الحربيه

وبعد ذلك تنظم الجيش العربي واخذ ابناء العرب يفرون من الجيش التركي وينضمون اليهم ويوافيهم من كل حدب وصوب اناس كثيرون وكان يتبع هذا الجيش المنظم عدد وافر من البدو

وكانت فاتحة مواقعهم انهم سحقوا الجيش التركي في مكة والطائف وجده وقضوا على حكومة التورانيين في الحجاز واهم مافعلوه حين ذاك هو الاستيلاء على جده لانها ميناء الحجاز المتصل باوربا والهند . فهلع رجال الترك واضطربوا وجاءت الاوامر تترى لجمال بلزوم اعداد حملة كبرى لافتتاح مكة المكرمه

وكان فخري باشا يقيم اذ ذاك بالمدينة حيث انتدب لمهمة خاصة فتلقى الامر بتعيينه قائداً على الحجاز ولزوم تدارك المسالة الى ان تصله النجدات من دمشق وحلب

وقد تمكن الاتراك بالتالي ان يعبئوا في المدينة المنورة جيشاً

عرموماً لا يقل عن عشرين الف مقاتل مجهزين بكل المعدات اللازمة

و بعد ان تم حشد الجيش انقسم الى شطرين فزحف الشطر الاكبر بقيادة فخري باشا عَلَى ينبع البحر لاحتلالها وفصل عرب الشمال عن عرب الجنوب الغربي من الساحل والداخليــة وقطع خط الاتصال بين جيش الغرب وجيش الشرق الذي كان يقوده الشريف عبدالله وجيش الشمال وهو الجيش الرئيسي الذي كان يقوده سمو الامير فيصل ٠

زحف الشطر الثاني من الجيش التركي بقيادة القائمقام احمد نوري بك نحو الجنوب عَلَى طريق مكة موهماً العرب انه يقصدها مع ان خطته هي المحافظة عَلَى مؤخرة جيش فخري باشا وجناحه الايسر ٠

و بعد محاربات طويلة وملاحم دامية وصل فخري باشــا بجيشه الى سفح الغابر وهي مرحلة بين المدينــة و ينبع البحر وتبعد عن الاولى ثلاث مراحل فنزل فيها بجيشه وخندق اذ علم انه يستحيل عليــه احتلال الينبع لوقوف البواخر البريطانية في مينائها لحراستها ٠ ووصلت حمــلة الجنوب بقيادة احمد نوري الى نجران عَلَى الطريق السلطاني بين المدينة ومكة وهي تبعد ثلاث مراحل عن الاولى وفيها خندقت لان العرب صدوها عن التقدم اليها ٠

ولقد فعلت شمس الحجاز المحرقة بالجيش التركي فعلاً عظيماً وأثر فقدان البقول بامزجــة جنودهم فتفشت بينهــم الامراض والحميات وخصوصاً الاسقربوط وفتكت بهــم الفتك الذريع وأبادت معظم الجيش فلذلك قرر فخري باشا الرجوع بفلول جيشه الى أسوار المدينــة في اواخر كانون الثاني

سنة ١٩١٧ محتجاً بقلة المياه وفقد وسائط النقل وابرق بذلك الى رؤسائه فأجازوا عمله ٠

ولما استقر بفخري باشا المقام بدأ بتنسيق جيشه فاخرج منه كل من رأى ان وجوده غير مفيد واعاده لسوريا وفلسطين وأخذ يذخر الاقوات والمعدات استعداداً للقتال والحصار ٠

وبعد ان تم حشد العساكر اعلن فخري باشا لسكان طيبة انه يجب عليهم الجلاء لانه ليس للحكومة ان تقيتهم زمن الحصار واكرههم على مغادرة بلادهم فبدأت طلائع مهاجريهم تفد الى الشام في ربيع سنة ٩١٧ وقد احتملوا في الطريق من فظاظة الترك وقسوتهم ما لا يوصف ولما انتهوا الى دمشق فرقوا في سائر انحاء ولاية سوريا ٠ اما المدينة فقد بقيت في يد الترك الى ان سلمت بعد الفتح العربي ٠

والسبب في عدم اسقاط المدينة والاستيلاء عليها هو ان العرب كانوا يجهلون فنون الحرب الحديثة وقد ذهبت بهم مروءتهم ان لا يدخلوا المدينة ويقاتلوا الاتراك في شوارعها احتفاظاً بحرمتها ٠

ولقد تشجع الترك ازاء هذه الاخلاق الشريفة فكانوا يخرجون من المدينة ويهجمون على العرب ٠

ففي ذات يوم من الايام هاجموا العوالي وذبحوا فيها مئات من النساء والاطفال ثم وضعوا المدافع على أبواب المدينة وهدموا كل البيوت وأحرقوا المنازل السيئة الحظ ٠

ولم يلبث ان ظهر الامير فيصل ومعه الجمالة لينقذوا باقي السكان

ولكن سبق السيف العذل غير انه وجد فرصة مناسبة لضرب ساقة الترك التي كانت تجد السير نحو المدينة فضايقها جداً ثم قام العرب لمهاجمة القلعة الحديدية في ضواحي المدينة وكانوا يجهلون منعتها فهجموا عليها بعد ان أمرهم الامير فيصل بالكف عن الهجوم ·

وكان الاتراك قد وضعوا في تلك القلعة مدافع ضخمة فوجهوها نحو العرب فحصدت منهم خلقاً كثيراً · وقد التجأ الباقون من المهاجمين الى تل الزاوية الشمالية الشرقية من المدينة · وحينئذ انتهز الاتراك هذه الفرصة فخرجوا من المدينة ثانية ليقطعوا خط الرجعة عن المهاجمين فكانوا أدركوا بغيتهم لولم يباغتهم الامير فيصل وينجي العرب مما كان محدقاً بهم من الاخطار

ولما رأى الترك الامير فيصلاً أطلقوا عليه جميع ما عندهم من المدافع فالتجأ جنوده الى الحدائق والبساتين · أما هو فاستهان بالاخطار ودخل السهل وحده ورصاص الاتراك ينحدر فوق رأسه ، ثم أهاب برجاله ان يتبعوه فانصبوا كالسيل الجارف وفكوا الحصار عن أخوانهم الملتجئين الى التل ، ثم اشتركت القوتان في مناضلة الترك المهاجمين ونشبت معركة دامية بين الفريقين دامت حتى المساء ·

وبعد ذلك رأى الامير انه يحتاج الى الذخائر والمؤنة ورجال الاحتياط فاضطر عندئذ الى تغيير خطته وانسحب بانتظام تاركاً المدينة في يد الترك ·

إن انسحاب الجيش التركي من سفح الغاير ومجزان وتراجعه الى الخط الدفاعي الذي أقامه حول المدينة المنورة في بير ماشي جليجلة — أم رجيبة

واحتمائه باسوارها شجع الجيش العربي وفتح أمامه ميداناً واسعاً فصار مهاجماً بعد ان كان مدافعاً وترك قسماً من قواه حول أسوار طيبة وتقدمت قواه العظمى نحو بادية الشام فاحتلت العقبة عَلَى البحر الاحمر والطفيلة والشوبك وما يحيط بمعان من القرى ، وشنت الغارة عَلَى الخط الحجازي فنسفت جسوره ومبانيه واحتلت بعض محطاته ٠

هال الاتراك ما رأوه من اتساع حركات الجيش العربي وخافوا عَلَى الخط الحجازي الذي كان روح جيوشهم في الصحراء فأقاموا المخافر عَلَى طوله حتى ان المسافر في البادية كان يعجب لما يراه من كثرة الحراس والخفراء ٠ ولقد أسسوا ثلاث مناطق :

١ الاولى في تبوك وسموها القوى المرتبة الثانية وعينوا لها اللواء بصري باشا محافظ المدينة السابق ٠

الثانية في معان وسموها القوى المرتبة الاولى وعينوا لها اللواء محمد جمال باشا الثالث ٠

الثالثة في حوران وعينوا لها اللواء حسني باشا رئيس هيئة التجنيد في الشام يومئذٍ ٠

ولكن كل ذلك لم يجدهم نفعاً فان الجيش العربي الباسل ما فتئ يعمل جهده حتى ادرك غايته القصوى وهي قطع خط الاتصال بين المدينة — دمشق فقطعت كل مواصلة بينهما الا في الطيارات ٠ وقد وقف سير القطارات بينهما في الشتاء السابق لانتهاء الحرب ٠ فاشتد الضيق عَلَى فخري باشا وأبرق في صيف انتهاء الحرب الى قيادة جيوش الصاعقة يقول :

لم يذكر التاريخ العسكري ان قائداً وقف هـذا الموقف الذي أقفه انا وجنودي اليوم في صحارى الحجاز .

ان لكل شيء في الكون حداً ونهاية فلذلك يجب عليكم ان تدركونا وتنقذونا مما نحن فيه من البلاء والاساءات اعاقبة والنتيجة :

فأرسلت اليه القيادة العامة الجواب الآتي :

طالعنا برقيتكم ودققناها : اننا مقرون بحراجـة مركزكم ومقدرون خطورة موقفكم وساعون لانقاذكم وايصال الزاد اليكم بيد ان انشغالنا بحوادث السلط التي مرت قد حال دون تنفيـذ الحركات العسكرية التي كان من المقرر قيام الجيش الرابع بهـا على الخط الحجازي ، ونظراً لانتهائها وتداركنا المياه اللازمة للحملة الجديدة نطمنكم ان الحركات ستبدأ في الزمن القريب . وفوق ذلك فقد هيأنا ٥٠٠ جمل في الشام لنقل الميرة والارزاق والاعتاد اليكم عند المباشرة بالحركات فكونوا مرتاحين مطمئنين

و بالفعل فقد عبأ الاتراك الفيلق الثاني في درعا ثم نقلوا مقره الى محطة القطرانة وعهدوا اليه مباشرة الاعمال الحربية فبدأ بهـا في شهر اغسطس سنة ١٩١٨ وحدثت معارك دامية بينه و بين الجيش العربي في الجردونة وحول معان كان النصر بها سجالاً للفريقين .

و بينما كان الميرآلاي شوكت بك قائد الفيلق الثاني يقوم بهـذه الحركات الحربية في بادية الشام أرسل اليه جلالة الملك حسين البلاغ الآتي :

من الحسين بن علي ملك البلاد العربية وشريف مكة وأميرهـا الى

سعادة القائد الهمام فخري باشا :

السلام عليك وعَلَى من لديك و بعد فان الواجبات الدينية الزمتني ان أبسط لك الحالة الراهنة التي لا أظنها تخفى عَلَى فطنتك ·

أنت تعلم انه بعد سقوط محطتي المدورة والمدرج واستلام قسم كبير من جنودكم لم يبق لكم فائدة من المقاومة سوى هدر دماء الابرياء كما فعلتم في غاليسيا وسواها لذلك تخلصاً من موءاخذة الحق وانتقاد الخلق وحقناً للدماء الزكية أطلب اليك ان تسلمنا خلال اسبوع كل ما يخص الحكومة من بلدان وقلاع وخطوط حديدية وميرة وأعتاد ومدافع وأموال ونحن نتعهد لك بان ننقلك أنت وجميع من معك من الضباط والجنود مع اشيائكم الذاتية كافة الى معتقل الاسرى في مصر معززين مكرمين ويشهد الله ورسوله وآل البيت السادة الكرام عَلَى قولنا ·

وقد امرنا ولدنا علياً بايصال هذا الكتاب اليك ونظراً لقصر المدة المضروبة فوضناه باجراء ما يلزم اجراوءه في الحالتين ·

نسأل الله الكريم ان يجعل جميع أعمالنا مقرونة بالقبول وصلى الله عَلَى سيدنا محمد النبي الامي وعَلَى آله وصحبه وسلم ·

ولما تلقى فخري باشا هذا الكتاب المملوء حكمة لم يشأ المجاوبة عليه بل أرسله بنصه العربي بواسطة البرق اللاسلكي الى ليمان باشا في الناصرة بعد ان حوله الى الارقام طالباً الجواب عليه · فعقد مجلس حربي للمجاوبة و بعد المذاكرة ارسل ليمان الى فخري الجواب الآتي :

قل له لا جواب عندنا غير السيف اذ هو خير حاكم :

يوم وادي موسى

نزل العرب وادي موسى في صيف ١٩١٧ وأخذوا حاميتها التركية عَلَى حين غرة فاضطرت الى الانهزام تاركة بعض أمتعتها وقسماً من ذخائرها ولم يكد جنود العرب يفرغون من حفر خط صغير من الخنادق واعداد المراكز لمدافعهم الرشاشة القليلة حتى هاجمهم الترك من جهة معان ليستردوا الوادي الذي له شأن حربي كبير لكونه المنفذ الوحيد الى وادي عربه الذي يصل خليج العقبة بالبحر الميت في فلسطين فثبت امامهم جنود العرب أحسن ثبات وأرجعوهم عَلَى أعقابهم بعد ان أخذوا منهم نيفاً وأربعين فارساً وغنموا عدداً من خيولهم وبغالهم وخنادقهم وبنادقهم ، وخشيت القيادة العربية ان يعود الترك الى مهاجمة وادي موسى بقوى جديدة كبيرة فاسرعت الى تعزيز حاميتها بما تيسر لها . ولم تكن الصعوبة بارسال الرجال من العقبة الى تلك الجبهة بل في نقل الذخائر والمؤن اليهم في طريق كان البعير واسطة النقل الوحيدة بها .

وكانت المسافة بين العقبة ووادي موسى ثلاثة ايام ومع ذلك فقد صبر العرب عَلَى الاقامة في خط النار على مسير بضعة فراسخ رغماً عن قلة عددهم ووصول الزاد اليهم بصورة غير منتظمة .

وكان الترك قد أقاموا لانفسهم ثلاثة مواقع أمامية خارج معان للدفاع عنها ومنع الجنود العربية من مفاجأتها وكان أول هذه المواقع في أبي اللسل تحت قيادة ضابط الماني برتبة بكباشي يدعى فون ماكنس

والثاني في البسطة ·

والثالث في الهيشه ·

وكانت هذه المواقع مرتبطة بوادي موسى و بالطرق المؤدية اليها من اليسار والامام واليمين وكان بوسع الترك ان يتسلطوا بين ساعة واخرى على طريق الكويره « دلاغه » و يعزلوا حاميتها عما وراءها من القوى المنتشرة في غرندل وعين دلاغه والكويره فلا يبقى سبيل لها للاتصال مع العقبه والبحر سوى طريق وادي عربه وهي طويلة وشاقة اذ ليس فيها ماء للشرب ولا نبات للاكل ·

ولقد كان نبهاء ضباط العرب في الجيش الشمالي يخشون جداً أن يقوم الاتراك بهذه الحركة الالتفافية على وادي موسى ويحسبون لها الف حساب وهم عاجزون للاسباب التي تقدم بيانها عن اخذ التدابير اللازمة لاحباط هذا المشروع فيما لو حاول الاعداء تنفيذه · ولكن يد الله كانت مع العرب فاكتفى الاتراك في الاحتفاظ بمواقفهم المذكورة ولم يتعرضوا لذلك الخط الضعيف ·

وقد كان تخوفهم من البدو المنتشرين في اطراف الجبال لمراقبة حركاتهم وازعاجهم دائماً بصيحاتهم وقذائف بنادقهم هو الذي اقعدهم عن الخروج من معاقلهم ·

وفي ٢١ ت ١ سنة ١٩١٧ ! خرج الضابط المدفعي حسين افندي النابلسي من خيمته قبل الفجر ليتفقد رجاله فوجد الاكمة الفاصلة بين وادي موسى والبسطة وهو يعهدها جرداء شمطاء كان عليها قطع من الماعز كثيرة

العدد . فعلم حالا ان تلك الاشباح والنقط السوداء انما هي عساكر
الترك فصاح برجاله وهرول الى مدافعه وارسل الى قائد الموقع مولود
مخلص ينبئه بما رأى وبقرب المهاجمة . ثم اسرع باطلاق قنابله على الترك
المنتشرين فوق الاكمة فضعضع نظامهم واضطرهم للانحدار سريعاً الى
جهة اليسار واذ تمكن بفضل نظارته من احصاء عددهم وتقدير قوتهم
ولما بدا له ان المهاجمين من خيل ورجل يبلغون عشرة اضعاف حامية
الوادي العربي ايقن ان العاقبة ستكون وخيمة عليه وعلى رجاله وارسل
يطلع قائده على رأيه فجاءه الامر بان يموت مع جنوده في مواقعهم

ولم تكن قوة العرب في وادي موسى تتجاوز الخمسمائة من الرجال
فيها ٣٥٠ نظامياً بين هجانة وبغالة ومشاة وخمسين مقاتلاً من هذيل
ومائة رجل او اكثر من عرب النعيمات وهم من سكان وادي موسى
والطيبه . وكان لهذه الثورة الصغيرة من معدات القتال الحديثة مدفعان
جبليان احدهما على الرابية الواقعة بين وادي موسى ووادي الطيبة
المشرفة على مضيق البتراء والثاني على بيدر في وسط الوادي وعلى مسافة
عشر دقائق من القرية اربعة مدافع رشاشة (متراليوز) مقسمة بين
الهجانة والبغالة والمشاة . وكانت هذه القوة الصغيرة مشتتة وغير
مستعدة للقتال في ذلك الحين

ولم يعتم الترك ان اطلقوا النار على الوادي والاكام المشرفة عليه
وكان عندهم عشرة مدافع منها مدافع جبلية ومدفع صحراء ومدفع
على جبل الهيشة لضرب ميسرة العرب ومدفع عند ملتقى الطريق
الجبلية يرسل قنابله على طريق الطيبه وهي خط الاتصال بين الوادي

ودلاغه والعقبة ليمنع وصول الامداد من الجنوب .

اشتدت النار على العرب وخيف على جنودهم ان لاتقوى على الثبات طويلا فاتفق القائد مولود مخلص مع الشريف عبد المعين رئيس القوة البدوية على جمع كل رجالها وايقافهم في اوجه الترك منتشرين بين الآكام المتسلطة على الوديان بدلا من تركهم متفرقين شمالاً وشرقاً وجنوباً . ولما طلعت الشمس اضبحت نار الترك لاتطاق وشعر الضابط المدفعي بحراجة موقفه وبأنه اصبح مع مدفعه ورجاله تحت رحمة العدو فامر جنوده بجر المدفع ورميه في الوادي كي لايقع في قبضة الترك وبعد ان نزع منه (الغامه) اوثقه بالحبال واشترك مع رجاله في جره ورماه في الوادي ثم تسلق الاكمة حيث كان المشاة ينتظرون الهجوم وانضم اليهم .

ولم يطل الوقت حتى ظهرت طلائع الترك منقسمة الى ثلاثة اقسام وكان اسبقها قسم البغالة فنزلوا عن الطريق المؤدية رأساً الى القرية فصبر عليهم العرب حتى كثر عددهم واصبحوا تحت اشراف احد المدافع الرشاشة العربية وصبوا عليهم نيرانهم

وكان بعضهم يستقون من قناة هناك فتضعضع نظامهم وسقط منهم قتلى عديدون فاسرعوا للانسحاب الى ماوراء الاكمة حيث ترجلوا وانضموا الى قسم المشاة . وفي هذه الساعة استهدت مدفعية العدو باشارات الطيارتين الالمانيتين اللتين كانتا تحلقان فوق الوادي الى مراكز العرب فصبت نيرانها على القطعة الواقعة بين الطريق الغربي وبين مواقع المشاة العرب فلم يتمكن الهجانة القادمون من اسفل جهل

الهيشة من اللحاق باخوانهم بل اضطرتهم النار للانسحاب فلجأوا الى مضيق البتراء واقاموا فيه حتى المساء . ثم تقهقروا منه الى غرندل عن طريق وادي عربه

واهتدت احدى الطيارتين الالمانيتين الى موقع المتراليوز العربية التي كانت تتسلق صفوف الترك ورمتها بقنبلة كسرتها من وسطها وقتلت اثنين من رجالها

فكان تاثير سكوت هذا المدفع الرشاش كبيرا على العرب بما افقدهم من القوة وعلى الترك اذ رفع من امامهم عدوا كان يبري صفوفهم فهجموا هجمة صادقة على المواقع العربية الاولى فاخلاها شاغلوها حالا واعتصموا بمواقعهم الثانية وهم يطلقون نار بنادقهم بمنتهى السرعة والاحكام فاضطر الترك الى الوقوف هنيهة وفي ذلك الموقف المخيف لم يجد القائد العربي مولود حوله سوى خمسين او ستين رجلاً فاعتمد على ربه وانتظر الساعة الاخيرة وهو يضع بين عدوه ورجاله غلالة من النار

وبعد الظهر ضرب النفير التركي ضربة الهجوم الجبري فشوهد ضباط الترك اذ ذاك يلهبون ظهور جنودهم بالسياط ويخزونها برؤوس السيوف وصبت المدفعية كل نارها على الموقع الاخير للعرب فقابل القائد مولود النفير التركي بمثله ولكن رجاله لم يتمكنوا من السير خطوة واحدة لما كان ينهال عليهم من القنابل والرصاص وقذائف الطيارة فاضطر الى الانسحاب بهم الى طريق الطيبه فمضيق البتراء

وهكذا تم للترك ان ينتصروا في الجزء الاول من تلك المعركة

وكانت الشمس قد غابت فدخلوا القرية بعد ان اخلاها سكانها اطفالا ونساء ورجالاً فراراً من وجه السفاحين

ولكن العرب اسرعوا للم شعثهم عند مضيق البتراء وكان قد انضم اليهم عربان الطيبه وهم من اشد رجال سوريا الجنوبيه فلما اشتد ظلام الليل تسلقوا التلال صامتين واحاطوا بالقريه على شكل هلال وفتحوا عن كثب ناراً حاميه وظلوا يحاربونهم ويهجمون عليهم من اليمين والشمال حتى اضطروهم للخروج من ذلك الاتون والرجوع من حيث اتوا وتعقبوهم في ذلك الليل الدامس مسافة طويلة فقتلوا منهم عدداً كبيرا واسروا اربعين وغنموا بغالاً وذخائر عديدة واعترف الاسرى في اليوم التالي بأن القوة التركية المهاجمة كانت مؤلفة من اربعة طوابير مشاة والاي وطابور بغالة وبلوكين من المدافع الرشاشه تحت قيادة اللواء بصري باشا

فعال الجيش العربي

اثباتنا شاهد عياني انه بعد احتلال العقبه والكويرة الواقعة شرقي العقبه باتجاه قليل الى الشمال توجه الجيش العربي بعد ان اكمل معداته الى موقع ابي الاسل الواقع شمالي الكويرة في جبال الشراه . وكان مركز القيادة العامة في الوهيدة وذلك استعداداً لمهاجمة مدينة معان التي كانت بمثابة مركز عمومي للاتراك على الخط الحجازي فهاجمها العرب مرتين في اواخر شهر اذار سنة ٩١٨ وبعد ان اخلوها للمرة الثانية اضطروا الى اخلائها تعزيزاً لقوتهم ضد غارة الترك المتزايده

وفي الثاني والعشرين من شهر تموز هاجمت بعض قوى الجيش الغربي محطة الجردونة شمالي معان تحت قيادة نوري السعيد الذي كان وكيلاً للقائد العام جعفر باشا الذي كان متغيباً في القطر المصري

اما قوة الاتراك في الجردونة فقد كانت ضعفي قوة العرب المهاجمة وكان الترك فوق ذلك في استحكامات متينة بينما كانت جنود العرب النظامية وعددها ٥٠٠ فقط ولواء الفرسان الهاشمي وعدده مائة في ارض عاريه تحت وابل النار التي يصبها عليهم العدو ففي ٢١ تموز سنة ٩١٨ تحرك الجيش من الطاحونة الى العقبة الواقعة غربي الجردونة وقضى ليلة ٢٢ تموز بالاستعداد لهجوم يوم ٢٢ وكانت المدفعية الفرنسوية تحت قيادة الكابتن بيزاني واللواء الهاشمي بقيادة بهجت بك قد قطعت الخط الحديدي الى جهة الشرق واخذت مراكزها شرقي الجردونه

ابتدأ اطلاق النار يوم ٢٢ الساعة العاشرة عربية ودامت الى الساعة السابعة بعد الظهر . وقد اظهر جنود العرب في ذلك اليوم بسالة نادرة شكرهم عليها الانكليز والفرنسويون الموجودون معهم . فبعد ان اجبروا القوة التركية على الانسحاب من المحطة الى استحكاماتهم الجنوبية اضطروا بدورهم ان ينسحبوا بعد ان فرغت يدهم من الذخائر ولانهم لم يلاقوا ادنى مساعدة من القوة البدوية المهاجمة معهم فانها عند ابتداء اطلاق المدافع فرت لاتلوي على شيء

وقد كان انسحاب العرب مسبباً عن ان الجردونة محطة صغيرة دون معان مركز القوة التركية الكبرى . فلا يقدر جيش العرب على مهاجمتها بعدده القليل

وقد كان في معان اربع طوابير تركية ومدفعية تضاهي مدفعية العرب ولذلك كان يتعذر عليها مهاجمتها ناهيك عن ان طريق الشمال كانت مفتوحة للترك والذخائر والمؤن ترد عليهم بدون انقطاع فرأى العرب انهم باكتفائهم باحتلال الجردونـه يقطعون الوارد عن معان ويضايقون جنودها بالجوع ويجبرونهم على التسليم بدون قتال ولكن بعد الفشل في الجردونه رأت القيادة العربية ان تحتـل موقع التل الاحمر الواقع في منتصف المسافة بين معان والجردونه فتفصلها عن بعضها وتقضي على معان جوعاً وعلى الجردونة الخالية من الماء عطشاً

وقد حدث ذلك فعلاً فان احدى قوات العرب احتلت ذلك المكان فهاجمها الاتراك بقوى عظيمة وذلك في ٢٦ تموز سنه٩١٨

وبعـد معركة اربع ساعات ارتد عنها العرب ليهاجموها في اليوم الثاني .

وفي تلك الاثناء اوفد الأمير فيصل فريد بك نجيم اللبناني رئيس ديوان كتابه الى جبل الدروز بمهام عديدة منها الوقوف على افكار الدروز والتوفيق بين بعض المشايخ الذين كانوا مكدرين من مساعي بعض رجال الامير وجمع متطوعين للجيش العربي وتاليف عصابات سريه تكدر صفو الاتراك في جهات حوران

ففي التاسع والعشرين من تموز اصدر سمو الامير امره الى حضرة الفاضل المومأ اليه بالسفر لتنفيذ هذه المهام وبعض المهام العائليه . فبلغ الجبل يوم الاثنين في الخامس من شهر آب سنه ٩١٨ . فاتم اشغاله مع المشايخ وجمع مائتي متطوع وذلك بمدة سبعة عشر يوماً فقط .

أما العصابات التي الفها فقد كانت تحت رعاية سلطان باشا الاطرش صديق العرب . وهذا نظامها :

﴿ القانون الاساسي ﴾

اولا مساعدة النهضة العربية بكافة الوسائل الممكنه

ثانياً توفيق مصالح وصلات هذه العصابات مع مطالب سمو الامير وتوحيد اعمالها مع اعمال الجيش العربي المظفر

﴿ قانون عمل العصابات ﴾

اولا تقسم هذه العصابات الى مفرزات صغيرة تحت رئاسه رجل ينتخبه سلطان باشا الاطرش ويكون ممن يشهد له بالشجاعه و الاقدام

ثانياً تؤلف كل مفرزة من عشرة اشخاص فقط

ثالثاً تقوم كل مفرزة اسبوعياً بعمل ماعلى الاقل من تخريب وخلافه في نواحي بصرى ودرعا وازرع وسائر المحطات في حوران

رابعاً كل مفرزة تذهب للتخريب يقدم رئيسها تقريرا وافياً عما احدثته مفرزته من التخريب ويعطي على ذلك البرهان الكافي

خامساً افراد هذه العصابات فرسان براتب عشرة جنيهات شهريا

سادساً رئيس المفرزة يزاد له جنيهان في الشهر

سابعاً تبقي هذه العصابات سرية الى ان تحصل من ورائها النتيجة المطلوبه

ثامناً كلمة التعارف بين افرادها (غازي) وتغير عند اللزوم

تاسعاً على الإفراد ان يقسموا يمين الاخلاص للعرش الهاشمي المجيد والنهضة العربية المقدسة وعليهم الطاعة لروءسائهم طاعة عمياء

عاشراً لايقبل في هذه العصابات غير المشهود لهم بالشجاعة والاخلاص .

حادي عشر يعاقب الاعضاء الخائنون اشد العقاب وبعد قرار الرئيس واللجنة توءلف عمدة الاداره

ثاني عشر توءلف الادارة من رئيس وثلاثة اعضاء وكلهم من معية سمو الامير فيصل مع مدير قلم لتسجيل الوقائع والقرارات

[وهذا القانون مع رسالة فريد بك مسجل في سجلات قلم المخابرات]

اما هذه العصابات فقد اتت بفوائد جلى من تدمير وتخريب حتى قلق كثيرا بال الحكومة التركية واحاطت فريد بك اثناء وجوده في الجبل بجيش من الجواسيس

وبعد فرار الدكتور احمد بك قدري ورفاقه وهم :

اخوه حسن قدري . محمود بك حلمي . محمد افندي رستم حيدر رفيق افندي التميمي . الشيخ سعيد الباني . الاستاذ خليل افندي السكاكيني . سليم افندي عبد الرحمن . صبحي افندي عويضه

تنبهت افكار الحكومة التركية واصدر محمد جمال باشا (الموجود اذ ذاك بالسلط) امره الى عرب قبيلة الصخور واغراهم بالمال الكثير ليمسكوا فريد بك ورفاقه في البادية ويسلموهم اليه فنمى اليهم الخبر وهم في الجبل بواسطة مخابريهم المنتشرين في كل الجهات فاحتاطوا للامر ولم يقعوا في الفخ .

خلاصة

—« العرب في الحرب »—

تقسم الاعمال الحربية التي اشترك بها الجيش العربي الى ثلاثة ادوار ففي سنة ١٩١٦ وفي النصف الاول من سنة ١٩١٧ وجه الجيش المذكور كل اهتمامه الى جهات المدينة ولم يكن لديه في ذلك الحين جيش نظامي وكانت جيوش الترك التي يقابلها ممتنعة في استحكامات حصينة حول المدينة . وقد اكتفى الجيش العربي بالمحافظة على الطرق التي تصل المدينة بمكة و بانشاء قاعدة حربية له في رابغ

وفي شتاء سنة ١٩١٦=١٩١٧ هجم الترك هجوماً عاماً للاستيلاء على مدينة ينبع شمالي رابغ وكان الامير فيصل يدافع عنها بنفسه وقد تمكن حينئذٍ من صد الترك بينما كان اخوه الامير عبدالله يتقدم شرقي المدينة و يقوم بحركة التفاف حولها من الشمال .

ثم تقدم الجيش العربي الى الوجه وحاول قطع سكة حديد الحجاز بين الحمراء وتبوك ولكن النتائج كانت وقتية لان الاتراك جعلوا على السكة ثلاث قواعد حربية أهمها : تبوك ومعان ووصلوا بينها بمخافر عديدة مهمتها تعمير السكة في كل مكان تقطع فيه .

وقد تغيرت الاحوال في الدور الثاني الذي ابتدأ في تموز سنة ١٩١٧ لان القبائل القاطنة في تلك الجهة قامت قومة واحدة لشد أزر الجيش

وساعدته عَلَى احتلال العقبة · وفي شهر تشرين الاول أغار القائد نوري عَلَى معان واحتل جروف الدراويش ثم عاد بعدد من الاسرى ومقدار من الغنائم ·

وفي شهر تشرين الثاني هجم الاتراك بمساعدة قوات المانية واكرهوا العرب على التقهقر لتفوقهم عليهم بالمدافع والمهمات · ولكن الجيوش البريطانية هجمت عَلَى العدو في عمان شرقي الاردن وخففت تشديده عليهم ·

واتخذ العدو خطة الهجوم في شهر آذار سنة ١٩١٨ وقد انسحب البريطانيون الى غربي الاردن وهجم العرب عَلَى معان مركز دفاع الاتراك الاساسي عَلَى السكة الحديدية واحدقوا بها من كل جهة وضربوا حولها نطاق الحصار في نيسان ١٩١٨ ونشبت معارك شديدة فاسر العرب ثلاثة آلاف وغنموا اربعين مدفعاً رشاشاً واربعة مدافع كبيرة عَلَى ان نفاد الذخيرة اكرههم عَلَى الاكتفاء بتضييق نطاق الحصار عَلَى معان ·

ولما كان هذا الامير الباسل قد توفق بحركاته ضد معان اشتدت به الحماسة العربية فقام عَلَى رأس جنوده وقطع السكة الحديدية شمالاً وجنوباً من جهتي معان · أي من غدير الحاج والجردونه ولم يزالوا يوالون الاستيلاء عَلَى مخافر الترك حتى دخلوا المحطة في ١٧ نيسان سنة ١٩١٨ فاسروا بها مائة نفر -

وكانت قوات الاتراك عَلَى بعد اربعمائة ذراع من المحطة نحو الشمال وكانت محصنة تمام التحصين من حيث تجهيز المدافع الضخمة والخنادق العميقة

فرأى العرب ان من الحكمة ان ينسحبوا الى مكان حصين في « سمنا » ينتظرون به وصول العتاد اليهم ·

ثم انت قوة عربية اخرى دمرت في هذا الوقت مائة كيلومتر من الخط الحديدي بين بطن الغول وقلعة المدوره وهي تبعد ٧٠ ميلاً جنوب معان الامر الذي يشغل الاتراك في اصلاحه مدة لا تقل عن شهرين · فانقطعت المواصلات حينئذ ·

وقد اوفدت قبيلة بني صخر مبعوثاً تقول : انها مهيأة للاشتراك في الحرب لكنها تحتاج للتجهيزات ·

و بدأ الدور الثالث وهو الدور الفاصل في شهر ايلول سنة ٩١٨ فكلف الجنرال اللنبي القائد العام للجيوش المتحالفة الامير فيصلاً قائد الجيوش العربية مهاجمة درعا والتمهيد للهجوم العام ·

وكانت اذ ذاك قوة سيارة من المعسكر العربي ومعها سيارات مدرعة انكليزية ومدفعية جبلية فرنساوية وكلها في قصر الازرق على بعد خمسين ميلاً شرقي عمان ·

ثم هجم اسطول الطيارات من السماء والقوات العربية السيارة المتجهة الى حوران فدمر اسطول الطيارات بناء محطة درعا والخط الحديدي في ١٦ و١٧ ايلول سنة ٩١٨ وفي ٢٦ منه هجم الجيش العربي بعد ان انضم اليه عرب الروله وعرب عنزة وعدد من الدروز على سكة الحجاز الواقعة على ٩٥ ميلاً جنوب درعا فخربوا جسراً وقسماً من الخط الحديدي ·

وفي اليوم التالي هجم العرب على الخط نفسه من الجهة الشمالية والغربية

فأحدث تخريباً عظيماً فانقطعت بذلك مواصلات الجيش التركي في فلسطين واصبحت حامية درعا في عزلة عن سائر القوات التركية وابتدأ الهجوم البريطاني العام في اليوم التالي لان الترك ارسلوا الى الميمنة قوات كبيرة ولم يبقوا امام الميسرة الا ستاراً رقيقاً منهم خرق في الحال ·

وكانت مهمة القوة العربية في تلك الساعة توسيع نطاق النكبة التي نزلت بالاتراك فوقفت امام الجيش التركي الرابع المرابط في جهة السلط وقطعت خط الرجعة عَلَى الالايات التركية المتقهقرة واسرت منهم اسرى كثيرين وغنمت منهم الغنائم · ثم سبقت الحلفاء فرابطت في الشمال في ٢٦ و٢٧ ايلول لمهاجمة الفصائل التركية المنسحبة ·

وفي ٢٨ ايلول صباحاً احتلت القوات النظامية العربية مدينة درعا وانتظرت فيها فرقة انكليزية جاءتها بالمؤنة والذخيرة ·

وقرر حينئذٍ الزحف عَلَى دمشق فبلغ الجيش العربي الشيخ مسكين في ٢٩ ايلول واستولى في ٣٠ منه عَلَى استحكامات الترك الواقعة عَلَى بعد ١٥ كيلومتراً جنوبي دمشق التي كان يدافع عنها الاتراك بكل ما سلم من قواتهم ·

وبعد منتصف ٣٠ ايلول سنة ٩١٨ تغلبت فرقة اوسترالية عَلَى نجدات العدو في (قطنه) وتقربت عند المساء الى ابواب الشام من الجهة الشمالية والشمالية الغربية وكانت فرقة الخيالة الخامسة وصلت الى نواحي الشام ·

وعند الساعة السادسة صباحاً في اول تشرين الاول دخل فرسان الصحراء والجيش العربي المدينة بين مشاهد التصفيق والحماسة الزائدة ·

ثم عهد الجنرال اللنبي الى الامير فيصل بمهمة جديدة وهي طرد الترك من شمال سوريا فاحتل العرب حمص في ١٤ ت ١ وحماه في ٦ منه ثم عزموا على الاسراع بمهاجمة حلب خوفاً من ان يحتشد الاتراك بها ويجعلوها قاعدة لهم ·

وكانت حاميتها مؤلفة من ثلاثة آلاف جندي وبطاريتين فقام العرب بمظاهرة حربية من الجنوب وهاجموا المدينة من الشمال فدخلوها في ٢٥ مساءً واحتلوا القلعة ودار الحكومة بعد معارك شديدة ولم يفقدوا الا أربعة وخمسين جندياً فقط على حين انه أحصي ٤٠٠ قتيل تركي في الشوارع ·

وفي صباح ٢٦ منه بدأ الجيش العربي بمهاجمة الاتراك في القسم الذي كانوا به من المدينة واكرهوهم على الجلاء وقد تبعتهم فرسان الانكليز في اليوم التالي فواصلوا الزحف هؤلاء شمالاً غربي السكة واولئك شرقيها الى ان وصلوا الى المكان الذي تتقاطع به سكة حديد بغداد وسكة حديد سوريا وأبرمت الهدنة مع تركيا فتوقف سير القتال ·

كيف سقطت الحكومة التركية

بدمشق

يجدر بنا ان نذكر سقوط الشام في فصل مخصوص لانها كانت قلب الحركات التركية للجيش الرابع ·

وها نحن نأتي على ذكر المقدمات التي سبقت سقوطها لان لها علاقة

مهمة بها فنقول :

في اوائل ايلول سنة ١٩١٨ هبط الامير عبدالقادر الجزائري من مكة الى سوريا فاوجس الترك خوفاً من قدومه واوشك احمد جمال باشا ان يقضي كمداً ولكنه لم يستطع ان يأتيه باذى لان الاحوال في سوريا كانت قد تبدلت بالصورة القطعية .

وكان الامير عبدالقادر قد حمل معه العلم العربي فساعده ذلك على انماء فكرته .

وقد شرع عبد القادر المذكور يطوف القرى في ضواحي حوران وجبل الدروز ثم آب الى دمشق واجتمع بالقائد محمد جمال باشا وطلب منه اسلحة باسم الدفاع الوطني « لان جمالاً كان لم يشعر بما يضمره عبد القادر من الشر للاتراك » فتمكن من الحصول على الف بندقية وسبعين صندوقاً من الرصاص وقد وزعت بعض هذه الاسلحة على عصابة « ملحم قاسم » المشهور وتمكن الامير محمد سعيد من خداع فون ساندرس باشا الالماني وحمله على اعطاء ملحم المذكور مبلغاً وافراً من المال حتى لا يتعرض للخطوط الحديدية في رياق باذى ووزع ساندرس باشا على رجال ملحم قاسم الاوسمة واكد لهم انه سيقوم بدفع مبلغ عظيم من المال لزعيمهم لقاء محايدته وعدم تعرضه للخطوط الحديدية .

ولما قفل الامير محمد سعيد الى منزله عقد معاهدة وثيقة مع ملحم قاسم واناط به تدمير الخطوط الحديدية بالقنابل اليدوية وتعهد له بالحصول على الف قنبلة .

وكان الامير عبدالقادر قد تمّ عمله فجهز جيشاً من المتطوعة وخرج به الى اذرع وغرضه الظاهري الدفاع عن البلاد ضد اغارة الاعداء . أما الباطني فهو مساعدة الجيوش العربية وفتح البلاد الشامية .

ولما شهد في اذرع احوال الترك وتقهقرهم ادرك ان ساعة العمل قد ازفت فعاد الى الشام نهار ٢٩ ايلول وكانت الافكار اذ ذاك باضطراب عظيم .

اما محمد جمال باشا المعروف عند السوريين بجمال الصغير فكان لا يزال موجوداً في دمشق في نزل فيكتوريا يشاهد هذا الانهزام ولا يقدر ان يحرك ساكناً .

أما دمشق فقد كانت ملغمة والمدافع مصوبة عليها من جبال الصالحية تنذر الاهل بالويل والدمار اذا ما بدر منهم بادرة ضد الاتراك والالمان . الا ان محمد جمال خشي سوء العاقبة فلم ينفذ هذه الخطة الوحشية .

ثم دعا اليه سليم باشا الاطرش ونسيب بك الاطرش يستنجدهما لجمع حامية من الدروز تدافع عن الشام ، وأرسل ايضاً يطلب اليه الامير سعيداً الجزائري وسأله ان يحافظ عليـه فاشار عليه هذا انه لم يبق من سبيل سوى التسليم .

وفي اليوم نفسه حضر بديع بك المؤيد مـع اعيان الشام وطلب الى جمال ان لا يتعرض للبلد بسوء فلم يسع جمالاً الا الاذعان .

ثم ركب جمال سيارته ومر امام سراي الحكومة ودائرة البـلدية التي رفع عليها علم التسليم الابيض فنظر اليه بحرقة وانكسار وتابع السير الى

القطار فركبه وكان يجر القطار يومئذ عربة ملأى دراهم واشياء ثمينة ·

ولما وصل القطار الى درعا ضربته الطيارات الانكليزية فانقطعت عربة الدراهم من القطار وغنمها الفلاحون وظلت بقية القطار تتابع السير بسرعة تضاهي الريح ·

وفي اليوم الثاني كان الامير عبد القادر الجزائري يتجول في احياء المدينة تهدئة للخواطر ونشراً للامن فالتقى في شارع الحميدية بالشاعر العربي المفلق الشيخ سليمان التاجي الفاروقي وكلفه ان يلقي على الشعب خطاباً يهدئ به خاطرهم و يبشرهم بالاستقلال ، وكان بهذه الاثناء عثمان افندي قاسم قد خرج بالعلم العربي (١) من دار الامير عبد القادر بعربة مخصوصة حتى وصل الى دار الحكومة ورفع العلم فوقها منادياً : فليحيَ الاستقلال

وفي صباح اليوم التالي دعا الامير سعيد كبار الشام الى اجتماع عمومي في بيت محمود بك البارودي فلم يتسنَّ لهم ذلك ·

---

(١) تتألف الراية العربية الجديدة من ثلاثة الوان متساوية تمتد افقياً واولها في الترتيب من الاعلى الى الاسفل اللون الاسود و يليه الاخضر فالابيض ويشمل الثلاثة اللون الاحمر العنابي بهيئة مثلث قاعدته طرف الراية عند العصا ·

امـا اللون الاسود فيرمز الى راية النبي العربي العظيم والى السواد الذي كان شعار دولة العباسيين واللون الابيض راية بني أمية واللون الاحمر راية شرفاء مكة واللون الاخضر شعار اهل البيت النبوي الكريم

﴿ حوادث رياق ﴾

لما تشتت شمل الترك سلكوا الطريق القديم حتى وصلوا الى مصنع المجدل الواقعة تحت الوادي المسمى وادي الحرير فعرجوا على رياق من الطريق الذي انشأه جمال اثناء الحرب فوصلوها بينما كان الاتراك والالمان المخيمون في تلك البقاع يهيئون طعام الظهر فترك الجميع اطعمتهم وفروا لايلوون على شيء وكانوا ينهبون ويفتكون بمن يرونه من الاهلين وينزعون شبابيك المنازل وابوابها ويحرقونها للاصطلاء .

وفي اليوم الثاني هجم المتاولة تحت رئاسة ملحم قاسم فنهبوا معظم ذخيرة رياق وحوش حالا وهي تقدر بالملايين

ثم اخذوا يعتدون على الاهالي ولما استظهروا على قرية حوش حالا فرضوا على اهلها فدية مقدارها الف ذهب ولو لم تبرق اسلحة المحتلين لكانوا استوفوها وفي قرية اللبوة حدث قتال عنيف بين آل حيدر اصحابها الذين يبلغون خمسة وثلاثين شخصاً وبين جيش الترك والالمان المنهزم الذي يزيد عن السبعمائة فاسروا منهم مائتين وقتلوا نحو مئة وخمسين ولم يقتل من آل حيدر سوى شخص واحد وجرح اثنان

﴿ اشتراك ﴾

الجيوش العربية بالاعمال

نذكر في هذا الفصل ملخص ما اتاه الجيش العربي من الاعمال المجيدة مراعين جانب الاختصار فنقول :

قد بدأت مفرزة من الجيش النظامي التابع لملك الحجاز قرب

العقبة شمالا بالاشتراك في الحركات ضد الترك

وكانت الطريق من العقبة للشام تمر في (معان عمان درعا) فمشت هذه القطعات اربعة ايام متوالية لتوءلف حركة التفافية حول نقط العدو وكان سيرها شاقاً جدا نظراً للحاجة الزائدة الى الماء اذان العلق ونظيره من الحشرات كانت تدخل حلقوم الشاربين وتتعلق بانوفهم وقد وصلت هذه القطعات الى ابي اللسل قرب معان وفي ٢ ايلول حلت في قصر الازرق بطريق جفر وباير — ام طيه فحلقت الطيارات الالمانية فوق روءوسهم واخذت ترميهم بالقنابل فاختفى روءساء القبائل والقرويون . اما الجيش النظامي العربي فاناخ جماله واستلقى على بطنه وظل ثابتاً الى انتهاء رمي القنابل فعاد الالمان ولم يستطيعوا أن يحدثوا ضررا مذكورا

وقد بقيت هذه الهجانة العربية بعد ذلك يومين تناوش الاتراك واستولت بعد ذلك على عدد من الاسرى لايقل عن الثلاثمئة وعلى بعض مدافع ورشاشات

ويعد ان تمكنت من الاستيلاء على محطتي (ازرع وغزاله) سلكت طريق (شيخ مسكين) متوجهة الى (شيخ سعيد) فاسرت بطريقها ثلاثين ضابطاً و ٥٠٠ جندي كان القسم الاعظم منهم المانيين ونمسويين وقد ظهرت عندئذ سوء الادارة في الجيش التركي اذ ان قوة عربية قليلة كهذه تمكنت من ان تلقي الرعب بعدد غفير من الاتراك تفوقها عدداً وعدة حتى ان الجيش رفع المحارم البيضاء واخذ قائدهم ينادي :

انا القائد .. انا القائد . اننا نسلم اننا نسلم .

غير ان الترك احبوا ان ينتقموا لانفسهم قبل ان يغادروا بلاد العرب فدخلوا قريتي (طفس وترعه) وقتلوا فيها نحوا من ثمانين شخصاً فاستفزت هذه الاعمال حمية الشيخ طلال شيخ حوران وظل يقاتل في صفوف العرب اخذاً للثأر الى ان قتل

وكانت القوات الانكليزية تلقت اوامر بوجوب دخول الشام قبل ان يصل الالمان والترك اليها . الا ان هؤلاء كانوا يحاولون أن يصلوا الى الشام فيؤسسوا فيها خطوطاً دفاعية الا ان الظروف لم تساعدهم ولقد كان لجيش العرب في هذه الحركة تاثير عظيم وهو انه تمكن من قطع خط الرجعة على ميمنة الجيش الرابع التركي بتخريب خط الحديد وتدمير الجسور فحار الجيش التركي بهذه الويلات الهائلة المحيطة به ولم يعد يعرف كيف يهتدي الى جمع شتاته وقد زاد في الطين بلة خوفهم من اهل البلاد لانهم يستقبلونهم وهم يطلقون عليهم رصاص بنادقهم تشفياً منهم

وفي ٢٦و٢٧ ايلول ارتبطت قطعات الجنود العربية والهجانة مع الفرسان البريطانيين والهنود والاستراليين وانضمت في درعا هجانة الكولونل لورنس السريعة الى خيالة الامير فيصل على طول ميدان حركات الجيش الشمالي .

ولقد صرح القائد العظيم ادموند اللنبي بان الجيش العربي ساعد البريطانيين مساعدة هامة في قطع مواصلات العدو قبل الحركات وباثنائها وبالاشتراك مع الخيالة اثناء التقدم للشام وقد منعوا قسما كبيرا

من الاتراك من النجاة وكبدوهم خسائر فادحة بالقائهم انفسهم بين خط رجعة العدو .

الفصل العشرون

﴿ نتيجة الحرب ﴾
على تركيا

ان الحكومة العثمانية قد خسرت سيادتها على القطر المصري وما كان لها من الحقوق او من شبه الحقوق على السودان وخسرت سيادتها على جزيرة قبرص وفقدت سلطانها في جزيرة العرب وفلسطين وسوريا الى آخر ولاية حلب والعراق والموصل والولايات الارمنية بكاملها

وقد خسرت ايضاً مقامها بين الدول الكبرى باضاعة ماتقدم من البلاد وباضعاف ماسيبقى لها بمن قتل من السكان في الحروب والاوبئة والمجاعات وقد بددت ثروة سائر الشعب حتى صارت بلادهم اكثر بلاد الله فقراً و ليس لمن بقي تحت سلطتها امل كبير باسترداد مافقد لان الدولة العثمانية اضاعت معظم قوتها .

...:...

خلاصة
موقف الجيش التركي

لم اجد بدا من اختتام تاريخي بفصل ابين فيه موقف الجيش التركي

واقابله بالانكليزي والعربي مع خلاصة ماوقع بينهما من المعارك :

انتهت المعارك في جنوبي فلسطين خريف عام ٩١٧ بفشل الاتراك ودخل الحلفاء الى القدس الشريف ظافرين في ٩ ك ١ سنه ٩١٨ .

وانسحبت بعد ذلك بقية الجيش السابع الذي كان يقوده فوزي باشا الى الشمال عن طريق القدس — نابلس فطاردهــا الحلفاء ونشبت بين الفريقين معركة هائلة في (البيرة) انتهت بانكسار الترك وانسحابهم حتى (اللبان) على الجاده المذكورة وتراجعت انقــاض الجيش الثامن الذى كان يحارب في غزة بقيادة فون كريس على طريق الخط الحديدي الى ماوراء نهر الاعوج ثم تجمعت في منطقة قلقيلة على الخط المذكور وكانت هذه الانكسارات المتوالية تحمل كثيرين من عقلاء ضباط الاتراك على القول : ان طول مكوثهم في سورياوقصره في يد الجنرال اللنبي .

عرف فالكنهاين هذه الحقيقة وثبت لديه انه لاقبل له بمقاومة الجيوش المتدفقة كالبحر الزاخر فابرق الى هندنبرغ قائلا : لايمكن الضابط الماني ان يتولى ادارة الجيش التركي فلذلك ارى من المناسب ان تنقلوني من هذه الجبهه .

فما لبث ان تلقى امراً بتعيينه قائداً للجيش الالماني العاشر وتعين المشير ليمان فون سندرس قائداً للجيش التركي الخامس مكانه

وصل ليمان مع مقره الذي كان يتألف من ٩٠ ضابطا تركيا وخمسين ضابطاً المانياً و ٦٠٠ جندي من المشاة والفرسان الى العفوله في اوائل اذار سنه ٩١٨ فنزلت هيئة المقر فيها [illegible] الناصرة وذهب هو رأساً

لتفقد شؤون الجبهة ولما عاد رفع تقريراً لهندنبرغ تعهد به بالمحافظة على الحالة الحاضرة اذ بلغت القوة المحاربة في الجبهة خمسين الف جندي وانه يلزم لاتخاذ خطة الهجوم سوق ٢٠٠ الف جندي فورداليه الجواب بان يستعمل الحكمة في ادارة مالديه من القوات

وقد رفع لانور باشا تقريراً نشرته الصحف التركية في العهد الاخير جاء فيه :

ان كل مافي سوريا من انسان وحيوان وجماد قد تسمم من سوء ادارة جمال باشا وان الثبات فيها لايمكن ابداً

اما المقر العام فقد كان يتألف من ١٩ فرعاً يرئسها جميعاً امير اللواء كاظم باشا رئيس اركان حرب ليمان وهو كردي من ديار بكر وعليه معتمد ليمان وقدفوض اليه الادارة فكان الحل والربط والعزل والتنصيب بيده وكان يجري المخابرات رأساً ويوقع عليها هكذا : بامر قائد جيوش الصاعقة رئيس الحرب [كاظم] ولم يكن يرجع الى ليمان الا في الامور المهمه

اما الصلات فلم تكن حسنة بين الضباط الالمانيين والاتراك لان الالمان ما كانوا يعتبرون من ضباط الاتراك الا كاظما

وقد تألفت جيوش الصاعقة او جيوش الاتراك في بلاد العرب الغربية من اربعة جيوش وحملة الحجاز

الجيش الثاني مقره حلب وقائده نهاد باشا ومنطقته ممتدة من الفيجة حتى بوزانتي وتحته فيلقان

الثاني عشر مقره اطنه وقائده امير الالاي فخر الدين بك

والخامس عشر مقره حمص وقائده اللواء رضا باشا ووظيفة هذا الجيش المحافظة على السواحل من صور حتى مرسين وقد ربطت به القوة التركية التي كانت على الفرات

الجيش الرابع مقره السلكا وقائده الفريق جمال باشا الصغير وتحته فيلقان :

الثاني ومقره القطرانه وقائده امير الآلاي شوكت بك

والثامن ومقره النمرين على الشريعة وقائده علي فوءاد بك

وقد ربطت بهذا الجيش ايضاً قوى معان ويسمونها القوة المرتبة الاولى ويقودها القائمقام علي بك وهي ومنطقته ممتدة من الدامية حتى تل النمرين على ضفة الشريعة الشرقية ومن الفيحة حتى المدورة في الداخل ووظيفته منع العدو عن التقدم شرقي الشريعة والاتصال بالجيش العربي من جهة ومنازلة الجيش العربي وفك الحصار عن معان والمحافظة على الخط الحجازي بين دمشق — معان من جهة ثانيه

وكان جمال باشا الصغير يتولى بحسب امر نظارة الحربيـة ادارة المسائل العربية (لاختصاصه بها كما قالوا) فكانت النفقات السرية ترسل اليه وهو يوزعها ويرفع في كل اسبوع تقريرا بهذا الصدد

الجيش السابع مقره نابلس وقد عين لقيادته قبل الحوادث الاخيرة بشهر مصطفى كمال باشا الملقب ببطل الاتراك ثم استقال من القيادة على اثر خلاف بينه وبين فالكنهايم فعين فوزي باشا الذي انسحب من القدس الى نابلس مع الجيش واعيد اخيرا مصطفى المذكور بطلب من ليمان سندرس لانهما كانا معاً في الدردنيل وتحت هذا الفيلقان :

الثالث وقائده اللواء علي رضا باشا

والعشرون وقائده اللواء فؤاد باشا ومنطقته ممتدة من الدامية — المخروق في الشمال حتى الرافاف في الجنوب • ووظيفته الدفاع عن نابلس

الجيش الثامن مقره طول كرم وقائده اللواء جواد باشاوتحته الفيلقان :

الثاني والعشرون وقائده امير الآلاي رأفت بك ومقره الطيره

والرابع والعشرون وهذا صدر الامر بتشكيله قبل الانقلاب بشهر وعين لقيادته امير الالاي ياسين حلمي بك ووصلت القافلة الاولى من الضباط الذين عينوا لهيئة اركان حربه الى حلب ولكن لم يتم تشكيله . ومنطقته من الرافات الى البحر المتوسط ووظيفته المحافظة على الخط الحديدي وصد الجيش [illegible] اذا حاول التقدم للساحل .

الحملة الحجازيه مقرها المدينة المنورة وقائدها اللواء فخر الدين باشا وتحتها قيادة منطقة تبوك وقائدها القائمقام عاطف بك وتمتد منطقتها من المدينة المنورة حتى المدوره ووظيفتها الدفاع عن المدينة المنورة وحماية الخط الحجازي . اما احصاء الجيش فهو كما يلي استنادا على احصائيات الاتراك :

الجيش الثاني ١٨٠٠٠

الجيش الرابع ٢٨٠٠٠

الجيش السابع ١٣٠٠٠

الجيش الثامن	١٠٠٠٠
الحملة الحجازيه	٦٠٠٠
الالمانيه	٨٠٠٠
النمسويه	٢٠٠٠
في المنازل	٣٠٠٠٠
في الخدمات الاخرى	٥٠٠٠
المجموع	١٢,٠٠٠

اما مجموع مدافع الترك فلم يتجاوز الثلاثمئة على اختلاف العيار وكان اعظم مايستندون عليه المدافع النمسويه ثم البطاريات الالمانية . اما الاعتاد الحربية والقنابل منها بوجه خاص فكانت قليلة جداً عندهم ولا يبيحون استعمالها الا عند الضرورة الماسه

ولقد كان تفوق الجيوش المتحالفة بالمدفعية عظيما ولا يمكن اجراء قياس نسبي فيما كان لدى الطرفين من الاعتاد والقنابل

اما مدفعيو الانكليز فقد الفوا قذف القنابل بدون حساب فكانوا يطلقون مئتي قنبلة لاجل جندي او حصان وقد ظلت البطاريات الانكليزية سبعة ايام متوالية تصلي خطوط الدفاع التركية ناراً حامية (قبل المعركة الكبرى) حتى غطت بقنابلها السهل والجبل وبلغ عدد القنابل التي قذفوها سبعة ملايين

اما الاتراك فقد كانوا بعكس ذلك يسرفون بالرجال ويقتصدون بالاعتاد وقد ارسلت القيادة العامة الى قيادة الجيش السابع هذا الكتاب

الى قيادة الجيش السابع . . .

لاحظنا من مطالعة تقاريركم انكم تسرفون بالاعتاد غير مراعين الحكمة ولا ناظرين الى ما نقاسيه من المشكلات في النقليات . فلذلك نوصيكم بالاقتصاد التام والاساء المنقلب والمصير

اما الفرار من الجيش التركي فقد كان امرا مألوفاً ولقد بلغ عدد الفارين من هذه المنطقة ١٥٠ الف جندي حسب التقرير الرسمي ولقد دعا الاتراك ٣٠ صنفاً يخرج كل صنف ثمانية الاف جندي يبلغ مجموعهم (٢٤٠ الفاً) ماعدا البقايا الذين لم يجيبوا الدعوة ففر منهم ١٥٠ الفاً كما مر وتخلص اربعون الفاً بالالتزام ووثائق المنازل وبدلات الذخيرة وظل خمسون الفا يخدمون وقد انقسموا الى قتيل واسير ومفقود ومستسلم للاعداء

وسرت عدوى الهرب الى الاتراك انفسهم فالفوا عصابات تعيث في البلاد فساداً في انحاء فلسطين والجولان وشنت غارات كثيرة على قضاء القنيطرة فابرق قائمقامها الى ولاية سورية طالباً ارسال قوة لمطاردة العصابات التركية في قضائه وهذه ارسلتها الى قيادة الصاعقة فاجابتها :

الى ولاية سوريا :

طالعنا برقية قائمقام القنيطرة السرية فوجدناه يبالغ كثيرا في الامر مع ان المسألة هي عبارة عن ٣٠٠ جندي فروا ودخلوا الى قضائه فارسلت قيادة الجيش الثامن قوة كافية لمطاردتهم والتنكيل بهم . فيجب ان لاتلبسوا هذا الحادث ثوب الخطورة وتخطروا القائمقام بان لايعود الى مثل هذه الكتابات المبالغ فيها .

جدول تاريخي

﴿ لتركيا ﴾

في الحرب العامة

سنه ١٩١٤

١٠ آب	دخلت غوبن وبرسلو بوغاز الدردنيل
٢٩و٣٠ت١	ضربت غوبن وبعض السفن الحربية الاخرى ميناء اوذسا وغيرها
٢٥ت٢	اعلنت بريطانيا الحرب على تركيا وغزا الترك بلاد القوقاز
٢٢ت٢	احتل البريطانيون البصره

سنه ١٩١٥

٢و٣شباط	انهزم الاتراك عند قناة السويس
٢٥ شباط	ضرب اسطول الحلفاء حصون الدردنيل
٢٥ نيسان	نزل البريطانيون في رأس هلس وخليج انزاك
٤ تموز	فاز الاتراك في جوار عدن
١ آب	نزل البريطانيون في خليج سوفلا
٢٨ايلول	استولى البريطانيون على كوت العماره
٢٢ت٢	جرت معركة مدائن كسرى وانهزم الاتراك
اول ك١	تقهقر الجنرال توزندا كوت العماره وحاصر الاتراك المدينه

١٩ك١ انسحاب البريطانيين من خليج الانزاك وخليج سوفلا

سنه ١٩١٦

٩ك٢ الجلاء عن كاليبولي تماماً

١٦شباط استيلاء الروس على ارضروم

١٨ نيسان استيلاء الروس على طرابزون

٢٩ نيسان تسليم البريطانيين في كوت العماره

٥ حزيران اعلان استقلال الدولة العربية في الحجاز

٤ آب معركة روماني . انهزام الاتراك للمرة الثانية في محاولتهم غزو مصر

٢٣ك١ الفوز في مجديه وابتعاد الاتراك عن سينا

سنه ١٩١٧

٢٤شباط استيلاء الجنرال مود على كوت العماره

١١ اذار استيلاء البريطانيين على بغداد

٢٦و٢٧اذار معركة غزه الاولى

١٩ نيسان معركة الرماديه

٣١ت١و٧ت٢ اختراق البريطانيين خط العثمانيين بين بئر السبع وغزه

٩ ك١ استيلاء البريطانيين على القدس

٢١شباط الاستيلاء على اريحا

اذار—آب استرداد العثمانيين لارمينيا واستيلاؤهم على تبريز

اذار—نيسان غارات البريطانيين على سكة حديد الحجاز في عمان

نيسان زحف البريطانيين على نهر الدجله

ايار زحف البريطانيين على طريق الموصل

اب وصول قوة من البريطانيين الى بحر قزوين

١٨—٢٠ايلول هجوم البريطانيين في فلسطين وانهزام الاتراك انهزاما تاماً

٣٠ايلول تسليم بلغاريا

١ت١ احتلال العرب والبريطانيين دمشق

٦ت١ احتلال بيروت

١٥ت١ احتلال حمص

٢٦ت١ احتلال حلب

٢٨ت٢ هجوم الاتراك على البريطانيين في طريق الموصل

٣٠ت١ انهزام العثمانيين في طريق الموصل واسر ٨٠٠٠ منهم

٣١ت١ عقد الهدنه

سنه ١٩١٩

١٠ك٢ تسليم فخري باشا المدينة المنورة للجيوش العربية المرابطة حولها بقيادة الاميرين علي وعبد الله

—« الطائفة الكاثوليكية »—

« ايام الترك والعرب »

ان المثلث الرحمات البطريرك كيرلس جحا بطريرك طائفة الروم الكاثوليك نزح سنة ١٩١١ الى القطر المصري وأعلنت الحرب العمومية وهو

في فلاك القطر . وكان اذ ذاك خديوي مصر عباس حلمي في الاستانة يسير مع الاتحاديين جنباً الى جنب ويهيء في القطر ثورة عامة يقابلها الاتراك والالمان من سوريا وفلسطين بالجيوش الجرارة فيعيد الاتراك سلطانهم على تلك الربوع ويقلصون ظل الدولة البريطانية عنها يساعدهم على نوال مآربهم انشغال البريطانيين في الساحة الغربية .

وقد خيل لهم ان ذلك اذا تم يحرك ساكن الهند فيقع الانكليز في حيص بيص فعمد البريطانيون الى تلافي هذا الضرر وخلعوا عباساً عن الخديوية المصرية واقاموا له خلفاً السلطان كامل وكان فيمن بايعه غبطة البطريرك كيرلس جحا فثار ثائر الترك عليه وأشهروا خلعه عن السدة البطريركية ونظروا بعين تتقد حقداً الى طائفته جمعاء ثم أمروا المطارنة ان يقيموا له قائمقاماً وعينوا لهم موعداً في ١٤ كانون الثاني فتردد الاساقفة في بادئ الامر ولكنهم لم يلبثوا ان أجابوا الى رغائب الترك خوفاً على أنفسهم من جبروت الطاغية جمال في وقت لم يكن يميز به بين رفيع ووضيع ومحق ومبطل واثيم و بار ثم خشوا ان يلحق بالطائفة من جراء امتناعهم ما لاتحمد عقباه . فاجتمع في الشام كل من السادة فلابيانوس كفوري وباسيليوس حجار ونقولا قاضي وكيرلس مغبغب واكلينضوس معلوف واغناطيوس حمصي وكان سيادة الارشمندريت ديمتري بسكريه نائباً عن سيادة مطران حلب « صاحب الغبطة اليوم » والارشمندريت متي سماحه وميخائيل شمعه عن مطراني بيروت وبعلبك ، أما سيادة المطران دوماني فلم ينب احداً عنه حينما نفي .

ولما التأم المجمع حار في التوفيق بين السياسة التركيـة والدين: الدولى تقضي بخـلع البطريرك وتوجب على المخالف المشنقة ، والثاني يدعو الى احترامه والاعتراف به رئيساً للطائفة وبعـد المداولة رفعوا عريضة إلى الحكومة معتذرين انهم لا يمكنهم ذلك ما لم يتناولوا اذناً خطياً من رؤمية لان امر خلع البطريرك منوط بها وحدها فأجابتهم الحكومة انه لا دخل لنا في اموركم الروحية فتصرفوا فيهـا كما تشاءون ولكن بطريركم الخائن لا تعترف به الدولة العثمانية ممثلاً لكم واذا لم تنتخبوا قائمقاماً له فالحكومـة لا تنظر اليكم كطائفة حائزة على ما لسواها من الطوائف نخشـي السادة المطارين عندئذٍ ما لا تحمد عقباه من المظالم والجور بحق الطائفة ورشحوا للوظيفـة السيدين الجليلين كيرلس مغبغب و باسيليوس حجار فارتأت وزارة العدلية والاديان ان تعين الحجار ولكن هذا لم يتخطَّ الامور الزمنية وظل الوكيل البطريركي الارشمندريت ديمتريوس سكريه يمارس وظيفته النيابية الروحية ·

ثم توفي سيادة القائمقام المومأ اليـه في ١٧ شباط ٩١٦ وفي اليوم الثاني علمت الطائفة بوفاة غبطة البطريرك حجا المتوفى في ٩ كانون الثاني سنة ٩١٦ في رمل الاسكندرية فقام مؤلف هـذا الكتاب في من ابنوا الفقيدين وعزى الطائفة بالخلف والسلف وكان المـأتم يوم ذاك مشهوداً ·

ولم يمضِ شهر على وفاة القائمقام المذكـور حتى أصدرت الحكومة التركية امراً بانتخاب بطريرك جديد ووردت رسالة من قداسـة البابا بناديكتوس الخامس عشر في ٢٥ آذار يعين بهـا غبطة البطريرك الحالي

ديمتريوس قاضي نائباً رسولياً الى ان يتم انتخاب قانوني فصادقت الحكومة عَلَى تعيينه فاجتمعت في يده السلطتان الروحية والزمنية وقد كان سلوك غبطته في تلك الازمنة الحرجة مدعاة للثناء ومجلبة للمديح وتوحيد القلوب في الطاعة له ٠

ولما عاد الاساقفة من منفاهم بعد الاحتلال صدر أمر الاب الاقدس بانتخاب بطريرك فاجتمع الاساقفة في دير صربا بكسروان من اعمال لبنان وانتخبوا في ٢٩ آذار سنة ١٩١٩ غبطة البطريرك ديمتريوس الحالي باجماع الاراء ٠

وقد سرت الطائفة بهذا الانتخاب لانه جلى ماتتمناه ٠

وفيما هو آت الى مقره في دمشق عرج عَلَى بيروت حيث أجري له احتفال لائق بمقامه وفي ١٢ نيسان أقله القطار مع حاشيته الى دمشق فعند وصوله أجرت له الحكومة العربية احتفالاً نادراً لم يجرِ مثله فيما سبق وقد تبارى الخطباء والشعراء في مدح ما لغبطته من المزايا الحميدة وكانت الناس مزدحمة عَلَى الطرقات من البرامكة الى البطريركية وعَلَى السطوح وفي شرفات المنازل ٠ متع الله الطائفة عَلَى يد غبطته بالبركات والنعم

شروط الهدنة مع تركيا

اولا: فتح الدردنيل والبوسفور واحتلالها مع القلاع من الحلفاء وممر الى البحر الاسود

ثانياً: ان يدل على الالغام وغيرها من الموانع في البحار التركية وتعطي المساعدة اللازمة لازالتها

ثالثاً ان تعطي كل المعلومات اللازمة بخصوص الالغام في البحر الاسود

رابعاً ان يجمع جميع الاسرى من الحلفاء والارمن في الاستانة وتسلم للحلفاء بلا شرط

خامساً تسريح الجيش ماعدا الجنود التي يضطر الى ابقائها للمحافظة على الحدود وعلى النظام الداخلي ويعين الحلفاء عددهم لا بعد مشاورة الحكومة التركية

سادساً تسليم كل السفن الحربية التركية في البحار التركية وغيرها وللحلفاء الحق في الحجز عليها في اي المرافىء التركية كما سيعين ويستثنى من ذلك المراكب الصغيرة التي يحتاج اليها البوليس في داخلية البلاد

سابعاً للحلفاء الحق في احتلال كل النقط الحربية اذا اقتضت الاحوال وهددت سلامة الحلفاء

ثامناً ان يكون الحق لمراكب الحلفاء في استعمال الموانى والمرافي التركية ومنع العدو عن استعمالها ويطبق هذا الشرط ايضاً على مراكب تركيا التجارية في البحار التركية لاجل التجارة وتسريح الجيوش

تاسعاً تسهيل الوسائط لاجل تصليح السفن في جميع الموانى التركية ومستودعات الاسلحه ·

عاشراً احتلال جميع سرداب بوراس

حادي عشر انسحاب الجيوش التركية من شمال غرب بلاد الفرس وقسم ترانس قوقاس قد صدرت له الاوامر للجلاء عنها ويجب

ان يخلي القسم التالي اذا رأى الحلفاء حاجة داعيه

ثاني عشر ان تكون محطات التلغراف اللاسلكي تحت سلطة الحلفاء ذلك عدا عن رسائل الحكومة التركيه

ثالث عشر منع تدمير اي مواد بحرية ا عسكرية او تجاريه

رابع عشر ان تعط التسهيلات لاجل مشترى الفحم والمواد البحرية من المصادر التركية بعد ان تاخذ البلاد حاجتها ولكن لا يرسل من هذه المواد الى الخارج شيء

خامس عشر ان يكون للحلفاء السلطة على السكك الحديدية واحتلال باطوم وان لا تعترض تركيا احتلال الحلفاء في باكو

سادس عشر تسليم حرس الحجاز وعسير واليمن وسوريا ومابين النهرين وانسحاب الجيوش من سيسيليا عدا الذين يحافظون على الامن كما نوه به في البند الخامس

سابع عشر تسليم كل الموانيء هناك. تسليم كل ضباط الاتراك في تريبولتانيا وسيرنايكا الى اقرب حرس ايطالي وتضمن تركيا انها توقف المؤن والمخابرة مع هولاء الضباط اذا لم يطيعوا امر التسليم

ثامن عشر تسليم كل الموانىء المحتلة في تريبولتانيا وسيرنايكا ومزودانا الى اقرب حرس للحلفاء

تاسع عشر ان يغادر تركيا جميع الالمان والنمسويين بحريين وعسكريين ومدنيين في مدة شهر والذين في مقاطعات بعيدة ان يتركوها في اسرع ما يمكن بعد هذه المدة

العشرون ان توافق على اوامر الحلفاء من جهة نزع السلاح

والنقليات لاجل التسريح كما مصرح في البند الخامس

الحادي والعشرون ان يكون مع وزارة المون التركية نائب عن الحلفاء لاجل المحافظة على مصالح الحلفاء

الثاني والعشرون ان يبقى اسرى الاتراك تحت امر الحلفاء اما تسريح الاسرى المدنيين والذين فوق الاسنان العسكرية فينظر في امر تسريحهم

الثالث والعشرون ان تقطع تركيا كل علاقتها مع الدول الوسطى

الرابع والعشرون ان يكون الحق للحلفاء في احتلال اي ولاية من الست ولايات الارمنية اذا اقتضت الحال .

المعاهد الخيرية

لما كان الواجب على المؤرخ ان لا يهمل حسنات المحسنين بعد ذكر اساءة المسيئين لم ار بدأ من الاشارة في هذا الفصل الى ما تم في دمشق من الاعمال الخيرية الجمة التي تشهد لاربابها بالفضل وطيب الارومة وتخلد لهم على صفحات التاريخ ذكراً عاطراً واسماً مشكوراً .

جمعية المقاصد الخيرية

اعظم ما أُقيم في دمشق اثناء الحرب العامة من المعاهد الخيرية «جمعية المقاصد الخيرية» التي كانت الغاية من تأسيسها ايواء الفقراء من النساء والاطفال والعجزة واعالتهم سواء كانوا من ابناء هذه البلاد ام من الغرباء القادمين اليها من جميع الطوائف والملل بلا استثناء

أسست هذه الجمعية في شهر المحرم سنة ١٣٣٤ ه والقائمون بتأسيسها فريقان الاول فريق عامل والثاني فخري ، اما العاملون فهم السادة : احمد افندي دياب (رئيس الجمعية) ومحمد افندي الكزبري ومحمد افندي القباني وصالح افندي الحفار وشفيق افندي دياب . واما الفخريون فهم : الشيخ موسى الطويل ، وامين افندي القصار ، وعبدالرحمن افندي الدوالبي والشيخ ياسين الفرا .

وقد كان بدء القيام بهذه الجمعية مقتصراً على تأسيس ملجأ للايتام ثم نمت على قاعدة النشوء فلم يمض عليها زمن حتى كان لها خمسة عشر معهداً ينفق عليها من جيب الجمعية ومما يبذله الكرماء من الاعانات و بين معاهدها مستشفى لتمريض من يصابون في احد ملاجئها ببعض الأمراض غير السارية . والى القارئ اسماء تلك الملاجئ او المعاهد واماكنها :

الاول : لوكندة مصر في محلة الخراب

الثاني : بيت ابي جيب " "

الثالث : " باريس " "

الرابع : " شطاح " "

الخامس : " شاميه " باب توما

السادس : " عدس " "

السابع : مدرسة القطط " القيمرية

الثامن : جامع التيروزي في باب السريجه .

التاسع : المدرسة العمرية في العمارة .

العاشر : مدرسة الجورة في العمارة

الحادي عشر: بيت عبدالله باشا في العماره

الثاني عشر: جامع سوق القطن في سوق القطن

الثالث عشر: المدرسة النورية في سوق نور الدين الشهيد

الرابع عشر: المدرسة القلبقجية في سوق القلبقجية

الخامس عشر: بيت شويله في محلة الخراب

وهذا الملجأ الاخير هو مستشفى الجمعية المشار اليه آنفاً ،

وقد بلغ ماضمته ملاجيء هذه الجمعية من الكبار والصغار ذكوراً واناثاً في وقت واحد اربعة آلاف ومئتي نسمة (٤٢٠٠) ولا مناص هنا من ذكر المساعدين الذين مدوا لهذا المشروع الخيري النافع يد المعونة وهم ثلاث طبقات : الطبقة الاولى الحكومة ، والثانية تجار الحاضرة ، والثالثة الطبقة الوسطى من الاهلين .
ونذكر مع الاسف ان اصحاب الغنى واليسار المعروفين في هذه المدينة لم يتقدم احد منهم لمساعدة المشروع كما اكد لنا ثقة نعتمد على روايته — بل اكتفوا بما رأوه من قيام فريق من الامة بهذا الواجب وكأنهم عدوا مؤازرة المشروع فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقي !!

ومما يذكر بالاعجاب والشكر زيارة سمو الامير فيصل لملاجئ الجمعية اثناء وجوده في دمشق في خلال الحرب وتبرعه للجمعية بالف ليرة نقداً وقد وعد القائمين بالجمعية بان يدفع لهم في رأس كل شهر الفاً مثلها الا ان حركة الترك التي دفعت سموه على الاسراع في اعلان الثورة والسير الى ميادين القتال حالت بين الجمعية وعطايا سمو الامير في ذلك الحين .

هذا ملخص تاريخ جمعية المقاصد الخيرية في اثناء الحرب اما بعد انطفاء جمرتها وخمود لهيبها فقد اخذ الاغراب يعودون الى بلادهم وعاد الجنود من ساحات الحرب فاستعادوا ما لهم من بنين و بنات في الجمعية ورجع من كان منفياً من اصحاب بعض المنازل التي اتخذتها الجمعية ملاجئ لها — وبهذا لم تبق الحاجة ماسة الى كثرة الفروع فاقتصر اعضاؤها العاملون على ملجأين احدهما المدرسة النورية وفيها الآن نحو المئة من اطفال وعجزة ، والثاني بيت شويكه الذي كان مستشفى من قبل اصبح الآن ملجأ وفيه نحو مئة وثلاثين من الذكور الايتام فقط .

جمعيات خيرية

تقدم الكلام عَلَى جمعية المقاصد الخيرية وهي كما قلنا كانت اكبر اما اسس في دمشق وسورية من نوعها في زمن الحرب والانصاف يدعونا الى ذكر ما قام به غيرها من الجمعيات الخيرية ايضاً في دمشق غير ان معظم هذه الجمعيات لما كان قد اسس قبل اعلان الحرب العامة نرى أن نأتي عَلَى ذكرها إجمالاً فنقول :

جمعية الاسعاف الخيري = انصرفت الى مساعدة الايتام من الوجهتين العلمية والخيرية فآوت عدداً غير يسير من الاطفال كانت تنفق عَلَى طعامهم وكسوتهم وتعليمهم .

جمعية النداء الخيري = لم تكن اقل سعياً في مساعدة الفقراء من جمعية الاسعاف

جمعية التعاون الخيري = كانت توزع الدقيق على عدد من عائلات المعوزين وتنفق على اولادهم في بعض مدارس الحاضرة .

لجنة سوق القطن = اسست في اثناء الحرب في شهر رمضان سنة ١٣٣٤ هـ وكان عمل القائمين بها جمع الاعانات من محلتهم وشراء كيس طحين كل يوم وخبزه وتوزيعه على بيوت العائلات المعروفة التي اخنى عليها الزمن بعد السعة واليسر ولم تدم هذه اللجنة غير ستة اشهر

....

ولا يسعنا ان نختم هذا البحث دون ان نخلد كلمة شكر لاصحاب الايادي البيضاء الذين عرفوا الواجب نحو امتهم في ايام ضيقها واعسارها فقاموا به وادوه وان الله لا يضيع اجر من احسن عملا .

الشعراء

﴿ بعد الحرب ﴾

قد اثر الضغط الشديد في اثناء الحرب على مخيلات الشعراء فباتت تترقب الفرص للظهور وكثيرة منها ظهرت في اثناء الحرب بالمظهر الذى لا تريده من مدح الظلام والسفاحين ولكنها فعلت خوفاً او استعطاء او مجاحشة عن رقاب اصحابها أن تعلق بها مرسة السفاح جمال . ومن مطالعة اقوال بعض الشعراء يظهر كم اثر الضغط في تلك النفوس الابية التي لا تنام على الاذى وترى ان الموت احب اليها

الفتح الجليل ـ ١١و٩ كانون الاول سنه ٩١٧

لجناب القانوني الفاضل والشاعر المدقق قسطا كي بك حمصي احد اعضاء مجلس الشورى العربي

كتب هذه القصيدة على اثر افتتاح القدس وقد ابقى كثيرا من كلماتها مهملة ولم يجرأ على كتابتها اذ ذاك خوفاً على عنقه من الجزار الظلوم ولقد احسن بضنه بنفسه فهو غال بمعارفه عند اصحابه وعند كل اديب . وقد اشرنا الى الكلمات المحذوفة بخط عرضي من تحتها

اشرعوها هندية تتلمع	ثم ساروا والجيش بالجيش يتبع
اقدموا قبل سيرهم عجلات	كحصون وكل حصن مدرع
حملوها من البلاء جبالاً	بل رجالاً بكل قلب مشبع
رتبوها كتائباً قاذفات	بسيول النيران من كل مدفع
فجرت حيث تاه اقوام موسى	راشدات كالبرق او هي اسرع
وقضوا ان يكون للقدس يوم	يترضى بحكمه الناس اجمع
فاستداروا حول المدينة حتى	بيت لحم وشاهدوا كل موضع
ثم عنها تباعدوا مظهرين الـ	ـعجز حتى تراجعوا كل مرجع
فاقتفاهم جيش من الترك والا	لمان والكرد والمجار تجمع
قاده قائد عنيد شديد	طالما دبر الجيوش وفزع
قال مصر لكم فسيروا اليها	ليس لي بعدها سوى الهند مطمع
فاتاه الصريخ ان حصون الـ	ـقدس في قبضة العدا فتخرع
وتلاه من المدافع رعد	قاصف زلزل الجبال وزعزع

رجف القبر رجفة كاد منها　　وكن قدس الأقداس ان يتضعضع
ثم كان الضجيج والهول والفر　　وكر به المنايا توزع
ثم بانت رايات قوم لهم في　　كل يوم مجد جديد مفرع
ولهم في الحروب عادات نصر　　قد أبت ان تحول او تتضعضع
ملكوا الحمد حادثاً وقديماً　　وتولوا نصر الضعيف المخضع
دوخوا الظلم حرروا كل عبد　　اسقطوا كل مستبد هميسع
اقسموا ان يكون كل طليق　　في الورى عبد شكرهم ما تمتع

***

رتلي الحمد يا معابد اورشليم للفاتحين حمداً مضوع
واستنيري وهللي واستنيري　　منك نور للفتح في الشام اشرع
بعد جور مضت عليه قرون　　بت للامن والعدالة مطلع
بت للناس كلهم حرماً اد　　نى الى الوفق والتساوي واجمع
حقق الفتح قول كل رسول　　فوق تلك الجبال ناح وابدع
كنت للشر والتباغض ركناً　　ولنشر التفريق والحقد مهيع
كنت ارض الحروب والظلم والعد　　وان دهراً وللتفاسد مربع
فجفت ارضك المياه وحل الـ　　جدب فيها فاصبحت شبه بلقع
صدق اليوم قول كل نبي　　نظم الشعر في حماك وسجع
منك ياتي خلاص الناس طراً　　من غداء عم الشعوب وروع
ويرى الخلق فوق طورك نوراً　　ظلمة الشرق تنمحي حين يسطع
فرعى الله بيت لحم وحيا الـ　　ـمسجد الاشرف المنيف المرفع

وسقى ركن هيكل الملك السا ... مي سليمان سحب عز مسرع
يجعل الهيكل القديم كظل ... الجديد يبنى به المجد ينبع
لك يا دولة المكارم شكر ال ... عرب ماظلت الكواكب تطلع
لك يا امة لها الحزم ينمي ... شكر كل الورى لفضل موسع
بتغذيك كل حر طليق ... بعدما كان بعضهم عبد الكع
اي حمد يفي جميلك والنظ ... م رخيص ولو ببدر ترصع

﴿ الحرب لعامها الثاني ﴾

لحضرة المحامي القانوني والشاعر المطبوع سليم بك عنحوري

غاص البحار ابالس قد بايعوا ... غزواتهم بصواعق وباسهم
لم يبق فوق سطوحها من ماخر ... الا توارى في المياه وفي الدم
ياغائصي لجج البحار وراكبي ... متن الهواء بفخر لا اسلم
بالفعل انتم انبياء زماننا ... لكنكم بالفعل اهل جهنم
قوضتم هذا الكيان ببدعكم ... ياحبذا زمن الفنا والهدم
زمن به الهيجاء يرتق فتقها ... متبارزات كلاهما لم يسلم
لا الجوع لا التخريب لا التفريق لا ... التضييق لا الاويل الملم بعدم
هو ذا انقراض شامل وبلية ... تمني الخلائق بالوبال الاعظم
ليت البخار تحجبت اسراره ... عنكم وسر الكهربا لم يفهم
ليت القوى لم تفقهوا اوضاعها ... ليت العناصر كنهها لم يعلم
والعلم والعرفان مافتحا لكم ... باب اختراعات سطت كالضيغم
والجهل دام على البسيطة سائداً ... والمرء عبد خرافة وتوهم

فلذاك خير من رقي نوره — نار وحلو مذاقه كالعلقم
اخنى وافنى العالمين باسرهم — وقضى على الدنيا بحكم مبرم
فالحرب تعزف والحتوف رواقص — والارض تبكي والورى في مأتم
ومعالم الكون استحال جمالها — فالكل بين مشعث ومهدم
ليت النواميس التي قد انتجت — هذا الكيان نظامها لم يرقم
ليت الجراثيم التي منها تألف — عالم الاحياء لم تتجسم
لو ظل ذياك السديم مبدداً — ما كان رزء في البرية مؤلمي
بل لم يكن شيء وماذا يرتجى — من اي شيء مفصح او اعجم
لم يجننا هذا الوجود سوى الفنا — بعد الشقاء وكربة المتألم
مد المصاب على الوجود رواقه — وكسا البرية حلة من عندم

﴿ الحرب لعامها الاول ﴾

١ له ايضاً

راحت ملوك الارض تدعواهاها — للحرب حتى في المياه وفي الهوا
تفني جموع القائمين على الثرى — حرباً ومهلكاً بالوباء وبالطوى
فنى بعوض الكبر بعد الخلق في — انافهم فجروا على حكم الهوى
باعوا الهداية بالغواية والمتا — نة بالرعونة سائرين بلا التوا
نحو الكريهة والعناد يقودهم — والحقد يحمل في كتائبه اللوا
تجري بهم وبين لهم في جحفل — نحو المهالك بانيين لها القوى
والشر يطرب والخطوب رواقص — والويل يلعب والبلاء يشدو ونوى
والطيش يضرب طبله والجهل يـ — م فخ زمر ذو العقل يشرف من كوى
والنحس يزهو والسعود غوارب — والروع يبدو والامان قد انزوى

ابليس ياخذ ثاره عن آدم منا وعزرائيل يشويه الجوى.
حتى رأيت البر بحراً من دم والبحر غص بن اقل وما احتوى
والارض بوراً والبلاد دوارساً والناس والحيوان في البلوى سوا
واحسرة الدنيا على مدن خلت من اهلها فغدت كما فرج اللوا
قفراء بادية العراص ربوعها ياوي الى اطلالها ذئب عوى
ضيم على ضيم وعمران هوى حيف على حيف وطغيان ثوى
كذب الاولى قالوا العصور تنورت والعقل في عرش الكمال قد استوى
فطرت على النقص النفوس فلو وعى الانسان علم الكون طرا ما ارعوى
لو ما حوى اخبثاً طوى شرا نوى نحو السوى تبع الهوى حتى غوى
جمع النقائص والنقائض جمة في شخصه فيه مع الداء الدوا
بينا يسير بعقله نحو الهدى تجري به اغراضه نحو الهوى
فهو الظلوم العادل القاسي الشفيـ ق القادر الواهي القوي المبدي الجوى

. . . : . . .

﴿ بعض نكبات الحرب ﴾

لجناب المؤرخ المحقق والكاتب البارع عيسى افندي اسكندر المعلوف صاحب مجلة (الآثار)

ايا وطني لك اليوم الهناء بفتح فيه قد فتح الرجاء
اذا نامت عن الدنيا عيون فقد سهرت على الناس السماء
وليس الصخر يحمل ما حملنا والاجسام لنا طين وماء
فهبوا يا كرام القوم هبوا وبان لنا من الفرج الضياء
حروب اهرمتنا في هموم ومن اهوالها شاخ الصباء

فما احد يزيل الهم عنا ولا احد له فينا اعتناء
ولا عمل هناك ولا ازدراع ولا بيع بزوج ولا شراء
ولا عارية فيها انفراج ولا رفد هناك ولا اجتداء
فمن ضربات مصر تعد عشر ومن ضرباتنا الف سواء
فكم قد مات شهم من ذوينا ولم ينظم له منا رثاء
وكم قد جار طاغية علينا ولم ينظم له منا هجاء
وكم من طالب للمدح قسرا ولم ينظم له منا ثناء
لان الموت خيم في حمانا وكان لنا عن الناس انزواء
فقدنا ما يسلينا بهم وما لعقولنا في فيه غذاء
وعم الداء مابين البرايا ولا طب هناك ولا دواء
مقابرنا شكت مما طمرنا بها جثثاً وقد عم الفناء

....

تحملنا من الاتراك ظلماً بلاء ليس يشبهه بلاء
فصناب ثم نفي ثم سجن وتغريم وجوع واعتداء
ومن لم يرد في هذي البلايا تهدد جسمه الداء العياء
وتلك سنون اربع قد تلتها شهور طيها انتشر الشقاء
وفيها مات للحسنات ذكر وعاش الفقر ينجده العناء
فما للمرء في البلوى نصير وما لذوي الخصاصة اوصياء
لقد كثرت حوائجهم اثياب واطعمة ومأوى واصطلاء
وقل وجودها مابين قوم هم الفقراء في البلوى سواء
امات بنيك سوريا احتيال امات بنيك سوريا ارتشاء

اماتَ بنيكِ سوريا احتكارٌ　　اماتَ بنيكِ سوريا غلاءُ
اماتَ بنيكِ سوريا انشقاقٌ　　اماتَ بنيكِ سوريا افتراءُ
اماتَ بنيكِ سوريا امتهانٌ　　اماتَ بنيكِ سوريا عداءُ
وضرّ المال اقواماً فصاروا　　وحوشاً قد تنفرهم ضراءُ
رجال الترك والالمان جاروا　　على شعب تخونه العفاءُ
وساعدهم وشاة من بنينا　　تبرأ من وجوههم الحياءُ
لمن نشكو المصائب والرزايا　　وليس لغير خالقنا اشتكاءُ

....

فما اشقى بلاداً بالبلايا　　تهددها من الحرب ابتداء
وما احلى انفراجاً بعد ضيق　　به قد كان للحرب انتهاءُ

***

الفتاة البائسة

نظم الشاعر الكاتب المجيد خير الدين افندي الزركلي هذه الفاجعة في ابان الحرب يصف بها صورة من صور العصر الدموي والقى بها الى جريدة المقتبس لتنشر بها ولكن المراقب (السانسور) امين افندي عربي كاتبي اشار عليها بخطين مستطيلين وكتب تحتها في الجريدة نفسها « هذه القصيدة لا تنشر الآن » كأنه يشير الى انها تنشر بعد حين — قال شاعرنا

فؤاد له بالفاتنات تعلق　　وحسرة مكلوم الحشا يتحرق !
ولولا الهوى لم يبك ربعاً معذب　　ولا ناح في جنح الدجنة شيق
كلفت بها هيفاء غضاً إهابها　　مقيدها في الحب هيهات يطلق

فتاة لها في دولة الحسن صولة ، ترى فتفوق الشمس حسناً فتعشق
حديث كأن السحر بعض فنونه ! ووجه حكاه البدر والبدر مشرق
وعينان كحلا وان دون تكحل ! هما دلتا اني بوجدي موثق
اطالت بعيد العطف حبل صدودها وفي القلب منها ما يذيب ويحرق
ولما تلاقينا ، رأيت ابتسامة ودمعاً على احداقها يترقرق
مددت يميني امسح الدمع ، راثياً فكادت يميني في المدامع تغرق !
وما راعني الاشحوب بوجهها ! وزفرة محزون لها حين تنطق
اناخت ضروب السقم بين ضلوعها واخنى عليها البؤس يضني ويقلق

***

قضى زوجها نحباً ، وخلف حولها وليدين ، في مغناهما الخير مغدق
صغيرين ، ما مسهما قط لوعة ولا حل في نفسيهما ما يؤرق
تعولها الأم التي ما تمثلت لها نكبات الدهر الا وتفرق
مضى العام إثر العام وهي عليمة بأن الذي في دارها سوف ينفق
اذا لم ينم المال بالكسب ، لم يزل يضيع في الانفاق ، او يتفرق

***

افاقت وما في النفس الا كآبة وفي العين الا وابل يتدفق !
رداء على اطرافه صفرة البلى كرور الليالي لا ينى فيه يخلق !
وجيب تألى لا انطوى غير ضامر ولا مس الا وهو خزيان مملق !
يطالبها ابناها بما يطعمانه وما ثم الا ما حبا المتصدق !
وضاق عليها العيش حتى اذا مضت صبيحة يوم لا ترى اين تطرق

تصدى لها من سامها السوء باذلا ... لها مستجاد النقش ، يزهو و يبرق

فألقت علَى وجه السماوات نظرة ... تكاد اذا تلقى علَى الصخر تخرق!

ومدت لمعطيها الدراهم كفها ... تتابعه والقلب كالريح يخفق !

الى منزل يأوي اليه ، فامضيا ... به ليلة ، والجيد منها مطوق

وطال على ابنيها التخلف عنها ... فباتا وداء الجوع لا يترفق

واصبحت الأم الكئيبة ، تبتغي ... حمي وليها ، والاماني تسبق

تفكر في امريهما غير انها ... تحلق في ما نولت وتحدق

يسير بها الجاني عليها سبهللاً ... و يزجرها ان لا تحيد فتلحق

تمشت خطى بين الحدائق والفتى ... يغرب فيها تارة و يشرق

فضلت سبيل الرشد فانساب نحوها ... بحيلة خداع دنا يتشدق

دعاها لتعداد الدراهم ، علّه ... يضيف اليها ضعفها وهو مشفق

فالقت اليه بالذي كان معطياً ... وما حسبت ان الخليل يخرق

وشاغلها حتى توارى فاقبلت ... تصيح به : اين انطلقت؟ وترمق

ولكنه ولى وخلى سبيلها ... وخافها والويل كالليل مطبق

فلا درهماً نالت ولا نفسها وقت ... ولا لقيت الا الاذية توبق

***

وكنت اجيل الطرف في متنزه ... حلات به طيب الشذا منه يعبق

تقنع بالازهار وجه غصونه ! ... وغرّد فيه الطير وهو محلق

فلم ار الا غادة ، مضها الاسى ... وفارقها من رائع الحسن رونق

تروح وتغدو ، كالظليم تحيرت ... الى اين تمضي؟! وهي لا تتوفق

تدانيت منها مشفقاً ، فتلفتت وكادت ، وقد ابصرتها ، تتمزق

تحاول ستر البؤس بالصمت جهدها ويغلبها فرط الانين فتشهق

بكت فاستهلت بالمدامع مقلتي وهمت بنطق وهي بالدمع تشرق

ترفقت بالتسآل عما اصابها فقالت : لعلي بالمنية أليق!

وقصت حديث الروع لي ولسانها بشكوى لياليها الاليمة اذلق

لها كبد حرى ، وعين قريحة وقلب كليم ، بالجوى يتشقق

فيارب ما اقسى القلوب التي ارى! وكم من قريح العين بالنوح اخلق!

اجفن على اللذات والصفو ينطوي وجفن باطراف السماء معلق ؟!

اما راحم للناس يرثي لمعدم تحير في ايامه كيف يرزق؟

مخوف جمود العين ، طاو على الضنى دقيق شوى الجثمان يوشك يزهق

ولا دمة لاصدر ، يناث قلبها ، براها الطوى والجلد بالعظم ملصق

غدت كهلال الشك اضألها الجوى وساورها عدم يهيض ويسحق

تمثلت البؤس لها في سبيلها اذا ما تخطت مزلقاً لاح مزلق

اما من رؤوف ، اوسع الله عيشه يرق لمن اضناه عيش مضيق *

اما من غيور ، ينقذ العرض بالجدا ! يرد به سهم الشقاء المفوق

بني وطني هلا جزيتم على هدى وعودكم في الخير والبر مورق

نخلت لكم محزون رأيي ولا ارى حياة لمن يدعى لخير فيطرق

اذا لم يغث اهل اليسار ابن فاقة له في كلا خديه للدمع خندق

يؤم كرام الحي وهو موملٌ ويرجع يشكو دهره وهو مخفق

فأجدر بهم الا يجودهم الحيا ! وألا يروا شمس الضحى تتألق . .

بوارق الآمال — لحليم افندي دموس

هي القصيدة التي انشدت في معلقة زحلة لسمو الامير فيصل وكان الناظم قد حضر من مزرعة (عميق) لاستقبال الامير وحاشيته

الى الوطن المحبوب يانفس بادري ... فما ارض عميق بدار سلام
وكيف يطيب العيش فيها لشاعر ... له زحلة الزهراء خير مقام ؟
ففي الحي احباب عشقنا كلامهم ... وما كل لفظ خارج بكلام
سكتنا سكوت الطير راعت فؤاده ... رشاشات نار او وقوع سهام
وقفنا ازاء الدهر نسبر غوره ... فجاء كبحر بالمكاره طام
ولكن فينا عزة عربية ... سرت في دمانا قبل عهد فطام

ومنها

وقالوا اتى نجل الحسين تحفه ... جنود عليها النصر خير وسام
اسود بني عدنان اصلا ومحتدا ... بهم سؤددي يوم العلى وهيامي
غزاة من الاعراب حلوا بلادنا ... لايقاظها من غفلة ومنام
بلاد عليها الظلم مد رواقه ... قرونا وما من ناصر ومحام
الى ان اتانا الانكليز وفيصل ... بجيش من المتبسلين لهام
وما فيصل ان رمت تذكره سوى ... حسام صليب الحد غير كهام
رأى الموت يغنينا فنادى عشائرا ... متى صاح لبته غداة صدام
فهب الى غوث الشآم وفتحها ... بكل كمي للمعامع ظامي
لنا اعلنوا حرية الشعب بعد ما ... رأى الشعب اسرا وتداول عام
فدكوا عروش الظالمين لينشئوا ... من المجد والاصلاح اي دعام

ومنها

بني وطني آن النهوض الى العلى فهيا انفضوا عنكم غبار ملام
سلمتم من الاخطار حين تقشعت غياهب عهد كالمنون زوءام

ومنها

قرأنا فصولا في الحروب جديدة اساطيرها من مدمع وحسام
عرفنا بها حلو الحياة ومرها وعدل انام واعتساف انام
وها نحن نجتاز الضلال الى الهدى ونستقبل الانوار بعد ظلام
بوارق آمال تبلج فجرها ولاح سناها من خلال ضرام
فاما حياة تنقضي بمتاعب واما حياة تنقضي بسلام .

. . . .

بين العهدين لرزق الله افندي صفير

تليت في النادي الكاثوليكي يوم دعوة اركان حرب الحلفاء اليه برئاسة سمو الامير زيد

انادي العلوم بحق اسميك — دار السرور ونادي الطرب
فان تاه اعضاؤك اليوم فخراً فما ذاك منهم بامر عجب
رأوا ان ظلم بني الترك زال ووطد في الشام عدل العرب
اولئك قد حسبوا خصمهم نوادي العلوم ودور الادب
فذا قتلوه وذا خربوه وذاك اروه شديد النكب
وقد حاربوا الادبا فاودوا بهم ورأوا ذاك نيل النشب
فكم من اديب اماتوه شنقاً فكان شهيداً لما قد كتب

فضاق على الحر بر الشآم · للخائنين اللئام رحب

ومنها

نريد النهوض ولكننا · كطير غدا جنحه مقتضب
واسياف اولئك الظالمين · تقطع اكبادنا بالرعب
وقد فت في ساعد القوم ثقل · الضرائب ممن علينا ضرب
فشعب كبير ولا رأس فيه · يدافع عنه نزول النوب
فذاك نفوه وذا ظلموه · وذا خلبوا قلبه بالرتب
وذا بهرا عينه بالعطايا · وفاض عليه نثار الذهب
وذاك يسكته النفي عنهم · وهذا يسكر فاه الرهب

....

وقد ساد يا سادتي الظلم والعد · ل مات وغيب وسط الترب
بمن يستجير الصبي اذا ما · رأى الام تدفعه للوصب
وكيف نسمي بني الترك اماً · وجنكيزهم ملكنا قد غصب ؟
هم السالبون وهيهات ان يثب · ت الملك في عرش من قد سلب

ومنها

ايادولة الترك زولي فان · العدالة تنكب من قد نكب
وقولي لأنور انت ظلام · جمالك ضد اسمه انقلب
وقولي لطلعت انت هبوط · الى دركات العنا والوصب
وقوم تحالفت معهم لتحيوا · فنلتم عكس المنى المطلب
وقد سببوا لك موتاً مذلاً · لتحيا البلاد فنعم السبب

ففيه نجونا من الموبقات وقد عاش حين قضيت العرب .

وختمها بهذا البيت :

ليحي الاميركان والانكليز ليحي الفرنسيس يحي العرب

. . .

العلم الواحد

وقال الكاتب المجيد ابراهيم افندي سليم نجار على اثر فتح سورية بعنوان « العلم الواحد »

ابني الشآم اتم ربكم لكم ما شئتموه من الفلاح الكامل

لم يبق غير جهادكم ان تعملوا فالارض قد بسطت لجهد العامل

قد كنتم شعباً وكنتم دولة عزت على الايام والمتطاول

بسم الزمان لها فمدت كفها للغرب واتسعت بهذا الساحل

ايام كان البحر منبسطاً لكم والبر متسعاً لسير السابل

ايام صالت في البحار شراعكم خفاقة الاعلام صولة صائل

ايام كان العلم في غرناطة بدرا يشع بنوره المتكامل

ايام كان البحر بحركم بلا خصم يعارضكم به اوخاتل

ايام ملك الشام ملك خالص لكم وكان بكم محط الآمل

هل ترجعون لنا القديم مجددا بعلومه رغم الزمان الباخل؟

. . .

اجماعة البلغار اطول منكمُ ... باعاً لارجاع القديم الزائل

ام ان جمع الروم اكثر منكم ... بين الورى فضلا لدى المتضائل

كانوا كما كنتم رعايا دولة ... ذهب الشقاق بملكها المتاضل

واليوم قـد بلغتم ما بلغوا ... بالامس قبلكم بجـد الدابل

لا يخدعنكم الكذوب بافكه ... فيضلكم عن قصدكم بالباطل

سيروا على نهج الحقائق للعلى ... واستعبروا بالغير شان العامل

املي بكم ان لا تضيعوا سؤلكم ... بتخاصمات دون ادنى طائل

فتحت لكم اعلامكم سبل الهدى ... وتكفلت لكم برفع الحـائل

اعلام مكة والعراق وسوريا ... في واحد فرد كبير شـامل

سنعزه علـما ونرفع شأنه ... رغم المصاعب والزمان المائل

...

بين الاميرين

وقد تناقلت الصحف السورية والاميركية مداعبة شعرية جرت بين الاميرين فيصل وعبد الله نجلي جلالة الملك حسين على اثر اهداء الامير عبد الله خنجرا ذهبياً الى اخيهما الثالث الامير زيد وكان ان الامير فيصلا رأى الخنجر المهدى وعرف بامر هديته فاحب مداعبة اخيه المهدي الخنجر الأمير عبد الله فبعث اليه القصيدة التالية التي احببنا نقلها لما فيها من لطيف الفكاهة في بيان مثالب الاتراك بسياق التظاهر بالدفاع عنهم قال ·

اعبد الله قد اوريت زندا · له شرر بقلبي ليس يهدا

يغور وما يغور اما تراها — تجر بذيلها برقاً ورعدا
اتتك وبين اضلعها اوار — يريك اللعب منها صار جدا
تحاول ان تثور فتدّريها — حمية هاشم كرماً وعهدا
وتطلب ان تقوم وسيف يديها — عقال من حديد شدشدا
وقد نسجت يد الايام درعا — شريفياً لما اتخذته بردا
عليها كل مصقول يمان — يقد الهام والاوصال قدا
تجر وراءها جيشاً كثيفاً — يرى كاس المنون لديه شهدا
يصول عَلَى الاعادي في البوادي — فيحمل فوقه للنصر بندا
ألست بفيصل الهيجاء انضى — فاوقدها على الاتراك وقدا

.....

علام وفيم خنجرك المحلى — خصصت به اخاك الشهم زيدا
تنظقه فكان ككف خود — عَلَى قلب المحب يمس وجدا
وقلّبه فكان كنصف شمس — قد اختطفته كف البدر عمدا
وعلقه فابصرنا الثريا — وارسلنا عليه العين رصدا
أو الشعرى العبور شدت بثغر — سمعناه فنظمناه عقدا
يليق بان يكون بكف زيد — يصد به عوادي الدهر صدا
ويحسن ان تكون له غموداً — صدور الدافنين علي حقدا
ويجمل ان يكون بنحر خود — تبث به من العشاق ودا

...

ألست لمثله كفواً فاني — ابو الهيجاء كم لاقيت اسدا

ألم ترني اعز الناس جاراً … واكثرهم لهم جوداً ورفدا
عَلى اني بيوم الروع ليث … اخوض كتائب الاعداء فردا
فاصلي أصلك الزاكي وفرعي … كفرعك في العلى شرفاً ومجدا
وفضلي مثل فضلك لا يبارى … يفوق الرمل والافلاك عدا
بحق البيض والسمر العوالي … ومن شهد الوغى ولها استعدا
الا ارسلته لي ذا لسان … يفوق عَلى لسان اخيه حدا
تذل لديه السنة الافاعي … ويصبح عنده الثعبان عبدا
يطير البرق منه كل قلب … ويرسل حره للجسم بردا
تبيت لديه صاعقة الليالي … مفرقعة الحشا و يبيت صلدا
له غمد تغيب الشمس منه … تنادي يا له تبراً وغمدا
تسير بذكره الركبان حتى … يطبق وصفه عرباً وهندا

وان اخرته عني فاني … سارفعها الى الملك المفدى
واطرح الحروب وازدريها … واترك للعدى جزراً ومدا
وارحم آل جنكيز جميعاً … ومن منهم عَلى قومي تعدى
وازعم انهم صيد ليوث … لقد نبذوا متون الخيل جردا
ولم يك في بني توران عيب … ولا منهم علي من استبدا
وهم ما ترجموا القرآن كلا … ولا اتخذوا لرب الكون ندا
ولم يخلوا المدينة من ذويها … ولا سرقوا من المختار بردا
ولا اختلسوا الخزانة اورموا بالـ … قنابل وسط بيت الله قصدا

ولا خانوا طرابلساً ومصراً وبغداداً وصهيوناً ونجدا
وانصر انوراً ومشايعيه واطلب ان يعود وان يردا
وازعم ان جاويدا عفيف امين صادق لم يخن تقندا
وانك يا جمال فعلت فعلا جميلاً لم تجد لك عنه بدا
واصرخ في بني قومي هلموا الي فان رأي الترك اهدى
وفيم ومم نحن نحاربوهم وهم قد شيدوا للدين مجدا
وقد كانت مساجدهم عظاماً غدت لتلاوة القرآن مهدا
اليك اليك غانية اذا ما تلاها العارفون شمّت رندا
وان اخرت مطلوبي فاني ساشفعها بثانية اشدا

تمّ كتاب العصر الدموي ويليه كتاب « بين عامين » الذي سيصدر قريباً إن شاء الله مشتملاً على كل ماحدث بعد دخول الحلفاء سورية من الوقائع السياسية والخلافات في شأن البلاد العربية ونتيجة قرارات مؤتمر السلام وما يتعلق بها من الامور التاريخية الى حين صدور الكتاب .

جدول الخطا والصواب

ص	س	الخطأ	الصواب
٢	١٤	بلسانه	بلساني
٣	١٣	مغذ	منذ
٩	٥	لابيهاداباها	لابيها
١٠	٨	واحد	واحداً
١٥	١٥	اضعفت	اضعف
١٩	٣	لعمر	لعمرو
٢٩	١٤	بعدة	بعده
٢١	٢١	ايام	اعوام
٢٥	٢١	ابن بويه	بني بويه
٣٣	١٢	بلقيه	يبقيه
٤٢	١٤	٦٧	١٦١٧
٤٢	١٧	٦٢	٦٢٠
٤٢	١٧	تعاظمت	وتعاظمت
٤٣	١٩	١٦٨	١٦٨٠
٤٧	١٩	الجبل	الجبل
٥٠	١٢	سلطان	سلطاناً
٥٠	١٤	حق	حقاً
٥٧	٢	اصدر	موضعها آخر السطر الثالث
٦٢	٧	اغض	غض
٦٣	١٦	١٧٦٥٠	١٧٦٥٠ ليرة
٦٢	١٩	١٩٠١٤٤	١٩٠١٤٤ قرشاً
٧٦	١٩	٩١	٩١٨
٧٨	٨	باالالاتفاق	بالاتفاق
٨٠	١٦	الاطوش	الاطرش
٨١	٦	رية	سرية
٨٤	٣	توفيق رضا	رضا توفيق
٨٥	٥	الموصى	المومأ
٨٥	١٢	عير	غير
٨٥	١٤	من مخاطبة	مخاطبة
٩٠	١٤	شأ	شأن
٩٣	٢	والقابضين	والضباط
٩٣	٢	ليلوذا	ليلوذوا
٩٤	٢٠	برقبته	برمته
٩٥	١	حقوكم	حقوقكم
٩٥	٧	وكانت	وكادت
٩٧	٢٠	نزوعهم	ونزوعهم
٩٩	١٣	الامرا	الامرار
١٠٣	٧	للامة	الامة
١٠٤	٤	في ٧ انوفمبر	موضعها اول السطر الخامس
١٠٦	٨	ماوفي	ماروني
١٠٦	١٠	٩٠٣	٩١٣

ص	س	الخطأ	الصواب
١٠٩	١٤	رأت	رأت
١٠٩	٢١	الا ن	الا
١٢٢	٩	الاضعاف	لاضعاف
١٢٤	١٠	شا	باشا
١٢٦	٢١	وشواطيء	في شواطيء
١٣٣	١٩	طرفين	الطرفين
١٣٦	٨	تودانها	تود
١٣٩	٧	لانها	لانهما
١٣٩	١٠	وشهم	والشهم
١٣٩	١٦	لدخل لمحطة	مدخل المحطة
١٤٢	١	الى	الا
١٤٦	٤	لى	الى
١٤٦	٩	الاورق	الاوراق
١٤٧	١١	حائة	حادثة
١٥٣	١٨	بعده	بعداء
١٥٨	٥	كاهون	مكماهون
١٦٢	٨	ليوم	اليوم
١٦٢	١٠	لا	الا
١٦٢	١١	لليل	الليل
١٦٤	٦	ودر كوا	وادركوا
١٦٤	٧	المبارت	العبارات
١٦٨	١٨	انزل لاجراس	انزال الاجراس
١٦٨	١٩	نجم	انجم
١٦٨	٢٠	لمؤمرة	المؤامرة

ص	س	الخطأ	الصواب
١٧١	١٤	الاد	اولاد
١٧٦	١٨	قطار	قطاراً
١٧٨	١٩	تي ب	اتي به
١٧٩	٤	لمجة	بلهجة
١٧٩	١٨	حد	أحد
١٨٣	٢٠	عبدالمجيد	عبد الحميد
١٨٤	٧	« «	« «
١٨٤	١٥	انكدت	انتقذت
١٨٧	٣	لمهندس طبيخ	المهندس مطبيخ
١٨٧	٨	كاس	كأس
٢٠١	١٩	حمدة	حمد
٢٠٧	١٢	خور	جور
٢٠٩	٢	اللبنافي	اللبناني
٢٠٩	١٣	الجديدية يخدمقدمها	الجديد بخدمة يقدمها
٢١٣	٨	قودقفت	قد وقفت
٢١٥	٦	الرن	الرنان
٢٢٢	١٣	نصائح	بنصائح
٢٢٣	١٧	مق	من
٢٢٤	٦	مراجع	اراجيع
٢٢٤	١٢	ود	وردت
٢٢٥	١٠	وذا	ولهذا
٢٢٧	١٠	الروحه	الروح
٢٢٧	١٨	وهنك و	هناك

ص	س	الخطأ	الصواب	ص	س	الخطأ	الصواب
٢٣٨	٩	وه	و١٢	٣٣٨	١٦	حماقة	حماة
٢٣٨	١١	وكن	وكان	٣٤١	١٤	١٩١١	١٩١٧
٢٤٥	١١	منيه	منيته	٣٥٦	٢٠	نفضل	بفضل
٢٤٨	٤	الفلاحو	الفلاحون	٣٦١	٣	ادرك	أأدرك
٢٥٩	١٨	فقد	فقد	٣٦٣	٢٠	آندر	أتدر
٢٥٦	١٩	مبلغ	مبلغا	٣٦٥	١	يقول	لقول
٢٦٠	١٥	ذلل	زلل	٣٦٥	١١	الاود	اللذود
٢٦٣	٥	النذر	القزر	٣٦٦	٩	عليهم	عليه
٢٦٣	٧	الناشي	النائب	٣٦٦	١٣	تودون	توادون
٢٧٢	١٤	الذين	اللذين	٣٦٧	١١	الآخر	الآخرة
٢٧٣	٩	االعرب	الى العرب	٣٧٥	١	تصانوم	تصالوم
٢٧٣	١٠	نفسه	بنفسه	٣٧٥	٣	آباؤناوآباءنا	آباؤنا
٢٨٣	٧	لبس	ليس	٣٧٥	٧	العساكرمن	من العساكر
٢٨٨	٤	تزدا	تزدالي	٣٨٣	٢١	عن	عن
٢٨٨	٥	وقسامنها القسم	قسامنها والقسم	٣٨٥	١	يحكم	ان يحكم
				٣٨٨	٨	حياة	حيات
٣٠٦	١٦	والسناسة	والسياسة	٣٩٣	١٠	تناول	لتناول
٣٠٦	١٧	فونك	فرنك	٣٩٣	١٤	برنس	البرلس
٣٠٩	٣	مردفا	مرادفا	٣٩٥	٤	يعتبر	ان يعتبر
٣١٢	١	المنتشرين	المنتشرون	٣٩٧	١٤	بغداد	بالفراد
٣١٧	١٥	يحدثونه	يحدثني	٣٩٩	١٩	٥٩	٥٩٠
٣٢١	٨	الحجازية	الحجازية	٤٠٨	٣	عرب	عن عرب
٣٢٦	٢١	يتوافدون	يتوافدون	٤١٧	١٠	كانين	كان
٣٣٢	٣	لبعض	ببعض	٤١٩	١٥	ابائنا	ابنائنا
٣٣٧	١٠	يحيا	نحو	٤٣٠	١١	بدر	بدون

ص	س	الخطأ	الصواب
٤٣٩	٧	وقاء	وقائده
٤٣٩	١٢	بر ني	البريطاني
٤٤٥	١٤	حبل	حبال
٤٥٣	١١	اما	ما
٤٥٥	٩	اقدموا	قدموا
٤٥٧	٥	بتغديك	بتفديك
٥٦١	٦	يبني	يثني

تنبيه

هذا ماورد في الكتاب من اغلاط الطبع وهناك نقص في بعض النقط واطراف الحروف لايخفى على اللبيب .

وقد جاء الفصل الخامس مكرراً فاصلح في الفهرست فليعتمد المطالع على ارقام الفهرس لاعناوين الفصول .

يطلب من



في دمشق


Bibliotheca Alexandrina
04332446